

عناية البيك  
في  
تفسير القرآن الكريم

المجلد الخامس

تأليف

محمود محمد عيسى  
مستن عمارات  
مراحمه راقية

أشرف على طبعه

فادم العظم

عبدالله بن إبراهيم الأحمدي

طبع على نفقة

إدارة إمتياز القرآن للإسلامي

بمدينة قطر

# غاية البيان

في

# تفسير القرآن الكريم

١٤٥٦  
٤٠٣٢

مؤسسة الدراسات الإسلامية العالمية
بيروت - لبنان
تاريخ النشر: ١٩٦٤
الرقم الأسّي: ..
مادة التورود: ..

## المجلد الخامس

### تأليف

محمود محمد حمزة      حسن علوان      محمد محمد برانق

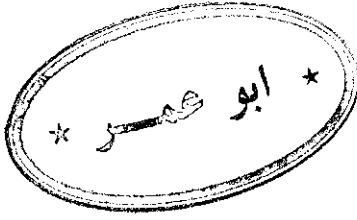
مؤسسة الدراسات الإسلامية العالمية
مكتبة
مدرسة الصغرة الإسلامية الثانوية للبنين
تاريخ التورود: ..
رقم التسجيل: ٨٤٨
رقم التصنيف: ٢١٤٠٣

أشرف على طبعه  
فادم العالم

عبدالله بن إبراهيم الأنصاري

رقم التورود: ..
رقم التسجيل: ..
رقم التصنيف: ..
رقم التورود: ..

طبع على نفقة  
إدارة إمامية التراث الإسلامي  
بدرولة قطر



# تفسير القرآن الكريم

الجزء الحادي والعشرون

تأليف

حسن علوان

محمود محمد حمزة

مؤسسة الرعاية التنويرية  
مكتبة  
مدرسة الدعوة الإسلامية القافية بدين  
تاريخ النشر  
رقم التسجيل  
رقم التصنيف

محمد أحمد درانق



تراجع الخطبة التي في صدر تفسير الجزء الأول ، ونرجو أن يراعى في هذا الجزء والأجزاء التي تليه ، أن الأرقام التي في صدر مجموعات آيات القرآن الكريم ، تطابق نظائرها في المصاحف ، وأن الأرقام التي تخللت مجموعات آيات القرآن الكريم ، تطابق نظائرها في مجمل المعنى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية ٤٦ إلى الآية ٥٢ من سورة العنكبوت

وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، إِلَّا  
الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ، وَقُولُوا : آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا  
وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ ، وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ ، وَنَحْنُ لَهُ  
مُسْلِمُونَ -١- . وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ، فَالَّذِينَ  
آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ،  
وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ -٢- . وَمَا كُنْتَ تَتْلُو  
مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ، وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ، إِذَنْ لَأَرْتَابَ  
الْمُبْطِلُونَ -٣- بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ  
أُوتُوا الْعِلْمَ ، وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ -٤- .  
وَقَالُوا : لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ ! قُلْ : إِنَّمَا الْآيَاتُ  
عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ -٥- . أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا  
عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ؟ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى  
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ -٦- . قُلْ : كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ،  
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ  
وَكَفَرُوا بِاللَّهِ ، أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ -٧- .

## شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
<p>{ ولا تجبر بينكم وبين الكتابيين من اليهود والنصارى مناقشة، إلا بالحسنى واللين والملاطفة . [إلا الذين يبغون في الإيذاء والاعتداء ، ولا يُقلعون عن الإشراك . ونحن له خاضعون . وبمثل ذلك أنزل الله القرآن على محمد . ومن أهل مكة .</p>	<p>{ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ونحن له مسلمون وكذلك أنزلنا إليك الكتاب ومن هؤلاء</p>
<p>{ ولا ينكر ما جئت به من الأدلة الدالة على صدق رسالتك إلا الموغلون في الكفر والجحود . لو كنت قارئاً أو عالماً بكتاب قبله ، لحاز هؤلاء أن يشكوا في أمرك .</p>	<p>{ وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون إذن لارتاب المبطلون</p>
<p>{ كون محمد لا يقرأ ولا يتلو من قبل القرآن كتاباً آخر ، يعترف به أحبار اليهود والنصارى بينهم وبين أنفسهم .</p>	<p>{ هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم</p>
<p>{ وما ينكر نبوة محمد إلا كل ظالم لنفسه ، يحملها على الكفر والتكذيب . هلا أنزل على محمد معجزات تدل على صدقه ، كما أنزل على من سبقه من الأنبياء . إنما الذي يملك أن يأتي بالمعجزات هو الله وحده .</p>	<p>{ وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون لولا أنزل عليه آيات من ربه . إنما الآيات عند الله</p>

الألفاظ	شرحها
أنا نذير مبين يُتلى عليهم وذكري	أنا أخوفكم بأس الله وعذابه ، وأبين لكم إنذاره . يقرأ عليهم . وعبرة وموعظة .
كفى بالله بيني وبينكم شهيذاً	{ حسي أن يكون الله شاهداً عادلاً بيني وبينكم ؛ لى مالى ، وعلى ما على .
يعلم ما فى السموات والأرض	لا يخفى عليه شىء ، فيجازى حقاً وعدلاً .
آمنوا بالباطل وكفروا بالله	صدّقوا بالشرك وأقروا به ، ولم يوحدوا الله .
أولئك هم الخاسرون	{ هؤلاء هم الذين خرجوا من الدنيا بصفقة الخاسر المغبون .

### مجمل المعنى

١ - يأمر الله رسوله محمداً والذين آمنوا به ، أنهم إذا جادلوا واحداً من الكتابيين - اليهود أو النصارى - يترفقون بهم ، ولا يعنفون عليهم ، ويحاسنونهم ولا يخاشنونهم ، ويلاطفونهم ولا يغالظونهم ، فإن الإنسان قد يبلغ بالحاسنة والملاينة ما لا يبلغ بالمخاشنة والمغالظة ؛ وأهل الكتاب أهل دين سماوى ، وفى صحيح كتبهم - لو أنصتوا إليه - ما فيه مقنع لهم ؛ فهم غير المشركين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر ؛ وهم غير الذين ظلموا أنفسهم ، الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة ، والذين قالوا : إن لله ابناً ، والذين غيروا فى كتب الله وبدلوا ، فأخفوا بعضها ، وأظهروا بعضها ،

وأضافوا إليها وحذفوا منها ، خاضعين في ذلك إلى أهوائهم ، أو متبعين شياطينهم ، هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم ، تجوز مغالطتهم ومخاشنتهم ؛ وقد رسم القرآن الكريم للمسلمين طريقاً من المحاسنة في المناقشة ، والملاينة في المجادلة ؛ وذلك أنه أمرهم أن يقولوا لمجادليهم : آمنا بالذي أنزل إلينا ، وهو ما جاء به القرآن ، وآمنا بالذي أنزل إليكم في صحيح التوراة والإنجيل ، والإله الذي نعبده وتعبدونه واحد ، ونحن مطيعون له ، منقادون خاضعون لما يأمر به ؛ وإذا كان الأمر كذلك ، فلا خلاف بيننا وبينكم .

٢ - والدليل على أن محمداً ومن اتبعه آمنوا بالذي أنزل إلى اليهود في التوراة ، وبالذي أنزل إلى النصارى في الإنجيل - أن الكتاب الذي أنزل إليه وهو القرآن ، جاء مصداقاً لما ورد في الصحيح الذي لم يتناوله تغيير ولا تبديل من هذه الكتب ، وبعض الذين نُزِلَ عليهم كتابهم الصحيح وآمنوا به ، يؤمنون بالقرآن الذي أنزل على محمد ، كعبد الله بن سلام وغيره ممن على شاكلته ، وبعض أهل مكة آمنوا به أيضاً ، وهذه الآيات الواضحة البينة يسلم بها العقلاء ، ولا ينكرها إلا كل من أظلم قلبه بالكفر ، لأنها واضحة جلية ، لا شبهة فيها ، ولا غموض ، ولكن الجاحدين الكافرين كعبد الله بن الأشرف ، ومن لف لفه من المصمّمين على إنكار نبوة محمد ، لا ينتفعون بنور الإيمان .

٣ - لم لا يصدق هؤلاء الناس أن القرآن الذي أنزل عليك من عند الله ؟ فلست كاتبه لأنك أمي لا تكتب ، ولم يُلقَ إليك من غيرك لأنك لم تجلس إلى معلم ليعلمك هذا ؛ ولو قد حصل شيء من هذا فكتبت أو تلقيت ، لحق لهم أن يرتابوا فيك ، وقالوا : إن الذي نجده في كتبنا أمي ، وأنت أمي حقاً ؛ فلماذا ينكرون نبوتك ، ويشكون في صدقك ؟ !!



٤ - هذا القرآن الذى جئت به دلائل واضحات على صدق نبوتك ، وليس سحراً أو شعراً ، فالذين يتفقهون فى هذا الدين من أمة محمد يحفظون القرآن ويرددونه ، ويفهمون ما ترمى إليه آياته من المغازى والمعانى ، ولا ينكر ذلك إلا الذين يظلمون أنفسهم بعدم الدخول فى الدين الصحيح ، الذى لا يقبل شكاً ، ويصرون على كفرهم وعنادهم .

٥ - لم يُقنع قريشاً أن تكون معجزة محمد القرآن الذى بهرهم ببلاغته وفصاحته ، والذى عجزوا عن أن يأتوا بمثله من سورة من سورة القصار ، فضلاً عن الطوال ؛ وطلبوا أن يأتهم بمعجزة مادية محسوسة ، لأن عقولهم القاصرة لا تدرك قيمة الروحانية القرآنية ، ورجواً أن يجرى الله له مثل الذى كان يجرى لغيره من الأنبياء : كصالح صاحب الناقة ، وموسى صاحب العصا ، وعيسى صاحب المائدة ؛ فلما طلبوا منه هذا أمره الله أن يقول لهم : لست أنا الذى آتى بالآيات ، ولكن الله هو الذى يأتى بها على ما يريد من مادية أو روحانية ، لأمر تقتضيها حكمته ؛ وعمل النبي إنما هو محصور فى تبليغ الرسالة إلى من أرسله الله إليهم ، وتبشير المؤمنين بالجنة ، وتخويف المكذابين من النار ، وإيضاح مصيرهم لهم ، مؤكداً ما سيؤول إليه أمرهم ، بما يجرى على يديه من معجزات أرادها الله ، والمعجزة إنما يجرىها الله على يد النبي ، لإزالة شك الشاكين ، فليس بهم العاقل أن تكون نوعاً معيناً من الخوارق .

٦ - على أنه إن كان إنزال الآية شرطاً لإيمانهم ، أو لم يكفهم هذا القرآن الذى أنزلناه عليك معجزاً بفصاحته وبلاغته ؟ كان يجب أن يفتنوا بتلاوته عليهم ، فإن فى تلاوته عليهم إحاضاً لحجتهم ، وهو المعجزة الخالدة الباقية على الدهر ، وليس كالمعجزات المادية الأخرى التى يطلبون مثلها ، كالعصا واليد وإحياء الموتى ، لأنها زالت بزوال وقتها ، ولأنها كانت فى

مكان واحد ، وقد انتهى أثرها ، وبقاء معجزة القرآن دائمة ، فيه موعظة متجددة للعقلاء الذين ينفرون من الاستجابة لهذا الدين الصحيح ، لمجرد التعصب الأعمى لما وجدوا عليه آباءهم الضالين ؛ وقد انتشر في بقاع الأرض ، وفيه رحمة لهم في الدنيا بإنقاذهم من الضلالة ، وفيه ذكرى لقوم يؤمنون ، بإرشادهم إلى الحق .

٧ — قل لهؤلاء المعاندين المكابرين : حسبي أن يكون الله شاهداً بيني وبينكم ، عارفاً صدقى وكذبكم ، مطلعاً على إخلاصى وتعتكم ، وهو لا يخفى عليه شئ ، لأنه يعلم كل ما يجرى فى السموات وفى الأرض ، ظاهراً أو باطناً ، جليلاً أو حقيراً ، محسوساً أو معقولاً ؛ وجميع الذين ظلوا على عنادهم واستكبارهم ، وبقوا على كفرهم ، وعموا عن الحق ، وأقاموا على الباطل ، وكفروا بالله وأشركوا به — هؤلاء جميعاً خسروا الدنيا والآخرة ، لتكذيبهم رسوله ، وجحدهم لكتابه .

( ٢ )

من الآية ٥٣ إلى الآية ٥٥ من سورة العنكبوت

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ، وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ  
الْعَذَابُ ، وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ - ١ - .  
يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ،  
يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ،  
وَيَقُولُ : ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ - ٢ - .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ولولا أجل مسمى	} ولولا وقت محدود قدره الله في سابق علمه ، وجعله موعداً لتعذيبهم . لعجل الله لهم العذاب كما يطلبون . فجأة . وهم لا يحسون أن هذا وقته . ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا .
لجاءهم العذاب	
بغتة	
وهم لا يشعرون	
ذوقوا ما كنتم تعملون	

## مجمل المعنى

١ - الذين كفروا بك ، ولم يستجيبوا لك ، يسألونك أن تعجل لهم العذاب الذى تهددهم به ، وتترعدهم بوقوعه عليهم ؛ ولكن الله سبحانه وتعالى قدر لهم أجلا محدوداً يعيشون إليه ، وقدر لهم وقتاً معلوماً يعذبون فيه ؛ ولولا أن الله قدر لكل شىء وقته وأوانه ، لوقع عليهم هذا العذاب حينما طلبوه منك استخفافاً بوعيدك لهم ، ومع ذلك فإن العذاب سيدهمهم ، ويحل بهم بغتة ، ويأخذهم فجأة ، من غير أن يشعروا .

٢ - هؤلاء الناس يستعجلونك الآن بالعذاب ، وسيرون - حين يدهمهم العذاب - أن نار جهنم ستحيط بهم ، فلا يجدون أنفسهم إلا غارقة فى بركان من نار : فالنار فوق رؤوسهم ، وتحت أرجلهم ، وعن يمينهم ، وعن شمالهم ، وخلفهم وقدآمهم ، فكأنهم فى غلاف من نار جهنم ، وإذ ذلك يقال لهم على سبيل التبكيت والتفريع : ذوقوا جزاء أعمالكم التى كنتم تعملونها فى الدنيا .

من الآية ٥٦ إلى الآية ٦٠ من سورة العنكبوت

يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا ، إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ ، فَإِيَّايَ  
فَاعْبُدُونِ -١- . كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ، ثُمَّ إِلَيْنَا  
تُرْجَعُونَ -٢- . وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ  
مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ،  
نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ : الَّذِينَ صَبَرُوا ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ  
-٣- . وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ، اللَّهُ يَرْزُقُهَا ،  
وَإِيَّاكُمْ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ -٤- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فإيأي فاعبدون	فمخصوصي دون غيري بالعبادة .
كل نفس ذائقة الموت	كل حي إذا انتهى أجله ذاق مرارة الموت ، وقاسى شدته .
لنبوئهم من الجنة غرفاً	لننزلهم علالي في الجنة ، وهي جمع عُلِيَّة .
وكأين من دابة	وكثير من الدواب والكائنات الحية .
لا تحمل رزقها	لا تستطيع أن تحصل رزقها وتحفظ به .

الألفاظ	شرحها
الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم	الله يتكفل برزقها ورزقكم . وهو الذى يسمع ما تقولونه من أنكم تخافون الفقر إذا هاجرتم ، ويعلم ما فى نفوسكم من إخلاص للدعوة ، واعتماد عليه .

### مجمل المعنى

١ - ضايق الكفار من أهل مكة المسلمين ، وآذوهم فى أموالهم ، وحاولوا أن يفتنهم عن دينهم ، وأوشكوا أن يقتلوهم لو قدروا على قتلهم ؛ فأراد الله أن يحبب إليهم الهجرة من بلادهم إلى بلاد يجدون فيها متسعاً وأماناً ، ومجالاً لعبادة الله وحده ، من غير أن يلحقهم أذى ، فناداهم نداء فيه عطف عليهم ، ورحمة بهم : « يا عبادى الذين آمنوا » ، وأكد لهم أن أرضه واسعة ، وأن أى بقعة يحلون فيها يجدون أهلاً بأهل ، وإخواناً بإخوان ، وجيراناً بجيران ؛ ويجدون فى كل أرض مرتزقاً ، وإنما تفضّل أرض أرضاً ، بأن يجدوا مجالاً لحرية العقيدة ، وبعداً عن الأذى ، وقبولاً للدعوة ، وقلوباً تستجيب وتؤمن ، فلماذا لا يهاجر المهاجر لتسلم له عقيدته ودينه ، فإنه واجد بدل المال مالاً ، ولن يجد بدل الدين ديناً ؟

٢ - وإذا كان المهاجر يخشى على نفسه أن يموت فى مهجره ، فهو مخطئ ، لأن كل حى سيموت ، وسيعانى من كرب الموت وشدته ومرارته ما يعانى ، سواء أكان فى وطنه بين أهله وعشيرته ، أم كان بعيداً عن وطنه وأهله وعشيرته ، وطعم الموت للمقيم والمغرب واحد ، فلا عليك إذا فررت

أيها المؤمن بعقيدتك ؟ ومرجع الكل إلى الله يوم القيامة ، ليحاسب كل إنسان بما عمل .

٣- فالذين أخلصوا إيمانهم لله ، وصفت قلوبهم ، وعملوا الأعمال الطيبة الصالحة ، ينزلهم الله في منازل رفيعة عالية ، ويتنعمون بأحلى ألوان النعيم ، فهم في مساكن فخمة أنيقة عالية ، تجرى من تحتها الأنهار ، وتكتمل فيها السعادة التي يتصورها الإنسان اليوم في أعلى درجاتها ، وهذه سعادة كل من وصل إليها وتمتع بها ، لا تزول عنه ولا تحوّل ، وإنما هي خالدة باقية ، وهذا أحسن جزاء يجازى به الله المخلصين من عباده ، الصابرين على المكاره التي أذاقهم إياها المشركون وأعداء الدين ، والذين صبروا على مرارة الهجرة ، وترك المال والوطن والأهل والولد ، ولم يتكلموا إلا على الله .

٤- وإن الله هو الذى يدبر لكلّ حى رزقه ، فكثير من الدواب التي تدب على ظهر الأرض لا تستطيع أن تحصل رزقها بنفسها ، ولكن الله هو الذى يدبر لها ذلك الرزق ، ويهيئ لها من الظروف والملابسات ما يجعلها تعيش وتحيا ، فلا يجوز للذين يأمرهم الله بالهجرة فراراً بدينهم أن يخافوا الفقر ، لأن الذى كفل الرزق ، وهو الله - سبحانه وتعالى - كفله للضعيف والقوى على السواء ؛ وإذا كان الله قد أودع فى الإنسان قوة يستعين بها على كسب رزقه ، فإن مجرد وجود هذه القوة فيه ، لا يجعله يستغنى عن توفيق الله وتدييره فى الحصول على ذلك الرزق ؛ وكم من الناس تساوت فيهم القدرات والمواهب ، ولكن أرزاقهم مختلفة ، فهذا موسّع له ، وذلك مقتر عليه ؛ ومرد ذلك إلى إرادة الله . فلا تخشوا الفقر إذا هاجرتم ، فإن الله يعلم ما فى نفوسكم من إخلاص للدعوة واعتماد عليه ، ويعلم ما سينتهى إليه أمركم من إعزاز ونصر ، وما سيصير إليه أمر عدوكم من إذلال وخزى ، وهو السميع لكم حين تلجئون إليه ، العليم بآلامكم وجميع حاجاتكم

من الآية ٦١ من سورة العنكبوت إلى آخر السورة

وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ : مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ،  
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ؟ لَيَقُولُنَّ : اللهُ ، فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ؟  
١- . اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ، إِنْ  
اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٢- . وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ : مَنْ نَزَّلَ مِنَ  
السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا ؟ لَيَقُولُنَّ :  
اللهُ ، قُلِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ٣- . وَمَا  
هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ ، وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ  
الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٤- . فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ  
دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ، فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا  
هُمْ يُشْرِكُونَ ٥- . لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ، وَلِيَتَمَتَّعُوا ،  
فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٦- . أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا ،  
وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ؟ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ ، وَبِنِعْمَةِ  
اللهِ يَكْفُرُونَ ؟ ٧- . وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا ،  
أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ؟ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى  
لِلْكَافِرِينَ ؟ ٨- . وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ،  
وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ٩- .



## شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
فكيف يُصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ؟ يوسع الرزق . ويضيق عليه .	فأني يؤفكون يسط الرزق ويقدر له
{ إن الله يعلم كل شيء فيوسع على من يستحق التوسعة ، ويقتصر على من يستحق التقدير . فجعل الأرض تُثبت به النبات ، بعد أن كانت لا تثبت . قل : أحمد الله على إقرارهم بالحق . بل أكثر هؤلاء المشركين لا يميزون بين ما يضرهم وبين ما ينفعهم . تعليل للنفوس بما تلتذ به التذاذاً سريعاً انقضاؤه . { وإن الدار الآخرة هي الدار التي تكون فيها الحياة الدائمة ، التي لا تنقطع ولا تزول . { لو كان المشركون يعلمون أن الدنيا زائلة ، وأن الآخرة باقية ، لآمنوا . ركبوا السفينة في البحر . { يخلصون في وقت الشدة لله إخلاصاً لا تشوبه شائبة . يعودون فجأة إلى إشراكهم .	إن الله بكل شيء عليم فأحيا به الأرض من بعد موتها قل : الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون هو ولعب وإن الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون ركبوا في الفلك مخلصين له الدين إذا هم يشركون

الألفاظ	شرحها
ليكفروا بما آتيناهم	<p>ليُنكروا ما أنعم الله به عليهم من نعمة النجاة وغيرها ؛ وهذا فيه تهديد ووعيد وتوبيخ لهم .</p> <p>حرّمنا على الناس أن يدخلوه محاريب ، فأمن ساكنه .</p>
حرماً آمناً	
ويُتخطف الناس من حولهم	<p>ويغار على الناس المجاورين لهم ، فيُسلبون ويؤسرون ويقتلون .</p> <p>عجباً لهم ! أبعد هذا يشركون بالله ؟ !</p> <p>اختلق الكذب على الله .</p> <p>أو كذب برسالة ربه التي جاء بها محمد .</p> <p>إن في جهنم سكناً هؤلاء المشركين .</p> <p>قاتلوا المشركين من أجلنا .</p> <p>لنوقفنهم إلى الطريق المستقيم .</p>
أفبالباطل يؤمنون	
افترى على الله كذباً	<p>أفترى على الله كذباً</p> <p>أو كذب بالحق لما جاءه</p> <p>أليس في جهنم مثوى</p> <p>للكافرين</p> <p>جاهدوا فينا</p> <p>لنهدينهم سبلنا</p>
أو كذب بالحق لما جاءه	
أليس في جهنم مثوى للكافرين	
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا	

### مجمل المعنى

١ - الكفار الذين تحاول أن تقنعهم بأنك رسول الله ، وبأن الله واحد لا يجوز أن يعبد سواه - إذا سألتهم : من خالق السموات والأرض ؟ أجابوا من غير تردد ولا تشكك : خالق السموات والأرض هو الله ؛ وإذا سألتهم : من الذى سخر الشمس والقمر ، وذللهما لعباده ، وجعلهما يجريان فى مدارات وأفلاك خاصة ، وجعل مصالح خلقه مرتبطة بهذا الدوران ؟ أجابوا من غير تردد ولا تشكك : الذى فعل ذلك هو الله ؛ وإذا كانت

هذه هي إجاباتهم التي يجيبون بها طائعين مختارين ، أفلا يكون من العجب أنهم ينصرفون عن عبادة الله الذي شهدوا له بالقدرة ، إلى عبادة غيره من الأصنام والأوثان ؟ !! إن في إجاباتهم دليلاً ضمنياً على عجز هذه الآلهة التي يعبدونها من دون الله ، واعترافاً بعجزها عن أن تخلق سماء أو أرضاً ، وعن أن تسخر شمساً أو قمرأ ، فعبادتهم لها بعد هذا الإقرار سفاهة وضلال .

٢ - الله القادر هو الذى يرزق عباده ، ويهيئ لهم الأسباب التي يكسبون بها معاشهم : فيوسع على هذا ، ويضيق على غيره ، وليس بسطه الرزق أو تضيقه عبثاً ، ولكنه يعلم كل شيء علماً حقيقياً ، ويُجرى الأرزاق حسب ما قدره في سابق علمه ، فلا يليق بالغنى أن يزدري الفقير لفقره .

٣ - هؤلاء الكفار أنفسهم ، إذا سألتهم : من الذى ينزل الماء من السماء بقدرته ، فينزل هذا الماء على الأرض فترتوى منه ، فتتحيا من موات ، وينبت فيها الزرع مختلف الأنواع والألوان ؟ أجابوا من غير تردد ولا تشكك : الله هو الذى يفعل ذلك ؛ فإذا اعترفوا بذلك - يا محمد - فأحمد الله على إقرارهم بالحق ، وعلى جريان هذه الحقيقة على ألسنتهم وهم معاندون مكابرون ، وأكثرهم لا يعقلون فلا يميزون بين الضار والنافع ، والهدى والضلال ، ولا يتدبرون ما أيدناك به من الآيات البينة ، فاستوجبوا لأنفسهم النار ، وبئس المصير !

٤ - وحقيقة هذه الحياة الدنيا أنها دار لهُو ولعب ، متاعها قليل ، يتحول ويزول ، ثم هي سريعة المرور ، والناس فيها لاهون بها ، مشغولون عن غيرها ، مفتونون بنعيمها الذى يمر مروراً سريعاً ثم ينقضى ، فلا دوام له ولا بقاء ، أما الدار الآخرة فهي دار الحياة الصحيحة الباقية الدائمة ، التي لا تزول ولا تنقطع .

٥ - ومع أن هؤلاء الكفار مشركون معاندون ، فإنهم يعرفون لله قدرته في خلق السموات والأرض ، وتسخير الشمس والقمر ، وتصريف الرياح ، وإنزال المطر ، وإحياء الأرض ، وهم إذا ركبوا سفينة وسارت بهم في البحر ، وثارَت الرياح ، واشتد الموج ، وترجحت السفينة واضطربت ، وخافوا على أنفسهم - نسوا أصنامهم ، وذكروا الله ، ولجئوا إليه ، واستعانوا به ، وتوجهوا إليه بقلوبهم ، ودعوه ليأخذ بيدهم ، وينجيهم مما هم فيه من كرب ، ويزيح عنهم ما بهم من شدة ؛ فإذا رآهم أحدٌ وهم في هذه الحالة ، لا يظن إلا أنهم مؤمنون حقاً ، وموحدون صدقاً ، فإذا نجاهم الله من الغرق ، وخرجوا سالمين إلى البر ، نسوا لطف الله بهم ، وعادوا إلى إشراكهم وكفرهم ، وكأنهم لم تمر بهم محنة ، ولم يكونوا منذ قليل في كرب شديد .

٦ - الناس الذين هذه حالهم من الكفر بنعمة الله ، وإنكار فضل الله الذي لمسوه بأيديهم ، وراؤهُ بأعينهم - الله لهم بالمرصاد ، فليكفروا ما شاءوا أن يكفروا ، وليتمتعوا بنعيم الدنيا على الوجه الذي يريدون أن يتمتعوا به ، فإنهم سوف يعلمون يوم القيامة العاقبة السيئة التي أُرِدهم فيها سوء تصرفهم ؛ وفي هذا تهديد لهم ووعيد ، وتحذير من سوء المصير .

٧ - مشركو مكة هؤلاء الذين لم يؤمنوا بمحمد ، وطلبوا أن يأتيهم بآية غير الآية العظيمة التي خصهم الله بها - وهي القرآن - ألم يروا أن فضل الله عليهم عظيم ؟ فقد أسكنهم في حرم آمن ، وحرّم على الناس أن يدخلوه محاريبين أو مغيرين ، فأهله بذلك آمنون على أنفسهم وأموالهم ، وأولادهم وجميع مصالحهم ، في حين أن غيرهم في أى بلد آخر عرضة لأن تعلن عليه في بلده حرب ، أو تُشنَّ عليه غارة ، فهو بذلك ليس مطمئناً على

نفسه وولده ، وليس آمناً على ماله وأهله ، ومع هذا الفضل الكبير الذى غمهم الله به من دون سائر الناس ، فإنهم مصرون على الإشراك وعبادة الأصنام من دون الله ، وجحود نعمته ، وعدم الاعتراف بفضله .

٨ - ولا أحد من خلق الله جميعاً أظلم من الذين يختلقون الكذب ويفترونه على الله ، وينسبون إليه ما لم يصدر عنه ، فإذا ارتكبوا منكراً مثلاً وعيب عليهم ذلك ، قالوا : إنما فعله كما كان يفعله آباؤنا ، والله أمرنا بذلك ؛ وكذلك لا أحد من خلق الله جميعاً أظلم من الذين يرون الحق أمامهم واضحاً فيكذبونه ، والدليل على صدقه قائماً فينكرونه ، كبعث محمد ودعوته إلى التوحيد ، وتقديم القرآن دليلاً معجزاً على صدقه ؛ إن فى جهنم مقام أولئك المكذبين المنكرين المعاندين ، وإقامتهم فيها إقامة دوام وتخليد ، لما كان منهم من كفر ، وإنكار للتوحيد ، وتكذيب للرسول .

٩ - أما الذين جاهدوا فى سبيل الله ، فمنعوا أنفسهم من الضلال ، وحموها من غواية الشيطان ، وعصموها من الهوى ، أو قاتلوا أولئك الكافرين ، ونصروا محمداً ، فإن الله يوفقهم إلى الطريق المستقيم ، ولا سيما الذين أرادوا بجهادهم نصرته الدين ، والعمل على نشره ، وخذلان أعدائه ؛ ويؤكد الله أنه مع كل محسن من خلقه ، سواء أكان لإحسانه لنفسه أم لربه ، وحسبُهُ أن يكون الله معه فى دنياه وآخرته .

## سُورَةُ الرُّومِ

نزلت بمكة ، ما عدا الآيات ١٧ ، فإنها نزلت بالمدينة ، وآياتها ٦٠ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( ١ )

من الآية الأولى إلى الآية السابعة

الْمَ ، غَلَبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ، وَهُمْ مِنْ بَعْدِ  
غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ ، لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ  
بَعْدِ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ، يَنْصُرُ مَنْ  
يَشَاءُ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١- . وَعَدَّ اللَّهُ ، لَا يُخْلِفُ  
اللَّهُ وَعْدَهُ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ، يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا  
مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ٢- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الْمَ في أدنى الأرض غلبهم	تراجع الصفحة ١٣ من تفسير الجزء الأول . في أقرب أرض إلى بلاد العرب . انهزامهم .

الألفاظ	شرحها
في بضع سنين	في عدد من السنين ، فوق الثلاث ودون العشر .
لله الأمر	الله وحده هو المختص بتدبير كل أمر على حسب إرادته وقدرته .
من قبلُ ومن بعدُ	من قبل كل شيء ، ومن بعد كل شيء .
ويومئذ	ويوم ينتصر الروم على فارس .
يفرح المؤمنون بنصر الله	يفرح المسلمون بأن الله حقق وعده ، وهو انتصار الروم على الفرس ، فيكونون قد صدقوا فيما أخبروا به .
وهو العزيز الرحيم	والله هو الشديد في انتقامه من أعدائه ، الواسع الرحمة لأهل طاعته من عباده .
ولكن أكثر الناس لا يعلمون	ولكن غير المؤمنين من قريش - وكانوا كثرة في ذلك الحين - لا يعلمون أن الله منجز وعده ، وأنه لا يخلفه أبداً .
يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا	غاية علمهم ما يهيئون به لأنفسهم أمور معاشهم في الدنيا .
غافلون	لا يفكرون في الآخرة ، ولا يهتمون بها .

### بين الفرس والروم

كان الفرس والروم أعظم دولتين قبل الإسلام : إحداهما في الشرق وهي دولة فارس ، والأخرى في الغرب وهي دولة الروم ، وكانت الحرب قائمة بين الدولتين ؛ ومن هذه الحروب ما وقع بين كسرى أنوشيروان ملك فارس ، وجستيان

إمبراطور الروم ، فقد زحفت جيوش كسرى على بلاد الروم ، حتى بلغت ساحل البحر الأبيض المتوسط قرب أنطاكية سنة ٥٧١ م ، وهي سنة مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، واستمرت الحرب قائمة بينهما عشرين عاماً ؛ فلما جاء كسرى الثانى ، صمم على أن يضم دولة الروم إلى ملكه ، فانتزع الشام ومصر ، وتوغل جيشه في آسيا الصغرى ، حتى وقف على ضفاف البسفور سنة ٦١٧ م أى قبل الهجرة النبوية بنحو خمس سنين .

فرع هرقل إمبراطور الروم ، وأعد جيشاً قوياً ، وبدأ محاربة الفرس من جديد سنة ٦٢٢ م ؛ وهي السنة التي هاجر فيها الرسول إلى المدينة ، واستمرت هذه الحرب ست سنين ، أى إلى سنة ٦٢٨ م ، وهي سنة ٦ هـ ، فانتصر فيها الروم ، واستردوا أملاكهم ، وامتد سلطان هرقل ، وتقلصت مملكة الفرس . ويفسر هذا قوله تعالى : « غلبت الروم في أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين » .

هذه الحروب كلها ضعفت الدولتين ، وأضعفتها إضعافاً شديداً ، فخرّبت الديار ، وأقمرت المزارع ، وأفقرت الناس ، وساءت حالهم ، وتفككت أوصال الدولتين تفككاً شديداً ، فشاعت الفتن ، وكثرت الدسائس ، وتطاحت الأحزاب ، وضعف كسرى وقيصر ضعفاً جعل ابن الأول يقتله ويثب على عرش أبيه ، وجعل ابن الثانى يتآمر على عزل أبيه ، واغتصاب العرش منه .

## مجمل المعنى

١ - وقعت الحرب بين فارس والروم ، فغلبت الروم ، فشقّ على محمد وأصحابه أن ينتصر الفرس - وهم تجوس وثنيون - على الروم - وهم كتابيون - وفرح كفار مكة ومشركو قريش لانتصار الفرس ، وأعلنوا شماتهم لمحمد وأصحابه ،



فأنزل الله على محمد أن الروم بعد هزيمتهم سيغلبون في المستقبل القريب ،  
وحدد الأجل بيضع سنين ، فخرج أبو بكر - رضى الله عنه - إلى  
الكفار ، وقال لهم : أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا ؟ فلا تفرحوا ،  
ولا يُقرنَّ الله أعينكم ، فوالله ليظهرنَّ الروم على فارس ، أخبرنا بذلك  
نبينا صلى الله عليه وسلم ، فقام أبي بن خلف إلى أبي بكر ، وقال له :  
كذبت يا أبا فصّيل - يعرضون بكينته - ، والفصّيل : ولد الناقة - ، فقال  
له أبو بكر : أنت أكذب يا عدو الله ، فقال : فلتناحب - أى نتراهن -  
على عشر قلائص منى ، وعشر قلائص منك ، فإن ظهرت الروم على  
فارس غرمتُ ، وإن ظهرت فارس على الروم غرمت - إلى ثلاث سنين ؛  
ثم جاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بما كان بينه وبين  
أبي بن خلف ، فقال له : فهلا احتطت ، إنما البضع ما بين الثلاث  
إلى التسع ، وأمره أن يزايد في الخطر ، ويمد في الأجل ؛ فرجع أبو بكر  
إلى أبي ، وجعل الخطر مائة قلوص ، والأجل تسع سنين ، وكان  
ذلك قبل تحريم المراهنة ؛ ثم كان ما كان بين فارس والروم من حروب ،  
على النحو الذى ذكرناه آنفاً ، وانتهت هذه الحروب بانتصار الروم على  
فارس ، وتحقق وعد الله لمحمد ؛ وهو وحده المختص بتدبير كل أمر ،  
المنفرد بإنفاذ أحكامه وفق إرادته وقدرته ، من قبل هذه الغلبة ومن بعدها ،  
فيقدّر لهذا أن يهزم ، ولذلك أن ينتصر ؛ وحينما تحقق ما أخبر به محمد  
من أن الروم سينتصرون على فارس ، فرح المؤمنون لأسباب :

أولها - انتصار أهل الكتاب على الوثنيين .

وثانيها - تحقق ما أخبر به ، وفي هذا تقرير لمركز النبوة وصدق الرسالة .

وثالثها - أن الله سلط هاتين الدولتين المسيطرتين على العالم في ذلك الزمان

بعضهما على بعض ، فأضعفتها الحروب ، وضععتهما المشاحنات ، وكان في إضعافهما تقوية للإسلام ، وإذلال للكفار .

والله وحده هو القادر على أن ينصر أوليائه ، وينتقم من أعدائه ، ويهيئ الأسباب لإذلالهم — وهو في الوقت نفسه واسع الرحمة ، يسبغها على من يشاء من عباده المؤمنين به ، وأوليائه الذين صنت قلوبهم لذكوره ، والعلاقة بين بدء السورة بقوله: «الم» والتعقيب بقوله: «غلبت الروم»، أن الله أراد أن يتحدى المعارضين من الخلق الذين ينكرون أن القرآن أنزله الله على رسوله ، بأن القرآن المكون من هذه الأحرف الثلاثة وما يشابهها من الحروف الهجائية ، يبدو إعجازه لجميع اللغات كافة بأنه أنبأ بالغيب ، فذكر حادثاً لا يقع إلا بعد بضع سنين ، والغيب لا يعلمه إلا الله وحده ، فكان هذا دليلاً قاطعاً على أن القرآن من عند الله .

٢ — وعد الله محمداً أن الروم ستنتصر على فارس ، وإذا وعد الله فوعده صدق ، ولا بد أن يتحقق ، ولكن كثيراً من عباده ، وهم مشركو مكة وكفار قريش — وكانوا وقتئذ كثيرة — لا يعرفون أن وعد الله لا بد من تحقيقه ؛ وهم إذ يجهلون هذا ، ويجهلون كل ما يتعلق بشئون الآخرة ولا يفكرون في البحث وراءها — يهتمون بمسائل الحياة الدنيا ، ويعرفونها معرفة خبير بها ؛ فهم يعرفون مواقيت الزرع والحصد ، وطرق البناء والتخطيط ، ووسائل توفير العيش الهنيء في الدنيا ، وأسباب الراحة ، ولا يمتد نظرهم إلى ما وراء هذا ، فهم منصرفون عن الآخرة والتفكير فيها ، ومحاولة العلم بها ، والعمل لها ، ألا ساء ما يعملون !

( ٢ )

من الآية ٨ إلى الآية ١١ من سورة الروم

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ؟ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ، وَإِنَّ كَثِيرًا  
مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ -١- . أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي  
الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ؟  
كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ، وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا  
عَمَرُوهَا ، وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ، فَمَا كَانَ اللَّهُ  
لِيُظْلِمَهُمْ ، وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ -٢- . ثُمَّ  
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءِ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ،  
وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ -٣- . اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ،  
ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ -٤- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
إلا بالحق وأجلٍ مسمى	إلا بالعدل ، فلم يخلقها باطلاً وعبثاً . وغاية محدودة مقدرة في علمه ، لا يعلمها غيره .

الألفاظ	شرحها
عاقبة الذين من قبلهم وأثاروا الأرض	نهاية المكذبين لرسولهم . وحرثوا الأرض وزرعوها .
فما كان الله ليظلمهم	{ فحين عاقبهم الله وعدّ بهم بسبب تكذيبهم رسوله ، لم يكن ظالماً لهم .
كانوا أنفسهم يظلمون	كانوا يظلمون أنفسهم ، بعضيائهم وعدم طاعتهم .
عاقبة الذين أساءوا	آخر أمر الذين كذبوا رسوله ، وكفروا بربه .
السوءى	{ العقوبة التى هى أسوأ العقوبات وأشدّها ، وهى تخليدهم فى جهنم .
يستهزئون	يسخرون .
يبدأ الخلق	ينشئ الخلق إنشاءً ، ويتدعه ابتداءً .
ثم يعيده	ثم يرده خلقاً آخر بعد إفناؤه .
ثم إليه ترجعون	ثم تردون إليه بعد الإعادة للحساب .

### مجمّل المعنى

١ - هؤلاء المعاندون المكابرون ، لو أنهم فكروا ورجعوا إلى أنفسهم ، لثبت لهم أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ، والحق ينافى الباطل ، والباطل يؤدي إلى الفساد ، ولو كان فى السموات والأرض آلهة إلا الله لفسدنا ، ولو فكر هؤلاء المعاندون المكابرون ، لتثبت لهم كذلك أن خلقه كله غير دائم ولا أبدى ، وإنما هو يعيش إلى أجل محدود قدره الله فى سابق علمه ، وهو يوم القيامة الذى يحاسب فيه كل إنسان على ما عمل فى الدنيا ، ومع ذلك فإن كثيراً من الناس ينكرون هذا

اليوم ، وينكرون لقاعربهم ، وهذا دليل على غفلتهم وجهلهم وسوء تفكيرهم .

٢ — هؤلاء الذين يكذبونك يا محمد ، لم لا يتأملون في البلاد التي يسرون فيها شمالاً إلى الشام ، أو جنوباً إلى اليمن ، في تجاراتهم وغيرها ، ليعرفوا ما كان عليه أهلها السابقون ، كعاد وثمود وغيرهما من الأمم والشعوب ؟ فقد كانوا في رفة من العيش ، ورغد من الحياة ، فعمروا الأرض ، وأخرجوا منها خير ما يخرج من زروع وفواكه وأشجار ، واتخذوا بيوتاً عظيمة ، وكان لهم عز وسلطان كبير لم تبلغه قريش ؛ فلما انحرفوا عن الحق ، وتنكبوا طريق الدين الصحيح ، أرسل الله إليهم أنبياء ، مثل هود وصالح ؛ فالذين آمنوا بهم سعدوا ونجوا ، والذين لم يؤمنوا بهم ، واستمروا في عنادهم وطغيانهم ، عذبهم الله في الدنيا بالعواصف أو الصواعق أو غير ذلك ، ولم ينفعهم ما كانوا فيه من قوة وعزة ، وجاه ومنعة . وهم بكفرهم ظلموا أنفسهم ، وتسببوا لها في العذاب ، وما كان الله ظالماً لهم حين عذبهم .

٣ — وهؤلاء المكذبون لرسولهم ، لا ينتهي تعذيبهم عند ما لا قوا في الدنيا ، ولكنهم يجدون في الآخرة أقيح ما يكون من تعذيب ، وأشنع وأشد ، فيخلدون في جهنم أبداً ، بسبب تكذيبهم رسل الله وآياته ، وبسبب استهزائهم بالرسول ، وبما كانوا يقدمونه لهم من أدلة قاطعة على صدق ما جاءوا به ، فكانت السوءى عاقبتهم على كفرهم .

٤ — الله الذي يكذب بوحدانيته هؤلاء المعاندون ، هو الذي أنشأ الخلق إنشاء ، ودبّر له النظام المحكم الذي يحفظ كيانه ووضعه إلى انتهاء أجله ، وهو الذي يعيد هذا الخلق مرة أخرى يوم القيامة ؛ وهو الذي يحاسب كل واحد على ما كسب وما اكتسب ، فالمرجع إليه وحده .

( ٣ )

من الآية ١٢ إلى الآية ١٩ من سورة الروم

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ ، وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ١- . وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِتُهُ يَتَفَرَّقُونَ : فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ، وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ ، فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ٢- . فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا ، وَحِينَ تُظْهِرُونَ ٣- . يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ، وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ٤- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
تقوم الساعة يُبليس المجرمون	تجىء القيامة . يبئس الكافرون ، ويقفون حيارى مدهوشين .

شرحها	الألفاظ
<p>من زملائهم في الشرك ، والداعين إليه . منكرين لهم ، متبرئين منهم . يفترق المؤمنون والكافرون ، كل إلى جهته . في جنة يتمتعون بمختلف أنواع المتع ، وألوان السُرور .</p>	<p>من شركائهم كافرين يتفرقون في روضة يجبرون</p>
<p>حاضرون فيه لا يغيبون عنه ، ولا يتخلصون من شدته وتراكمه . فسبحوا الله وصلُّوا له . حين تدخلون في المساء . وحين تدخلون في الصباح .</p>	<p>مُحضرون فسبحان الله حين تُمسون وحين تصبحون</p>
<p>ولله وحده - دون غيره - الحمد والشكر . وبعد الزوال وقبل المساء . تدخلون في وقت الظهر .</p>	<p>وله الحمد في السموات والأرض وعشيًّا تُظهرون</p>
<p>يخرج منها الزرع والنبات ، بعد أن كانت ميتة مقفرة . ومثل إحياء الأرض بإخراج النبات منها ، يكون إحياءكم بعد موتكم ، بإخراجكم من قبوركم .</p>	<p>ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون</p>

## مجمل المعنى

١- حينما تقوم القيامة ، يرى الكافرون أن هذا وقت الفصل بين الناس ، فيتمنون أن لو عادوا إلى الدنيا ، ولكنهم لا يعودون ، وييشون من الخلاص من عذاب الله الواقع بهم ، ويتلفتون حولهم يبحثون عن زملائهم في الكفر ، وإخوانهم الذين كانوا يدعونهم إلى الضلال ويزينونه لهم ، فيجلونهم مثلهم ، يقاسون ما يقاسون من عذاب ؛ فلا يستطيعون أن يشفعوا لأنفسهم فضلا عن أن يشفعوا لغيرهم ؛ فيتبرعون منهم ، ويكفرون بهم ، ولكن فات الأوان .

٢- وحينما تقوم القيامة أيضاً يتفرق المؤمنون والكافرون : فأما المؤمنون فيذهبون إلى الجنة التي أعد الله لهم فيها أنواع النعيم ، وكرمهم فيها غاية التكريم . ولو أرادوا أن يتصوروا الحالة التي سيكونون عليها في الآخرة ، فعليهم أن يتصوروا روضة فيها أنواع النباتات والأزهار ، والمياه الجارية ، والطيور المغردة ، والثمار الناضجة ، والنسيم العليل ، وهم على صحة كاملة ، وبالفارغ ؛ ينعمون بهذا كله ، فليس عند الإنسان عيشة أهنأ من هذه العيشة ؛ ومع ذلك فإن للمؤمنين في الآخرة خيراً منها ؛ وأما الكافرون الذين كفروا بالله ، وكذبوا رسله ، ولم يؤمنوا باليوم الآخر ، فإنهم سيعذبون في نار جهنم ، ويخلدون فيها ، ويقاسون حر نارها ، « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها » .

٣- يأمر الله المؤمنين الذين وعدهم الجنة أن يؤديوا الصلوات الخمس في أوقاتها : فحين تُمسون : صلاة المغرب والعشاء ، وحين تصبحون : صلاة الصبح ، وحين العشي : صلاة العصر ، وحين تُظهرون : صلاة الظهر ؛ فهذه أوقات



خمسة ، فيها صلوات خمس ، تؤدي في أوقاتها ، والله مع ذلك هو المخصوص بالحمد من جميع مخلوقاته في السموات وفي الأرض ، ولا ينكر ذلك إلا الكفار المعاندون .

٤ - والله سبحانه وتعالى هو الذي يخرج الطائر من البيضة ، ويخرج النبات الغض الطرى من الحبة، ويخرج النخل والحوخ من النوى ؛ وهذه كلها أشياء حية، فيها مقومات الحياة ومظاهرها من نموّ وغيره، خرجت من أجنة لا يظهر عليها أى مقوم من مقومات الحياة ، وإن كانت الحياة كامنة فيها ، إلا أن الإنسان لا يحسها ، فهى فى حكم الميتة ؛ وهذه الأشياء الميتة تخرج من الأشياء الحية نفسها ، فالبيضة تخرج من الطائر ، ونواة البلح تخرج من النخلة ، وحب الذرة والقمح والشعير يخرج من نباته الحى ، وهكذا ؛ وكذلك الأرض المقفرة الميتة، ينزل عليها الماء فيحييها ، ويخرج النبات منها ، ومثل هذا كله خلقنا بدءاً لنعيش فى الدنيا مؤمنين أو كافرين ، وخلقنا إعادة ليحاسب كل بما عمل من خير أو شرّ .

( ٤ )

من الآية ٢٠ إلى الآية ٢٧ من سورة الروم

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ  
تَنْتَشِرُونَ - ١ - . وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ  
أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ، وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إِنَّ  
فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ - ٢ - . وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ، إِنَّ  
فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ - ٣ - . وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ  
بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ - ٤ - . وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ  
خَوْفًا وَطَمَعًا ، وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ  
بَعْدَ مَوْتِهَا ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ - ٥ - .  
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ إِذَا  
دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ - ٦ - . وَ لَهُ  
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ - ٧ - . وَهُوَ  
الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ، وَلَهُ الْمَثَلُ  
الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ - ٨ - .

## شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
<p>ومن الأدلة على قدرته .  أن خلق أصلكم وأولكم ، وهو أبوكم آدم .  تملئون الأرض وتتصرفون فيها .  من شكل أنفسكم ، وعلى هيئتكم .  لتطمئنوا إليها ، وليتم التألف والتجانس بينكم .  { إن في خلق الله إياكم على هذه الطريقة ، وفي  خلق زوجاتكم على هذه الصورة ، أدلة على  قدرة الله للمؤمنين العقلاء الذاكرين .  للعاقلين الذين يفهمون ويفكرون .  نومكم .  يسمعون كلام الله فيتعظون .  { يخيفكم البرق إذا كنتم في غير حاجة إلى المطر ،  وتزعجكم صواعقه وعوده ، وتطمعون فيه  وتتمنونه إذا كنتم في حاجة إلى المطر .  قيام السماء والأرض على النظام البديع الذي نراه .  إذا رغب في إحيائكم بعد الموت .  تسرعون إلى الخروج من الأرض أحياء .</p>	<p>ومن آياته  أن خلقكم  تنتشرون  من أنفسكم  لتسكنوا إليها  { إن في ذلك لآيات لقوم  يتفكرون  للعالمين  منامكم  يسمعون  خوفاً وطمعاً  { أن تقوم السماء والأرض  بأمره  إذا دعاكم دعوة من  الأرض .  إذا أنتم تخرجون</p>

الألفاظ	شرحها
قانتون وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم	خاضعون مطيعون . إعادة الخلق أيسر من بدء خلقه ، والبدء والإعادة بالنسبة إلى الله سواء . وله الوصف السامى الذى ليس لغيره مثله . عند أهل السموات وأهل الأرض . والله عزيز فى انتقامه من أهل الكفر ، حكيم فى تدبيره وتصريفه على أى وجه كان .

### مجمل المعنى

ذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه الآيات بعض الأشياء الدالة على قدرته ، فإنه هو وحده القادر على الإنشاء والإفناء ، والإحياء والإماتة ، والإيجاد والإعدام ؛ ونشرح هذه الآيات فيما يلى :

١ — من العلامات الدالة على قدرته تعالى أنه خلق آدم من تراب ، فخلق حياة من موات ، ثم هياً له ما جعله يتناسل هو وذريته من بعده ، حتى انتشروا فى الأرض وملئوها وعمروها .

٢ — ومن العلامات الدالة على قدرته تعالى أيضاً ، أنه بعد أن خلق آدم من تراب ، خلق له حواء ، وجعلها على صورته وهيئته ، ليسكن إليها وتسكن إليه ، وليتم بينهما التآلف والتواد والتراحم ، وكان من نسلهما على هيئة كل منهما وصورته أناسى من الذكور ومن الإناث ، فتزاوجوا

وتناسلوا ؛ وفي هذا دلائل على قدرة الله يعرفها ويقدرها كل من يفكر فيها تفكير تذكّر واعتبار .

٣ - ومن الدلائل على قدرة الله كذلك ، أنه خلق السموات والأرض ابتداءً بقدرته وتدبيره ، وصيّرهما على هذا النظام البديع ؛ وأنه بعد أن خلق آدم وحواء ، جعل ذريتهما مختلفتة الألسن : فهذا يتكلم العربية ، وذلك يتكلم الإنجليزية ، وغير ذلك ؛ وقبل هؤلاء كانت السريانية واللاتينية وغيرهما ؛ وقبل هؤلاء جميعاً كانوا يتكلمون بلغات بدائية يتفاهمون بها في حدود حاجاتهم ، وأكثر من هذا أنك قلما تجد صوت إنسان ذكراً كان أو أنثى - ونسبته يتفق مع صوت إنسان آخر ، ومع هذا الاختلاف الكبير في الألسنة ، فإن هناك اختلافاً أيضاً في الألوان : فمنهم السود والبيض والحمر والسمر ، واللون العام في الجنس البياض أو السواد مثلاً ، ولكنك إذا دقت النظر في البيض أو السود أو غيرهما ، شق عليك أن تجد لون أبيضين أو أسودين متشابهاً تمام الشبه ، وهذه الأشياء كلها تدل دلالة قاطعة على قدرة الخالق سبحانه وتعالى ، لا يدركها إلا العالمون المتفقهون ، لدقة ما بينها من فروق .

٤ - والله خلق ليلاً ونهاراً ، وكان الناس ينامون في الليل ، ويسعون في النهار لقضاء حاجاتهم ، والسعي وراء معاشهم ، والتصرف في أرزاقهم ؛ والإنسان الآن بعد اختراع الآلات ، أصبح يعمل في الليل وفي النهار ، ويلتمس راحته في غير وقت العمل ليلاً كان أو نهاراً ، ولكنه ما زال يعترف أن النوم المريح ما كان في الليل ، وأن أفضل العمل ما كان في النهار ، فأية الله ما زالت وستبقى قائمة ، يعرفها الذين يسمعون هذه الآيات ، فيعتبرون بها .

٥ - ومن الدلائل على قدرته تعالى ، أنه يريكم البرق ، فتكونون منه على إحدى حالتين : حالة خوف وجزع ، وحالة اطمئنان واسترواح ؛ أما الحالة الأولى فتعترىكم إذا كنتم على سفر ، فتزعجكم الصواعق ، وتخيفكم الرعود ، ثم ينزل المطر فيعوقكم عن متابعة السفر ، وكذلك إذا كنتم مقيمين تترقبون المطر . فيبرق البرق ، ويرعد الرعد ، ولا ينزل المطر ؛ وأما الحالة الثانية فتأتى إذا كنتم مقيمين في موسم زرع الشعير أو خروج المراعى ، فإن البرق يبشر بنزول المطر الذى تستطيعون أن تنتفعوا به فى إرواء الأرض ، وبهذا تحيا الأرض ، وينقلب جذبها خصباً ؛ وتستنبتون ما تشاءون من حبّ لكم ، ومرعى لما شيتكم ، وهذه الآيات لا يعرفها إلا عقلاء الناس الذين يفهمون ويتدبرون .

٦ - الأرض والسموات قامت بأمر الله وقدرته وإرادته ، وقامت الكواكب ومنها الأرض بوضعها الحالى ، وثبتت فى الفضاء بما بينها من تجاذب ، والتجاذب حقيقة ثابتة بالمشاهدة والواقع ، ولكن : ما حقيقة الجاذبية وماهيتها ؟ وكيف نشأت ؟ وكيف تكون ؟ فهذه كلها أمور اختص الله سبحانه وتعالى بها ، لا يدركها أحد ؛ وقد قامت هذه الكواكب كلها على قانون الجذب العام ، ولم يكشفه العلماء إلا من نحو قرنين وبعض قرن ، ولكن القرآن أشار إليه منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً ؛ والجاذبية التى أراد الله أن يجعلها بين الأرض وغيرها من الكواكب ، ثم بين الكواكب بعضها وبعض - ذات أثر كبير جداً فى عمران الكون ؛ فلولاها مثلاً لطارت الأجسام عن الأرض فى الفضاء اللانهائى ، ولولاها لما استقرت المياه فى البحار والمحيطات ، ولما سقط مطر ، ولا تكوّن نهر ، ولا كانت حياة ؛ ومع أن قانون الجذب العام تقوم عليه الكواكب كلها فى أماكنها ،

فإن إرادة الله تقضى بأن يختل هذا النظام يوماً ، فتمسور السماء مَوْرًا ،  
وتقوم القيامة ، ويفنى الناس ، ثم يدعوهم الله ويبعثهم بعد الموت ،  
فيخرجون من الأرض أحياء كحالتهم الأولى ، ليحاسبوا على ما قدموا  
من عمل ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشرّ .

٧ — إذا كان هذا كله دليلاً على قدرة الله ، وعلى أنه من صنعه ، فإن كل  
شيء في ملكه منقاد له ، مطيع لأمره ، وما يبدو على بعضهم من كفر  
وجحود ، فسببه كبر وعناد ، وهم جميعاً يشهدون بينهم وبين أنفسهم أن  
هناك إلهاً ، وأن الإله خالق كل شيء ، ويتصرف في كل شيء .

٨ — الله الذى أقيم الدليل على قدرته بما تقدم من الأمثال وبغيرها ، مما يقع  
تحت حس الإنسان وتحت سمعه وبصره ، هو الذى بدأ الخلق ، وهو  
الذى يعيده ، ولا شك أن الإعادة أيسر من الإنشاء ، ولا شك كذلك  
أن الله — وهو صاحب هذه القدرة العظيمة — كل شيء هين عليه :  
إعادة أو إنشاء ، وله أسمى مثل في الصفات ، وأسبى مثل فيما يفعل في  
الأرض أو في السماء ، أو فيما بين الأرض والسماء ؛ ومعروف في عرف  
الإنسان أن إعادة الشيء أهون من إنشائه ، فضرب الله لنا المثل بما نفعل  
نحن ، لأن كل شيء على الله يسير ، وكل ما يريد أن يكون ، فهو قاهر  
لكل شيء ، حكيم فيما يريد ويفعل .

من الآية ٢٨ إلى الآية ٣٢ من سورة الروم

ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ  
أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ ، فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ  
تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ؟ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ  
لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ -١- . بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ  
عِلْمٍ ، فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ؛ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ  
-٢- . فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ، فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ  
النَّاسَ عَلَيْهَا ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ،  
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ -٣- . مُنْسِينَ إِلَيْهِ ،  
وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ : مِنْ  
الدِّينِ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا ، كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ  
فَرِحُونَ -٤- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
من أنفسكم مما ملكت أيمانكم	من أقرب شيء إليكم ، وهو أنفسكم . من عبيدكم الذين تملكونهم .



شرحها	الألفاظ
<p>فيما أعطيناكم من مال .</p>	<p>فيما رزقناكم</p>
<p>{ تخافون عبيدكم أن يقاسموكم أموالكم ، كما تخافون غيركم أن يقاسموكم هذا المال بدون وجه حق .</p>	<p>{ تخافونهم كخيفتكم أنفسكم</p>
<p>{ وكما بيننا بالأدلة العقلية قدرتنا على فعل ما نريد ، بيننا هنا ما يدركه العاقون من ضرب هذا المثل .</p>	<p>{ كذلك فصل الآيات لقوم يعقلون</p>
<p>ظلموا أنفسهم بإشراكهم بالله .</p>	<p>ظلموا</p>
<p>جهلاً منهم بالواجب عليهم نحو الله من توحيد .</p>	<p>بغير علم</p>
<p>فلا أحد يهdy للإيمان من قدر الله عليه الضلال .</p>	<p>فن يهdy من أضل الله</p>
<p>{ وليس للذين قدر الله عليهم الضلال من ينصرهم ، ويأخذ بيدهم ، ويبصّرهم بطريق الخير .</p>	<p>وما لهم من ناصرين</p>
<p>فاتبع الدين الصحيح ، وبين التوحيد والفترة .</p>	<p>فأقم وجهك للدين</p>
<p>{ معتدلاً سليماً من جميع الشوائب التي شابت الديانات الأخرى .</p>	<p>حنيفاً</p>
<p>{ اتبع دين الفترة والطبيعة التي خلق الله عليها الناس ، وهو دين التوحيد .</p>	<p>{ فترة الله التي فطر الناس عليها .</p>
<p>{ لا تغيير لما قدره الله ، فن قدر الله له السعادة</p>	<p>لا تبديل لخلق الله</p>
<p>{ لا يشقى ، ومن قدر له الشقاء لا يسعد .</p>	<p>ذلك الدين القيم</p>
<p>{ هذا الدين - وهو دين الفترة ، دين الإسلام ، دين التوحيد - هو الدين المستقيم .</p>	<p>لا يعلمون</p>
<p>لا يفكرون تفكيراً يبنى عليه علم يقيني صحيح .</p>	<p></p>

الألفاظ	شرحها
منيبين إليه	{ راجعين إليه تائبين ، مطيعين له ، مقبلين على عبادته .
واتقوه	وخافوه ، وأطيعوا أمره .
فرقوا دينهم	{ غيّرُوا في أصوله ، وأدخلوا عليه من البدع والضلالات ما أفسده .
وكانوا شيعاً	وكانوا فرقاً وأحزاباً ، فتعددت آراؤهم ومذاهبهم .
كل حزب بما لديهم فرحون	{ كل جماعة منهم مسرورون بما ابتدعوا من مذاهب وآراء .

### مجمل المعنى

١ — أراد الله أن يبين للمشركين بطريق التمثيل سوء ما يصنعون من إشراك به وهم عباده ، فسألهم : أيرضى أحدكم أن يكون عبيده ومواليه شركاء له في ماله الذي أعطيناه إياه ، ويكونون سواء في هذا المال : ينتفعون به ، فينفقون ، ويتمتعون ، ويتصرفون ، فيعطون هذا ، ويحرمون ذلك ، ويسيطرون عليه سيطرة تجعلهم — فيما يظنون — ذوى حق فيه ، فيقاسمونيكم إياه كما يقاسمكم الشريك الحقيقي ؟ ! ولو أنه طلب إليكم أن تعجبوا عن هذا السؤال ، لأجبتكم بالرفض طبعاً ؛ فإذا كنتم لا تقبلون هذا من عبيدكم الذين هم ناس مثلكم ، ولا فرق بينكم وبينهم أكثر من أن الله وسّع عليكم رزقكم ، وجعلكم تملكونهم عبيداً ، فكيف تقبلونه على الله ، وهو الذى خلقكم ورزقكم ، وخلق من تُشركون معه في العبادة أيّاً كان جنسه

ونوعه ؟ وبمثل هذا التفصيل البديع ، والتوضيح المفهم المقنع ، بين الله ما يدركه العاقلون بضرب هذا المثل .

٢ - قامت الحججة على عبادة الأصنام والمشركين بالله ، بعد أن ضرب الله لهم هذا المثل الواضح ، ولكنهم - جهلاً منهم بالواجب عليهم نحو الله وتوحيده - ظلوا قائمين على عمائمهم ، وغلب عليهم هواهم ، وعكفوا على عبادة الأصنام ؛ ومثل هؤلاء قدّر الله عليهم الضلال ، فلن يهتدوا ، ولن يكون لهم ناصر يخلصهم من عذاب الله ، أو يرشدهم إلى الخير ، فيؤثر فيهم ، ويخرجهم من الضلال إلى الهدى ، ومن ظلام الكفر إلى نور الإيمان .

٣ - يأمر الله نبيه ومن معه وغيرهم من الناس أن يتبعوا الدين الصحيح : دين التوحيد ، وهو دين الفطرة المعتدل السليم السمح ، الخالي من جميع الشوائب التي لصقت بالديانات الأخرى التي سبقت ، وهو الدين الذي يولد الناس عليه ، كما جاء في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء - أي سالمة من العيوب كاملة - هل تحسون فيها من جدعاء ؟ - - يعني مقطوعة الأذن » ، فالإنسان يولد بفطرته سليماً مبرأً من كل عيب ، ولكنه صالح لأن يشكل على الشكل الذم ، يريد له أبوه أو أمه أو معلمه ، وهو أصلح ما يكون لدين الفطرة : دين التوحيد ، فإذا اتجه به أبوه أو أمه إلى غير ذلك ، نشأ على الدين الذي يخالف طبيعة البشر ؛ ومثله في ذلك كمثل البهيمة ، تولد سليمة كاملة الأعضاء . وأصحابها هم الذين يملكون أن يحافظوا على سلامتها ، ويملكون أن يشقوا آذانها ، ويقطعوا أنوفها ؛ وكل ما قدره الله للإنسان يجرى عليه : فمن

قدّر الله له السعادة كان سعيداً ، ومن قدر له الشقاء كان شقيماً ، لا يغيّر ما قدره الله ولا يبدل ؛ وهذا الدين الذى يدعو إليه محمد صلى الله عليه وسلم ، هو الدين الذى يتناسب مع طبيعة الناس ، هو دين الفطرة السمح السهل ، إذا صادف القلوب وهى فارغة تمكن منها تمكناً شديداً ، ولكن أكثر الناس لا يفكرون تفكيراً صحيحاً قويمًا ، يهديهم إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم فى الدنيا والآخرة .

٤ — يأمر الله محمداً وأُمَّته أن يكونوا على الدين الصحيح ، دين الفطرة ، مطيعين لله ، مقبلين على عبادته ، مقيمين الصلاة ، بعيدين عن الشرك وعن المشركين الذين حادوا عن الطريق الصحيح ونظروا إلى ديانتهم نظرات ذات هوى ، وأولوا مسائلها تأويلاً يتفق مع هواهم ، فتفرقوا شيعاً وأحزاباً ، وتعصب كل حزب لرأيه ، ودافع عن مذهبه ، وفرح به ، وأعماه ذلك عن النظر الصحيح ، فظل على غيّه ، واستمرّ ضلاله ، فلم يتبين الحق ، وانهمّ أمامه طريق الهدى .

من الآية ٣٣ إلى الآية ٤٠ من سورة الروم

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ  
إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ -١- .  
لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ، فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ! -٢- .  
أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا ، فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ؟  
-٣- . وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ، وَإِنْ  
تُصِبَّهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ -٤- .  
أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ؟  
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ -٥- . فَاتِ ذَا الْقُرْبَى  
حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ  
وَجْهَ اللَّهِ ، وَأَوْلَىٰكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ -٦- . وَمَا آتَيْتُمْ  
مِنْ رَبًّا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ ، وَمَا  
آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ  
-٧- . اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ  
ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ، هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ  
شَيْءٍ ؟ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ! -٨- .

## شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
مس الناس ضر	أصاب الناس شدة، من قحط أو فقر أو مرض أو غير ذلك .
منيين إليه .	راجعين إليه ، ومقبلين عليه .
فسوف تعلمون	فسوف تعرفون نتيجة عملكم .
أذاقهم منه رحمة	تفضل بنعمة العافية عليهم ، وتفريج الكرب عنهم .
سلطاناً	كتاباً فيه حجج وأدلة .
وإن تصبهم سيئة	وإن يلحق بهم بلاء وشدة وعقوبة .
بما قدمت أيديهم	بسبب ما عملوا من المعاصي .
إذا هم يقنطون	إذا هم ييئسون من رحمة الله وفرجه ، ويهملون فرائضه .
يسط الرزق لمن يشاء	يوسع الرزق لمن يشاء من عباده ، ويضيقه على من يشاء من عباده .
ويقدر	فأعط القريب حقه من مالك .
فآت ذا القربى حقه	والذى لا يملك ما يقوته .
والمسكين	والذى انقطع به الطريق فطلب الضيافة .
وابن السبيل	يقصدون بعملهم رضا الله وثوابه .
يريدون وجه الله	وأولئك هم الفائزون في الدنيا برضا الناس ، وفي الآخرة بثواب الله .
وأولئك هم المفلحون	وما أعطيتم .
وما آتيتم	ليزيد ويزكو .
ليربو	

الألفاظ	شرحها
فلا يربو من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون الله الذى خلقكم من شركائكم سبحانه	فلا يزيد ولا يزكو ، ولا تجرى عليه بركته . من صدقة تبتغون بها فضل الله ، فلا رياء ولا سمعة ، ولا طلب نفع ، ولا غير ذلك . فأولئك هم الذين تضاعف لهم الحسنات أضعافاً ، ويصيبهم من الخير والنعيم شئء كثير . الله وحده هو الذى فعل هذه الأشياء ، ولا يستطيع غيره أن يفعل شيئاً منها . من أصنامكم التى تعبدونها من دون الله . تنزيهاً له عن المصاحب والشريك والزوجة والولد !

### مجمل المعنى

١ — من طبيعة الإنسان أنه إذا أصابته شدة : ففرض مثلاً ، أو أصيب في ماله أو ولده ، أو كان راكباً بحراً فأصيب مركبه ، أو لعب به موج شديد ، أو كان راكباً طيارة فأحس عطباً في محرك من محركاتها ، أو غير ذلك من الأمور التى ليس فى إمكانه أن يخلص نفسه منها بسهولة ويسر ، أو تجعله يحس أن الموت منه قريب — إذا حدث للإنسان شئء من هذا ، فإن أول شئء يحضره هو الله ، يضرع إليه ويدعوه ليكشف ما به من ضر ، ويكون فى هذا الوقت مخلصاً لله ، صافى النية ، طاهر القلب ، وينوى أنه إذا قدر له أن يكشف الله عنه ما به من ضر ، فيصح من المرض ، أو ينجو من الغرق ، أو تسلم طائرته من العطب ، فإنه سيكون

من عباده المخلصين له ، الذين لا يفترون عن عبادته ، ولا يقصرون في حق عبد من عباده ، فإذا تم لهم هذا لا يلبثون - ما عدا قليلا من عبادة الله المخلصين - أن ينسوا ما كانوا فيه من بلاء عظيم ، وما كان الله عليهم ، من فضل في كشف الغمة عنهم ، ويعودون إلى ضلالهم وغيرهم ، بل إن بعضهم يعودون إلى إشراكهم بالله ، وبشئ ما يصنعون !

٢ - ولكن الله - سبحانه - لا يبالي هؤلاء ، فليشركوا ما شاءوا أن يشركوا ، وليتمتعوا بدنياهم ما شاءوا أن يتمتعوا ، ولينسوا فضل الله عليهم ما شاءوا أن ينسوا ، فإن الله من ورائهم محيط ؛ وفي هذا تهديد لهم ، ووعد بسوء مصيرهم .

٣ - هؤلاء الذين يشركون بالله ، هل لديهم دليل على صحة ما يذهبون إليه من عبادة الأصنام والأوثان ؟ كلا ! لم ينزل الله عليهم كتاباً يحتاجون به ، ويستدلون منه على صحة ما يصنعون من شرك .

٤ - وعادة الناس - إلا من عصم الله - أنهم يفرحون بما ينعم الله به عليهم من مال وولد ، وصحة وجاه وسلطان ، ونحو ذلك من الأشياء التي تسرهم في دنياهم ، وإذا أصيبوا بشيء من فقر ، أو رزثوا في ولد ، أو سلبوا سلطاناً ، أو غير ذلك مما يزعجهم ويحزنهم ، أو يضايقهم في معاشهم أو جاههم ، تألموا لذلك ، ويشسوا من رحمة الله ، وقد ينصرفون عن إخلاصهم لله ، وهذا دليل على ضعف الإيمان ، وفتور النية ، وزلزلة العقيدة .

٥ - ولو أن الناس فكروا بعض التفكير ، لعلموا أن الله هو الذى يعطى ويحرم ، ويوسع رزق هذا ويضيق رزق ذاك ، وأن كل شئ من خير أو شر بيده ؛ ولكن لا يعتبر بهذا إلا ذوو القلوب المؤمنة المطمئنة ، الواثقة بالعدالة الإلهية .



٦ — وإذا كان كل شيء مرجعه إلى الله ، والرزق مرجعه إلى الله ، فإنه يجب على الإنسان ألا يرضن بماله ، وأن يخرج حق غيره من ماله طيب النفس ، راضى القلب ، فيعطى أقاربه حقوقهم ، وخير الصدقة ما كان للقريب ، وقد جعل الله الصدقة عليهم حقاً لهم ، ليهون عليه أن يؤدي الحق ، وليأخذوا هم الصدقة من غير أن يتأذوا ؛ وكما أن للقريب في مال قريبه الغنى حقاً ، فإن للمسكين حقاً ، وإن لابن السبيل حقاً ، وتوصيل حقوق هؤلاء جميعاً إليهم ابتغاء وجه الله ، عمل جليل من المعطى ، يقدره الله له ، ويثيبه عليه في الدنيا ، بأن يبارك له في ماله ، وفي الآخرة ، بأن يدخله الجنة .

٧ — الربا ربوان : ربا حرام و ربا حلال ، أما الربا الحرام فقد سبق الحديث عنه ، عند تفسير قوله تعالى : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ... » ( تراجع الصفحة ٤٠ وما بعدها من تفسير الجزء الثالث ) ، وأما الربا الحلال فهو المقصود فى قوله تعالى : « وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله » ، وذلك أن تقدم لغيرك هدية أو هبة من مأكول أو ملبوس أو مشروب ، أو تعاونه فى تجارة أو عمل مثلاً ؛ ولا تقصد أن تقدم هذا لمجرد المعاونة والمؤازرة ، ولكنك تريد أن يرد عليك بما هو أفضل منه ، والذى يفعل هذا لا له ولا عليه ، فليس له أجر وليس له وزر ، وماله لا يزيد ولا يزكو ، ولا ثواب عليه ، وما يقدمه الإنسان صدقة خالصة لوجه الله من ماله أو عمله ، فذلك هو الذى يثيب الله عليه ، ويجعل جزاءه أضعافاً مضاعفة .

٨ — الله هو القادر على كل شيء ، المتصرف فى كل شيء ، فهو الذى خلق الخلق جميعاً ، وهو الذى رزقهم جميعاً بعد خلقهم ، وهو الذى يميتهم ، بعد أن يستوفوا آجالهم ، وهو الذى يحييهم يوم القيامة ليحاسبهم ، فهل

يستطيع أى معبود للمشركين الذين يشركون مع الله آلهة أخرى أن يتصرف فى حياة الكائنات : خلقاً ورزقاً ، وإماتة وإعادة ؛ أو أن يتصرف فى بعض هذا ؟! الحق أنه لا يستطيع ، والمشركون أنفسهم يعترفون أن آلهتهم لا تستطيع ؛ فالله وحده هو القادر ، وهو منزّه عن الصاحب والشريك والزوجة والولد ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً !

( ٧ )

من الآية ٤١ إلى الآية ٤٥ من سورة الروم

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي  
النَّاسِ ، لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ  
١- . قُلْ : سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ، فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ  
عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ ، كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ -٢- .  
فَاقِمِ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقِيمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ  
لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ، يَوْمَئِذٍ يُصَدَّعُونَ : مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ  
كُفْرُهُ ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُمْ يَمْهَدُونَ ، لِيَجْزِيَ  
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ  
الْكَافِرِينَ -٣- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ظهر الفساد في البر والبحر	انتشرت المعاصي في كل مكان ، حتى عمت الأرض كلها ، ماءها ويابسها .
بما كسبت أيدي الناس	بسبب ما يفعله الناس ، ويرتكبون من الشرور والآثام .

الألفاظ	شرحها
ليذيقهم بعض الذي عملوا	ليعذبهم جزاء ما ارتكبوا من السيئات .
لعلهم يرجعون	لعل إذاقهم العذاب على بعض ما ارتكبوا من ذنوبهم ، يجعلهم يرجعون عن غيهم ، ويثوبون إلى صوابهم .
فأقم وجهك للدين القيم	فاتبع الدين الصحيح ، وهو دين الإسلام .
لا مردّ له من الله	لا مرجع عنه ، وهو يوم القيامة ، إذا أتى فلن يكون إلا الحساب ، ولا رجعة إلى الدنيا .
يومئذ يصدّعون	يومئذ يتفرق الناس : فريق في الجنة ، وفريق في السعير .
فعلية كفره	فعلية جزاء كفره .
فلأنفسهم يمهّدون	فإنما يمهّدون لأنفسهم مهاداً طيباً في الجنة يوم القيامة ، بما يعملون من الصالحات .

## مجمل المعنى

١ - عمّ الفساد ، وانتشرت المعاصي ، ولم يسلم أحد من ارتكاب الخطايا في برّ ولا بحر ، وظهر هذا كله في أفعال الناس ؛ فأراد الله أن يعظّم وينبّههم لعظّم ما يفعلون ، فألحق بهم العذاب جزاء على بعض ما يرتكبون من خطايا وآثام ، لعله أن يكون في ذلك عبرة لهم .

٢ - وأمر الله رسوله محمداً أن يطلب إلى قومه الذين لا يؤمنون به ، أن يسيروا في الأرض المجاورة لهم ، ليروا آثار من كان قبلهم ممن كذبوا رسلهم ،

كعاد وثمود ، فإن أكثرهم أشركوا بربهم ، ولم يؤمنوا بنبيهم ، فعذبهم الله بسبب كفرهم .

٣ - وأمره كذلك أن يوجه وجهه إلى الجهة التي أرادها الله له ، وهي الدين المستقيم القويم ، ولا يتأثر بعناد قومه وتكذيبهم ، وسيأتي اليوم الذي لا مردّ له ، اليوم الذي يلتقى فيه كل إنسان جزاءه على ما قدم من عمل ، فيذهب المؤمنون إلى الجنة ، ويساق الكافرون إلى النار ؛ والكافر في هذا اليوم عليه عقاب كفره ، والصالح له جزاء صلاحه وإيمانه ، فقد أعد لنفسه بما قدّم من عمل صالح مأوى مريحاً ، وفرشاً هنيئاً في الجنة ؛ وإذ يفرّق الله الناس فريقين : فريق أهل الجنة وفريق أهل النار ، يحزى كلاًّ بعمله ، وهو لا يجب الكافرين .

من الآية ٤٦ إلى الآية ٥٤ من سورة الروم

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ ، وَلِيُذِيقَكُمْ  
مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ ، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ  
فَضْلِهِ ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ -١- . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ  
قَبْلِكَ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ ، فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ،  
فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ، وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ  
الْمُؤْمِنِينَ -٢- . اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ،  
فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ، وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا ، فَتَرَى  
الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ، فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ  
عِبَادِهِ ، إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ  
يُنزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ -٣- . فَاَنْظُرْ إِلَى آثَارِ  
رَحْمَةِ اللَّهِ ، كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ؟ إِنَّ ذَلِكَ  
لَمُحْيِي الْمَوْتَى ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ -٤- . وَلَئِنْ  
أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ،  
فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى ، وَلَا تَسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا  
وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ، وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ،

إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ، فَهُمْ مُسْلِمُونَ -٥- .  
 اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ  
 قُوَّةً ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ، يَخْلُقُ  
 مَا يَشَاءُ . وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ -٦- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ومن آياته	ومن الدلائل على كمال قدرته .
مبشرات	منبهات على نزول المطر الذي يرغبون في نزوله ، فهى بشير يحمل لآلهم ما يسرهم .
من رحمته	من رضاه عليكم ، بما يترتب على نزول المطر من إرواء الأرض ، وإنبات الزرع .
ولتجرى الفلك بأمره	ولتسير السفن في الماء بإرادة الله على ما تشتهون .
ولتبتغوا من فضله	ولتطلبوا من فضل الله ما تريدون .
ولعلكم تشكرون	ولعلكم بعد أن عدد الله بعض نعمه عليكم ، تشكرون له فضله بالطاعة والتوحيد .
بالبينات	بالمعجزات والأدلة التي تثبت ثبوتاً قاطعاً أنهم صادقون فيما جاءوا به .
فانتقمنا من الذين أجرموا	فعدبنا الذين أجرموا ببقائهم على الكفر ، وإيذاء أنبيائهم .
الرياح	تيارات هوائية ناشئة من اختلاف الضغط الجوي علواً وانخفاضاً .

شرحها	الألفاظ
<p>فيجعله ينتشر في السماء هنا وهناك . قطعاً ، والكِسْف : واحداً كِسْفَةً . المطر .</p>	<p>فيسطه في السماء كِسْفاً الوَدَق</p>
<p>من بين فروجه .</p>	<p>من خلاله</p>
<p>يسرون لتزوله ، ويفرحون به</p>	<p>يستبشرون</p>
<p>ليائسين قانطين .</p>	<p>لمبلسين</p>
<p>إلى آثار المطر بعد نزوله .</p>	<p>إلى آثار رحمة الله</p>
<p>يجعل فيها حياة بعد موت ، وخصباً بعد جدب .</p>	<p>يُحيي الأرض بعد موتها</p>
<p>إن القادر على إحياء الأرض بعد موتها ، يكون</p>	<p>إن ذلك لمحيي الموتى</p>
<p>قادراً على إحياء الناس بعد موتهم .</p>	<p>ريحاً</p>
<p>ريحاً دَبُوراً لا خير فيها ، فلا تثير السحاب ولا</p>	<p>ريحاً</p>
<p>تسوقه .</p>	<p>فأروه مصفراً</p>
<p>فأروا السحاب أو الزرع أصفر اللون ، لأن السحاب</p>	<p>فأروه مصفراً</p>
<p>الأصفر لا يمطر ، والزرع الأصفر يبس</p>	<p>فأروه مصفراً</p>
<p>ولا يثمر .</p>	<p>لا تُسمع الموتى</p>
<p>لا تؤثر في هؤلاء الناس ، فهم كالموتى لا يسمعون</p>	<p>لا تُسمع الموتى</p>
<p>ولا يعتبرون ، وهذه أحط درجات الحس</p>	<p>لا تُسمع الموتى</p>
<p>الإنساني .</p>	<p>ولا تُسمع الصم الدعاء</p>
<p>الذي لا يسمع بطبعه ، لا تستطيع أن تُسمعه</p>	<p>إذا ولوا مدبرين</p>
<p>صوتك إذا ناديت به ، ولو كان مقبلاً ، فكيف إذا</p>	<p>إذا ولوا مدبرين</p>
<p>كان مدبراً ؛ وهؤلاء الكافرون سلبهم الله نعمة</p>	<p>إذا ولوا مدبرين</p>
<p>الفهم والتبصر ، فكأنهم صُمُّ لم يسمعوا .</p>	<p>إذا ولوا مدبرين</p>



الألفاظ	شرحها
وما أنت بهادى العمى عن ضلالهم	{ ولست قادراً على إهداء من أعماه الله عن طريق الصواب .
إن تُسمع إلا من يؤمن بآياتنا .	{ لا يستمع لك ، ولا يتأثر بدعوتك ، إلا الذين شرح الله صدورهم للإيمان ، فسمعوا فتدبروا ، واتعظوا فأمنوا .
فهم مسلمون	{ فهم مطيعون لله ولرسوله ، مستجيبون للدعوة ، ملتزمون حدودها .
من ضعف	{ من أصل ضعيف حقير مهين ، وهو النظفة ، أو في حالة ضعف .
ثم جعل من بعد ضعف قوة	{ ثم درجكم في مراحل النمو الجسمي والعقلي حتى نضجتم ، وصرتم قادرين على التصرف .
ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة	{ ثم ردكم بعد القوة الجسمية والعقلية إلى الضعف في الناحيتين كليهما .
العليم	{ الخبير بما يصح أن يجرى لتدبير شئون هذا الخلق كله ، في الأرض والسماء وما بينهما ، وفيما وراء الأرض والسماء .
القدير	{ الذى لا يمتنع عليه شيء ، ولا يعجزه شيء .

### مجمل المعنى

١ - من الدلائل القاطعة على قدرة الله تعالى ، أنه يرسل الرياح ، ويجعلها تجري هنا وهناك ، بناء على ما يحدث من ضغط مرتفع أو منخفض ؛ وهذه الرياح

تحمل بخار الماء ، وتحمله في الجو إلى طبقات باردة ، فيتكاثف وينعقد ماء ، وتتضام قطيراته الدقيقة بعضها إلى بعض ، وتكون السحاب ، ويزداد تكاثف السحاب حتى يعجز الهواء عن حمل مائه ، فيسقط مطراً ، يرحم الله به عباده ، فيرتون هم ، ويسقون حيوانهم ، ويستنبتون زرعهم ، فيخرج المرعى للماشية ، ويخرج الحب - وليس عمل الرياح مقصوراً على أنها تثير السحاب ، وتحمله إلى حيث يسقط مطراً ، ولكنها هي التي تسوق السفن في البحار ، فتدفعها إلى الجهة التي يريد الملاح إن كان وجهته أن يسير في اتجاهها ، وذلك بأمر الله وقدرته وإرادته ، وبأمره كذلك لا تكون الرياح مواتية ، فيضطّر الملاحون إلى تأجيل سفرهم ، وإرساء سفنهم ؛ وإن سقوط المطر النافع ، والسير في البحر بالسفن سعياً وراء الرزق ، وتمكين الناس من الإفادة من هذا وذاك - كله من فضل الله على عباده ، لعلهم إذ يذكرون هذا ويفكرون فيه ، يشكرون له إنعامه عليهم ، وتلطفه بهم .

٢ - لقد أرسلنا قبلك يا محمد رسلاً إلى الناس ، فبلغوا الرسالة ، وأقاموا الأدلة على صدقهم ، وكان الناس بين مصدق ومكذب ، أما الذين كذبوا ، وظلّوا على كفرهم ، فقد عذبهم الله ، وأخذهم أخذاً شديداً ، وأما الذين آمنوا ، فإن الله نجاهم ونصرهم على أعدائهم ، ومن حق المؤمن على الله أن ينصره ، وينجيه من العذاب .

٣ - الله - سبحانه وتعالى - هو الذي يجعل الرياح سبباً في إظهار السحاب ، بعد أن يتبخر الماء بالحرارة من البحار والأنهار ، وهذا السحاب ينتشر في الجو بفعل الريح أيضاً ، ولكنه يختلف كثرة وقلة ، ووجوداً وعدمياً ، باختلاف أنواع الرياح ، فن الرياح : الدائم والموسمي ، والمحلي والإعصاري ،

وينشأ من هذه الأنواع المختلفة اختلاف في انتشار السحاب ، ونوع كثافته ، وكثرة المطر هنا وقلته هناك ، فالمنطقتان : الاستوائية والبحرية الغربية « غرب أوروبا والأمريكيتين » يدوم المطر فيهما ، والمنطقة المدارية من العالم كله مطرها صيفي ، ومنطقة البحر المتوسط وما يشبهها مطرها شتائي ربيعي ، ومنطقة الصحراوات مطرها قليل نادر ؛ وهذه كلها أمور تجرى على مشيئة الله وإرادته ، فإنه حيث تمهياً أسباب الأمطار ترى السحاب قطعاً منتشرة ، ولكنه بسبب شحنات كهربية أودعها الله إياها ، تجرى أمور طبيعية من تجاذب وتنافر ، فتحدث برقاً ، يعقبه رعد ، يأتي بعده المطر : وهذا المطر ينزل على من حرهوا الماء في الصحراء فيفرحون له ، ويستبشرون به ، لما يترتب على نزوله من خير لهم ، مع أنهم كانوا قبل نزوله عليهم يائسين من رحمة الله ، فلا أمل عندهم بسقوطه ، ولكن الله أرحم بعباده . ورحمته تدركهم بعد أن يبلغ اليأس منهم كل مبلغ .

٤- هذا المطر الذي ينفع الله به عباده ، ويعمله رحمة لهم ، يحيي الأرض بعد موتها ، ويكسبها الخصب والثمار ، والله الذي قدر على إحياء الأرض ، قادر كذلك على إحياء الموتى يوم القيامة لحسابهم ، بل هو قادر على أن يفعل كل شيء يريد .

٥- يرى الناس الأرض ميتة ، ويتأخر عنهم المطر ؛ فيئسوا من رحمة الله . ثم يسقط المطر فتحي الأرض ، فيفرحون بنعمة الله ، ثم تهب الرياح على الزرع فيصفر وييبس ، فيعودون إلى قنوطهم ويأسهم وكفرهم ، والناس الذين تكون هذه حالهم ، لا يرجي الخير منهم ولا لهم فقد أغلقت قلوبهم ، وصمّت آذانهم ، وعميت أبصارهم ، وأنت يا محمد لست مكلفاً أن تفتح القلب المغلق ، ولا أن تُسمع الأصم . ولا أن تهدي الأعمى ،

ولكن الذى عليك أن تبلغ رسالة ربك ، فيؤمن بك الذين هداهم الله ، فسمعوا مواعظه ، فقبلتها قلوبهم ، ولم تمجها أسماعهم ، فاستجابوا للدعوة ، والتزموا حدودها .

٦ — ومن الأدلة التى تثبت قدرة الله تعالى خَلَقَ الإنسان نفسه ، وتطورات حياته فى أدوارها المختلفة : فهو مخلوق أولاً من شىء ضعيف حقير مهين ، هو النطفة الخارجة من أصلاب الرجال وترائب النساء ، وبعد أن يتم الإخصاب بين حيوان الرجل وبيضة المرأة ، يتقلب الجنين فى أودار مختلفة ، تظهر فيها عجائب القدرة الإلهية : فالنطفة البيضاء تتحول فى الرحم إلى علقة حمراء ، ثم تتحول العلقة الحمراء إلى جسم بعضه قوى صلب وهو العظم ، وبعضه لين طرى وهو اللحم ، واللحم يكسو العظم ، ويم التكوين ، وتكون الحياة والنمو ، والحركة والإدراك ، والنضج والكمال الخلقى والعقلى ، حتى إذا انتهى إلى سنّ معينة ، بدأ يتناقص كماله شيئاً فشيئاً ، ويقرب من عهد الطفولة وثيداً وثيداً ، وكلما طال عمره ، كان أدنى إلى الضعف والشيخوخة والشيب ، وقد يطول عمر بعض الناس ، حتى يعودوا أطفالاً فى عقولهم وتفكيرهم وتصرفاتهم ، «ومنكم من يُردّ إلى أرذل العمر ، لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً» ، ومهما طال العمر فإنه إلى نهاية ، هى الموت ، فسبحان الله الذى يخلق ما يشاء على ما يشاء ! وهو وحده العليم بما يصح أن يجرى فى شئون هذا الكون كله ، لا يمتنع عليه شىء ، ولا يعجزه شىء .

( ٩ )

من الآية ٥٥ من سورة الروم إلى آخر السورة

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ : مَا لَبِثُوا غَيْرَ  
سَاعَةٍ ، كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ -١- . وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا  
الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ : لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ  
الْبَعْثِ ، فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ ، وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ  
-٢- . فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ ، وَلَا هُمْ  
يُسْتَعْتَبُونَ -٣- . وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ  
مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ، وَلَكِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا :  
إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ  
لَا يَعْلَمُونَ -٤- . فَاصْبِرْ ، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، وَلَا  
يَسْتَخْفَنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ -٥- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة	القيامة . يخلف المشركون . ما أقاموا في الدنيا إلا وقتاً قصيراً

شرحها	الألفاظ
<p>يُصرفون عما فيه خيرهم وصلاحهم . الذين عقلوا ففهموا فعملوا ، فأمنوا عن علم و يقين . فيما قدر الله في سابق عامه . إلى يوم القيامة .</p>	<p>يُؤفكون الذين أوتوا العلم في كتاب الله إلى يوم البعث</p>
<p>{ لا ينفع الكفار الذين ماتوا على كفرهم أنهم يعتذرون ، ويتمنون الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا . ولا هم يُستترضون ، ولكنهم يتركون لحالم من قلق و حيرة ، وندم و حسرة و عذاب .</p>	<p>{ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون</p>
<p>أقمنا لهم كل دليل حسي ومعنوي على صدق محمد . ولئن أتيتهم بمعجزة .</p>	<p>{ ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية</p>
<p>{ لستم أيها المؤمنون إلا متبعين للباطل الذي يسحركم به نبيكم .</p>	<p>إن أنتم إلا مبطلون</p>
<p>{ يغلق الله قلوب الذين لا يفقهون ولا يفهمون ، فلا يتأثرون بالمعجزات .</p>	<p>{ يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون</p>
<p>إن ما وعدك الله من نصر لا بد من وقوعه . { ولا يستفزتك الكافرون فيفتنوك عن دينك ورسالتك .</p>	<p>إن وعد الله حق ولا يستخفك</p>
<p>لا يؤمنون عن يقين .</p>	<p>لا يوقنون</p>

## مجمل المعنى

١ - حينما تقوم القيامة ، ويبعث الناس من جديد ، يرى الكافرون ما أمامهم من هول الحساب ، فترجع ذكرتهم إلى ما كانوا عليه في الدنيا ، فيقسمون أنهم ما أقاموا فيها غير وقت قصير من الزمان ، كأنهم لم يتمكنوا فيه من مراجعة أنفسهم وعقولهم ، حتى يعودوا إلى صوابهم ، ويتمنون أن لو رجعوا إليها ليستدركوا ما فاتهم ، ويتوبوا إلى ربهم ، ويؤمنوا برسولهم ؛ وبمثل هذا التفكير السقيم ، كانوا يُصرفون عما فيه خيرهم وصلاحهم ، ويحلفون أنهم على صواب ، ويحاولون أن يوهموا غيرهم أنهم على الحق ، ولكنهم بينهم وبين أنفسهم يعلمون أنهم على ضلال .

٢ - الذين منحهم الله عقلاً صحيحاً ، وتفكيراً سليماً ، درسوا ففهموا ، فعلموا فأمنوا ، يقولون للكافرين الذين يقسمون أنهم ما لبثوا غير ساعة : لقد أقمتم في الدنيا كما قدر الله لكم أن تقيموا ، وهذا هو يوم البعث الذي كنتم تسمعون خبره ولا تؤمنون به ، وكنتم تكابرون وتكذبون بهذا اليوم ، ولا تحبون أن تُصغوا إلى ما يلقى إليكم .

٣ - وفي هذا اليوم لا ينفع هؤلاء الكافرين اعتذارهم بعد تكذيبهم بالبعث ، وإنكارهم إياه ، ولا يكونون من الذين يُسترضون بالعودة إلى الدنيا كما كانوا يُسترضون من قبل ، ويدعون إلى الإيمان ، ولكنهم يُتركون الحالم من قلق وندم ، وحيرة وحسرة وعذاب ، حتى ينتهى حسابهم ، ثم يلقى بهم في نار جهنم خالدين فيها أبداً .

٤ - والله سبحانه وتعالى أقام الأدلة التي لا تقبل شكاً ولا تأويلاً ، على أن محمداً صادق فيما أتى به ، ولم يترك دليلاً حسيّاً ولا معنويّاً من غير أن

يذكره ، ولكنهم أغلقت قلوبهم ، فلم يعترفوا بهذه الأدلة الكثيرة ، وكل معجزة يأتي بها محمد ينكرونها ، ويصفونها بأنها باطلة ؛ وهكذا ينجم الله على قلوب الذين لا يفقهون ولا يفهمون ، فلا يؤمنون ولا يتعظون .

٥ - أمر الله نبيه أن يصبر على أذى الكفار ، وألا يئس من رحمة الله ، وأن يستمر في تبليغ رسالته على الوجه الذي أمره به ، ووَعَدِهِ الذي وعده إياه . وهو تمكينه وتمكين أصحابه من أعدائهم ، ونصرهم عليهم . وقال له : لا تكن مبالغتهم في إيدائك والاستخفاف بك ، سبباً في ضجرك ويأسك ، فإن الله قدّر عليهم الحسran ، وقدّر لك الفوز والنجاح .



## سُورَةُ لُقْمَانَ

نزلت بمكة ، ما عدا الآيات التي من ٢٧ - ٢٩  
فإنها نزلت بالمدينة ، وآياتها ٣٤ آية

( ١ )

من الآية الأولى إلى الآية ١١

الْمَ ، تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ، هُدًى وَرَحْمَةً  
لِّلْمُحْسِنِينَ : الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ،  
وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ، أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ،  
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ - ١ - . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي  
لَهُوَ الْحَدِيثَ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وَيَتَّخِذَهَا  
هُزُوءًا ، أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ . وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا  
وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا ، كَأَنَّ فِي أُذُنِهِ وَقْرًا ،  
فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ - ٢ - إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ، خَالِدِينَ فِيهَا ، وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا ، وَهُوَ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ - ٣ - . خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ،  
وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ، وَبَثَّ فِيهَا  
مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ، وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ

كُلُّ زَوْجٍ كَرِيمٍ -٤- . هَذَا خَلَقَ اللهُ ، فَأَرُونِي مَاذَا  
 خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ، بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ -٥- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
المسم	تراجع الصفحة ١٣ من تفسير الجزء الأول .
الكتاب الحكيم	الكتاب المحكم ، وهو القرآن .
هدى ورحمة للمحسنين	فيه هداية ، وأمن ورحمة ، للذين يعبدون الله فيحسنون عبادته ، فيصلون ويزكون ، ويؤمنون باليوم الآخر ويتفهمون معانيه .
يوقنون	يؤمنون إيماناً يقيناً بالبعث والحساب ، والحشر والجزاء ، ولا يخالط إيمانهم رائحة من شبهة .
يشترى هو الحديث	يفضل كل حديث باطل ، يشغل صاحبه عن الحديث الجدد النافع ، وعن عبادة الله وذكره .
بغير علم	من غير دراية ولا تفكير ولا تجربة .
ويتخذها هزواً	ويستهزئ بها ويكذبها ، والضمير يعود على سبيل الله .
عذاب مهين	عذاب مذل ، يسبب لهم الخزي والعار .
تتلى عليه آياتنا	يُقرأ عليه القرآن .
ولى مستكبراً	أعرض عن السماع له ، نافرأ منه ، محترماً له ، زارياً عليه .

الألفاظ	شرحها
<p>كأن في أذنيه وقرآ                      وعد الله حقاً                      رواسى                      أن تميد بكم                      وبث فيها من كل دابة                      من كل زوج كريم                      هذا آخلق الله                      الذين من دونه                      الظالمون                      في ضلال مبين</p>	<p>كأن في سمعه ثقلاً لا يتمكن معه من السماع .                      وعدم الله بذلك وعداً حقاً لا خلف فيه .                      جبلاً ثابتات .                      خشية أن تضطرب بكم ، ويختل توازنها .                      وفرق على الأرض جميع أنواع الدواب ، والدواب :                      كل ما يدب على الأرض .                      من كل نوع حسن من النبات .                      هذا الذى تقدم ذكره خلقه الله .                      الذين من غير الله ، وهو ما يعبد الكفار من الأصنام .                      الذين يعبدون غير الله ، ويشركون معه غيره .                      فى أشد أنواع الضلال ، وأقبحها وأدنتها .</p>

## مجمل المعنى

١ - هذه الآيات التى تتكون من حروف الهجاء ، وينزلها الله على محمد نبيه ، هى الآيات التى يتكون منها القرآن الكريم المحكم المعجز بأساليبه ومعانيه ، الذى يهدى من يقرؤه أو يسمعه ، ويتدبر معانيه ، والذى يهتدى به يستحق رحمة الله ، لأن الهداية تؤدى إلى إقامة الشعائر من صلاة وزكاة وغيرهما ، ولأن الهداية لا تكون إلا بالإيمان بالله واليوم الآخر . وبالبعث والحساب والحشر والجزاء ، والمهتدى إذا كانت هدايته يقينية صحيحة سلم من الوسوسة ، وبعد عن الشبهة ، وهذا المهتدى وأمثاله هم الذين سيجازيهم

الله يوم القيامة ، بتخليدهم في الجنة ، وتمتعهم بألوان النعيم فيها ، وهذا هو الفلاح والنجاح ، والفوز بالرضا الإلهي ، الذي لا يظفر به إلا القليل .

٢ - بعض الناس يجلسون في المجالس ، ويخوضون في أحاديث لا فائدة منها ، ولا جدوى وراءها ، فيهزلون أو يغبون أو ينمّون مثلاً ؛ وهم بذلك يشغلون أنفسهم ، ويشغلون السامعين لهم بما يضيّع وقتهم ، ويكثر أوزارهم وذنوبهم ، ويصرفونهم عن النافع المفيد من ذكر الله ، أو قراءة القرآن أو أداء الصلاة في وقتها ، أو الخوض في حديث أدبي أو تاريخي ، أو تحقيق مسألة علمية أو دينية ؛ هؤلاء الناس الذين يصرفون غيرهم عن النافع المفيد إلى غيره ، بدون دراية ولا تفكير ولا تجربة ، ويستهزئون بالنافع المفيد ، سيعذبهم الله عذاباً فيه إذلال لهم ، واحتقار لشأنهم ، لأنهم إذا تليت عليهم آيات من القرآن ، أو أُرشدوا إلى النافع المفيد ، نفروا منه ، وأعرضوا عنه ، وكأنهم فقدوا حاسة السمع فلا يستطيعون أن يسمعوا شيئاً ؛ وهؤلاء جميعاً لهم عذاب مؤلم موجه لا خلاص منه .

٣ - أما الذين آمنوا ، وشغلوا أنفسهم بجدّ الحديث دون لهُو ، وأقاموا الشعائر على وجهها ، فإن لهم جنات في الآخرة ينعمون فيها بجميع أنواع المتع ، وألوان السرور ، ويبقون فيها خالدين ، لا يبرحونها ولا يخرجون منها ؛ وقد وعدهم الله ذلك ، والله لا يخلف وعده ، وهو العزيز الحكيم .

٤ - ومن الأدلة الواضحة الملموسة على أن الله قادر قدرة لا حد لها ، أنه خلق السموات من فوقنا ثابتة قائمة غير محمولة على شيء ، وإنما هو قانون الجذب العام الذي تحدثنا عنه في غير هذا الموضع ، والذي ذكرنا فيه أن هناك جذباً قائماً بين جميع الكواكب ، ولكن ما حقيقة هذا الجذب ؟ وما ماهيته ؟ هذا سرّ خفي على العلم ، ولا يعلمه إلا الله ، أما الجبال فإن

الله خلقها موزعة على سطح الأرض على نظام خاص ، وهي تشبه السلسلة الفقرية من الإنسان ، يتصل بعضها ببعض اتصالاً ظاهراً أو باطنياً في جوف الأرض أو تحت الماء ؛ وهذا الاتصال حاصل بين أجزائها البازلتية الغائصة في جوف الأرض ، فهي تكسر حدة الهُوج من العواصف ، وتحفظ الأرض من الاضطراب والاختلال اللذين يأتيان بأسباب من داخل الأرض الملتهب ، المحتوى على مواد منصهرة ؛ وبعد أن خلق الله الأرض ، وجعلها صالحة للمعيشة فوقها ، خاق جميع أنواع الدواب ، وجعلها تنتشر هنا وهناك ، وعاش كل منها في الجو والتربة التي تلائمه : حرّاً وبردّاً ، وجفافاً ورطوبة ، وغير ذلك ، وأنزل المطر من السماء ، فتكونت منه الأنهار ، وعاش على مائه كل كائن حي ، وأخرج النبات النضر الذي يعيش عليه الإنسان والحيوان .

٥ - بعد أن ذكر الله بعض الأدلة القاطعة على أنه وحده خالق هذا الكون ، ومدبره ، سأل الكفار المعاندين الذين يشركون به غيره : أروني أى شيء من مثل هذا الذى خلقته أو قريب منه ، تستطيع آلهتكم التي تعبدونها أن تصنعه ؟ ! وهذا سؤال للتعجيز طبعاً ، لأنهم لا يستطيعون ، ولكنه الطريق المفحم المعجز في الإقناع ، أما وقد عجزوا فإنهم ظالمون ضالون ضلالاً بعيداً ، يعكوفهم على عبادتها من دون الله ، لأنهم يعرفون الحق ويحيدون عنه .

( ٢ )

من الآية ١٢ إلى الآية ١٩ من سورة لقمان

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ : أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ ، وَمَنْ  
يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ  
حَمِيدٌ -١- . وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ : يَا بُنَيَّ ،  
لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ، إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ -٢- . وَوَصَّيْنَا  
الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ، حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ ، وَفِصَالُهُ  
فِي عَامَيْنِ ، أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ، إِلَى الْمَصِيرِ .  
وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ  
فَلَا تُطِعْهُمَا ، وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ، وَاتَّبِعْ سَبِيلَ  
مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ، ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ ، فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ  
تَعْمَلُونَ -٣- . يَا بُنَيَّ ، إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ  
خَرْدَلٍ ، فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ  
يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ -٤- . يَا بُنَيَّ ، أَقِمِ  
الصَّلَاةَ ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأَصْبِرْ  
عَلَى مَا أَصَابَكَ ، إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ، وَلَا تُصَعِّرْ

خَدَكَ لِلنَّاسِ ، وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا ، إِنَّ اللَّهَ  
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ، وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ،  
وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ، إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ  
الْحَمِيرِ - ٥ - .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
<p>منحنا لقمان العقل الكامل ، الذى ينتج كل صائب صحيح فى الدين والعلم . لا تعبد مع الله إلهاً آخر . ومن أنكرو فضل الله عليه . فإن الله غنى عن شكر الناس إياه ، والحمد على ما يُؤول من نعم . إن إثراك غير الله معه فى العبادة ، غاية ما يكون من ظلم الإنسان . وأمرنا الإنسان أن يبرّ والديه . ضعفاً فى الحمل على ضعف فى الولادة . وفطامه بعد انقضاء عامين من ولادته . إلى الله المرجع والمآب . وإن حاولا معك بكل وسيلة ، وبذلا معك جهدهما . ماليس بشيء ، لأنه ليس فيه ما يمكن أن يكون علماً . وصاحبهما فى الحياة الدنيا مصاحبة البارّ المطيع ، فما لا يضرّك فى دينك .</p>	<p>آتينا لقمان الحكمة لا تشرك بالله ومن كفر فإن الله غنى حميد إن الشرك لظلم عظيم ووصينا الإنسان بوالديه وهنأ على وهن وفصاله فى عامين إلى المصير وإن جاهداك ما ليس لك به علم وصاحبهما فى الدنيا معروفأ</p>

شرحها	الألفاظ
<p>واسلك طريق من رجع إلى . إلى مصيركم يوم القيامة . فأخبركم بما صنعتم في الدنيا . إن الأعمال التي تعملها . خيراً كانت أو شراً . } قدر وزن حبة ، والخردل : نبات له حب أسود صغير جداً .</p>	<p>واتبع سبيل من أناب إلى إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعلمون إنها مثقال حبة من خردل</p>
<p>فتكن مستخفية في جوف صخرة . أدّ الصلاة على وجهها . وانه الناس عن ارتكاب المعاصي . } وتحمل إيذاء الناس لك وأنت تدعوهم إلى دين الله ، واصبر على أذاهم .</p>	<p>فتكن في صخرة أقم الصلاة وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك من عزم الأمور</p>
<p>من الأشياء التي أمر الله بها . وقطعها قطع إلزام . } ولا تُحمل خدك للناس ولا تأسوه كبيراً ، احتقاراً لهم ، واستصغاراً لشأنهم .</p>	<p>ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً</p>
<p>ولا تمش على الأرض مِشية المتكبر المختال . } كل متكبر يفخر بماله وجاهه ، ولا يقابل نعم الله بالشكر .</p>	<p>كل مختال فخور واقصد في مشيك واخفض من صوتك إن أنكر الأصوات</p>
<p>وتوسط في مشيتك ، متواضعاً غير متكلف . واخفض من صوتك إلى الحد المطلوب . إن أقبح الأصوات .</p>	<p>واقصد في مشيك واخفض من صوتك إن أنكر الأصوات</p>



## لقمان الحكيم

كان لقمان رجلاً نوبيًّا أسود ذا مشافر ، آتاه الله الحكمة ، ولم يؤته النبوة ، فكان صادقاً صحيح الرأي ، يُفتى بالصواب في المعتقدات والفقهِ ، والمسائل الدينية والتعبدية ، وقيل : إنه كان يشتغل برعى الغنم لمولاه ، وقف عليه رجل يوماً ، وقال له : أنت لقمان ؟ قال : نعم ، قال الرجل : فأنت راعي الغنم الأسود ؟ ! قال لقمان : أما سوادى فظاهر ، فما الذى يعجبك من أمرى ؟ قال الرجل : وَطءَ الناس بساطك ، وغشيانهم بابك ، ورضاهم بقولك ، قال لقمان : يابن أخى ، إن صنعتَ ما أقول كنتَ كذلك ، قال الرجل : ما هو ؟ قال لقمان : أغضى بصرى ، وكفى لسانى ، وعفة مطعمى ، وحفظى فرجى ، ووفائى بوعدى ، وتكرمتى ضيبي ، وحفظى جارى ، وتركى ما لا يعينى - فذلك الذى صيرنى كما ترى . ومن ذلك ترى أن لقمان ما أوتى الذى أوتيه عن أهل ولا مال ولا حسب ، ولكنه كان رجلاً مسكيناً ، طويل التفكير ، عميق النظر ، ومما يؤثر عنه : أن مولاه أمره بذبح شاة ، وأن يخرج له أطيب مُضغتين فيها ، فأخرج له اللسان والقلب ، ثم أمره أن يذبح شاة أخرى ، وأن يخرج له أخبث مُضغتين فيها ، فأخرج له اللسان والقلب ، فالتفت إليه مولاه متعجباً ، فقال له لقمان : ليس هناك شيء أطيب منهما إذا طابا ، ولا شيء أخبث منهما إذا خبثا .

## مجمل المعنى

١ - منح الله لقمان الحكمة ، فكان يحسن التصرف في جميع أموره ، ولا يقول إلا حقاً ، وينصح الناس ويحمل لهم في النصيح ، ويطيع الله ، ويشكر له أنعمه ؛ وشكر الإنسان ربه ، وطاعته ، شكر لنفسه ، ومجلبة خير لها ، لأن الله سيجازيه على هذا الشكر ، فيستفيد بذلك في الدنيا والآخرة ؛ والذي ينكر فضل الله على عباده ، ويكفر به ، لا يضر إلا نفسه ، لأن الله غنى عن شكر الشاكرين ، والحمد ثابت له ، معترف به ، برغم أنف الجاحدين .

٢ - الابن أعز شيء لدى الإنسان ، والوالد أشفق الناس على ولده ؛ لذلك نصح لقمان ولده نصحاً هو دستور حكيم ، لو اتبعه الولد وترسمه ، لكان نعم الولد خلقاً وبراً وصلاً ، فنبى لقمان ولده أول ما نهاه عن الشرك بالله ، لأن الشرك رأس الخطايا ، وأشنع الذنوب ، ولذلك وصفه لقمان بأنه أقبح ظلم يظلمه الإنسان ، لأن فيه تسوية بين القوى القادر ، وبين الضعيف العاجز ؛ ونلاحظ أن لقمان حينما نادى ولده لينهاه عن الشرك بالله ناداه : يا بني ، وهذا لفظ فيه حنان وعطف ، وتعبير عما يكنه الوالد لولده من حب له ، وشفقة عليه ؛ وعطف الوالد على الولد طبع ركه الله في النفس ، وليس في نفس الإنسان فحسب ، بل كل أولاد يعطف على ولده ، ونجد ذلك واضحاً في جميع أنواع الحيوان ، لا فرق بين مستأنس ووحشى ؛ ولولا هذه الغريزة العجيبة القويّة ، التي أودعها الله جميع أنواع الحيوان ، لما اهتم والد بولد ، ولما بقي النوع على سطح الأرض ؛ لأن الوالد يرى نفسه مدفوعاً دفعاً غير شعورى نحو المحافظة على ولده الصغير ، ويعمل

على دفع كل مكروه عنه ، مهما كلفه ذلك ؛ لاحظ ذلك في جميع الحيوانات التي تراها تجد عجباً ، وتدرك الحكمة في أن الله سبحانه وتعالى وصّى الولد بوالديه ، ولم يُوص الوالدين بولدهما .

٣ — وصى الله الولد أن يطيع والديه في كل ما يأمرانه به ، إلا في أن يأمره أحدهما أو كلاهما أن يشرك بالله ، أو يرتكب كبيرة من الكبائر : كالقتل بغير حقّ ، أو شرب الخمر ، أو بترك فريضة : كالنهي عن الصلاة أو أداء الزكاة ، فعليه ألا يطيعهما في مثل هذا ، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وأن يردهما ردّاً جميلاً مبنياً على الإقناع باللطف والملين ، ولو كانا مشركين ، وعليه أن يدعوهم إلى الإسلام برفق وتلطف ، وله ألا يطيعهما في الخروج من دينه ؛ — وإن لم يُسلما معه ، وبقياً على شركهما ، فليس له أن يعقّبهما ، ولكن عليه أن يزورهما ، وأن يصلهما ، وأن يبرهما بماله ؛ وعليه أن يتبع سبيل الذين يرجعون إلى الله ، ويتوبون إليه ، وهي سبيل الصالحين الطيبين ؛ والمرجع كله يوم القيامة إلى الله ، حيث يجد كل إنسان ما عمله من خير أو شر محضراً أمامه ، ويجازيه الله به ؛ وقد حكى عن سعد بن أبي وقاص أنه أسلم ، وكانت أمه على الشرك ، فأرادت أن تفتنه عن دينه ، فقالت له : أليس الله قد أمر بالبر ؟ فوالله لا أطعمُ طعاماً ، ولا أشرب شراباً ، حتى أموت أو تكفر ؛ فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها فتحوا فاهها بعصا ، ووضعوا فيه الطعام ، فنزل قوله تعالى : « ووصينا الإنسان بوالديه ... » وقد ذكر الله السبب في توصية الولد بأمه ، وهذا يجعل لها خصوصية تمتاز بها عن الأب ، فذكر أنها حملت الابن في بطنها ، وتقلب في حياته من طور إلى طور ، حتى كمل خلقه ، وخرج من حالة الضعف الشديد إلى حياة كاملة ،

وقد عانت الأم من ذلك ما عانت ، ثم يأتي طور الوضع وما يصحبه من أوجاع ، ثم طور التربية والإرضاع لعامين كاملين ؛ وفي هذه المدة كلها تتحمل الأم راضية مغتبطة كل ألم مهما اشتد وقسا ؛ لذلك كان على الإنسان أن يشكر الله أن وضع هذه الغريزة في الأم ، وأن يشكر للأم وللأب ما بذلاه من جهد في تربيته وتكوينه ؛ وتوصية الله الإنسان بالوالدين جاءت معترضة بين وصايا لقمان لابنه ، على سبيل الاستطراد ، للتنويه بأن طاعة الوالدين من طاعة الله .

٤ — أعلم لقمان ولده أن كل شيء مهما دق وصغر ، ومهما استخفى في جوف صخرة ، أو في أرض أو في سماء ، لا بد أن الله يعلمه ؛ فهو سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، لذلك كان كل عمل يعمله الإنسان ، خيراً أو شراً ، يعلمه الله ، ويجازى عليه .

٥ — وأمر لقمان ابنه ونهاه : أمره بأُمَّهات الطاعات ، وهي إقامة الصلاة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والاعتدال في المشي ، وغض الصوت حتى لا يكون كأقبح أنواع الحيوان صوتاً ، والصبر عند المصائب ، وهي تجمع مسائل الإيمان كلها ؛ ونهاه عن التكبر ؛ وأول مظهر من مظاهر التكبر تصغير الحد ، ومشية المختال ، وكلتاها صفة يكرهها الله ، ويكره من يتصف بها .

( ٣ )

من الآية ٢٠ إلى الآية ٢٦ من سورة لقمان

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي  
الْأَرْضِ ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ؟ وَمِنَ  
النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ  
مُنِيرٍ -١- . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، قَالُوا :  
بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ  
يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ -٢- . وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى  
اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ، وَإِلَى  
اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ -٣- . وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ،  
إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ  
الصُّدُورِ ، نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ، ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ  
غَلِيظٍ -٤- . وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ : مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ ؟ لَيَقُولُنَّ : اللَّهُ ، قُلِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ  
لَا يَعْلَمُونَ ، لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ  
الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ -٥- .

## شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
سخر لكم وأسبغ عليكم نعمه	ذلل لكم كل شيء ، وجعله صالحاً للانتفاع به . وأتم عليكم نعمه ، وجعلها شاملة .
ظاهرة وباطنة	معلومة بالحس والمعانية ، ومعلومة بالدليل والاستنباط .
يجادل في الله بغير علم ولا هدى	يخاصم في توحيد الله . بغير حجة ولا دليل عقلي أو حسي يستند إليه . ولا بيان يوضح طريق الحق ، ويهدى إليه .
ولا كتاب منير عذاب السعير	ولا كتاب منزل ينير له طريق الحق ويوضحه . عذاب النار الشديدة التي تتسعر وتتهب .
ومن يُسلم وجهه إلى الله وهو محسن	ومن يخلص عبادته لله وحده ، فيفوض كل أموره إليه . وهو مطيع بقوله وفعله وقلبه وتفكيره .
فقد استمسك بالعروة الوثقى	فقد استمسك بدين قوى متين ، استمسكاً يؤدي به إلى النجاة .
وإلى الله عاقبة الأمور	مصائر الأمور كلها إلى الله دون غيره .
فلا يحزنك كفره	لا يهولنك كفر من كفر بك ، ولا يفزعك كيد من يكيد لك .
فنبههم بما عملوا علم بذات الصدور	فنظروهم على أعمالهم السيئة ، ونجازيهم عليها . علم بما يخفى في نفوسهم وخواطرهم .

الألفاظ	شرحها
<p>نمتعهم قليلاً</p> <p>ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ</p> <p>ليقولن : الله</p> <p>بل أكثرهم لا يعلمون</p> <p>إن الله هو الغنى الحميد</p>	<p>نتركهم في الدنيا وقتاً قصيراً ، يتمتعون فيها على ما يشتهون .</p> <p>ثم نسوقهم سوقاً إلى عذاب شديد في نار جهنم .</p> <p>ليعترفن بأن الله هو الذى خلق السموات والأرض .</p> <p>بل أكثر هؤلاء المعاندين لا ينظرون في الأشياء</p> <p>نظر تدبر وتفكر ، يهديهم إلى العلم الصحيح .</p> <p>إن الله هو الغنى عن شكر الشاكرين ، وتوحيد</p> <p>الموحدين ، المستحق لكل حمد وثناء ، وإن أنكر ذلك الكافرون .</p>

### مجمل المعنى

١ — أيها المعاندون ، انظروا تروا أن الله ذليل لكم كل شيء ، وجعلكم تنتفعون به انتفاعاً مباشراً. أو غير مباشر ، فجعلكم تنتفعون بما في السموات من شمس وقمر ونجوم وسحاب ، وبما على الأرض من حيوان ونبات وجماد ، وبما في جوفها من معادن حجرية وسائلة ، فاستنبطتم الأدوية التي تداون بها أمراضكم ، والكهربا التي انتفعتم بها في شتى مصالحكم ، وفي كل يوم تأتون بالعجيب الذى ينفعكم ، وهذه كلها نعم أسبغها الله عليكم ، وأتمها لكم ، بعضها ظاهر مُحَسَّس ، وبعضها معنوى غير مُحَسَّس ، ومع هذا كله نجد بعض الناس يخاصمون غيرهم ويجادلونهم في الله ، ولا يُقرّون

الدنيا ، لأنهم مهما طال عمرهم بها ، فإن ذلك قصير جداً إلى ما يقاسونه في جهنم ، وإلى خلودهم فيها ، يعذبون بها عذاباً شديداً ، لا مخلص لهم منه .

• — ومن عجيب أمر هؤلاء الناس ، أنك حين تناقشهم وتسألهم : من الذى خلق السموات والأرض ؟ ، لا يترددون فى أن يقولوا لك : الذى خلق السموات والأرض هو الله ، ومعروف أن الذى يخلق هو الذى يملك ، وهو الذى يتصرف ، ومعروف كذلك أن الذى يخلق يكون غنياً عما يخلقه ، غنياً عن شكره وعبادته ، مستحقاً لكل حمد وثناء على أنه خلق من خلق فى أبدع صورة .



( ٤ )

من الآية ٢٧ إلى الآية ٣١ من سورة لقمان

وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ، وَالْبَحْرُ  
يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ، مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ،  
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ -١- . مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا  
كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ؛ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ -٢- . أَلَمْ تَرَ أَنَّ  
اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ، وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ،  
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ؟ ،  
وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ،  
وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ  
الْكَبِيرُ -٣- . أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ  
بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ  
صَبَّارٍ شَكُورٍ -٤- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يمده	يزيد ما فيه .
ما نفدت كلمات الله	ما أفنيت الألفاظ التي يعبر بها عما في علم الله وقدرته .

الألفاظ	شرحها
إلا كنفس واحدة يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل	إلا كخلق نفس واحدة ، وكبعث نفس واحدة . يجعل الليل والنهار يدخل أحدهما في وقت الآخر .
ويختر الشمس والقمر	{ وذلّل الشمس والقمر ، وجعلهما بصورة تنفع الإنسان .
إلى أجل مسمى .	{ إلى وقت معلوم ، وهو يوم القيامة ، وتجرى الكواكب جميعاً إلى غاية تنتهى عند هذا اليوم .
بما تعملون خبير	عالم علماء شاملاً بكل ما عملونه .
ذلك بأن الله هو الحق	{ فعل الله الأشياء التي ذكرها في الآية السابقة ، لتعلموا وتعترفوا بأنه هو الواحد الذي لا يجوز أن يشرك به .
وأن الله هو العلي الكبير	وأن الله هو الأعلى شأنًا . والأقوى سلطاناً .
الفلك	السفن
بنعمة الله	{ بتقدير الله ، ورحمته بكم ، وتسخيرها لكم للانتفاع بها .
ليريكم آياته	ليريكم بعض الدلائل على قدرته .
لكل صبار شكور	{ لكل كثير الصبر على ما قدر الله ، ولكل شاكر على نعم الله .

### مجمل المعنى

١ - نزل في سورة الإسراء قوله تعالى : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » -  
فذهب اليهود إلى محمد ، أو أرسلوا إليه ، وقالوا له : يا محمد ؛ كيف

عُنيْنَا بهذا القول ، ونحن قد أُوتينا التوراة فيها كلام الله وأحكامه ، وعندك أنها تبيان لكل شيء ؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « التوراة قليل من كثير » ، ونزل قوله تعالى : « ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام . . . » ، إلى آخر الآية ، وهذه الآية نزلت بالمدينة .

والمعنى أنه لوجىء بالشجر الثابت على ظهر الأرض جميعه ، وبُرى أقلاماً ، واتخذ ماء البحر مداداً تغمس فيه هذه الأقلام ، فإذا انفد ماء البحر مده بحر من بعده بحر ، ثم بحر آخر إلى سبعة أبحر ، حتى ينفد ماؤها جميعاً ، وكتبت بهذه الأقلام كلمات الله وعلمه وحكمته — لتقصفت الأقلام وفنيت على كثرتها ، ولنفد ماء الأبحر السبعة على قلة ما يعلق بالقلم عند غمسه ، وبقي علم الله لم ينفد ولم ينته ؛ وليس معنى هذا أنه إذا جىء بأقلام أكثر ، وبمداد أكثر ، يمكن أن ينفد علم الله . حاش لله ! ولكن الغرض أن الله يضرب لهم المثل بشيء عظيم يتمثلونه على قدر عقولهم وتفكيرهم ، أما علم الله فإنه لا ينفد ولا ينتهى ، ولا يمكن تدوينه وتسطيعه ، فكيف يستكثر هؤلاء اليهود على أنفسهم أن يقال فيهم : « وما أُوتيتم من العلم إلا قليلاً » ، إن الله عزيز لا يعجزه شيء فى الأرض ، ولا فى السماء ، حكيم يصرف كل أمر على حسب مشيئته وإرادته وقوته ، وعلى حسب ما قدر فى علمه ، لا تنفذ كلماته ، ولا تقف عند حد عجائب صنعه ، ونظير هذا : « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى ، لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى ، ولو جئنا بمثله مدداً » .

٢ — بدءُ خلق الناس والعوالم كلها ، وبعث الناس والأحياء كلها يوم القيامة — لا يستأهل كله من الله جهداً ، وليس خلق هؤلاء جميعاً وبعثهم ، إلا كخلق نفس واحدة وبعثها ، فليس عسيراً على الله ما يعسر على عباده ؛ وقد

نزلت هذه الآية حينما اعترض أبى بن خلف وبعض رفاقه على محمد ، وقال : كيف نبعث خلقاً جديداً فى ساعة واحدة ، فى حين أن الله حينما بدأ خلقنا ، خلقنا أطواراً : نطفة ، ثم علقه ، ثم مضغه ، ثم عظاماً ، ثم كسا العظام لحماً ؟ ويؤكد الله أنه يسمع ما يقوله هؤلاء الأفاكون ، ويعلم ما يفترونه عليه ، وسيحاسبهم عليه .

٣ - هؤلاء الأفاكون ، مثل أبى بن خلف ومن معه ، ألم يعلموا أن الله قادر على كل شيء ؟ وإن نظرة إلى أى شيء مما يقع تحت حسهم مما خلق الله ، ليلهم دلالة قاطعة على قدرته ، وإن أقرب شيء إليهم هو الليل والنهار ، فهما يتعاقبان ، ويتداخلان ، فيطول أحدهما ويقصر الآخر ، ويكون نهار فى نصف الكرة الأرضية فى وقت ، وليل فى نفس الوقت فى النصف الآخر ، وذلك نتيجة لدورة الأرض حول نفسها وحول الشمس ، بفضل الجاذبية التى سبق أن بينا قدرة الله فيها ، ودالاتها على أنه وحده خلق هذا الكون كله ؛ ويمكن أن ينظر هؤلاء المكابرون أيضاً إلى الشمس التى تظالعهم كل صباح ، وتغيب عنهم كل مساء ، وإلى القمر الذى يظالعهم ، ويغيب عنهم فى كثير من أمسياتهم ، ليعرفوا أن هذين الكوكبين سخرهما الله لصالحهم وحياتهم ، ومع ذلك فهما يجريان : كل فى مداره ، وسيظلان كذلك على هذا النظام الجميل البديع ، إلى الوقت المعلوم الذى ضربه الله نهاية لهذا الكون ، حيث تقوم القيامة ؛ وأكد الله لهم أن الذى يقدر على خلق هذه الأشياء وتذليلها للإنسان - لا بد أن يكون خلقه إياها عن علم ومعرفة ، والذى خلق هذه الأجرام العظيمة عن علم ومعرفة ، يمكنه أن يعرف كل شيء ، ومنه أعمالكم التى تعملونها ، وقد ضرب الله لكم هذه الأمثال لتتدبروا فيها ، ولتخرجوا من هذا التدبر - إن كنتم

عاقلين — بأنه وحده هو الذى يستحق التوحيد والإيمان به ، والخضوع له ، دون غيره مما تشركونه معه من أصنامكم التى تصنعونها بأيديكم ، وتعبدهونها من دونه ، وتقرون أيضاً أنه هو الأعلى شأنًا ، والأكبر سلطانًا ، ليس كمثلته شئ ، وهو السميع البصير .

٤ — ولو أن هؤلاء المعاندين فكروا فى آثار قدرة الله ، لرأوا السفن تجرى فى البحار هنا وهناك ، مدفوعة بالريح التى سخرها الله ، فينقلون عليها أنفسهم وحيواناتهم ومتاعهم ، ويستخدمونها فى مصالحهم ، ولا يعتقدوا أنه لا أحد يقدر على خلق البحار ، وتسخير الرياح ، غير الله ؛ وإذا كانت السفن فى هذا العصر تسير بالبخار وتعظم ، حتى تكون الواحدة منها كالمدينة العائمة ، تتحرك فوق سطح الماء ، فإن ذلك دليل أكبر على القدرة الإلهية ، التى تتجلى فى عقل الإنسان الذى صنعها ، وفى حمل الماء إياها ، بل إن الغواصة نفسها إن دلت على العقل الجبار ، فإنما هى أدل على قدرة الخالق الأعلى الذى دبّر لنا هذا بعطفه علينا ، وبره بنا ، ورحمته لنا ، ليرينا آيات قدرته ماثلة أمام أعيننا ؛ وفى هذه الآيات أدلة ظاهرة واضحة لكل إنسان يصبر على البلاء ، ويشكر على النعماء ، يصبر على قضاء الله إن ألمّ به خطب ، ويشكر له ما أولاه من نعم لا تعد ولا تحصى .

(٥)

من الآية ٣٢ من سورة لقمان ، إلى آخر السورة

وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ  
 الدِّينَ ، فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ ؛ وَمَا  
 يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ -١- . يَا أَيُّهَا النَّاسُ ،  
 اتَّقُوا رَبَّكُمْ ، وَانْخَشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ،  
 وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا ، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ،  
 فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ -٢- .  
 إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي  
 الْأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَمَا تَدْرِي  
 نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ -٣- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
غشيتهم كالظلل	غمرهم وغطاهم . كبير هائل كالجبال يركب بعضه بعضاً ، جمع ظلة : وهى ما يتظلل به الإنسان .

شرحها	الألفاظ
<p>فرعوا إلى الله لينجيهم .          { بقلوب مخلصه صافية من أدراك الشرك والشك          والهوى .</p>	<p>دعواً الله          مخلصين له الدين</p>
<p>{ فبعضهم يتبع القصد ، وهو الطريق المستقيم ،          طريق الإيمان الصحيح .          مبالغ في غدره وجحوده .</p>	<p>فهم مقتصد          ختار كفور</p>
<p>لا يحمل والد عقاباً مقضياً به على ولده .          ولا يحمل ولد عقاباً مقضياً به على والده .</p>	<p>لا يجزى والد عن ولده          ولا مولود هو جاز عن          والده شيئاً</p>
<p>{ إن الله وعدكم أن يجيء يوم الحساب ، وهذا          الوعدُ موثقٌ به حتماً .</p>	<p>إن وعد الله حق</p>
<p>{ فلا تخدعنكم مباحج الحياة الدنيا ، فتصرفكم          عن الآخرة .</p>	<p>فلا تغرنكم الحياة الدنيا</p>
<p>ولا يخدعنكم الشيطان عن توحيد الله وعبادته .          عنده دون غيره معرفة الوقت الذي تقوم فيه القيامة .          وهو وحده ينزل المطر فيما حدّد له من زمان ومكان .</p>	<p>ولا يغرنكم بالله الغرور          عنده علم الساعة          وينزل الغيث</p>
<p>{ ويعلم دون غيره ما تحمله الأرحام من الأجنة قبل          الولادة : نوعاً ولوناً وشكلاً ، وما يجنب له من          سعادة أو شقاء ، وصحة أو مرض ، وغير ذلك .</p>	<p>ويعلم ما في الأرحام</p>
<p>{ ماذا تحصل عليه من خير أو شر ، نتيجة لما          تعمل .</p>	<p>ماذا تكسب غداً</p>

الألفاظ	شرحها
بأى أرض تموت إن الله عليم خبير	فى أى مكان يدركها الموت . إن الله يعلم ظواهر الأشياء وبواطنها .

## مجممل المعنى

١ — الذين يركبون البحار يكونون فى فزع ورعب ، لأنهم إن يسلموا من الغرق ، لا يسلموا من المخاوف والفزع ، وهم فوق خوفهم الطبيعى ، إذا ثار بهم البحر ، وعلا الموج ، وطمى عليهم الماء — فزعوا إلى الله ولبثوا إليه أن يزيح عنهم الكرب ، ويكشف الغم ، ويخلصهم مما هم فيه ، ولم يفكروا أن يلجثوا إلى آلهتهم التى كانوا يعبدونها من دون الله ، لأنهم مع عبادتهم لها مؤمنون بأنها لا تنفع ولا تضر ، ولا تستطيع أن تجلب خيراً ، أو تدفع شراً ؛ فإذا استجاب الله لهم دعاءهم ، ونجاهم إلى البر سالمين نسوا ما كانوا فيه من فزع ورعب ؛ إلا أن بعضهم — ولعله أقلهم — يظل متبعاً طريق القصد ، فيعترف بنعمة الله الذى نجاه ، وبعضهم الآخر ينسى ما تفضل الله عليه به من النجاة ، كأن لم يدعه إلى ضرّ مسه ويعود إلى طغيانه وكفره وغدره ، وهؤلاء غدارون منكرون للجميل .

٢ — يأمر الله الناس أن يتقوه ويخافوه ، ويحذرهم يوم القيامة ، وهو ذلك اليوم الذى يحاسب فيه كل إنسان على ما قدّم من خير أو شرّ ، فلا يدفع أحد عن أحد شيئاً ، ولا يحمل إنسان عن إنسان بعض عقابه مهما كانت العلاقة بينهما فى الدنيا : فالوالد لا ينوب عن الولد ، والولد لا ينوب عن الوالد ؛ ويوم القيامة الذى وعد الله به آت لا شك فيه ؛ وإذا كان الأمر



كذلك فقد أمرنا الله ألا نغترّ بهذه الحياة الدنيا ، وألا ننخدع بزخارفها ومباهجها ، وألا يخدعنا الشيطان الخبيث بوسوسته ، كما خدع غيرنا من قبل .

٣ - جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من أهل البادية اسمه الوارث بن عمرو بن حارثة ، وقال له : إن امرأتى حُبلى ! فأخبرنى : ماذا تلد ؟ وبلادنا جدبة ، فأخبرنى : متى ينزل الغيث ؟ وقد علمت : متى وُلدتُ ، فأخبرنى : متى أموت ؟ وقد علمتُ ما عمِلتُ اليوم ، فأخبرنى : ماذا أعمل غداً ؟ وأخبرنى : متى تقوم الساعة ؟ . فأنزل الله تعالى : « إن الله عنده علم الساعة . . . » . وقد اشتملت هذه الآية على الأمور الغيبية التي اختص الله بها ، فلم يطلع عليها أحداً من خلقه ، لا ملكاً ولا نبياً مرسلًا ، وهذه الأمور خمسة :

( أ ) علم الساعة : ويراد به الوقت المحدود، الذي تقوم فيه القيامة، فإن هذا اختص الله به ، « يسألونك عن الساعة أيان مرساها ؟ قل : إنما علمها عند ربى ، لا يجليها لوقتها إلا هو » ، وفى حديث جبريل عليه السلام قال : أخبرنى عن الساعة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » .

( ب ) وإنزال المطر : قد وصل العلم الحديث إلى معرفة الأوقات التي يسقط فيها المطر ، ويكاد يحددها ؛ وكذلك وصل إلى معرفة الأماكن التي يسقط المطر فيها ، ويكاد يحددها ؛ وأكثر من هذا أنه يكاد يحدد الكميات التي تسقط هنا ، والتي تسقط هناك ! فما المراد إذن - بأن الله ينزل الغيث ؟ الغيث : ماء المطر الذى يغيث الناس ، ويرد لهفتهم ؛ فيحيي أرضهم ، ويسقى حيوانهم ، ويطفىء

ظمأهم ، وقد ينزل المطر فلا يكون غيثاً ، ولكنه يكون عيثاً يفسد ، بأن يكون سيولا تجتاح الأنخضر واليابس ، وتغطي العامر والغامر ، وتغرق الحى والميت ، وتهدم الدور والقصور ، فلا تُسبى ولا تذر ؛ والمطر مفسداً كان أو مصلحاً ينزل بتقدير الله وتدبيره ، وإرادته وعلمه ، والمطر ينزل من السحاب ، والسحاب يتكون من البخار ، والبخار يخرج من ماء البحار ، وأشعة الشمس هى التى تبخره ، والهواء هو الذى يحمله ، والرياح هى التى تسوقه هنا وهناك ، وبرودة الجو هى التى تكثفه ، ويسقط المطر بعد هذا كله على رعوس الجبال التى تعترضه ، أو فى السهول والوديان حين يشتد تكاثف الماء ، فيعجز الهواء عن حمله ، فتتدافع قطراته على الأرض . وهذه كلها أمور تنهى عند علم الله ، الذى لا يطلع عليه أحد سواه .

(ح) وعلم ما فى الأرحام : الكائنات الحية كلها أجنة فى الأصل ،

تطورت أطواراً مختلفة : الحيوان فى الأرحام ، والطير فى البيضة زمن التفريخ ، والنبات فى الحبة أو غيرها ؛ وقد ذكر الله أنه يختص بعلم ما فى الأرحام ، ولكنه فى الحقيقة يختص بعلم ما فى الأرحام وما فى غيرها من كل ما يلاقيه الجنين فى تطوراته الأولى ، ومراحل نموه المختلفة ، ثم ما سيلقى فى حياته بعد ذلك ، حين وجوده فى الدنيا ، من سعادة أو شقاء ، ومن صحة أو مرض ، ومن راحة أو تعب ، وعلم الله بذلك فوق علم الناس جميعاً ، فقد يعرف الطبيب نوع الجنين : أذكراً هو أم أنثى ؟ وقد يعرف المنجم شيئاً تصدقه فيه المصادفة المحضة ، ولكن الواقع يكذبه ، فى أشياء . فليس ذلك من علم الغيب فى شىء .

( د ) ومعرفة المستقبل : لا يعرف الإنسان ما يجري عليه بعد لحظة ، مهما بلغ من الرق العلمي ، والنضج العقلي ، ومهما حنكته التجارب ، وعركته الأيام ، وإن كهانة الكاهن ، وضرب الودع ، وقراءة الكف ، وتخطيط الرمل ، ومسارّة الأثر - كل أولئك تنجيم يجري وراءه العامة وضعاف العقول ، ليقفوا على ما سيلقون من سعادة أو شقاء ؛ وغير ذلك ؛ ولأجل أن يوهم هؤلاء الناس السذج بأنهم صادقون ، يخبرونهم ببعض ما وقع لهم فيما مضى ، فيصادف ذلك حقيقة ، فيصدقونهم في الإخبار بما سيأتي ، والواقع أنهم يخبرونهم بمسائل عامة تقع لكل إنسان في حياته ، فيغفل السامع عن ذلك ، ويصدق ما يسمع ، ويعتقد أن هؤلاء المحترفين الذين يعرفون البخت صادقون فيما يخبرون به من الغيبات ، وينسى أن هذه الأمور لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى ، فإنه هو الذى يعلم الغيب وحده ؛ ولو أن أحداً غيره يمكنه أن يعلم شيئاً من هذا ، لكان أولى بمعرفته ملك من ملائكته ، أو رسول من رسله ، ولكنهم لا يعلمون .

( هـ ) ومكان الموت : من أفضل نعم الله على الإنسان ، أنه لا يعرف الوقت الذى يموت فيه ، ويفارق الحياة ، إذ لو أن الناس عرفوا هذا ، لألقى الرعب فى قلوبهم ، ولانصرفوا عن عمارة هذه الدنيا ، وقد أراد الله لها أن تعمر ؛ فاختص الله نفسه بعلم الوقت الذى تموت فيه كل نفس ، ويعلم المكان الذى يقع عليها الموت فيه ، فإذا أدركه أجله وهو فى غير الأرض التى سبق علم الله بأنه سيموت

فيها ، ساقه الله إليها لأي سبب من الأسباب ، وهناك يموت كما  
قدّر الله له .

وبعد ، فإن هذه هي الأمور الخمسة ، قد اختص الله بها نفسه ،  
دون عباده جميعاً ، وهو عليم بها كلها علماً لا حد له ، لا يخفى  
عليه ما ظهر وما بطن .

## سُورَةُ السَّجْدَةِ

نزلت بمكة ، ما عدا الآيات التي من ١٦ - ٢٠ ، فإنها نزلت بالمدينة  
وآياتها ٣٠ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( ١ )

من الآية الأولى إلى الآية التاسعة

الْم ، تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ - ١ - . أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ؟ بَلْ هُوَ الْحَقُّ  
مِنْ رَبِّكَ ، لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ ،  
لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ - ٢ - . اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ،  
مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ، أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ؟  
- ٣ - . يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ  
فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ، ذَلِكَ عَالِمُ  
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ، الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ  
شَيْءٍ خَلَقَهُ ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلَ  
نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ، ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ  
رُوحِهِ ، وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ، قَلِيلًا  
مَا تَشْكُرُونَ - ٤ - .

## شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
<p>تراجع الصفحة ١٣ من تفسير الجزء الأول .  لا مجال للشك فيه .  أتى به من عنده ، واختلقه ، ونسبه إلى غيره .  لتخوف به جماعة .  رجاء هدايتهم .  في ستة أطوار .  ثم استولى استيلاء فيه استمکان .  من ناصر ولا شافع يشفع لكم .  أفلا تفكرون في آياته فتعتبروا وتتعضوا ؟  يصرف أمر هذا الكون كله .  ثم مرد كل أمر وتدبير إليه ، ويقع تحت علمه .  هو يوم القيامة .  مما تحسبون من أيامكم الزمنية في الدنيا .  عالم كل شيء : ما غاب وما حضر .  { أحكيم وأجاد كل شيء تولى خلقه وإنشائه ، فجاء  على الصورة التي يريد لها .  من ماء حقير ضعيف .  ثم جمّله وحسنه ، وجعله متناسب الأعضاء .</p>	<p>الم  لا ريب فيه  افتراه  لتنذر به قوماً  لعلهم يهتدون  في ستة أيام  ثم استوى  من ولي ولا شفيع  أفلا تتذكرون ؟  يدبر الأمر من السماء  إلى الأرض  ثم يعرج إليه  في يوم  مما تعدون  عالم الغيب والشهادة  أحسن كل شيء خلقه  من ماء مهين  ثم سواه</p>

الألفاظ	شرحها
ونفخ فيه من روحه قليلاً ما تشكرون	وبعث فيه الحياة . تشكرون شكراً قليلاً .

## مجممل المعنى

١ - الكتاب الذى نزل على محمد صلى الله عليه وسلم المكون من الحروف الهجائية التى تصوغون منها كلامكم - وهو القرآن - لا شك فى أنه نزل من عند الله تعالى ، من عند رب السموات والأرض وما بينهما ، ورب العالم جميعاً ، فليس هو من صنعة إنسان ، ولا ملك ولا جان ؛ وليس سحر ساحر ، ولا كهانة كاهن كما يزعم المعاندون ، وليس من أساطير الأولين ، وليس إفكاً افتراه محمد ، وأعانه عليه قوم آخرون .

٢ - وليس مفترى كما يزعمون ، وإنما هو الحق الذى أنزله الله عليه ، ليبشر به المؤمنين ، وينذر به الكافرين ، ويخوفهم سوء مصيرهم فى الدنيا والآخرة ، ويصور لهم بطش الله بهم ، وأخذه إياهم بسبب كفرهم ، هؤلاء القوم هم قريش الذين أرسلت أول ما أرسلت فيهم ، ولم يأت لهم نبي قبلك ، ولن يأتى لهم نبي بعدك ، فعطف الله عليهم بإرسالك إليهم ، رجاء أن يهتدوا ويؤمنوا .

٣ - الله الذى أرسلك إليهم ، لتصرفهم عما هم عليه من شرك وضلال ، هو الواحد القادر ، المنشئ المبدع ، وهو الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى أطوار مختلفة ، وعلى تدرج مخصوص ، وكان فى قدرته أن

يخلقها كلها مرة واحدة ، ولكنه تدرج في خلقها لتتعلم نحن من خلقه إياها في أناة ألا نتعجل ، وأن نتأمل فيما نأتى وندع ؛ وبعد أن خلق الله السموات والأرض في فترات ، وعلى أطوار مختلفة ، صيرها طوع أمره ، بالاستمكان من التصرف فيها استمكناً لا يقدر عليه أحد ؛ ولا يشاركه فيه أحد ؛ وإذا كان هو الخالق المنشئ المبدع القادر ، فهو الذى يتصرف فى خلقه كما يشاء على ما يشاء ، ولا يجد أحد من هذا الخلق كله نصيراً غيره ، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ، فيجب على الإنسان أن يفكر فيما حوله تفكير معتبر متعظ ، ليستفيد من تفكيره ، ويرجع إلى صوابه .

٤ - الله هو الذى يصرف الأمور كلها فى الدنيا ، سواء أكانت هذه الأمور فى السموات أم فى الأرض ، أم فيما بين السماء والأرض ، وسواء أكانت ظاهرة أم خفية ، ثم ينتهى الأمر كله إليه فى يوم القيامة ، ذلك اليوم الطويل العسير ، الذى يحاسب فيه كل إنسان على ما عمل فى الدنيا من خير أو شر ، وهو يوم يدبّر الله فيه ما يتصور الإنسان أنه يدبّر فى ألف سنة من سنى الحياة الدنيا ؛ والله الذى يصرف كل هذه الأمور ، هو الذى يعلم ما يغيب عن الخلق وما يحضرهم ، ويفرق بين خيرهم وشرهم ، ويجازى بالإحسان إحساناً ، وبالسوء سوءاً ، وهو العزيز الذى لا يُغلب ، الرحيم لمن يستحق أن يُرحم ، الذى خلق كل شىء فأحسن خلقه ، وصنعه على ما أراد ؛ بحيث لا يستطيع أحد أن يخلق مثله على صورته وهيبته ، وهو الذى خلق أول إنسان - وهو أبونا آدم - من طين ، من مادة ميتة ، وجعله فى أحسن تقويم ، ثم تناسل الإنسان كما يتناسل غيره من الحيوان ، وجعل تناسله من مادة حقيرة مهينة ضعيفة ، ولكن الذى قدر على بعث الحياة فى الإنسان الأول المصور من الطين ، قادر



على أن يخلق من الماء المهين الضعيف الأناسىّ جميعاً ؛ وبعد أن سوى  
الله آدم وقومه ، بعث فيه الحياة ، وجعل من تناسلوا منه يتمتعون بما  
أنعم عليهم من سمع وبصر وعقل ، ومع كل هذا فإن شكر الإنسان ربه  
على ما أولاه من نعم كثيرة ، قليل جداً بالنسبة لعظيم النعم .

من الآية ١٠ إلى الآية ٢٢ من سورة السجدة

وَقَالُوا : أَيْنَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ، أَيْنَا لَفِيَ خَلْقٍ  
جَدِيدٍ ؟ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ -١- . قُلْ : يَتَوَفَّاكُمْ  
مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ، ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ  
-٢- . وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ  
رَبِّهِمْ ، رَبَّنَا ، أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ، فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا  
إِنَّا مُوقِنُونَ -٣- . وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ،  
وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي : لِأَمَلَانٍ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ  
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ -٤- . فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ  
هَذَا ، إِنَّا نَسِينَاكُمْ ؛ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ  
تَعْمَلُونَ -٥- . إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا  
خَرُّوا سُجَّدًا ، وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ، وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ  
-٦- . تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ؛ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ  
خَوْفًا وَطَمَعًا ؛ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ -٧- . فَلَا تَعْلَمُ  
نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ  
-٧- . أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا ؟ لَا يَسْتَوُونَ :

أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ  
 نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ  
 النَّارُ ، كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ، وَقِيلَ  
 لَهُمْ : ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ - ٩ .  
 وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ،  
 لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ - ١٠ . وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ  
 ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ؟ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ - ١١ .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها .
ضللنا في الأرض أثنا لى خلق جديد ؟ كافرون وكل بكم	متنا ودفننا فيها واختلطنا بترابها . أنبعث ونعود خلقاً جديداً ؟ منكرون . عهد إليه قبض أرواحكم .
إلى ربكم ترجعون ناكسو رءوسهم عند ربهم	تبعثون يوم القيامة ، ليحاسبكم ربكم على ما قدمتم { من عمل . مطأطئون رءوسهم ذلاً وخجلاً وندماً . عند محاسبة ربهم إياهم .
أبصرنا وسمعنا	{ تكشّف لنا الحق ، ورأينا بأعيننا ما كنا نكذب به ، وسمعنا بأذاننا صواب ما كنا نخطئه .

شرحها	الألفاظ
<p>فأعدنا إلى الدنيا لنؤمن بك وبرسلك ، ونعمل عملاً صالحاً .</p>	<p>فارجعنا نعمل صالحاً</p>
<p>إنا أصبحنا مؤمنين إيماناً لا يتسرب إليه شك ، بأن البعث حق ، والحساب حق .</p>	<p>إنا موقنون</p>
<p>لهيأنا لها سبيل الهداية ، وقدرناها لها ، فاهتدت . وجب القول مني ، وأنا أعلم بما سيكون من بني آدم . فقاسوا العذاب بسبب عدم إيمانكم بيوم البعث .</p>	<p>لآتيننا كل نفس هداها حق القول مني فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا</p>
<p>إنا تركناكم تقاسون العذاب ، ترك المنسى الذي لا يفكر فيه أحد . العذاب الدائم . بسبب كفركم وعصيانكم .</p>	<p>إنا نسيناكم عذاب الخلد بما كنتم تعملون</p>
<p>إذا وُعظوا بآيات الله تأثروا تأثراً شديداً ، وسجدوا لله شاكرين على ما منحهم من نعمة الإيمان . ونزهوا ربهم عما يصفه الكافرون به ، وجعلوا مع تسييحهم حمداً وثناء .</p>	<p>خرّوا سجداً وسبّحوا بحمد ربهم</p>
<p>وهم لا يترفعون عن الإيمان بالله والسجود له . تبتعد جنوبهم عن قُرُشهم ، وتتنحى عن أماكن نومهم .</p>	<p>وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع</p>
<p>يدعون الله خائفين من عذابه ، طامعين في رحمته وثوابه .</p>	<p>يدعون ربهم خوفاً وطمعاً</p>

الألفاظ	شرحها
وما رزقناهم ينفقون	ويتصدقون على مستحقى الصدقة مما أعطاهم الله ورزقهم .
ما أخفى لهم من قرة أعين	الذى حفظه الله لهم عنده من جليل الثواب الذى يسرهم .
لا يستنون	ليسوا فى ميزان واحد ، وليسوا متساوين ولا متكافئين .
جنات المأوى	أرفع درجات الجنة يأوون إليها .
نزلاً بما كانوا يعملون	عطاء مهياً جزاء لهم على ما قدموا من الصالحات .
فأوأهم النار	فصيرهم النار ينتهون إليها ، ويصيرون فيها .
من العذاب الأدنى	من عذاب الدنيا .
دون العذاب الأكبر	دون عذاب الآخرة .
ثم أعرض عنها	ثم لم يستمع إليها ، ولم يتدبر معانيها .

### مجمل المعنى

١ - يقول الكافرون : أنبعث خلقاً جديداً بعد أن نموت ، وندفن فى الأرض ، وتتحلل أجسامنا وتنفى ، وتختلط بالتراب ؟ ! يقولون هذا وينكرونه ، وليس ذلك منهم إنكاراً لقدرة الله ، ولكنه إنكار للبعث والحساب ، والثواب والعقاب .

٢ - أمر الله نبيه أن يقول لهؤلاء الذين ينكرون البعث والحساب ، والثواب والعقاب : إن ملك الموت الموكَّل بقبض أرواحكم يتوفاكم جميعاً ، وفى يوم القيامة ترجعون إلى الله مبعوثين خلقاً جديداً

٣- وإن هذا المجرم الكافر الذى يكذب برسالات ربه ، ما موقفه حينما يرى زملاءه من المجرمين مطأطين الرؤوس خجلاً وحياء ، وندماً على ما فرط منهم فى الدنيا، عند محاسبة الله لهم على ما قدموا من عمل؟! وما موقفه حينما يراهم يقولون : ربنا إنا رأينا بأعيننا صدق وعدك ووعيدك ، وسمعنا صواب ما كنا نكذبه ولا نؤمن به ؛ ثم يسألون الله أن يعيدهم إلى الدنيا ليحيوا فيها حياة جديدة ، يتداركون فيها ما فاتهم ، فيؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله ، ويعملون صالح الأعمال ، لأنهم أيقنوا إيقاناً لا يداخله أى شك ، فى أن ما أتى به رسل الله صحيح ، وأن البعث حق ، والحساب حق ، وأن الجنة والنار حق ، وأن الثواب والعقاب حق .

٤- ولو أراد الله أن يجعل جميع الناس على هدى صحيح لفعل ، ولكن الله قدر فى سابق علمه أن من الناس مؤمناً وكافراً ، مهتدياً وضالاً ، سعيداً وشقيئاً ، وقدر فى سابق علمه أن المؤمن المهدي سعيد ، وأن الكافر الضال شقي ، وجب عليه العذاب ، إنساناً كان أو جنناً ، مأواه جهنم وبئس المصير .

٥- ويقال لهم إذ ذاك تبكيتاً لهم : ذوقوا عذاب جهنم ، وتقلبوا فى نارها ، بسبب نسيانكم هذا اليوم ، وعدم إيمانكم بالبعث ، وكلما اشتد عليهم العذاب بلحوا إلى الله أن يرفعه عنهم ، ويعيدهم إلى الدنيا ليؤمنوا ويوحدوا ، فيرد عليهم على سبيل الاستهزاء والاستخفاف بهم : إنا نسيناكم ، وتركناكم تقاسون العذاب ترك المنسى الذى لا يفكر فيه أحد ، ولا يخطر على بال أحد ، وستظلون منسيين ، تتقلبون فى هذا العذاب الشديد تقلباً دائماً لا نهاية له ، جزاء ما كفرتم وكذبتم .

٦- الذين يؤمنون بآيات الله إيماناً صحيحاً ، هم الذين تخشع قلوبهم لذكر الله ، وإذا سمعوا آياته أو شيئاً منها وجلت قلوبهم ، وامتألت خشية وهيبة ،

ومجدوا لله خاضعين خاشعين ، واختلطت تسبيحهم له بحمدهم إياه ، فقالوا مثلاً : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله والحمد لله ، ولم يستكبروا عن عبادته بصلاة وصيام وحج وزكاة، وبغير ذلك من كل ما يمكن أن يدخل في باب العبادة من قول وعمل .

٧ — هؤلاء الناس يقومون الليل إلا أقله ، متعبدين متبهجين ، فهم في أوله يصلون المغرب وينتظرون العشاء ، وفي آخره يستيقظون سحرًا ، ويهجرن مضاجعهم وينتظرون صلاة الصبح في تسبيح وتحميد ، وبذلك تكون جنوبهم تجافت عن مضاجعهم أوائل الليل وأواخره ، والناس الذين أشربت قلوبهم حب الإيمان ، وعكفوا على العبادة ، إذا ذكروا الله في يقظة ، أو مرّ بخاطرهم في نوم ، ظهر عليهم أثر الإيمان والخوف من الله ، وتمثلوا هول الحساب ، فأخذهم الخوف والفرع ، ولو أرادوا أن تطمئن جنوبهم في مضاجعها ، لما استقرت من خشية الله ؛ هؤلاء الناس يدعون الله كلما سنحت فرصة للدعاء ، يخافون عذابه ، ويطمعون في ثوابه ، ويتصدقون طائعين مما رزقهم الله ، طمعاً في رضا الله .

٨ — هؤلاء الذين يذكرون الله دائماً ثواب عظيم عند الله ، هذا الثواب لا يعرف حقيقته أحد كائناً من كان ، إنساً أو جنّاً أو ملكاً ، وهو ثواب لم تقع على مثله عين ، ولم تسمع بمثله أذن ، ولم تخطر حقيقته على قلب بشر ؛ وهذا كله جزاء لما كانوا يعملون في الدنيا من صالح الأعمال .

٩ — تخاصم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، والوليد بن عُقبة بن أبي مُعيط ، فقال له الوليد : أنا أبسط منك لساناً ، وأحدّ سناناً ، وأملأ في الكتيبة جسداً . فقال له عليّ : اسكت فإنك فاسق ، فنزل قوله تعالى : « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً ؟ ! لا يستون » ، وفي هذه الآية الكريمة ينكر

الله أن يكون المؤمن والفاسق في درجة واحدة ، فهما لا يستوانان ، إذ المؤمن يرضى الله عنه ، ويدخله الجنة يوم القيامة ، والفاسق يغضب الله عليه ، ويدخله جهنم يوم القيامة ، وشتان ما بين المصيرين ! وما أبعد ما بين النهائيين ! : فإن الذين آمنوا بالله ورسله إيماناً صحيحاً ، يأوون في الآخرة إلى الجنة ، وينزلون أرفع الدرجات ، في رحاب الله العزيز الحميد ؛ وأما الذين يكفرون بالله ، ويعصون رسول الله ، فإنهم يقيمون في نار جهنم إقامة مؤبدة ، وكلما حاولوا أن يخرجوا منها لا يجدون سبيلاً إلى الخروج ، وقد يدفعهم لها إلى أعلاها ، فيظنون أنه سيُقذف بهم إلى خارجها ، ولكنهم لا يلبثون أن يهبطوا إلى قرارها ، ويقول لهم خزنتها وحرّاسها على سبيل التبكيت والشماتة : ذوقوا هذا العذاب الذي توعدكم به نبيكم ، حينما كنتم تكذبونه ، وتصرون على هذا التكذيب .

١٠- هؤلاء الفاسقون الخارجون عن طاعة الله ، المتمردون على أنبيائه ، المنكرون لرسالاته ، لن يتركهم الله في الدنيا ينعمون بما يشتهون ، ويُجرون الحياة على ما يهوّون ، ولكن الله يقدر لهم عذاباً في الدنيا يصيبهم ، وينغص عليهم عيشتهم ، وهذا العذاب يكون بمصائب الدنيا تترادف عليهم ، فتصيبهم الأمراض ، أو يفقدون الأولاد ، أو يتلف زرعهم ، أو تهلك ماشيتهم ، أو يُهزمون في حرب ، أو يصابون في عرض ، أو غير ذلك من الأمور التي تقض مضاجعهم في الليل ، وتكثر همومهم في النهار ، لعله أن يكون في ذلك كله أو في بعضه موعظة لهم وعبرة ، فإذا لم يتعظوا ولم يعتبروا ، فإنهم يخرجون من هذا العذاب باموت ، ويخلصون منه إلى عذاب آخر أشد وأقسى ، هو عذاب الآخرة حيث يخلّدون في جهنم انتقاماً منهم .



١١- والذين يكذبون بآيات الله وقرآنه ، ولا يؤمنون بما جاء به رسوله ، هم أظلم الناس لأنفسهم ، لأنه كان من مقتضى وضوح ما جاء به القرآن ، ودلالته الدلالة القاطعة على أنه من عند الله، وعلى أن محمداً صادق في كل ما جاء به ، كان من مقتضى هذا كله ألا يكذب عاقل ، أمّا وقد كذب بعض الناس ولم يصدقوا - عناداً واستكباراً - فتسببوا لأنفسهم في العذاب ، فإنهم يكونون بذلك قد ظلموا أنفسهم أبلغ الظلم وأشدّه ، ويؤكد الله أنه سينتقم منهم ، ويجازيهم على تكذيبهم .

( ٣ )

من الآية ٢٣ من سورة السجدة إلى آخر السورة

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ، فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ  
مِنْ لِقَائِهِ ، وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ -١- . وَجَعَلْنَا  
مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ، وَكَانُوا بِآيَاتِنَا  
يُوقِنُونَ -٢- . إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ -٣- . أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ : كَمْ  
أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ ؟ إِنَّ  
فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ ، أَفَلَا يَسْمَعُونَ ؟ -٤- . أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا  
نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ، فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ  
مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ ، أَفَلَا يُبْصِرُونَ ؟ -٥- . وَيَقُولُونَ :  
مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ؟ -٦- . قُلْ : يَوْمَ  
الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ ، وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ  
-٧- . فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ ، وَانْتَظَرِ ، إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ -٨- .

## شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
التوراة .	الكتاب
في شك .	في مرية
من تلقى موسى الكتاب .	من لقائه
وجعلنا التوراة المنزلة على موسى هداية لقومه .	وجعلناه هدى لبنى إسرائيل
قادة : يقودون ويقتدى بهم .	أمة
يدعون الناس إلى الهدى بأمر الله .	يهدون بأمرنا
كانوا يؤمنون بما جاء في التوراة إيماناً راسخاً ،	وكانوا بآياتنا يوقنون
لا تشوبه رائحة من شك .	يفصل بينهم
يحكم بين الأنبياء وأتباعهم ، وبين مكذبيهم .	أو لم يهد لهم
أو لم يبين الله لهم ؟	كم أهلكتنا قبلهم من
أبدنا كثيراً من الأمم التي قبلهم ، يغدون ويروحون	القرن يمشون في مساكنهم
(في ديارهم ، ويرون آثارهم .	إن في ذلك لآيات
إن في تلك الآثار لعبراً وعظات .	إلى الأرض الجرز
إلى الأرض اليابسة الصالحة للزراعة ، ولكنها	الفتح
لا زرع فيها .	يوم الفتح
الحكم والفصل .	ولا هم ينظرون
يوم القيامة .	فأعرض عنهم
ولا هم يمهلون ويؤخرون .	
فلا تهم بهم ولا بكلامهم ، وكأنك لم تسمع ولم	
يقولوا .	

## مجمل المعنى

١ - يخبر الله - سبحانه وتعالى - محمداً - صلى الله عليه وسلم - أنه نزل على موسى - عليه السلام - التوراة كما نزل عليه القرآن ، وأنه سيلقى موسى رسول الله في إسرائته أو في يوم القيامة ، وأنه جعل موسى والتوراة التي جاء بها هداية لبنى إسرائيل ، كما أن القرآن هداية للناس جميعاً .

٢ - وجعل الله من بنى إسرائيل أئمة ، درسوا التوراة ، ووقفوا على ما فيها ، ونصبوا أنفسهم لهداية الناس وإرشادهم ، ودعوتهم إلى طاعة الله ، على نحو ما رَسَمَ في التوراة ، فيبتدون بإذن الله حين صَبَرِهِم على سماع النصيح . وتجردهم من ملاهى الدنيا ، فتسلم عقيدتهم ، ويصير إيمانهم إيماناً يقينياً ، لا يتطرق إليه الشك .

٣ - ويؤكد الله لنيه محمد ، أنه هو الذى يفصل بين جميع خلقه يوم القيامة ، ويحكم بينهم حكماً عادلاً ، فيثيب المحسن ، ويعاقب المسيء ، ويدخل الجنة الذين آمنوا برسله ، واعترفوا بالبعث والحساب والثواب والعقاب ، والذين كذبوا رسله ، وأنكروا ما جاءوا به ، يدخلهم النار .

٤ - كان على هؤلاء الكفار الذين لم يؤمنوا بك يا محمد ، أن يتعظوا بما حصل للذين من قبلهم من الأقوام الذين أرسل الله إليهم رسله ، فكذبوهم ولم يؤمنوا بهم ، فأهلكهم ؛ وذلك مثل قوم نوح وهود وصالح ، فإنهم لما كذبوا رسلهم أهلكتهم الله ، فأغرق بعضهم بالطوفان ، وبعضهم بالريح والعواصف ، وبعضهم بالبراكين والزلازل ؛ وقوم محمد في أثناء رحلاتهم للتجارة أو غيرها إلى الشام أو إلى اليمن ، مروا بآثار هذه الأمم ، وعرفوا أخبارهم ، ووقفوا على سبب إهلاكهم ، فكان عليهم أن يعتبروا بذلك ،

لأن في هذه الآثار عبرة وموعظة لذوى العقول البصيرة الواعية .

٥ — وإن من دلائل قدرة الله ، أنه يسوق السحاب ، وينزل المطر ، فتتكون الأنهار والبحيرات ، ويُروى هذا الماء الأرض الباسية الصالحة للزراعة ، فتخرج فيها المراعى التى ترعاها الإبل والغنم وغيرها من الماشية ، وتُخْرِج الحبّ والفاكهة والخضر والبقول ، فيتغذى منها الإنسان ؛ فهل يفكر هؤلاء الذين لا يؤمنون بك وبرسالتك فى هذا كله ، فيتعظوا ؟

٦ — وهؤلاء الكافرون المكذبون لا ينتهون عند كفرهم وتكذيبهم ، ولكنهم يقولون على سبيل التّهمك : متى يكون اليوم الذى يحكم الله فيه بيننا وبينك يا محمد ؟ ! ومتى يكون هذا اليوم الذى نعدّب فيه ، وتنعم أنت ومتبعوك فيه ؟ ! إن كنتم صادقين فخبرونا عن موعد هذا اليوم .

٧ — أمر الله نبيّه أن يخبرهم أن هذا اليوم آت لا ريب فيه ، وستنزعجون أيها الكفار وتفزعون حين ترونه ، فتريدون أن تؤمنوا ، ولكن لا ينفعكم إيمانكم هذا ، فقد فات أوانه ، وإن تمهلوا ولا تؤخروا .

٨ — وأمره كذلك أن يُعرض عن هؤلاء الذين يستعجلون يوم الحكم ، ويريدون أن يعرفوا مواعده ، وألا يستمر فى مُحاجّتهم فإن قلوبهم مغلقة ، وأن ينتظر ما يفعله الله بهم ، وهم ينتظرون ما توعدهم الله به من عذاب .

## سُورَةُ الْأَخْزَابِ

نزلت بالمدينة ، وآياتها ٧٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الثالثة

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ، اتَّقِ اللَّهَ ، وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ،  
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا -١- . وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ  
مِنْ رَبِّكَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا -٢- .  
وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا -٣- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
اتق الله ما يوحى إليك من ربك وكفى بالله وكيلاً	داوم على تقوى الله . القرآن . وكفى الله حافظاً لك ، موكولاً إليه جميع الأمور .

## صفاقة الكفار

رُوي أن أبا سُفيان ، وعِكرمةَ بن أبي جهل ، وأبا الأعور السلمى ، قدموا إلى المدينة بعد غزوة أحد ، فترلوا على عبد الله بن أبي رأس المنافقين ، والجَدَّ ابن قيس ، ومُعْتَب بن قُشير ، وطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمنحهم أماناً على ما يتحدثون به إليه ، فلما منحهم الأمان قالوا له : نسألك أن ترفض ذكر آلهتنا ، وأن تقول : إنها تنفع وتشفع ، ونحن ندعُك وإهلك ، وآزرهم المنافقون فيما يطلبون ، فغضب عمر بن الخطاب ، وقال : ائذن يا رسول الله في قتلهم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا قد أعطيتهم الأمان ، فقال لهم عمر : اخرجوا في لعنة الله وغضبه ، فأمرهم النبي أن يخرجوا من المدينة ، فخرجوا ، ونزل قوله تعالى : « يا أيها النبي ، اتق الله ، ولا تطع الكافرين والمنافقين ... »

## مجمل المعنى

- ١ - يا أيها المبلغ عنا ، المأمون على رسالتنا ، اثبت على تقوى الله وداوم عليها ، ولا تطع الكافرين من أهل مكة المجاهرين بالكفر ، ولا المنافقين من أهل المدينة المضميرين له ، فيما يخالف شريعتك ، إن الله كان عليماً بنخب طواياهم ، حكماً فيما يأمر به وينهى عنه .
- ٢ - واتبع القرآن الذى يوحى إليك من ربك فى كل ما تأتى وتذر ، وفى الثبات على التقوى ، وترك طاعة الكفار والمنافقين ، إن الله كان عليماً بأعمالكم وأعمالهم ، خبيراً بمكائد أعداء الإسلام وسوء نياتهم .
- ٣ - وفوض جميع أمورك إلى الله ، فإنه كفيل أن يرد عنك عادية العادين ، ويحفظك من شرور المفسدين ، ويقيك كيدهم ومكرهم ، وكفى به حافظاً ، فإنه نعم المولى ونعم النصير .

( ۲ )

من الآية ٤ إلى الآية ٦ من سورة الأحزاب

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ، وَمَا جَعَلَ  
أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ، وَمَا جَعَلَ  
أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ، ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ، وَاللَّهُ  
يَقُولُ الْحَقَّ ، وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ - ١ - . ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ،  
هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ، فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ  
فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ، وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ  
بِهِ ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا  
- ٢ - . النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَأَزْوَاجُهُ  
أُمَّهَاتُهُمْ ، وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ  
اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ ، إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ  
مَعْرُوفًا ، كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا - ٣ - .



## شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
تُظَاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أديعاءكم أبناءكم	تقولون للواحدة منهن : أنتِ عليّ كظهر أمي . كالأمهات في التحريم . لم يجعل الله المتبنّي ابناً حقيقياً ، والأديعاء : جمع دعيّ ، وهو الذي يُدعى لغير أبيه .
ذلكم قولكم بأفواهكم	قولكم هذا أيها اليهود المنافقون ، تقولونه بأفواهكم ، ولا حقيقة له .
يَهْدِي السبيل أقسط ومواليكم جناح	يَهْدِي إلى طريق الحق . أعدل . وأولياؤكم في الدين . إثم وذنب .
وأزواجه أمهاتهم أولو الأرحام بعضهم أولى ببعض إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً	وأزواج النبي كأمهات المؤمنين في احترامهن ، وعدم جواز زواجهن . ذوو القربات . بعضهم أولى ببعض في التوارث . إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم في الدّين وصية .

## ذو القلبين ، وبعض عادات الجاهلية

كان جميل بن معمر من الكفار من أحفظ العرب ، وكان يقال له :  
ذو القلبين ، وكان يزعم أن له قلبين يعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد ، فلما  
هزِمَ المشركون يوم بدر ومعهم جميلُ بن معمر ، رآه أبو سفيان ، وقد علق  
إحدى نعليه في يده ، والأخرى في رجله ، فقال له أبو سفيان : ما حال الناس؟  
قال : انهزموا ، قال : فما بالُ إحدى نعليك في يدك ، والأخرى في رجلك ؟  
قال : ما شعرت إلا أنهما في رجلي ، فعرف الناس أنه لو كان له قلبان لما  
نسيَ نعله في يده .

وكان الرجل في الجاهلية يقول لزوجته : أنت عليّ كظهر أمي فتطلّقت ،  
فحرم هذا في الإسلام ، (تراجع الصفحات التي من ٣ - ٧ من تفسير جزء  
« قد سمع » ، لواضعي هذا التفسير) .

ولما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنة عمته : زينب بنت جحش - كما  
سيأتى في هذه السورة - وكانت زينبُ زوجة لزيد بن حارثة ، الذي تبناه  
رسول الله قبل البعثة ، وكان من سبي الشام ، سبته جماعة من تهامة وهو صبي ،  
فاشتراه حكيمُ بنُ نخزَام ، ووهبه لعمته خديجة بنت خويلد ، فلما تزوجها  
محمد وهبته له ، ثم جاء أبوه وعمه يرغبان في فدائه ، فقال لهما محمد :  
خيرّاه ، فإن اختاركما فهو لكما بدون فداء ، فاختار الرقّ مع محمد ، فأعتقه  
وتبناه ، وكان التبنّي فاشياً في العرب قبل الإسلام ، يُتوارث به ويُنْتَصَر ،  
فلما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة زيد ، قال اليهود والنصارى  
والمنافقون : تزوج محمد زوجة ابنه وهو ينهى عنه ، فتزل قوله تعالى بسبب  
كل ما ذكرناه : « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه . . . » ، إلى آخر الآية .

## مجمل المعنى

١ - لم يخلق الله لإنسان قلبين في جوفه ، لأن هذا يخالف سنة الطبيعة ، وما جعل الزوجات اللاتي يقول الزوج لإحداهن : أنت على كظهر أمي بمنزلة الأم الحقيقية ، بمجرد قوله هذا ، وما جعل من تتبنون من الأولاد بمنزلة الأبناء ، كما يزعم اليهود والمنافقون ، فإن ادعاء وجود قلبين في جوف واحد ، وقولكم لزوجتكم : أنت على كظهر أمي ، وزعمكم أن الدعوى المتبنى بمنزلة الابن ، كلام تقولونه بألسنتكم ، ولا حقيقة له في الوجود ، والله يقول ما هو حق في ظاهره وباطنه ، وهو الذي يهدى إلى سبيل الحق ؛ فدعوا هذا الباطل ، واستمعوا إلى صوت الحق الذي لامراء فيه .

٢ - هذا الحق ، هو أن تنسبوا المتبنين إلى آبائهم ، فإنه أولى وأعدل ، ووضع للشيء في موضعه ، فإن جهلتم آباءهم ، نسبتموهم إلى وآلائهم ، فتقولوا : هذا مولى فلان ، فإن لم يكن لهم وآلاء معروف ، فقولوا : هذا أخي - أى في الدين - وليس عليكم ذنب فيما أخطأتم به عن غير عمد ، أو فعلتموه قبل النهى أو بعده نسياناً ، أو سبق لسان ، ولكن عليكم الإثم فيما تعمدت به قلوبكم بعد النهى عنه ، كأن تنسبوا رجلاً إلى غير أبيه عمداً ؛ وكان الله غفوراً رحيماً ، لا يؤاخذكم بالخطأ ، أو النسيان ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « من ادعى إلى غير أبيه - وهو يعلم أنه غير أبيه - فالجنة عليه حرام » ، وقال : « وضع عن أمي الخطأ والنسيان ، وما أكرهوا عليه » .

٣ - النبي أحق بالمؤمنين في كل شيء من أمور الدين والدنيا ، وحكمه أنفذ عليهم من حكم أنفسهم عليهم ، فعليهم أن يبذلوها دونه ، ويجعلوها فداءه ،

وهو أرف الخلق بهم ، وأعطفهم عليهم ، فيجب أن يكون أحب إليهم من أنفسهم ؛ وأزواجُ النبي منزلاتٌ منزلة أمهات المؤمنين ، في تحريم زواجهن ، وفي استحقاق تعظيمهن ؛ وذوو القربات بعضهم أحق ببعض في الإرث في القرآن في آيات الموارث ، من المؤمنين والمهاجرين ، فالإرث بحق القرابة أولى من الإرث بحق التدين والهجرة ، الذي كان في أول الإسلام وعقب الهجرة ؛ فإنه لما قدم المهاجرون إلى المدينة ، آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم وبين الأنصار ، فكان كل منهم يرث الآخر بحق الأخوة في الدين ، ثم نسخ هذا ، ويستثنى من ذلك ما تفعلونه أيها المؤمنون من المعروف إلى أوليائكم من المؤمنين والمهاجرين ، فيجوز لكم أن توصوا لمن أحببتم منهم ، ويكون ما تفعلونه بالوصية لا بالميراث ، وإن ما ذكر من توارث ذوى القربات ، مسطور واضح في كتاب الله .

( ٣ )

من الآية ٧ إلى الآية ٨ من سورة الأحزاب

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ، وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ ،  
وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا  
غَلِيظًا ، لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ، وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ  
عَذَابًا أَلِيمًا .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ميثاقهم	عهودهم بتبليغ الرسالة ، والدعوة إلى عبادة الله وحده .
ميثاقاً غليظاً	عهداً مؤكداً .
ليسأل الصادقين عن صدقهم	ليسأل الله يوم القيامة هؤلاء الرسل الصادقين عما بلغوه .

### مجمل المعنى

واذكر يا محمد حين أخذنا الموائيق والعهود من النبيين ، بأن يقوموا بتبليغ الرسالة ، والدعوة إلى عبادة الله وحده ، ونبذ ما عداه ، - أخذنا هذه الموائيق والعهود منك ومن نوح ، ومن إبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ،

وأخذنا منهم عهداً مؤكداً ، وميثاقاً شديداً ، بالوفاء بما حملوه إلى أمهم ،  
أخذ الله هذه المواثيق والعهود ، ليسأل يوم القيامة هؤلاء الأنبياء الذى  
صدقوا فيما عاهدوا الله عليه ، أنهم بلغوا رسالات ربهم ، ويسألهم عما  
أجاب به قومهم ، ونظير هذا قوله تعالى : « يوم يجمع الله الرسل ، فيقول :  
ماذا أجبتم ؟ » ، وأعدنا للكافرين عذاباً مؤلماً وجيعاً ؛ وخصّ الله هؤلاء  
الخمسة من الأنبياء بالذكر تفضيلاً لهم - قال تعالى : « تلك الرسل  
فضلنا بعضهم على بعض » - ولأنهم أولو عزم ، وأرباب شرائع ، قال  
تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك ، وما  
وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى : أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

## غزوة الأحزاب أو الخندق ، فى السنة الخامسة للهجرة

وهى مذكرة فى الآيات التى من ٩ - ٢٧ من سورة الأحزاب

١ - كان اليهود بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ، أشد  
كراهة له من قريش ، ولا سيما بعد إجلائه بنى النضير : فأخذوا يؤلبون  
القبائل العربية على محاربة المسلمين ؛ خرج جماعة منهم على رأسهم حُيِّ  
ابن أخطب إلى قريش بمكة ، وحرصوهم على الاشتراك معهم فى محاربة  
محمد وأصحابه ، ثم ذهبوا إلى قبائل غطفان ، وبنى مُرّة ، وبنى عامر ،  
وبنى فزارة ، وأشجع ، وسليم ، وإلى كل من لهم ثأر عند المسلمين ،  
فأخذوا يحرضونهم على الأخذ بثأرهم ، ويذكرون لهم موافقة قريش على  
إعلان الحرب ، وبهذا استطاعوا أن يؤلبوا جمعاً حاشداً ، كان مؤلفاً من  
نحو ستة آلاف من قريش ، على رأسهم أبو سفيان ، وخرج عدد كبير

من غطفان ، وبنى فزارة ، وبنى مُرّة ، وبنى عامر ، وأشجع ، وسليم ،  
وانحاز إليهم بنو سعد وبنو كنانة وأسد ، فصار هؤلاء الأحزاب أكثر  
من عشرة آلاف مقاتل ، قصدوا جميعاً إلى المدينة تحت راية أبي سفيان ،  
فلما وصلوا إليها تداول زعماء هذه القبائل في الرياسة عليهم في أثناء الحرب ،  
فاتفقوا على أن يكون لكل زعيم يومٌ على التوالي .

ب- بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالمدينة ، فهاهم ما سمعوا عن  
هؤلاء الألوף المؤلفة ، من جند وخيل وإبل وميرة ، وعدة وذخيرة ، وكان  
سلمان الفارسي رضي الله عنه يعرف من أساليب الحرب حين كان  
بفارس ، ما لم تكن تعرفه العرب ، فأشار عليهم بحفر خندق حول المدينة ،  
فعمل المسلمون بنصيحته ، وحفروا حول المدينة خندقاً ، اشترك في حفره ،  
وفي حمل التراب منه ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى لقد كان الغبار  
يغطيهم ، وتباطأ عن العمل في حفره رجال من المنافقين ، معتذرين بالضعف  
عن العمل ، وجعلوا يتسللون إلى أهليهم ، بغير علم من رسول الله ولا إذن  
منه ، وتم حفر الخندق في ستة أيام ، وأخلت المساكن التي كانت قريبة  
من الخندق .

ج- أقبلت قريش ومن معها من الأحزاب ، ففاجأهم الخندق ، وعاقهم عن  
المحجم على المدينة ، ورأوا أن لا سبيل إلى اجتيازه ، فعسكروا خلفه ،  
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة آلاف من المسلمين ،  
وجعلوا ظهورهم إلى سلع : ( جبل بالمدينة ) ، فأقام هناك مُعسكره ،  
والخندق بينه وبين طوائف الأحزاب ، وتبادل الفريقان التواقيع بالبال  
عدة أيام .

د- كان ذلك في الشتاء ، والبرد قارس ، وكانت الأحزاب تظن أن سيحاربون

زماً يسيراً يقضون فيه على المسلمين ، ثم يعودون فائزين مكلاين بأكاليل النصر ، ففوجئوا بما لم يكونوا يتوقعونه ، ورأى حُحي بن أخطب أن هذه الفرصة إن أفلتت ، فلن تعود ، فقصده كعب بن أسد سيد بني قريظة من اليهود - وهم على مقربة من المدينة ، في الجنوب الشرق منها - وبينهم وبين المسلمين معاهدة ، فأخذ حُحي بن أخطب يذكر لكعب بن أسد ما أصاب اليهود من محمد ، وما ينتظر أن يصيبهم منه ، إذا لم تنجح الأحزاب في القضاء عليه ، وطلب منه أن ينقض عهد المسلمين ، ويقطع الميرة والمدد عنهم ، ويفتح الطريق للأحزاب من ناحيتهم ، وما زال به حتى أسلس له قيادته ، وتحركت فيه النُّعرة اليهودية ، فقبل ما طلبه حُحي ، ونقض المعاهدة ، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله من عهد .

هـ - اتصل برسول الله والمسلمين انضمامُ بني قريظة إلى الأحزاب ففزعوا ، وأرسل إليهم وفداً منهم سعدُ بن معاذ سيد الأوس حلفائهم ، فأخذ اليهود يخوضون في أمر الرسول ، وقال كعب : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد ، وتشاتم الفريقان ، وخرج سعد بن معاذ غضبان أسفاً .

و - عاد حُحي بن أخطب إلى الأحزاب ، وأخبرهم بانضمام بني قريظة إليهم ، على أن يمهلهم عشرة أيام ، تُعد فيها عدتها ، وألفت الأحزاب ثلاث كتائب ، فكانت كتيبة ابن الأعور السلمي من فوق الوادي من جهة الشرق ، وكتيبة عيينة بن حصن الفزاري من أسفل الوادي من جهة الغرب ، وأقام أبو سفيان على كتيبته أمام الخندق .

ز - اشتد الفرع بالمسلمين ، وبلغت القلوب الحناجر ، وزلزلوا زلزالاً شديداً ، فقد أتاهم العدو من فوقهم ومن أسفل منهم ، وظن أهل المدينة كل ظن ،



وأبدى المنافقون ما كانوا يضمرونه من الكيد للمسلمين ، قال أحدهم :  
كان محمد يعدنا أن نستولى على كنوز كسرى وقيصر ، وإنّ أحدنا  
لا يأمن على نفسه أن يخرج ليتبرز ، وقال آخر للرسول على ملاً من قومه : إن  
بيوتنا عورة ، معرضة لهجمات العدو ، فأذن لنا أن نرجع إلى دورنا لندافع  
عنها ، وسمت الروح المعنوية في الأحزاب ، حتى اندفع جماعة منهم ،  
فقصدوا مكاناً ضيقاً من الخندق ، فاجتازوه بخيلهم ، منهم عمرو بن  
عبد ود العامري ، الذي كان يُعد بألف فارس ، وعكرمة بن أبي جهل ،  
حتى صاروا بين الخندق وسلع ، فخرج من صفوف المسلمين على بن  
أبي طالب كرم الله وجهه ، فبارز عمرو بن عبد ود فقتله ، وولى  
الأدبار رفقاؤه .

ح— رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلجأ إلى الحيلة — والحرب خُدعة —  
فقال لنعيم بن مسعود : إنما أنت فينا رجل واحد من غطفان ، فخذل  
عنا القوم إن استطعت ، فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة ،  
وكان لهم نديماً في الجاهلية — ولم يكونوا يعرفون أنه أسلم — فذكّرهم بما  
بينه وبينهم من مودة ، ثم قال لهم : إنكم ظاهرتم قريشاً وغطفان على  
محمد ، وربما لا تطيق قريش وغطفان المقام طويلاً ، فترتحلان ،  
فتواجهون محمداً وحدكم ، ولا قبل لكم به ، فينكتل بكم ، ونصح لهم  
ألا يقاتلوا حتى يأخذوا من قريش وغطفان رهناً من أشرافهم ، يكونون  
عندهم ، حتى لا يتنحوا عنهم ؛ فافتنع بنو قريظة بما قال نعيم ، ثم  
ذهب إلى قريش — فقال لهم : قد عرفتم ودّي لكم — وإنكارى دين  
محمد ، وقد علمت أمراً رأيت حقاً على أن أبلغكموه ، نصحاً لكم ،  
فاكتموا عني ، قالوا : نفعل ، قال : اعلّموا أن بني قريظة قد ندموا على

ما فعلوا من نكث عهد محمد ، وأنهم عاملون على استرضائه وكسب مودته ، بأن يقدموا له من أشرف قريش من يضرب أعناقهم ، على أن يكونوا معه حتى يستأصلكم ، ونصح لهم : إن بعث بنو قريظة إليهم يطلبون منهم رهناً ، ألا يبعثوا أحداً ، ثم ذهب إلى غطفان ، وقال : يا معشر غطفان ، أنتم أهلى وعشيرتى ، وأحب الناس إلىّ ، ولا أظنكم تهمونى ، قالوا : صدقت ، قال : فاكنموا عنى ، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش ، وحذرهم أن يبعثوا رهناً ؛ ثم أرسل أبو سفيان ورءوس غطفان إلى كعب سيد بنى قريظة ، من يقول له : قد طالت إقامتنا ، وطال حصارنا ، فرأينا أن تفجئوا المسلمين فى الغداة ، ونحن من ورائكم ، فعاد الرسل وقالوا : إن كعباً يقول : إن غداً السبت ، ولا نستطيع القتال فيه ، ولسنا بالذين يقاتلون ، حتى تعطوناً رهناً من أشرافكم ، يكونون بأيدينا ، ثقة منا بكم ، فقالت قريش و غطفان ، إذن والله إن الذى أخبركم به نعيم بن مسعود لحقّ .

ط - فلما كان الليل هبت ريح شديدة ، وهطل مطر غزير ، وقصف الرعد ، وأومض البرق ، فتقوضت خيام الأحزاب من شدة العاصفة وانقلبت قدورهم ، وأخذ الرعب منهم كل مأخذ ، وكبّر الملائكة فى جوانبهم ، فخيّل إليهم أن المسلمين انتهزوها فرصة فأغاروا عليهم ، فنادى أبو سفيان : الرحيل الرحيل ، وحمل قومه ما استطاعوا حمله من متاع ، وتبعهم بقية الأحزاب ، وأصبح المسلمون فلم يجدوا منهم أحداً ، « وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً » .

ى - أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رحيل الأحزاب يفكر فى أمر بنى

قريظة ، ونقضهم العهد الذي كان بينه وبينهم ، وأنه لولا ارتحال الأحزاب لانحازوا إليهم ، فلما كان الظهر أمر مؤذناً فأذّن في المسلمين : من كان سمياً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة ، ومع ما كان عليه المسلمون من نصب بعد طول الحصار ، فقد نفرّوا إلى القتال سريعاً ، وحاصروا حصون بني قريظة خمساً وعشرين ليلة ، لم يقع في خلالها إلا تراشق بالنبال ، حتى جهد بنو قريظة ، ولم يجرؤ أحد منهم أن يخرج من حصونهم ، فلما أيقنوا أن حصونهم لا تجديهم نفعاً مع طول الحصار ، وأنهم لا بد واقعون في قبضة المسلمين ، تشاوروا فيما بينهم ، على ما ينتهي إليه مصيرهم ، وإذا كان الأوس حلفاءهم ، فقد ظنوا أنهم سيدفعون عنهم ما قد يصيبهم من شرّ ، وكان الأمر كما ظنوا ، فقد سار جماعة من الأوس إلى رسول الله ، وقالوا له : يا رسول الله ، بنو قريظة حلفاؤنا ، وسألوه إطلاقهم كما أطلق بنو قينقاع حلفاء الخزرج ، فقال لهم : ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فقولوا لليهود : فليختاروا من شاءوا منكم ، فاختار اليهود سعد بن معاذ ، ونسوا أنه هو الذي فاضهم في عدم نقض عهدهم فأغلظوا له ، وخاضوا في حق الرسول أمامه ، وسبوا المسلمين ، فأخذ سعد عليهم العهود والمواثيق أن يقبلوا حكمه ، فأمر سعد بن قريظة أن ينزلوا من حصونهم ، ويلقوا سلاحهم ، ففعلوا ، فحكم فيهم بأن تقتل الرجال ، وتسبي الذراري والنساء ، وتقسّم أموالهم ؛ فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، حبس الرجال في بعض دور الأحصار ، ثم أمر فحضرت لهم خنادق ، ثم جرى لليهود أفواجاً ، فضربت أعناقهم ، ومنهم حبي بن أخطب الذي رحل إليهم بعد فرار الأحزاب ، وكعب بن أسد ، وكانوا نحو سبعمائة ، ثم دفنوا في هذه

الخنادق ، وفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم أموالهم ونساءهم وأولادهم على المسلمين ، بعد أن أخرج منها الخمس .

ك - وبهذا تم للمسلمين النصر على من ظاهروا الأحزاب ، « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصبيهم ، وقذف في قلوبهم الرعب ، فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً ، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم ، وأرضاً لم تطئوها ، وكان الله على كل شيء قديراً » .

من الآية ٩ إلى الآية ١٧ من سورة الأحزاب

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، إِذْ  
جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ،  
وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ، إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ  
وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ  
الْحَنَاجِرَ ، وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ؛ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ ،  
وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا -١- . وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ  
وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ : مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ  
إِلَّا غُرُورًا -٢- . وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ : يَا أَهْلَ  
يَثْرِبَ ، لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ، وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ  
مِنْهُمُ النَّبِيَّ ، يَقُولُونَ : إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ، وَمَا هِيَ  
بِعَوْرَةٍ ، إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا -٣- . وَلَوْ دُخِلَتْ  
عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَاتَوَّهَّا ، وَمَا  
تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا -٤- . وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ  
قَبْلُ : لَا يُولُونَ الْأَدْبَارَ ، وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا -٥- .  
قُلْ : لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ  
الْقَتْلِ ، وَإِذَنْ لَا تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا -٦- . قُلْ : مَنْ

ذَا الَّذِي يَعَصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنَّ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ؟ وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا -٧- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
جنود وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون خبيراً إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم زاغت الأبصار بلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً	محاربون متحزبون من الكفار . هم الملائكة . { وكان الله يرى ما تعملون من حفر الخندق ، ويعلم التجاءكم إليه . } جاءت كتيبة من أعدائكم من أعلى الوادى من { جهة الشرق . } وجاءت كتيبة من أعدائكم من أسفل الوادى من { جهة الغرب . } مالت عن مستوى نظرها يمنة ويسرة لشدة الرعب . { ارتفعت القلوب إلى رعوس الحناجر ، وهو مجرد تصوير لما بلغت إليه حالة المسلمين من شدة الفرع . } تظنون بالله ظنوناً مختلفة ، من حيث النصر أو اليأس . في هذا المقام اختبر المؤمنون بالصبر على المكاره . واضطربوا اضطراباً شديداً من شدة الهول .

الألفاظ	شرحها
والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً طائفة منهم يثرب لا مقام لكم فارجعوا إن بيوتنا عورة إن يريدون إلا فراراً ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآئوها وما تلبثوا بها إلا يسيراً وكان عهد الله مسئولاً لا تمتعون إلا قليلاً يعصمكم من الله	والذين في قلوبهم ضعف لإيمان . ما وعدنا الله ورسوله بالنصر إلا وعداً باطلاً . جماعة من المنافقين . اسم المدينة قبل هجرة الرسول إليها . لا جدوى في الإقامة بمكان تتعرض فيه للخطر . فارجعوا من جبل آلع إلى المدينة . إن بيوتنا غير حصينة ، وليست مستورة عن العدو . ما يريدون إلا الفرار من القتال . ولو دخل الأعداء عليهم المدينة من نواحيها . ثم سألهم الداخولون الردة عن الإسلام لفعالها . وما انتظروا بالإتيان بالردة إلا وقتاً يسيراً . وكان عهد الله مطلوباً مقتضى ، حتى يوفى به . لا تمتعون في الدنيا إلا قليلاً ، ثم يدرككم الموت أو القتل . يحفظكم ويحيركم .

### مجمل المعنى

١ - يأيها المؤمنون ، اذكروا فضل الله عليكم في انتصاركم على أحزاب الكفار الذين تألبوا عليكم ، لإطفاء نور الإسلام - اذكروا حين جاءوكم فعسكروا

حول المدينة، فكان فريق منهم بأعلى الوادى شرقاً ، وفريق بأسفله غرباً ، وفريق بجانب الخندق ، وهم جميعاً أكثر من عشرة آلاف مقاتل ، كلهم يتحرق للقضاء على الإسلام والمسلمين ، وعسكرتم أتم عند جبل سلع ، وبينكم وبين أعدائكم خندق حفرتموه بإشارة سلمان الفارسي الذى قال : كنا ونحن بفارس إذا حوصرنا خندقنا ، وانحاز بنو قريظة من اليهود إلى الأحزاب ، ونقضوا العهد الذى كان بينكم وبينهم ، فعمّ الخطب ، واشتد الكرب ، ولم تكن الأبصار تنظر إلا إلى جهة الأعداء يميناً وشمالاً ، وتردد النظر إليهم لشدة الروح ، واضطربت القلوب فى الصدور لفرط الهول ، واختلفت الظنون فيما يصير إليه أمركم من ظفر أو فشل ، فظن المخلصون الثابتو الإيمان أن الله منجز وعده فى إعلاء دينه ، وظن المنافقون وضعاف الإيمان أن البلاء لا محالة واقع بالمسلمين ، وأن محمداً وأصحابه سيهلكون ؛ فى هذا الموقف الرهيب الذى اختبر فيه المؤمنون ، واضطربوا اضطراباً شديداً من شدة الفرع وكثرة الأعداء ، ظهرت قدرة الله القادرة ، وحكمته الباهرة ، لرفع لواء الإسلام ، وإنقاذه من بطش الطغاة ، فهبت ريح عاصفة ، فى ليلة شاتية ، فسفت الريح التراب والحصباء فى وجوه الأعداء ، وقوضت خيامهم ، وكفأت قدورهم ، وقصفت الرعود وزججرت ، وأومضت البروق فكادت تخطف أبصارهم ، وكبّرت الملائكة فى جوانب معسكراتهم ، فهالهم ما رأوا ، وبلغ منهم الفرع كل مبلغ ، وخيل إليهم أن المسلمين انتهزوا هذه الفرصة فأغاروا عليهم ، وأوقعوا بهم ، فلم يسعهم إلا أن يحملوا ما استطاعوا حمله ، وفرّوا لا يلبون على أحد ، ونصر الله المؤمنين ، لأنه بصير بما يعملون من التجائهم إليه ، واعتمادهم عليه .



٢ - اذكروا أيها المؤمنون هذا الموقف ، إذ يقول المنافقون ، والذين في قلوبهم ضعف إيمان ، وضعف اعتقاد بأن الله لا بد مؤيد رسوله ، وناصره على أعدائه : ما وعدنا الله ورسوله من النصر على الأعداء ، ورفع لواء الإسلام ، إلا وعداً باطلاً ، حتى قال معتب بن قشير المنافق : يعدنا محمد بفتح فارس والروم ، والاستيلاء على كنوز كسرى وقيصر ، وإن أحدنا لا يستطيع أن يخرج ليتبرز ، إن ما وعدنا به محمد ليس إلا إفكاً افتراه .

٣ - واذكروا أيها المؤمنون إذ قالت طائفة من المنافقين لأهل المدينة من المقاتلين بأهل يثرب ، لا جدوى من إقامتكم في سلع بظاهر المدينة على الذل والهوان ، معرضين للقتل والأسر على يد أنبي سفیان وأصحابه ، لأن مصير المسلمين إلى الهزيمة والفشل ، فارجعوا إلى منازلكم بيثرب ، فإن ذلك أسلم لكم ، ولا داعي إلى البقاء على دين محمد ، ارجعوا إلى شرككم ، وأسلموا محمداً إلى أعدائكم لتسلموا ، ويستأذن فريق منهم النبي في الرجوع إلى المدينة ، يقولون : إن بيوتنا غير حصينة ، وهي معرضة لنبال الأعداء واللصوص ، فلا بد لنا أن ننصرف إليها لحمايتها ، فإننا نخاف عليها وعلى من فيها ، ونخشى سرقتها ، وليست بيوتهم كما يزعمون ، وما يريدون برجوعهم إلا فراراً من القتال .

٤ - هؤلاء المنافقون ، لو دخل عليهم الأعداء بيوتهم من نواحيها ، ثم طلب منهم الداخول الردة إلى الكفر ، ومقاتلة المسلمين ، لفلوها طيبة بها نفوسهم ، وما انتظروا عن إعلان الردة ، والمجاهرة بها ، إلا بمقدار الزمن الذي يوجهه إليهم فيه السؤال ، لضعف إيمانهم ، وفرط نفاقهم .

٥ - ولقد كان هؤلاء المنافقون من بنى حارثة ، عاهدوا الله ورسوله من قبل ألا يولوا الأدبار ، كما فعلوا في غزوة أحد ، حين هموا أن يخذلوا المؤمنين من بنى

سَلَمَة ( تراجع الفقرة الثانية من الصفحة ٣٤ من تفسير الجزء الرابع ، عند قوله تعالى : « إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا » ) ، ثم تابوا على ألا يعودوا لمثلها أبداً ، وكان عهد الله مطلوباً مقتضى ، يجب الوفاء به .

٦ - قل لهم يا محمد : لن ينفعكم الفرار ، ولن يطيل حياتكم فراركم من الموت على فراشكم ، أو القتل في المعركة ، فلكل حيٍّ أجل معلوم سبق به القضاء ، وجرى به القلم ، فإن نفعكم الفرار فنجوتهم من الموت عاجلاً ، فإنكم لا تتمتعون بقية حياتكم إلا وقتاً يسيراً في الدنيا ؛ ومهما طالت فهي قصيرة تنتهى بالموت ، والموت الذى تفرون منه لا بدُّ لملائيككم ، ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة ، فينبئكم بما كنتم تعملون .

٧ - قل لهم يا محمد : من الذى يجيركم ويمنعكم من عذاب الله إن أصابكم سوء ، أو أراد بكم رحمة وخيراً ونصراً ، إنهم لا يجدون لهم من غير الله ولياً ينفعهم ، ولا نصيراً يدفع الضر عنهم .

من الآية ١٨ إلى الآية ٢٧ من سورة الأحزاب

قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ ، وَالتَّائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ  
إِلَيْنَا ، وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا -١- . أَشْحَةً عَلَيْكُمْ ،  
فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ ، تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ  
كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ، فَإِذَا زَهَبَ الْخَوْفُ  
سَلَقُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادَ -٢- . أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ ،  
أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا ، فَأَخْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ، وَكَانَ ذَلِكَ  
عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا -٣- . يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ،  
وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ  
عَنْ أَنْبَائِكُمْ ، وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا -٤- .  
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو  
اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ، وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا -٥- ، وَلَمَّا رَأَى  
الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ ، قَالُوا : هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ،  
وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا -٦- .  
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ  
قَضَى نَحْبَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ، وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا -٧- .

لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ، وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ  
 أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا - ۸ - . وَرَدَّ اللَّهُ  
 الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ، وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ  
 الْقِتَالَ ، وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا - ۹ - . وَأَنْزَلَ الَّذِينَ  
 ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ ، وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ  
 الرُّعْبَ ، فَرِيقًا تَقْتُلُونَ ، وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ، وَأَوْرَثَكُم  
 أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، وَأَرْضًا لَمْ تَطَّئُوهَا ، وَكَانَ  
 اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا - ۱۰ - .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
المعوقين	المثبطين من المنافقين .
هلم إلينا	تعالوا إلينا واتركوا محمداً .
ولا يأتون البأس إلا قليلاً	ولا يأتون القتال إلا إتياناً قليلاً ، بمقدار ما يراهم المسلمون ، ثم ينصرفون .
أشحة عليكم	بخلاء عليكم بالمعاونة ، للحقد الذي في أنفسهم ، وهي جمع شحيح .
فإذا جاء الخوف	فإذا جاء ما يترقب منه الخوف من قبل العدو .
تدور أعينهم	تدور أعينهم يمنة ويسرة من شدة الرعب .
سلقوكم بالسنة حداد	آذوكم بالسنة شديدة الوطأة ، وأكثروا الكلام في حقكم .

شرحها	الألفاظ
<p>لم يخلصوا في إيمانهم .  فأبطل الله ثواب أعمالهم .  يظنون لجنهم وشدة فزعهم أن الأحزاب لم ينصرفوا .  إن يأت الأحزاب كرة أخرى .  { يتمنوا لجنهم لو أنهم خرجوا من المدينة ، وأقاموا مع  الأعراب في البادية .  } ولو كانوا معكم في هذه الكرة الأخرى ، وكان  هناك قتال .</p>	<p>لم يؤمنوا  فأحبط الله أعمالهم  يحسبون الأحزاب لم يذهبوا  وإن يأت الأحزاب  يودّوا لو أنهم بادون في  الأعراب  ولو كانوا فيكم</p>
<p>{ قدوة حسنة في الثبات في الحرب ، والصبر على  الشدائد .  } وظهر صدق الله ورسوله فيما وعدا به .  { صدقوا في عهدهم بالثبات في القتال ، لإعلاء أمر  الدين .  } قاتل حتى استشهد ، وأصل النحب : النذر الذي  يجب الوفاء به .</p>	<p>أسوة حسنة  وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولَهُ  صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ  عَلَيْهِ  قَضَى نَحْبَهُ</p>
<p>من ينتظر الاستشهاد في سبيل الله .  وما بدّوا في عهدهم شيئاً من التبديل .  الذين عاونوا الأحزاب من بني قريظة .  من حصونهم .  وأرض خيبر التي يسكنها اليهود .</p>	<p>من ينتظر  وما بدّوا تبديلاً  الذين ظاهروهم من أهل  الكتاب  من صياصبيهم  وأرضاً لم تطهروها</p>

## مجمل المعنى

١ - إن الله ليعلم المشطين من أهل النفاق عن القتال ، المتعرضين لصد الناس عنه ، كعبد الله بن أبي ، ومعتب بن قشير ، القائلين لإخوانهم من أهل المدينة : تعالوا إلينا ، وشاركونا في الفرار لننجو بأنفسنا ، وفارقوا محمداً ، فإنه لا محالة هالك ، وإن أبا سفيان إن ظفر بكم لم يُبق منكم أحداً ، وهؤلاء المنافقون لا يشتركون في الحرب إلا اشتراكاً ضئيلاً ، ريثما يراهم المؤمنون ثم ينصرفون ، فهم يعتذرون عن الخروج للقتال ، ويثبطون غيرهم عنه ، فإذا اضطروا إليه درءاً للشبهة ، قاتلوا قليلاً ثم أنصرفوا .

٢ - يفعلون ذلك لأنهم بخلاء بمعاونتكم ، أضنّاء بالنفقة في سبيل رفع راية الإسلام ، فإذا اشتد الهول ، وعظم الخطب ، رأيتهم من شدة رعبهم ، تدور أعينهم في أحداقهم يميناً وشمالاً ، كدوران أعين الذي يُغشى عليه من معالجة سكرات الموت ، فإذا زال الخطر عنهم آذوكم بما لا تحبون من القول ، وبسطوا إليكم ألسنتهم بالسوء ، فسبوكم وذموكم في مجالسهم .

٣ - هم حريصون على طلب الخير لأنفسهم ، لذلك يظهرون وقت اقتسام الغنائم ، أولئك المنافقون لم يؤمنوا إيماناً صادقاً ، بل يتظاهرون بالإيمان رياءً وخداعاً ، فأبطل الله ثواب أعمالهم ، إن كانت لهم أعمال تستحق الثواب ، وكان ذلك الإبطال أمراً هيئاً على الله ، متى تعلقته إرادته به .

٤ - يحسون لجبنهم ، وخور عزيمتهم ، وشدة فزعهم ، أن أحزاب الكفار لم يعودوا أدراجهم بعد فشلهم ، فهم يتصورون أن الأحزاب ما زالوا معسكرين حول المدينة ، وإن أيقنوا بهزيمة الأحزاب ، ثم كرّ الأحزاب على المسلمين كرة أخرى ، تمنوا لو أنهم كانوا في البادية مع الأعراب البدو ، يعيدون عن معركة

القتال ليأمنوا على أنفسهم ، مكتفين بأنهم يسألون كل قادم من ناحية المدينة عن أخباركم مع الكفار ، لفرط جبنهم ، ولو كانوا معكم في هذه الكرّة الأخرى المفترضة ، ما قاتلوا إلا قتالا هزيبا ، لا جدوى منه ، رياء ونفاقاً ، ثم فرّوا جبناً وخوراً .

٥ - لقد كان لكم أيها المؤمنون في رسول الله قدوة حسنة في الثبات في القتال ، والصبر على مقاساة الشدائد والأهوال ، لمن كان يرجو لقاء الله وثوابه في اليوم الآخر ، والنعم المقيم فيه ، وقرن رجاءه بكثرة ذكر الله المؤدية إلى طاعته ، وبذل النفس والنفيس في سبيل رضاه .

٦ - ولما رأى المؤمنون الصادقوا الإيمان الأحزاب من الكفار ، قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله ، من الابتلاء الذي يعقبه النصر ، في قوله : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ، ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ، مستهم البأساء والضراء وزلزلوا ، حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه : متى نصر الله ؟ ألا إن نصر الله قريب » ، ( تراجع الفقرة السادسة من الصفحة التسعين من تفسير الجزء الثاني ) ، وقد صدّق الله ورسوله فيما وعداه ، وما زادتهم معاناة البلاء إلا إيماناً بالله ، وثقة بوعدده ، وتسليماً لأوامره ، وقضائه وقدره .

٧ - من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، من الثبات مع النبي صلى الله عليه وسلم في القتال ، فمنهم من قاتل حتى استشهد في سبيل الله ، كأن الاستشهاد كان نذراً يجب عليه الوفاء به ، ومنهم من ينتظر الاستشهاد ، ويعده أعظم قربة إلى الله ، وما بدّلوا في العهد والإخلاص أى تبديل ، وما شكّوا في النصر ، وما ترددوا في بذل حياتهم في سبيل الله ، بخلاف المنافقين الذي لا يُوفون بعهد ، ولا يرقبون في الفرار من الجهاد إلاّ ولا ذمة .

٨ - لقد أمر الله بالجهاد ، ليجزى الصادقين في الآخرة بصدقهم في الدنيا ،

لأنهم لا يبدلون شيئاً فيما أخذوه على أنفسهم من العهود والمواثيق ، كما يفعل المنافقون ، بل ثبتوا على إخلاصهم ، ويعذب المنافقين إن شاء أن يميتهم على نفاقهم ، أو يوفقهم إلى التوبة ، إن الله كان غفوراً رحيماً لمن تاب .

٩- ورد الله أحزاب الكفار مغيبين محنقين ، لم ينالوا مرادهم من الظفر بالمؤمنين ، وأغنى الله المؤمنين عن القتال ، بما أرسله على أعدائهم من الرياح العاصفة ، والرعود القاصفة ، والبروق الخاطفة ، والأمطار المنهمة ، والملائكة الذين صاحوا في جوانب معسكراتهم ، وكان الله قوياً على إحداث ما يريد ، غالباً على كل شيء .

١٠- وأنزل بنى قريظة من اليهود الذين عاونوا الكفار من حصونهم ، وألقى الرعب في قلوبهم ، فكانوا فريقاً تقتلونهم ، وهم رجالهم ، وفريقاً تأسروهم وهم ذراريهم ونساؤهم ، وأورثكم مزارعهم وحصونهم ، وأمواهم من نقود ومواش وأثاث ، وأرضاً لم تظئوها من قبل وهي خير ، سنة سبع للهجرة ، وفارس والروم بعد ذلك ، وكان الله على كل شيء قديراً .



( ٦ )

من الآية ٢٨ إلى الآية ٢٩ من سورة الأحزاب

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ، قُلْ لِأَزْوَاجِكَ : إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ  
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ، فَتَعَالَيْنَ أُمْتَعِكُنَّ وَأَسْرَحِكُنَّ  
سَرَاحًا جَمِيلًا ، وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ  
الْآخِرَةَ ، فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا  
عَظِيمًا .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أمتعنك أسرحك سراحاً جميلاً	أمتعنك بما أوجب الله على الرجال عند الطلاق. أطلقك طلاقاً لا ضرر فيه ، وأخلى سبيلك.

### بعد غزوة الأحزاب وبنى قريظة

١ - دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة الأحزاب وبنى قريظة ، لأنه لم يخرج إلى الصلاة كعادته ، وكان الناس جلوساً على بابه ، لم يؤذن لأحد منهم بالدخول ، فأذن لأبي بكر فدخل ، ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له ، فوجد عمر النبي صلى الله عليه وسلم جالساً وإجماعاً ساكناً ،

وحوله نساؤه ، فقال عمر في نفسه : والله لأقولن شيئاً أضحك به رسول الله ، ثم قال : يا رسول الله ، لو رأيتُ فلانة - يعني زوجته - سألتني النفقة ، فقممت إليها فَوَجأتُ عُنفها : ( ضربت عنقها بسكين أو نحوه ) ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : « هُن حولي يسألنني النفقة » ، فقام أبو بكر إلى ابنته عائشة ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ليضربها ، وقام عمر إلى ابنته حفصة ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليضربها ، كلاهما يقول : تسألن رسول الله ما ليس عنده ، فهاهما رسول الله ، فقالت نساء النبي : والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ليس عنده ، بناتُ كسرى وقيصر في الحللى والحلل ، والإماء والخول ، ونحن في الفاقة والضيق ؛ فاعتزطن رسول الله لهذا السبب ، ولأسباب أخرى تتعلق بتأمرهن عليه ، ذكرناهما في الصفحات التي من ١٠٣ - ١٠٥ ، من تفسير جزء « قد سمع » ، لواضعى هذا التفسير ، وانقضى على اعتزال النبي صلى الله عليه وسلم زوجاته شهراً ، لا يكلم فيه أحداً في شأنهن ، وكان أبو بكر وعمر والصحابة في خلاله ، على أشد ما يكون من القلق على مصير أمهات المؤمنين ، وما يتعرضن له من غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن ، وشاع بين المؤمنين أن النبي طلق زوجاته ، وكان رسول الله يقضى أكثر وقته في خزانة يصعد إليها على جذع نخلة ، وكان المسلمون في خلال هذا الشهر يجتمعون في المسجد مطرقين ، قد بلغ الحزن منهم كل مبلغ .

٢ - فلما استأذن عمر رضى الله عنه في الدخول عليه ، ودخل ورأى الحصر الذى يضطجع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أثنر في جنبه ، بكى ، ثم قال : يا رسول الله ، إن كنت قد طلقت نساءك ، فإن الله معك

وملائكته وجبريل والمؤمنون ، ثم ذكر له أمر المسلمين وحزنهم ، وما بلغهم عن طلاق نسائه ، فلما أبلغه رسول الله أنه لم يطلق نساءه ، استأذنه في أن ينقل هذا الخبر السار إلى المسلمين .

٣ - فلما نزل قوله تعالى : « يا أيها النبي قل لأزواجك . . . » إلى قوله : « أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً » أخذ يخيّر نساءه ، فبدأ بعائشة فقال لها : يا عائشة ، إني أريد أن أعرض عليك أمراً ، أحب ألا تعجلى فيه حتى تستشيري أبويك ، قالت : ما هو يا رسول الله ، فتلا عليها هاتين الآيتين ، فقالت : أفيك يا رسول الله أستشير أبوي ؟ بل أريد رضا الله ورسوله والدار الآخرة ، ثم فعل سائر زوجاته مثل ما فعلت عائشة ، ما عدا امرأة عامرية قد اختارت قومها ، وكانت بعد ذلك تقول : أنا الشقية .

### مجمل المعنى

يا أيها النبي ، قل لزوجاتك : إن كنتن تردن السعة في النفقة ، والاستمتاع بزخارف الحياة الدنيا وملاذها ، فتعالين بإرادتكن واختياركن ، أمتعن بما أوجب الله على الرجال للنساء ، من المتعة عند فراقهم إياهن بالطلاق بقوله : « ومتعهن ، على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره ، متاعاً بالمعروف حقاً على المتقين » ، وأسرحكن سراحاً جميلاً ، فأطلقكن طلاقاً لا ضرار فيه ، والتسريح في الأصل : مجرد الإطلاق ، ثم كُنِيَ به عن الطلاق ؛ وإن كنتن تردن البقاء ، فأثرتن رضا الله ورسوله ، ونعيم الدار الآخرة ، فإن الله أعد للمحسنات منكن ، وهن اللاتي يعملن بما أمر به الله ورسوله ، في مقابل إحسانهن ، أجراً عظيماً ، يُستحقق أمامه ما في الدنيا من زخارف وملاذ ، ومظاهر الزينة .

( ٧ )

الآية ٣٠ من سورة الأحزاب

يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ ، مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ،  
يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ  
يَسِيرًا .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين	كبيرة ظاهر قبحها وفحشها . تعاقب بمثل عقاب غيرها .

### مجمل المعنى

لما خيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ، واختارن الله ورسوله والدار الآخرة ، أراد الله أن يؤدبهن ، للتوقى عما يسوء النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن جرائمهن تؤذيه ، فذكر أن من يأتي من نساء النبي بكبيرة من الذنوب ظاهر قبحها وفحشها ، مثل عقوق الزوج ، وفساد عشرته ، والنشوز ، تعاقب بمثل عقاب غيرها ، لشرف منزلتهن ، وفضل درجتهم ، وتقدمهن على سائر النساء

في يوم القيامة ، ولأن المعصية التي تحدث منهن ، أقبح من نظيرها في  
غيرهن ، ولذا كان الذم للعاصي العالم، أشدّ من الذم للعاصي الجاهل،  
وكان عقاب الحرّ أشدّ من عقاب العبد ، وحد الثيب أشدّ من حد  
البكر ، وكان ذلك هيناً يسيراً على الله ، ولا يشفع لهنّ كونهن زوجات  
رسول الله .

## فهرس الجزء الحادى والعشرين من تفسير القرآن الكرىم

أرقام الصفحات	أرقام الآيات فى المصاحف	أسماء السور	الرقم
من ٣ - ٨	من ٤٦ - ٥٢	العنكبوت	١
٩ - ١٠ »	٥٣ - ٥٥ »	»	٢
١١ - ١٣ »	٥٦ - ٦٠ »	»	٣
١٤ - ١٩ »	٦١ إلى آخر السورة »	»	٤
٢٠ - ٢٤ »	١ - ٧ »	الروم	١
٢٥ - ٢٧ »	٨ - ١١ »	»	٢
٢٨ - ٣١ »	١٢ - ١٩ »	»	٣
٣٢ - ٣٧ »	٢٠ - ٢٧ »	»	٤
٣٨ - ٤٢ »	٢٨ - ٣٢ »	»	٥
٤٣ - ٤٨ »	٣٣ - ٤٠ »	»	٦
٤٩ - ٥١ »	٤١ - ٤٥ »	»	٧
٥٢ - ٥٨ »	٤٦ - ٥٤ »	»	٨
٥٩ - ٦٢ »	٥٥ إلى آخر السورة »	»	٩
٦٣ - ٦٧ »	١ - ١١ »	لقمان	١
٦٨ - ٧٤ »	١٢ - ١٩ »	»	٢
٧٥ - ٧٩ »	٢٠ - ٢٦ »	»	٣
٨٠ - ٨٤ »	٢٧ - ٣١ »	»	٤

أرقام الصفحات	أرقام الآيات في المصاحف	أسماء السور	الرقم
من ٨٥ - ٩١	من ٣٢ إلى آخر السورة	لقمان	٥
٩٦ - ٩٢ »	٩ - ١ »	السجدة	١
١٠٤ - ٩٧ »	٢٢ - ١٠ »	»	٢
١٠٨ - ١٠٥ »	٣١ - ٢٣ »	»	٣
١١٠ - ١٠٩ »	٣ - ١ »	الأحزاب	١
١١٥ - ١١١ »	٦ - ٤ »	»	٢
١٢٣ - ١١٦ »	٨ - ٧ »	»	٣
١٢٩ - ١٢٤ »	١٧ - ٩ »	»	٤
١٣٥ - ١٣٠ »	٢٧ - ١٨ »	»	٥
١٣٨ - ١٣٦ »	٢٩ - ٢٨ »	»	٦
١٤٠ - ١٣٩ »	الآية ٣٠	»	٧

# تفسير القرآن الكريم

الجزء الثاني والعشرون

تأليف

حسن علوان

محمود محمد حمزة

محمد أحمد برانق



تراجع الخطبة التي في صدر تفسير الجزء الأول ، ونرجو أن يراعى في هذا الجزء والأجزاء التي تليه ، أن الأرقام التي في صدر مجموعات آيات القرآن الكريم ، تطابق نظائرها في المصاحف ، وأن الأرقام التي تخللت مجموعات آيات القرآن الكريم ، تطابق نظائرها في مجمل المعنى .

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( ١ )

الآية ٣١ من سورة الأحزاب

وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا ،  
نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ، وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا .

## شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
<p>من يدم على طاعة ليس معها معصية ، ويخشع ويخضع . نعطها مثلئ أجر غيرها . وأعدنا وهيأنا لها في الجنة . نعيماً مقيماً لا يفنى .</p>	<p>من يقنت نؤتها أجرها مرتين وأعدنا رزقا كريماً</p>

## مجمل المعنى

قدمنا في آخر الجزء الحادى والعشرين ، أن من أتت من زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعصية ظاهر قبحها وفحشها ، تعاقب بمثلئ عقوبة غيرها ، لشرف

منزلتهن ، وفضل درجاتهن ، وتقدمهن على سائر النساء ، فالذئب الذي يقع  
منهن أقبح من نظيره من غيرهن ، فكان من الطبيعي أنه ما دام العقاب لزوجات  
رسول الله صلى الله عليه وسلم على المعصية مضاعفاً ، فالعدل يقتضى أن يكون  
الثواب على مداومة الطاعة ، وحسن معاشره الرسول ، وعدم مطالبته بما ليس في  
طاعته ، والقناعة ، والعمل الصالح ، مضاعفاً أيضاً ؛ فن فعلت ذلك منهن ،  
ضاعف الله أجرها بمقدار مثلتي غيرها من سائر النساء ، وأعد لها في الجنة العيش  
الهنئ ، والنعيم المقيم ، والبرزق الكريم ، الذي لا يفنى ولا يزول ، زيادة على  
أجرها المضاعف .

من الآية ٣٢ إلى الآية ٣٥ من سورة الأحزاب

يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ ، لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ  
أَتَقَيْتُنَّ ، فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ، فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي  
قَلْبِهِ مَرَضٌ ، وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا -١- . وَقُرْآنَ فِي  
بُيُوتِكُنَّ ، وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى -٢- .  
وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ ، وَآتِينَ الزَّكَاةَ ، وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ،  
إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ،  
وَيُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيرًا -٣- . وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ  
مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ، إِنْ اللَّهُ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا -٤- .  
إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ،  
وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ ، وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ ،  
وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ ، وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ ،  
وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ ، وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ ،  
وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ ، وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ  
كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ - أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا  
عَظِيمًا -٥- .

## شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
اتقيتين	حافظتن على طاعة الله فيما أمر به ونهى عنه .
فلا تخضعن بالقول	{ فلا يكن قولكن مع الرجال الأجانب عنكنّ ليناً بغري بكن .
مرض	فجور وطمع .
قلن قولاً معروفاً	{ قلن قولاً حسناً بعيداً عن الريبة ، والإطماع فيكن .
قرن	استقرون وأقمن ، وأصله : اقررن .
ولا تبرجن الجاهلية الأولى	لا تظهرن زينتكن ومحاسنكن للأجانب من الرجال . ما قبل الإسلام .
الرجس	الفعل القبيح ، والمعصية التي تدنس العرض .
أهل البيت	يأهل بيت النبي .
ويطهركم تطهيراً	ويطهركم من كل دنس تطهيراً تاماً .
والحكمة	وسنة رسول الله .
لطيفاً خبيراً	مدبراً ما يصلح ، خبيراً بجميع خلقه .
القانتين	المداومين على الطاعات .
الحاشعين	المتواضعين لله .
المتصدقين	الباذلين أموالهم للمحتاجين .
الحافظين فروجهم	المتعففين عن الزنى .

## مجمل المعنى

١ - نساء النبي صلى الله عليه وسلم فضليات النساء ، وأمهات المؤمنين ، وزوجات خير الأنبياء والمرسلين ، ولذلك أراد الله عز وجل أن يجعلهن قدوة لغيرهن من النساء في الآداب ، ومحاسن الأخلاق ؛ فخاطبن بأهن لسن كغيرهن من نساء عصرهن ، لأنهن أعظم النساء في الفضل والشرف - إن اتقن الله وأطعن رسوله - فإن أكرم الناس عند الله أتقاهم ؛ ونهاهن أن يكون كلامهن ليناً ناعماً رقيقاً عند مخاطبة الرجال الأجانب عنهن ، لئلا يطمع فيهن من لا يعمر قلبه بصدق الإيمان ، من ذوى الأخلاق الفاسدة ، المستخفين بحدود الله ، فيتشوقوا إلى مغازلتهم ؛ بل ينبغى أن يكون كلامهن - مع كونه مهذباً - مشوباً بمظهر الجحد ، بعيداً عما يثير الريبة والإطماع والشبهة .

٢ - وأمرهن الله أن يلزمن دورهن للقيام بأعباء العمل فيها ، فلا يخرجن إلا عند الضرورة كالحج ، وزيارة الوالدين ، وعيادة المرضى من الأقارب ، وتعزياتهم ، وبعد أن يستأذنن ، وإذا خرجن وجب عليهن ألا يظهرن زينتهن ومحاسنهن للرجال ، وألا يتبخرن في مشيتهن خشية الفتنة ، وإثارة الغرائز الجنسية ، كما كان النساء البغايا يفعلن إبان الجاهلية الأولى قبل الإسلام .

٣ - وأمرهن المولى جل شأنه أن يقمن الصلاة ، وأن يؤدبن الزكاة الواجبة عليهن في أموالهن ، ويطنن الله ورسوله في جميع ما يأمران به ، أو ينهيان عنه ، لأن الله يريد أن يكون أهل بيت النبي المثل الأعلى في الكمال ، والقدوة الحسنة لغيرهن ، فهو يبعدهم جميعاً عن كل قبيح ، ويطهرهم من كل دنس وسوء وإثم ومعصية .

٤ - وأمرهن أن يذكرن ويتعظن بما يتلى في بيوتهن من آيات كتاب الله الكريم ، وسنة رسوله ، ويتدبرن ما فيهما من الحكم والآداب ، ليزددن إيماناً مع إيمانهن ، ومعرفة بفضل الله عليهن ، حيث آمن عليهن بزواجهن من أفضل الخلق جميعاً ؛ والله لطيف بالمخلصين في طاعته ، خبير بجميع خلقه ، فاحذرن آيتها النساء مخالفة أمره ونهيه .

٥ - إن المسلمين الذين يفوضون أمورهم إلى الله ، ويتوكلون عليه ، والمسلمات ؛ والمؤمنين المصدقين بالله وبرسوله عن يقين واعتقاد ، والمؤمنات ؛ والقانتين العابدين القائمين بطاعة الله ورسوله ، المداومين على الطاعات ، والقانتات ؛ والصادقين في نياتهم وأقوالهم وأعمالهم ، والصادقات ؛ والصابرين على الطاعات ، وعن السيئات ، وعند البلاء ، والصابرات ؛ والحاشعين المتواضعين لله بقلوبهم ، وجوارحهم ، الذين لا تسميهم بسطة الجاه والنفوذ عن العبادة ، والحاشعات ؛ والمتصدقين الباذلين بعض أموالهم على المحتاجين ، والمتصدقات ؛ والصائمين الذين لا تمنعهم شهوة البطن والفرج عن أداء فريضة الصوم ، والصائمات ؛ والحافظين فروجهم عما لا يحل إلا على أزواجهن أو ما ملكت أيمانهم ، والحافظات فروجهن إلا على أزواجهن إن كن حرائر ، أو على من ملكهن إن كن إماء ، والذاكرين الله كثيراً قياماً وعوداً وعلى جنوبهم ، بالتسبيح والتحميد ، والتهليل والتكبير ، وقراءة القرآن في جميع أوقاتهم ، وبخاصة عقب كل صلاة ، والذاكرات ؛ هؤلاء جميعاً أعد الله لهم ثواباً على طاعتهم ومغفرة تمحو ذنوبهم ، وأجرًا عظيمًا . وقد نزلت هذه الآية لما جاءت أم عمارة الأنصارية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالت له : ما أرى كل شيء إلا للرجال ، وما أرى النساء يذكرن بشيء .

من الآية ٣٦ إلى الآية ٤٠ من سورة الأحزاب

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ  
أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ؛ وَمَنْ يَعْصِ  
اللَّهُ وَرَسُولَهُ ، فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا -١- . وَإِذْ  
تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ : أَمْسِكْ  
عَلَيْكَ زَوْجَكَ ، وَاتَّقِ اللَّهَ ، وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ  
مُبْدِيهِ ، وَتَخْشَى النَّاسَ ، وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ،  
فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كَهَا ، لِيَكُونَ  
يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا  
قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا -٢- .  
مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ،  
سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ  
قَدْرًا مَقْدُورًا ؛ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ  
وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ، وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا -٣- .  
مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ، وَلَكِنْ رَسُولَ  
اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا -٤- .



## شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
قضى الله ورسوله أمراً . الخيرة	أجرى الله على لسان رسوله أمراً . الاختيار .
أنعم الله عليه	تفضل الله عليه بتوفيقه للإسلام ، وهو زيد بن حارثة .
وأنعمت عليه	وتفضلت عليه بالعتق والتبني .
أمسك عليك زوجك	لا تطلق زوجتك زينب .
واتق الله	واتق الله في أمر طلاقها .
وتُخفى في نفسك ما الله مبديه	تخفى في نفسك ما الله مظهره ، من إباحة الزواج بزوجة المتبني .
وتخشى الناس	وتخشى قول الناس في أن محمداً تزوج زوجة ابنه .
وطراً	حاجة .
حرج	إثم .
في أزواج أدعيائهم	في التزوج بزوجات من تبنيهم .
إذا قضوا منهن وطراً	إذا طلقهن المتبنون بعد انقضاء حاجتهم منهن .
وكان أمر الله مفعولاً	وكان أمر الله لا بد مقضياً نافذاً .
فيما فرض الله له	فيما أحل الله له .
سنة الله في الدين خلوا	سن الله لك في الدين سنة من سبقك من الأنبياء .
من قبل	قضاء مقضياً .
قدراً مقدوراً	لا يخشون أحداً فيما أحله الله لهم .
لا يخشون أحداً إلا الله	

الألفاظ	شرحها
حسبياً أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين	محاسباً لحلقه على ما يصدر منهم . } أباً في الحقيقة لأحد من رجالكم ، حتى يزعموا } أن زيداً ابنه . ولكن كان رسول الله فيكم . آخر الأنبياء ، فلا يخلفه أحد في النبوة .

### قصة زيد بن حارثة ، وزينب بنت جحش

١ - كان زيد بن حارثة من سبي الشام ، سبته جماعة من تهامة وهو صبي ، فاشتراه حكيم بن خزام ، ووهبه لعمته خديجة بنت خويلد ، فلما تزوجها رسول الله قبل البعثة ، وسنه خمس وعشرون سنة ، وهبت له زيداً ، فأعتقه وتبناه ( وقد فصلنا هذا في الصفحة ١١٤ من تفسير الجزء الحادى والعشرين).

ب- فلما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان زيد بن حارثة - الذى كان يُطلق عليه زيد بن محمد - من أوائل من آمن به ، وكان رسول الله يعطف عليه ، ويقدمه على كثير من الصحابة ، لما آانس فيه من الإخلاص له ، وبذل الجهد فى رفع راية الإسلام ، وبلغ من شدة عطفه عليه ، وعنايته بأمره ، أنه فى السنة الخامسة من الهجرة ، خطب له زينب بنت جحش ، ابنة عمته : أميمة بنت عبد المطلب ، فأبت زينب هى وأخوها ، أنفة واستكباراً ، واستتكفت زينب لأنها قرشية من بيت النبوة ، وزيد كان عبداً مملوكاً ، ولم تكن بنات الأشراف من العرب يتزوجن من الموالى وإن أعتقوا ، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد القضاء

على نظام الطبقات ، فلما نزل قوله تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا  
قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » ، قبلت زينب الزواج  
من زيد على كره منها ، وأذعن أخوها عبد الله بن جحش ، وقالاً :  
رضينا يا رسول الله ؛ وبني زيد بزوجه زينب ، بعد أن دفع لها النبي صلى  
الله عليه وسلم مهرها عنه : عشرة دنانير وستين درهماً ، وبعض المتاع  
والطعام .

ح - رأى زيد بن حارثة أن زينب زوجته تتعاطف عليه ، وتُبدل بشرفها ،  
وتفخر عليه بنسبها ، وبأنها لم يجر عايبها رقٌ كما جرى عليه ؛ وكان زيد  
يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوء معاملة زوجته زينب إياه ،  
واستأذنه عدة مرات أن يطلقها ، فكان رسول الله يقول له : « أمسك عليك  
زوجك ، واثق الله » ؛ لكن زيدا لم يطق معاشرته زينب ، ولم يبق في  
قوس صبره منزع ، فطلقها .

د - وكانت العرب قبل الإسلام تجعل للمتبنئ حقوق الابن ، من حيث  
التصاقُ نسبه بنسب من تبناه ، ووراثةُ أحدهما للآخر ، فأراد الله أن  
يقضى على هذه الحقوق البالية الموروثة ، إذ لو سار الدين الإسلامى على  
ما درج عليه أهل الجاهلية ، لكان مقتضى هذا أنه يحرم على المتبنئ  
أن يتزوج زوجة المتبنئ بعد طلاقها وانقضاء عدتها ، لكن الله حرم على  
الآباء زوجات الأبناء الذين من الأصلاب فقط ، ( يُراجع حرف « م »  
من الصفحة ١١٢ من تفسير الجزء الرابع ) ، ومقتضى هذا إباحة زواج  
زوجات المتبنئين .

ه - وللقضاء على هذه التقاليد الموروثة ، وإعلان ما يُبيحه الدين الإسلامى ،  
أراد الرسول عليه الصلاة والسلام أن يتزوج زينب ، تطبيقاً لحاظها ،  
وترضية لها على تنفيذ أمر الله ورسوله ، بالزواج من رجل كان يوماً ما عبداً

رقيقاً ، لكن رسول الله جال بخاطره ما يمكن أن يتقوله عليه الناس من أنه تزوج بزوجة زيد الذي تبناه ، وكان مشهوراً بأنه زيد بن محمد ، وما يفاجئ به المسلمين—لأسيب المنافيين— من إبطال تقليد كان متبعاً في الجاهلية ، وهو ما أشار إليه الله تعالى في قوله : « وتُخفى في نفسك ما الله مُبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه »\* ، جال بخاطر الرسول هذه الخواطر ، لكن ما دامت هذه إرادة الله ، وما دام محمد هو الأسوة الحسنة في كل ما يأمر الله به أو ينهى عنه ، فحسبه أن ينفذ ما شرعه الله ، وليتزوج زينب ، « لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً » .

## مجمل المعنى

١ - لا ينبغي للمؤمن كعبد الله بن جحش ، ولا المؤمنة كزينب بنت جحش ، إذا قضى الله على لسان رسوله أمراً ، أن يكون لهم حق الاختيار فيما أمر به ، بل يجب عليهم اتباعه ، وأن يجعلوا اختيارهم تبعاً لاختيار الله ورسوله ، وإلا وقعوا في المعصية ، ومن يعص الله ورسوله بمخالفة أمرهما ، فقد انحرف عن الصواب ، وحاد عن سبيل الهدى والرشاد .

٢ - واذكر يا محمد وقت قولك لزيد فتاك ، الذي أنعم الله عليه بالإسلام ، وأنعمت عليه بالتحرير من الرق ، والتربية والتبني ، حين جاءك عدة مرات شاكياً من زوجته زينب ، التي كانت تتعاطم عليه لشرفها ، وتفخر عليه بنسبها ، وتدل عايه بأنها من بيت النبوة ، وتعيب عليه أنه كان عبداً رقيقاً - اذكر وقت قولك له حين جاء يشكو إليك ما يلاقيه من زوجته

زينب ، ويعرض عليك رغبته في طلاقها : « أمسك عليك زوجك واتق الله » ، واذكر إذ كنت ترى حرجاً في تنفيذ حكم الله ، من إباحة الزواج بزوجة المتبنّى ، وإعلان حكم الشريعة ، والقضاء على عادة موروثه ، بأن تتزوج زينب بعد طلاقها من زيد ، وانقضاء عدتها ، ترضية لها على امتثال أمر الله وأمرك ، مخالفاً ما تواضع عليه العرب من استنكار الزواج بزوجة المتبنّى ، فكنت تخفى في نفسك ما الله مُعلنه من حكم الشرع ، وتخشى قول الناس - وبخاصة المنافقون - وتعييرهم إياك بأنك تزوجت بزوجة ابنك زيد ، والله أحق أن تخشاه وحده في تنفيذ أحكامه ؛ فلما قضى زيد من زينب وطره ، ولم تبقى له حاجة فيها ، وطلقها ، وانقضت عدتها ، أبجنا لك الزواج منها ، ليكون ذلك تشريعاً للناس ، فلا يكون عليهم بأس في الزواج بزوجات من تبنوهم ، متى أدركوا منهن حاجتهم ، وطلقوهن ، وكان أمر الله قضاء مقضيّاً نافذاً .

٣ - ما كان على النبيّ من بأس فيما أحله الله له ، آسن الله بذلك في تعدد الزوجات ، سنة الذين تقدموك من الأنبياء ، فقد كان لداود مائة زوجة ، وكان أمر الله حُكماً نافذاً واجب الاتباع ؛ هؤلاء الأنبياء يبلغون رسالات الله ، ويخشونه وحده في كل ما يأتون وما يذرون ، ولا يخشون أحداً إلا الله ، ولا يعبتون بما يخوض الناس فيه ، فيما أحله لهم ، وكفى بالله محاسباً ، فينبغي ألا نخشى غيره .

٤ - ما كان محمد أباً حقيقياً لأحد من رجالكم ، حتى يكون بينهما ما يكون بين الوالد والولد ، من حرمة زواج الأب وزوجة الابن ، وليس أباً لزيد ، حتى يحرم عليه الزواج من زوجته زينب ؛ وإذا كان محمد أباً للقاسم وعبد الله وإبراهيم ، فلم يعش أحد منهم حتى يبلغ مبلغ الرجال ، فالقاسم وعبد الله

ماتا بمكة قبل الهجرة ، وإبراهيم ولد في السنة الثامنة من الهجرة ، وقصة  
زينب كانت في السنة الخامسة ، حين لم يكن له أولاد من الذكور ، ولكن  
محمدأ كان رسول الله ، وكان خاتم النبيين ، وآخرهم الذي يختمون به ،  
فليس له ابن بعده يرثه في النبوة ، وكان الله عليماً بكل شيء ، يعلمكم  
الأحكام التي كنتم منها في شك مُريب .

( ٤ )

من الآية ٤١ إلى الآية ٤٤ من سورة الأحزاب

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ،  
وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا . هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ  
وَمَلَائِكَتُهُ ، لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ،  
وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا -١- . تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ :  
سَلَامٌ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا -٢- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
بكرة وأصيلا	أول النهار وآخره .
يصلى عليكم	يرحمكم .
وملائكته	ويستغفر لكم ملائكته .
من الظلمات إلى النور	من الضلال إلى الهدى .
تحيتهم	تحية المؤمنين من الله .
سلام	إخبار بالسلامة من كل مكروه

## مجمل المعنى

١ - يأيها المؤمنون ، اذكروا الله بألستكم وقلوبكم وجوارحكم ذكراً كثيراً دائماً ، بما يستحقه من التقديس والتحميد ، والتلهيل والتمجيد ، واشكروه على نعمائه ، وأثنوا عليه بما هو أهله ، وسبحوه في أول النهار وآخره ، بأن تقولوا : سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ؛ ونزهوه عن كل ما لا يليق به ؛ وخُصَّ هذان الوقتان بالذكر ، لأن ذكر الإنسان ربه ، وتسيبته في بدء نهاره ، يُشعره بعظمة الله ، فيرجو منه التوفيق في عمله في أثناء النهار ، وذكره وتسيبته في آخر نهاره ، يشعره بعظمة القادر الذي غمره بفضله ، واستحقاقه من أجل ذلك جزيل الحمد ؛ ولا ينافي هذا أن يذكر المؤمنون ربهم ، ويسبحوه في جميع الأوقات والأحوال ، فإنه هو الذي يعمهم برحمته ، ويستغفر لهم ملائكته ، ليخرجهم من ظلمات الضلال والمعصية إلى نور الهدى والطاعة ؛ وهذه نعمة من أكبر النعم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، التي هي خير أمة أخرجت للناس ؛ وكان الله رحيماً بالمؤمنين ، معنياً بخيرهم ، وإصلاح أمورهم ؛ فهو يؤمّمهم من العذاب يوم القيامة ما داموا له مطيعين ، ولأمره متبعين ، ومن مظاهر عنايته بأمرهم ، أن ملائكته يستغفرون لهم .

٢ - تحية الله للمؤمنين يوم يلقونه في الدار الآخرة على لسان رسله : سلام لهم من كل مكروه ، ونظير هذا قوله في سورة الرعد : « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم » ؛ وقد هيأ الله لهم مقاماً كريماً في الجنة ، وجزاء حسناً لهم على طاعتهم في الدنيا .



(٥)

من الآية ٤٥ إلى الآية ٤٨ من سورة الأحزاب

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ،  
وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا -١- . وَبَشِّرِ  
الْمُؤْمِنِينَ بَأَنَّ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا -٢- .  
وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ، وَدَعْ أَذَاهُمْ ، وَتَوَكَّلْ  
عَلَى اللَّهِ ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا -٣- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
شاهداً	شاهداً على من بُعثت إليهم .
ومبشراً	ومبشراً بالجنة من صدقك .
ونذيراً	ومنذراً النار من كذبتك .
وداعياً إلى الله بإذنه	وداعياً إلى توحيد الله بأمره وتيسيره .
وسراجاً منيراً	وسراجاً منيراً في الاهتداء به .
ودع أذاهم	ولا تحفل بإيذائهم إياك ، ولا تقابلهم بمثله .

## مجمل المعنى

١ - أيها النبي ، إنا أرسلناك شاهداً على من بُعثت إليهم بإبلاغك إياهم رسالتك ، فراقب أحوالهم ، وتشاهد أعمالهم ، وما يصدر منهم من تصديق أو تكذيب ، وتؤدى شهادتك يوم القيامة فيما لهم وعليهم ؛ ونظير هذا قوله تعالى : « ويكون الرسول عليكم شهيداً » ( ج ٢ ص ٣٠ ) ، وأرسلناك مبشراً بالجنة من صدقك ، ومنذراً من كذبك وعصاك النار ، وداعياً إلى توحيد الله بإذنه وتيسيره ، وما يجب الإيمان به من صفاته ، وسراجاً منيراً ، يستضاء ويهتدى به ، ويقتبس من نوره في إنارة البصائر ، وتبديد ظلمات الشرك والغوياة .

٢ - فراقب أحوال من أرسلت إليهم يا محمد ، وبشر أهل الإيمان بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ، وعطاءً جزيلاً ، وثواباً عظيماً يوم القيامة في الجنة ، على صدق إيمانهم ؛ ونظير هذا قوله في سورة الشورى : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات ، لهم ما يشاءون عند ربهم ، ذلك هو الفضل الكبير » ( ج ٢٥ ص ٢٢ ) .

٣ - ولا تطع الكافرين فيما يخالف شريعتك ، وفي المداهنة في الدين ، كاعترافك لهم أن آلهتهم تنفع وتشفع ، ولا المنافقين الذين يضمرون الكفر ويظهرون الإسلام ، ويظاهرون الكفار عليك ، ولا تبال بهم . ولا تحفل بأذاهم ، أو بما يتهددّونك به من أذى ، فإن الله عاصمك منهم ، وتوكل عليه ، فإنه كفيل أن يكفيك شرهم ، وكفى به حافظاً ، مفوضاً إليه أمرك .

( ٦ )

الآية ٤٩ من سورة الأحزاب

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ  
طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ، فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ  
مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا ، فَمَتَّعُوهُنَّ ، وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا  
جَمِيلًا .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
نكحتم	تزوجتم .
تمسوهن	تباشروهن مباشرة الرجل لزوجته .
تعنتونها	تُحصونها وتعديونها وتستوفونها .
فمتعوهن	فأعطوهن ما يستمتعن به .
وسرحوهن سراحاً جميلاً	وخلوا سبيلهن ، من غير إضرار بهن .

### معجم المعنى

يأيها المؤمنون ، إذا تزوجتم المؤمنات ، ثم طلقتموهن من غير أن تباشروهن  
مباشرة الرجل لزوجته ، فما لكم عليهن من عِدَّةٍ تُحصونها وتستوفونها

بأن تر بص فيها المطلقات بأنفسهن ثلاثة قروء كالمراة المدخول بها — والحلوةُ  
الصحيحة كالمباشرة في بعض المذاهب ، احتياطاً لاحتمال المباشرة ؛ فأعطوهن  
ما يستمتعن به ، إن لم تكونوا قد سميت هن مَهراً ، على الموسع قدره وعلى  
المقتر قدره ، أو أعطوهن نصف المهر المسمى بينكما ، وخلوا سبيلهن من  
غير ضرر يلحقهن ؛ وتخصيص المؤمنات بالذكر ، مع أن الحكم عام  
يشمل الزوجات من الكتابيات ، للتنبيه على أن المؤمن يجمل به أن يتخير  
لنطفته مؤمنة ؛ وهذه الآية تخصيص بعد التعميم المذكور في قوله تعالى :  
« والمطالقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » ، ( تراجع الفقرة الثالثة من  
الصفحة ١١٢ من تفسير الجزء الثاني ) ؛ وفرض نصف المهر مستفاد من  
قوله : « وإن طالقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم هن فريضة ،  
فنصف ما فرضتم ، إلا أن يعفون ، أو يعفو الذين بيده عقدة النكاح » ،  
( تراجع الصفحتان ١٣١ و ١٣٢ من تفسير الجزء الثاني ) .

من الآية ٥٠ إلى الآية ٥٢ من سورة الأحزاب

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ، إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي  
آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ ، وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ  
عَلَيْكَ ، وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَاتِكَ ، وَبَنَاتِ  
خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ ، اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ،  
وَأَمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ، إِنْ أَرَادَ  
النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا ، خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ  
١- . قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا  
مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ، لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ،  
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا -٢- . تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ،  
وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَمَنْ أَبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ  
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ، ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ عَيْنُهُنَّ ،  
وَلَا يَحْزَنَنَّ ، وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ، وَاللَّهُ  
يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا -٣- .  
لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ، وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ  
مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ، إِلَّا مَا مَلَكَتْ  
يَمِينُكَ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا -٤- .

## شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
<p>أعطيت مهورهن معجلاً أو مؤخرًا .                  مما غنمكهُ اللهُ من نساء الكفار بالقهر والغلبة .                  وأحللنا لك امرأة مؤمنة تهب لك نفسها بلا مهر .                  أن يرغب في قبول الزواج منها .</p>	<p>آتيت أجورهن                  مما أفاء الله عليك                  وامرأة مؤمنة إن وهبت                  نفسها للنبي                  أن يستنكحها</p>
<p>هبة خالصة لك ، تختص بها دون غيرك من سائر                  المؤمنين .</p>	<p>خالصة لك من دون                  المؤمنين</p>
<p>ما أنزلنا على المؤمنين في أحكام الزوجات بألا                  يزدن على أربع .</p>	<p>ما فرضنا عليهم في                  أزواجهم</p>
<p>لكيلا يكون عليك ضيق فيما أنت محتاج فيه إلى                  السعة .</p>	<p>لكيلا يكون عليك حرج</p>
<p>تؤخر من تشاء من زوجاتك عن نوبتها .                  وتضم إليك من تشاء في غير نوبتها .                  ومن طلبت منهن وضممتها إليك ، ممن عزلت عن القسمة .                  فلا إثم عليك في ضمها إليك في غير نوبتها .</p>	<p>ترجى من تشاء منهن                  وتؤوى إليك من تشاء                  ومن ابتغيت ممن عزلت                  فلا جناح عليك</p>
<p>ذلك التفويض إلى إرادتك ، أقرب إلى سرورهن                  ورضاهن .</p>	<p>ذلك أدنى أن تقر أعينهن</p>
<p>ويرضين كلهن بما تفرضه عليهن إرادتك .</p>	<p>ويرضين بما آتيتهن كلهن</p>

الألفاظ	شرحها
والله يعلم ما في قلوبكم من بعد ولأن تبدل بهن من أزواج إلا ما ملكت يمينك رقيباً	<p>والله يعلم ما تنطوى عليه قلوبكم من الميل إلى بعض النساء .</p> <p>من بعد التسع اللاتي تزوجتهن .</p> <p>ولا أن تبدل بإحداهن أخرى ، تتخذها زوجة مكانها .</p> <p>إلا ما ملكت من الإماء مهما كثرن ، فإنهن حل لك .</p> <p>مراقباً .</p>

### مجمل المعنى

١ - يا أيها ، النبي إنا أحلنا لك زوجاتك اللاتي أديت مهورهن ؛ وليس الإعطاء بالفعل شرطاً مقيّداً للإحلال ، فقد يكون المهر المسمى متفقاً على تأخيره ؛ وذكر الإيتاء هنا : للتنبيه على أن الأفضل تعجيل المهر ، لأن المرأة التي أعطيت مهرها تكون أطيب قلباً من التي لم تعطه ؛ وأحلنا لك الإماء اللاتي ملكتهن بالسبي في الحرب ، وغنمتهن ، مهما كثر عددهن ومنهن :

( أ ) صَفِيَّة بنت حُجَيِّ بن أَخْطَب ، التي سبها النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر ، في السنة السابعة للهجرة ، واصطفها لنفسه ، وأسلمت وأعتقها ، وجعل عتقها مهرها .

( ب ) وجُورِيَّة بنت الحارث ، التي سُبيت في غزوة بني المصطلق ، فوقع في سهم ثابت بن قيس بن شماس ، فكاتبته على نفسها ، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابتها ، ( يراجع الكلام عن المكاتبه ، في الصفحة ٨٣ من تفسير الجزء الثامن عشر ، عند قوله : « فكاتبوهم

إن علمتم فيهم خيراً» ) وتزوجها رسول الله سنة ٦ للهجرة ، وأحللنا لك المهاجرات من بنات عمك وبنات عماتك ، وبنات خالك وبنات خالاتك ، فهن أفضل من غيرهن ، والمراد بالمعينة هنا في قوله : « هاجرن معك » : الاشتراك في الهجرة لا في الصحبة ، وقد روت أم هانئ بنت أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : خطبني رسول الله ، فقلت له : لأنت أحب إلى من سمعي وبصري ، ولكنني امرأة مُصْصِيَّة : ( ذات صبيان ) ، واعتذرت إليه فعذرني ، فلما أنزل الله هذه الآية لم أحل له ، لأنني لم أهاجر معه ؛ وأحللنا لك كل امرأة مؤمنة تَهَبُ لك نفسها ، ولا تطلب مهرًا ، ومنهن :

( أ ) ميمونة بنت الحارث ، وهي آخر امرأة تزوجها رسول الله .

( ب ) وزينب بنت خزيمة الأنصاري التي كانت تسمى في الجاهلية :

أم المساكين ، لإطعامها إياهم ، وتوفيت في حياته .

( ح ) وأم شريك الأزديّة ، وقد طلقها رسول الله ولم يدخل بها .

فأحللنا للنبي المرأة التي تهب له نفسها ، إن رغب في قبول الزواج بها ، فَهَبَتْهَا نفسها له لا يوجب حلّها إلا بإرادته ؛ وإحلال من تهب نفسها خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يتجاوزة إلى أفراد أمته من المؤمنين ، لشرفه بالنبوة ، واستحقاقه الكرامة من أجلها ، فهي مرتبة تُخصَّصُ بها دون غيره .

٢ - قد علمنا - من حيث الحكمة - ما فرضناه على المؤمنين في زواجهم ، فلا يزيدون على أربع نسوة ، وفيما ملكت أيماهم من الإماء بشراء أو غيره ، من أنهن يحلن للمالكين ، وعلمنا أننا اختصصناك فمحنناك أيها النبي من



الإباحة ما لم تمنحه غيرك ، كهبة المرأة المؤمنة نفسها لك ، والزيادة على أربع ، لكيلا نضيق عليك في أمور أنت محتاج فيها إلى السّعة ، ولكي تفرغ قلبك لمهام أمور المسلمين ، وتبليغ رسالة رب العالمين ، ولكيلا يظن ظان أنك أئمت فيما أبيع لك ؛ وكان الله غفوراً لما يعسر التحرز عنه ، رحيماً فيوسع على من يشاء بفضله ومنته .

٣ - إن لك أيها النبي الحرية المطلقة في معاملة زوجاتك ، فإن شئت قسمت بينهن ، وإن شئت تركت القسمة ، فترجى من تشاء منهن عن نوبتها ، وتضم إليك من تشاء منهن في غير نوبتها ، ومن طلبتها منهن ممن عزلتها عن القسمة ، وضممتها إليك ، فلا بأس عليك في طلبها وضمها إليك ؛ لكن النبي عليه الصلاة والسلام مع هذه الإباحة كان يتقسم بين زوجاته تطبيقاً لنفوسهن ، وصوناً لهن عن الغيرة ، وكان يقول : « اللهم هذه قدرتي فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » يعني قلبه ، لأنه كان يحب عائشة أكثر من سائر زوجاته ؛ ذلك التمييز ، والتفويض إلى مشيئتك في الإرجاء والإيواء ، أقرب إلى أن تقر أعينهن ، وألا يحزن ، وأن يرضين كلهن بما تعاملهن به ، لأن حكمهن فيه سواء ، فإن سوّيت بينهن عمدت ذلك تفضلاً منك ؛ وإن آثرت إحداهن علمت أن هذا حكم الله تعالى ، فتطمئن به نفوسهن ؛ والله يعلم ما في ضمائر قلوبكم من ميلكم إلى بعض النساء دون بعض ، وكان الله عليمًا بأسرار خلقه ، حليماً لا يعاجل بالعقوبة من أخطأ ؛ والمراد بقوله : « تقر أعينهن » : يؤدي إلى سرورهن ، يقال : قرت عينه : برّدت وانقطع بكاؤها ، فإن للسرور دمة باردة ، وللحزن دمة حارة ، ولذلك يقال في الدعاء : أبرد الله دمعه ، لأن دمة السرور باردة .

٤ - لا يحل لك أيها النبي التزوج من النساء من بعد التسع اللاتي في عصمتك

الآن ، وهذه في حقلك كحقل الأربع بالنسبة إلى غيرك ، فإن ماتت واحدة منهن ، فلا يباح لك أن تستبدل بها غيرها ، ولو أعجبك حسن النساء اللاتي ترغب في التزوج منهن ؛ إلا ما ملكت يمينك من الإماء ، فيحل لك أن تتخذ منهن من شئت ؛ وقد ملك بعد نزول هذه الآية مارية القبطية التي أهداها إليه المقوقس حاكم مصر ، فولدت له إبراهيم ؛ وكان الله على كل شيء مراقباً ، فلا تتخطوا ما حدّه لكم ؛ وفي قوله : « ولو أعجبك حسنهن » ، دليل ضمنى على جواز أن ينظر الرجل إلى من يريد زواجها .

من الآية ٥٣ إلى الآية ٥٥ من سورة الأحزاب

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ ،  
إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ ، غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَّا هُمْ ،  
وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا ، فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا ،  
وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ، إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ  
فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ ، وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ -١- .  
وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ،  
ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ -٢- . وَمَا كَانَ  
لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلَا أَنْ تُنْكَحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ  
بَعْدِهِ أَبَدًا ، إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا -٣- . إِنْ  
تُبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تُخَفَوْهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ  
عَلِيمًا -٤- . لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ ، وَلَا  
أَبْنَائِهِنَّ ، وَلَا إِخْوَانِهِنَّ ، وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ ،  
وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ ، وَلَا نِسَائِهِنَّ ، وَلَا مَا مَلَكَتْ  
أَيْمَانُهُنَّ ، وَاتَّقِينَ اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
شَهِيدًا -٥- .

## شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
إلى طعام غير ناظرين إناه فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث وإذا سألتموهن متاعاً أطهر لقلوبكم وقلوبهن ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم لا جناح عليهن ولا نساءهن	إلى تناول طعام في وليمة أو نحوها . غير منتظرين نضجه . فإذا أكلتم فاخرجوا أو تفرقوا . ولا تمكثوا يستأنس بعضهم بحديث بعض . وإذا سألتم أزواج النبي شيئاً من مواعين البيت . أطهر لكم وهن من الخواطر المريبة . ولا أن تتزوجوا زوجاته من بعده أبداً . إن إيذاء النبي وزواج زوجاته من بعده . لا إثم على زوجات النبي . ولا نساءهن المؤمنات ، أما غير المؤمنات فيجب أن يحتجبن عنهن .

## أسباب النزول

١ - كان من عادة العرب إذا أولم أحدهم وليمة أو نحوها ، ودعا القوم إليها ، أن يبكر من شاء منهم إلى منزل الداعي ، ينتظر نضج الطعام ، فإذا فرغوا منه جلسوا يتحدثون ، فلما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنت عمته زينب بنت جحش ، أولتم لصحابته ، فترادفوا أفواجاً ، يأكل فوج ويأتي غيره ، وحضر بعضهم قبل نضج الطعام ، وجلس طوائف منهم بعد تناوله

يتحدثون ، وأطالوا الجلوس ، وبدا على رسول الله أنه يتهيأ للقيام ، فلم يخرج أحد منهم ، فقام وطاف على زوجاته ، وسلم عليهن ، ثم عاد ، فإذا ثلاثة منهم ما زالوا جلوساً يتحدثون ، ولما كان شديد الحياء ، لم ير أن يبدؤ منه ما يدل على استنكاره لبقائهم ، غير أنه تولى عنهم ، ثم أخبر أنهم انطلقوا ، ونزل لذلك قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي . . . »

ب- وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل مع عائشة ، فمر عمر ، فدعاه إلى الأكل معهما ، فأصابت إصبعاً من أصابعه إصبع عائشة ، فقال عمر : أوّه ، لو أطاع فيمكن ما رأته عين ، ثم قال : يا رسول الله ، لو اتخذت حجاباً ، إن نساءك يدخلن عليهن البرّ والفاجر ، فلو أمرتهن أن يحتجبن ، فنزل قوله تعالى : « وإذا سألتوهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب . . . »

ح- وأتى رجل بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فكلّمها - وهو ابن عمها - فقال له رسول الله : « لا تقومنّ هذا المقام بعد يومك هذا » ؛ فقال : يا رسول الله ، إنها ابنة عمي ، والله ما قلت لها منكراً ، ولا قالت لي ؛ فقال رسول الله : « قد عرفت أنه ليس أحد أغير من الله ، وأنه ليس أحد أغير مني » ، فضى الرجل ، ثم قال : يمنعني من كلام ابنة عمي ؟ لأتزوجنها من بعده ؛ فأنزل الله تعالى قوله : « وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ، ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً . . . »

د- ولما نزلت آية الحجاب ، قال الآباء والأبناء والأقارب : يا رسول الله : أو نكلمهن أيضاً من وراء حجاب ؟ فنزل قوله تعالى : « لا جناح عليهن في آبائهن . . . »

## مجمل المعنى

١ - يأيها الذين آمنوا ، لا تدخلوا بيوت النبي التي أعدها لزوجاته - وكان لكل زوجة حجرة حول المسجد ، فلما تُوفِّين ضمت إلى المسجد - إلا وقت أن يؤذن لكم إلى طعام ، فادخلوا حال كونكم غير منتظرين وقت نضجه ؛ والمراد : أنه لا يليق بكم أيها المؤمنون أن تدخلوا قبل أن ينضجَ الطعام ، ثم تأكلوا ولا تخرجوا - وهذا أدب أدب الله به من يتناقل في الانصراف - ولكن إذا دعيتم ، وأذن لكم في الدخول فادخلوا ، فإذا أكلتم فانصرفوا وتفرقوا ، ولا تمكثوا بعد تناول الطعام يستأنس بعضكم لحديث بعض - فالهني عن الجلوس والتحدث قبل نضج الطعام ، وبعد تناوله - إن ذلكم المكث كان يؤذى النبي لضيق بيوته وفيها نساؤه ، ويضيق على أهله ، فيستحي أن يجابهكم ، بأن يأمركم بالانصراف ، والله لا يستحي من الحق ، فلا يمتنع عن بيانه وإظهاره ؛ وفي الآية حض على ألا يتناول أحد طعاماً عند آخر إلا إذا دعاه ، وعلى أن يأتي المدعو في الوقت المناسب ، وقد قالت عائشة رضی الله عنها : « حسبك من الثقلاء أن الله لم يحتملهم » ؛ وأثقل منهم من يتأخر عن الوقت المحدد من غير عذر ، لحجز أن يبين للحاضرين عند انتظاره جلال قدره ، فيتأذى من تأخيره الحاضرون وصاحب البيت .

٢ - وإذا سألت زوجات النبي شيئاً تستعيرونه للانتفاع به ، من مواعين وغيرها ، فاسألوهن من وراء ستر ، ذلك الستر أظهر لقلوبكم وقلوبهن ، وأنى للريبة ، وأبعد عن الشبهة ، فإن الرؤية قد تبعث على الفتنة ؛ والأمر في هذا عام ، يشمل نساء النبي وغيرهن .

٣ — ولا يليق بكم أن تفعلوا ما يكرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته ، ولا أن تتزوجوا زوجاته بعد وفاته ، لأنهن أمهات المؤمنين ، إذا كان قد دخل بهن ، أما التي لم يدخل بها منهن فيجوز التزوج بها ، وقد همّ عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أن يرحم إحدى زوجات النبي ، لأنها تزوجت الأشعث بن قيس الكندى ، فقالت له : ولم هذا ، وما سميت أم المؤمنين ؟ فكف عنها عمر ؛ وكان رسول الله رأى بكشحها بياضاً ، فقال لها : « الحق بأهلك » ؛ إن ذلكم كان عند الله ذنباً عظيماً ، وإثماً جسيماً ، لأن حرمة رسول الله واجبة حياً وميتاً .

٤ — إن تبدوا شيئاً كالعزم على زواج إحدى زوجات رسول الله ، أو تخفوه في صدوركم ، فإن الله كان عليماً به ، فيجازيكم عليه .

٥ — لا إثم على زوجات النبي في مقابلة آبائهن ولا أبنائهن ، ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ، ولا أبناء أخواتهن ، ولا نساءهن المؤمنات ، ولا ما ملكت أيمانهن من العبيد والإماء ، فلهن أن يرينهم ويكلمنهم من غير حجاب ، أما النساء الكافرات ، فيجب على نساء النبي أن يحتجبن عنهن ؛ واثقين الله يا نساء النبي فيما أمرتن به ، إن الله كان على كل شيء شهيداً ، لا تخفى عليه خافية .

(٩)

الآية ٥٦ من سورة الأحزاب

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا، صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا .

### مجممل المعنى

هذه الآية قد شرف الله بها رسوله في حياته وبعد موته ، وبين منزلته عنده ؛ والصلاة من الله رحمته ورضوانه ، ومن الملائكة الاستغفار والدعاء ، ومن المؤمنين الدعاء والتعظيم ، فالله جل شأنه يثنى على النبي عليه الصلاة والسلام ، ويضفي عايه رحمته ورضاه ، وملائكته يدعون له ويستغفرون ، ليتم نعمته عليه ، ولم يقل الله : والملائكة ، أضافهم إلى ذاته العلية ، بقوله : « وملائكته » إشارة إلى عظيم قدرهم ، ومزيد شرفهم ، وهذا يستلزم تعظيم الرسول بما يصل إليه منهم من الدعاء ؛ وأمر الله عباده أن يصلوا عليه دون سائر أنبيائه تشریفاً له . وقد سئل رسول الله : كيف نصلى عليك ؟ فقال : « قولوا : اللهم صل على محمد عبديك ورسولك وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد » ؛ كما أمر الله عباده أن يسلموا على نبيه في الصلاة عند أداء التشهد ، وعند اللقاء في حياته ، وعند زيارتهم قبره بعد وفاته ، بأن يقولوا : السلام عليك أيها النبي ، وأن ينقادوا لأوامره انقياداً ، مدعنين له ولشريعته .



الآيتان ٥٧ و ٥٨ من سورة الأحزاب

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي  
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا -١- . وَالَّذِينَ  
يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا ، فَقَدْ  
اِحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا -٢- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يؤذون الله ورسوله لعنهم الله عذاباً مهيناً بغير ما اكتسبوا بهتاناً وإثماً مبيناً	يفعلون ما يكرهه الله ورسوله ، من الكفر والمعاصي . طردهم الله من رحمته . عذاباً مؤلماً ذا إهانة . بغير جناية استحقوا من أجلها الإيذاء . كذباً . وذنباً واضحاً بيناً .

### مجمل المعنى

١ - إن الذين يرتكبون ما يكرهه الله ورسوله من الكفر والمعاصي ، كنسبة الولد  
والشريك إلى الله تعالى ، وتكذيب رسوله ، وادعائهم أنه شاعر مجنون ،

أو كاهن أو ساحر ، أبعدهم الله من رحمته ، فلا يوفقهم إلى الهدى والرشاد في الدنيا ، وأعد لهم في الآخرة عذاباً يُهينهم بالخلود فيه ويؤلمهم .

٢ - والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بالأقوال والأفعال القبيحة ، من غير جريرة ارتكبوها ، يستحقون من أجلها الإيذاء ، فقد تحملوا كذباً عظيماً ، وذنوباً بيناً ؛ وقد نزلت هذه الآية في المنافقين الذين كانوا يؤذون علياً كرم الله وجهه ، ويسُمعونه ما لا خير فيه ، وقيل : في أهل الإفك .

( ١١ )

الآية ٥٩ من سورة الأحزاب

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ، قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ  
الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ، ذَلِكَ أَذْنَى  
أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ أذنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً	يغطين وجوههن وأبدانهن بملاءتهن . أقرب إلى أن يميّزن من الإماء، ويعرفن أنهن حرائر . فلا يؤذين بتعرض الفساق لهن . وكان الله غفوراً لما سلف من ترك سترهن ، رحيماً بعباده .

### سبب الحجاب

لم يكن العرب يتخذون في منازلهم مراحيض ، وكانت النساء الحرائر والإماء  
يخرجن ليلاً ، لقضاء حاجتهن في الفضاء خارج المنازل في الحقول ، وبين  
أشجار النخيل ، فيتعرض للإماء الرقيقات الفساق من الزناة .

## مجمل المعنى

بأيها النبي ، قل لزوجاتك وبناتك ، ونساء المؤمنين الحرائر ، يَرْخِين وَيُغَطِّيْنَ  
ويسدّ لِن علي وجوههن مُملاء آتهن إذا برزن إلى الفضاء لقضاء حاجتهن ،  
إلا عيناً واحدة ليرين بها الطريق ، فإن ذلك التستر أقرب إلى أن يميّزن  
عن الإمام الرقيقات ، اللاتي يكشفن وجوههن ، وأن يُعرفن أنهن حرائر ،  
فلا يؤذّين بالتعرض لهن من الفساق الزناة ، الذين يعاكسون الإمام الرقيقات ،  
وتنقطع الأطماع فيهن ، وكان الله غفوراً لما سلف منهن من كشف وجوههن ،  
رحيماً بعباده ، حيث يرعى مصالحهم ، حتى في أدق الأمور منها ، ويثيب  
من أمثّل أمره ؛ وكان عمر رضى الله عنه في خلافته إذا رأى أمة تقنعت  
ضربها بالدرة ؛ والجلابيب جمع جلباب ، وهو ثوب واسع سابغ ، أوسع  
من الخمار ، ودون الرداء ، يشمل جميع اليمين ، ويطلق على الملاعة .

( ١٢ )

من الآية ٦٠ إلى الآية ٦٢ من سورة الأحزاب

لَعْنٌ لِّمَنْ يَنْتَهِيَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ  
 مَرَضٌ ، وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ ، لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ،  
 ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا -١- . مَلْعُونِينَ ،  
 أَيَنَّمَا تُكْفِرُوا أَخَذُوا وَقَتَلُوا تَقْتِيلًا -٢- . سُنَّةَ اللَّهِ فِي  
 الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا -٣- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم	والذين في قلوبهم ضعف إيمان ، كالفساق الزناة . الذين يذيعون الأراجيف الملققة عن سرايا المسلمين . لنسلطنك عليهم .
لا يجاورونك فيها إلا قليلاً	لا يساكنونك في المدينة إلا بمقدار الزمن القليل الذي يجاون فيه .
ملعونين أيما تكفروا أخذوا وقتلوا تقتيلاً	مطرودين من رحمة الله ، مبعدين عن عطفه . أيما وجدوا . أخذوا أسرى ، واستحرق بهم القتل .
سنة الله في الذين خلوا من قبل	سن الله ذلك في الأمم الماضية .

## مجمل المعنى

١ - لئن لم يرجع المنافقون عن كيدهم وعدوانهم ، والذين فى قلوبهم ضعف إيمان - من الفساق والزناة الذين يتبعون الإمام ، واليهود المذيعون للأخبار السيئة ، والأراجيف الملققة فى المدينة ، عن سرايا التى كان يرسلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لمحالفة بعض القبائل التى فى طريق تجارة قريش ، بالتشكيك فى مصير هذه السرايا ، وبقولهم : إن سرايا المسلمين هزموا وقتلوا ، لإضعاف القوة المعنوية فى نفوس المسلمين - لئن لم يرجع هؤلاء عن أراجيفهم ، لنسلطنك ولنحرضنك عليهم ، ولنأمرنك بقتالهم لتستأصلهم ، حتى يُضطروا إلى الجلاء عن المدينة ، ثم لا يساكنوك فيها إلا زمناً يسيراً ، بمقدار ما يحتاجون إليه من الوقت للجلاء .

٢ - وهم فى هذا الوقت القصير الذى يستعدون فيه للرحيل ، ويتأهبون فيه للخروج من المدينة ، يكونون مطرودين من رحمة الله ، مبعدين عن عطفه ، مقهورين مغلوبين على أمرهم ، وإذا خرجوا يكونون أذلاء ضعافاً ، لا يجدون ملجأ ، فأينما يكونوا يتعرضوا للظفر بهم ، فيؤخذوا أسرى ، ويقتلوا أشنع تقتيل .

٣ - لقد سن الله ذلك سنةً جارية فى الأمم الماضية ، وهو أن يقتل الذين نافقوا الأنبياء ، بالسعى فى توهين دعوتهم ، والمفسدون الذين يُذيعون مقالة السوء بين الناس ، ولا يقدر أحد أن يبدل ما جرت عليه سنة الله فى خلقه ، لابتنائها على أساس الحكمة ، التى يدور عليها ذلك التشريع .

(١٣)

الآية ٦٣ من سورة الأحزاب

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ، قُلْ : إِنَّمَا عَلِمَهَا  
عِنْدَ اللَّهِ ، وَمَا يُدْرِيكَ ؟ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يسألك الناس عن الساعة وما يدريك	يسألك المشركون : متى تقوم القيامة ؟ وأى شيء يعلمك وقتها ؟

### مجمل المعنى

كان الكفار يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة ، استعجالاً لما هددهم بالعذاب ، بطريق الاستهزاء : وكان المنافقون يسألونه عن وقتها تعنتاً ، وكان اليهود يسألونه عنها امتحاناً لما يعلمون من أن الله أخفى وقتها في التوراة ، فيقول هؤلاء : متى تقوم الساعة ؟ فقل لهم : إني لا أعلم وقت قيامها ، لأن الله قد استأثر بعلمه إياها ولم يطلع عليه أحداً ، لا ملكاً مقرباً ، ولا نبياً مرسلًا ، فهو وحده الذي عنده علم الساعة ، وأى

شئء يُعلمك وقت قيام الساعة يا محمد ، ما دمنا لم نبلغك إياه ؟ لعل وقت  
الساعة يكون قريباً ، فلا تستبطئوه أيها السائلون ؛ وفي الرد تهديد  
ووعيد لهم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « بعثت والساعة كهاتين » ،  
وأشار إلى السبابة والوسطى ؛ وإنما أخفى الله وقت الساعة ، ليكون المرء  
مستعداً لها في كل وقت ، ولكيلا يفتر نشاطه في الدنيا ، فيما يزاوله  
من أعمال .



( ١٤ )

من الآية ٦٤ إلى الآية ٦٨ من سورة الأحزاب

إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا -١- . يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ : يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ -٢- . وَقَالُوا : رَبَّنَا ، إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ، رَبَّنَا ، آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ ، وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا -٣- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لعن الكافرين	أبعدهم من رحمته .
سعيراً	ناراً شديدة الانتقاد .
وليّاً ولا نصيراً	حافظاً يحفظهم ، ولا ناصرأ يمنعهم من عذاب الله .
تقلب وجوههم في النار	تصرف وتحول من جهة إلى أخرى كاللحم الذي يشوى .
وقالوا	وقال الأتباع منهم ، الذين اقتدوا بهم .
فأضلونا السبيلا	فحملونا على الانحراف عن طريق الهدى .

الألفاظ	شرحها
آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً	عذبهم مثلي عذابنا ، لأنهم ضلوا وأضلوا . وأبعدهم عن رحمتك بعداً شاسعاً .

### مجمل المعنى

١ - إن الله أبعد الكافرين عن رحمته ، وحرّمهم عطفه ؛ عاجلاً وأجلاً ، وأعد لهم في الآخرة ناراً متقدة يخلدون فيها دائماً ، ولا يجدون لهم حافظاً يقيهم أوارها ، ولا ناصرأ يدفعها عنهم ، ويخلصهم منها ؛ وعاد الضمير على « سعيراً » مؤنثاً ، لأنه بمعنى النار .

٢ - يوم تقلب وجوههم في النار من جهة إلى جهة ، كاللحم الذي يُشوى ، وتتغير من حال إلى حال ، وتتوارد عليها الهيئات القبيحة من شدة الأهوال ، يقول الرؤساء نادمين متحسرين : يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول ، فنتخلص من هذا العذاب ؛ ونخصت الوجوه بالذكر مع أن العذاب يعم جميع البدن ، لأنها أكرم موضع على الإنسان من جسده .

٣ - وقال أتباعهم تشفياً منهم ، لأنهم هم الذين أوردوهم هذا المورد الوخيم : يا ربنا ، إنا أطعنا ملوكنا وولاتنا ورؤساءنا الذين اتخذناهم قدوة لنا ، فأنحرفوا بنا عن سبيل الهدى والرشاد ، بما زينوه لنا من الكفر ، ورفض دعوة الرسل ، فعذبهم يا ربنا مثلي عذابنا ، لأنهم ضلوا وأضلوا ، والعنهم لعناً شديداً عظيماً ؛ والألف في آخر « الرسولا » و « السبيلا » تقع في الفواصل فيوقف عليها ، وت حذف عند الوصل .

( ١٥ )

الآية ٦٩ من سورة الأحزاب

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا  
مُوسَى ، فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ، وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
آذوا موسى وجيهاً	ادَّعوا عليه أن به عيباً في بدنه . ذا جاه ، عظيم القدرة ، رفيع المنزلة .

### إيذاء موسى وبراءته

كان بنو إسرائيل يغتسلون عرايا، وكان موسى حبيياً، يغتسل وحده، ويتستر عند اغتساله، فادعى قوم منهم أنه آدر: (منتفخ الحصى، له قليط: «قليطة»)، وقالوا ما يستر إلا لعيب في بدنه، فانطلق يوماً يغتسل، وجعل ثيابه على حجر، فطارت ثيابه لهبوب الريح، وانطلق وراءها عرياناً، حتى انتهى إلى ملا من بنى إسرائيل، فنظروا إليه، فإذا به لم يكن كما ظنوا، وبراه الله مما قالوا.

## مجممل المعنى

ينهى الله تعالى المسلمين أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول يكرهه منهم ، أو فعل لا يحبه منهم ، كما آذى بنو إسرائيل موسى ، وذلك أن رسول الله قسم بينهم غنيمة ، فقال رجل منهم : هذه قسمة ما أريد بها وجهُ الله ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : يرحم الله موسى ، لقد أودى بأكثر من هذا فصبر ؛ وقد برأ الله موسى مما قاله بنو إسرائيل ، حين طار ثوبه كما تقدم ، فأوه على غير ما ظنوا ، وكان موسى عند الله رفيع القدر ، عظيم المنزلة ، ومن وجاهته أنه كلم المولى جل وعلا ، ولقَّبَ بكليم الله .

( ١٦ )

من الآية ٧٠ إلى الآية ٧١ من سورة الأحزاب

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ،  
يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؛ وَمَنْ  
يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
سديداً يصلح لكم أعمالكم	تستهدفون فيه الصواب والحق . يوفقكم إلى الأعمال الصالحة .

مجمل المعنى

يأيها المؤمنون ، حصنوا أنفسكم بتقوى الله في كل ما تأتون وتدرن ، وراقبوا  
الله في حفظ ألسنتكم ، وقولوا صواباً تستهدفون فيه الحق ، ولا تفتروا على  
الرسول الكذب في أمر زينب ؛ فإن فعلتم ذلك يوفقكم الله إلى الأعمال  
الصالحة ، ويتقبلها منكم ، ويشبكم عليها ، ويمح عنكم ذنوبكم ؛ ومن  
يطع الله ورسوله في كل ما يأمران به وينهيان عنه ، فقد فاز فوزاً عظيماً ،  
فيعيش في الدنيا حميداً ، ويكون في الآخرة سعيداً .

(١٧)

من الآية ٧٢ من سورة الأحزاب إلى آخر السورة

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ،  
فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا ، وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ، وَحَمَلَهَا  
الْإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ، لِيُعَذِّبَ اللَّهُ  
الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ ، وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ ،  
وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا  
رَحِيمًا .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الأمانة فأبين أن يحملها وأشفقن منها إنه كان ظلوماً جهولاً ليعذب الله	الطاعات والتكاليف الشرعية . اعتذرن عن قبول حملها . خفن من هول أمرها . لأنه كان مفرطاً في الظلم ، عريقاً في الجهل . لتكون عاقبة أمر العاصي العذاب .

### مجمل المعنى

لما بيّن الله فيما سبق مآل الخارجين على طاعته ، واستحقاقهم لعنته ،  
وإعداده السعير لهم يوم القيامة ، وبيّن في الآية السابقة عظم شأن طاعة

الله ورسوله ، عقب ذلك بعظم شأن ما توجه به هذه الطاعات من التكاليف الشرعية ، وصعوبة أمرها ، بطريق التصوير والتمثيل ، مع الإشعار بأن ما صدر عن خلقه من الطاعات أو تركها ، صدر عنهم بعد القبول لها ، والالتزام بأدائها ، وقد عبّر الله عن هذه الطاعات ؛ بالأمانة ، للتنبيه على أنها حقوق مرعية ، أودعها الله المكلفين ، واثمنهم عليها ، وأوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد ، وأمرهم بمراعاتها ، والحفاظة عليها ، وأدائها من غير إخلال بشيء من حقوقها ؛ وعبّر الله عن عظيم قدرها — لإظهار مزيد العناية بأمرها — بأنه عرضها على الأجرام العظيمة ، من سموات وأرض وجبال ، فأظهروا عدم الاستعداد لقبولها ، بالإباء والخوف من حملها ، لتحويل أمرها . وفخامة شأنها ، وعبّر الله عن قبول الإنسان إياها بالحمل ، لتحقيق معنى الصعوبة فيها ، وجعلها من قبيل الأجسام الثقيلة ، التي تستعمل فيها القوى الجسمانية ؛ والغرض من هذا : بيان أن هذه الأمانة في عظم الشأن ، بحيث لو كلفت هذه الأجرام العظيمة التي تمتاز بالقوة والشدة ، أن ترعى الأمانة حق رعايتها ، وكانت ذات شعور وإدراك ، لأبينّ قبولها ، ونحزن أن يقصروا عن حملها ، ولكن حملها الإنسان عند عرضها عليه . وقبل تكليفه أداءها ، يوم الميثاق ، يوم أخذ الله من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم : ألسنت بربكم ؟ قالوا : بلى ، شهدنا ؛ مع ما في الإنسان من ضعف البنية ، ورخاوة القوة ؛ إنه — بحسب غالب أفراده — كان مفرطاً في الظلم . لعدم وفائه بما تعهد به ، مبالغاً في الجهل ، لأنه لم يعمل بموجب فطرته السليمة ؛ لقد حملها الإنسانُ المغرور الكنود ، لتكون عاقبته أن يعذب بعضُ أفراده الذين لم يراعوا حقوق الأمانة . ولم يقابلوها بالطاعة ، وكانت عاقبة حمل الإنسان

الطاغية العاصي لها ، أن يعاقب بعض أفرادها من المنافقين والمنافقات ،  
والمشركين والمشركات ، بالعذاب الأليم ، لحياتهم الأمانة ، ونكثهم العهد  
والميثاق ؛ أما الذين لم يبدلوا فطرة الله السليمة التي فطر الناس عليها ، من  
المؤمنين والمؤمنات ، فإنهم لحملهم الأمانة ، ومحافظتهم عليها ، جديرون بأن يقبل  
الله توبتهم على ما فرط من زلات ، قلما يخلو منها بحكم جِبِلَّتِهِ ، لعدم خلعهم  
ربقة الطاعة ، وتداركهم ما يصدر منهم من زلات بالتوبة والإنابة ،  
وكان الله عظيم المغفرة والرحمة ، حيث تاب عليهم ، وغفر لهم فرطاتهم ،  
وآثابهم بالفوز بالنعيم المقيم على طاعتهم .



## سورة سَبَأ

نزلت بمكة ، ما عدا الآية السادسة ، فإنها نزلت بالمدينة ، وآياتها ٥٤ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( ١ )

من الآية الأولى إلى الآية الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي  
الْأَرْضِ ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ، وَهُوَ الْحَكِيمُ  
الْخَبِيرُ - ١ - . يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ  
مِنْهَا ، وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ، وَهُوَ  
الرَّحِيمُ الْغَفُورُ - ٢ - .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وله الحمد في الآخرة	ويختص بالثناء في يوم القيامة من أهل الجنة .
ما يلبج في الأرض	ما يدخل في الأرض من بدور ومياه أمطار .
وما يخرج منها	وما يخرج من الأرض من النبات ومياه العيون .
وما ينزل من السماء	وما ينزل من السماء من مطر وثليج وصواعق .
وما يعرج فيها	وما يصعد إليها من بخار ودخان .

## مجمل المعنى

١ - الشكر والثناء للمولى جل وعلا ، الذى يملك كل ما فى السموات والأرض من عوالم ، فهو خالقهم ومالكهم ورازقهم ، وهم تحت تصرفه ؛ ويختص بالثناء الخالص فى يوم القيامة من أهل الجنة ، الذين يقولون : « الحمد لله الذين صدّقنا وعده ، وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء » ؛ وهو الحكيم فى صنعه ، الخبير بخلقهم ، يعلم ظاهرهم وباطنهم .

٢ - يعلم ما يدخل فى مسامّ الأرض من ماء المطر ، الذى ينبع فى مكان آخر ؛ وما يوضع فيها من بذور النبات ، ويعلم ما تشتمل عليه الأرض من كنوز ودقائق وأموات ، وما يخرج منها من نبات وعيون ، ومعادن وجواهر وأحجار ، ويعلم ما ينزل من السماء من ندى وأمطار ، وبرّد وثلوج وصواعق ، وما يصعد إلى السماء من أبخرة وأدخنة ، وهو --- مع ترادف نعمه --- الرحيم بعباده . ينزل عليهم من السماء رزقاً . ويتجاوز عن فرط فى أداء موجب الشكر . الغفور لما يصدر منهم من زلات .

من الآية الثالثة إلى الآية السادسة من سورة سبأ

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا : لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ، قُلْ :  
بَلَى ، وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ، عَالِمِ الْغَيْبِ ، لَا يَعْزُبُ  
عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ،  
وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ  
-١- . لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ،  
أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ . وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي  
آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ، أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ  
-٢- . وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ  
مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ ، وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ  
الْحَمِيدِ -٣- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الساعة	القيامة .
لا يعزب	لا يغيب .
مِثْقَالُ ذَرَّةٍ	وزن ذرة .

الألفاظ	شرحها
في كتاب مبین معاجزین عذاب من رجز	في لوح محفوظ بيّن . مقدرين عجزنا عن إدراكهم . سيء العذاب .

### مجمّل المعنى

١ — وقال كفار مكة استهزاء برسول الله ، كأبي سفيان ومن لفّ لفّه ممن جحدوا قدرة الله على إعادة خلقه بعد فناءهم : نحن لا نعترف بقيام القيامة التي تدعيها يا محمد ، وتزعم أننا نعذب فيها لعدم إيماننا بك وبإهلك ، فقل لهم : بلى ، لتأتينكم الساعة حقّاً ، ولكن لا يعلم وقت مجيئها أحد سوى علام الغيوب ، الذي لا يغيب عن علمه وزن ذرّة في السموات ولا في الأرض ، ولا أصغر من الذرة بعد تحطيمها . ولا أكبر منها ، وقد أثبت الله ذلك في اللوح المحفوظ الذي أبان كل شيء ، قل لهم ذلك وهم يعرفون أمانتك ، ونزاهتك عن وصمة الكذب ، وإذا كذبوك فإنما ذلك لمجرد المكابرة والعناد — قل لهم : لتأتينكم الساعة التي تلقون فيها الذل والهوان ، ومن كان عالماً بجميع الأشياء جليلها ودقيقها ، جليلها وخفيها ، كان قادراً على بعثكم يوم القيامة ؛ وذكر السموات والأرض هنا له مناسبة لطيفة ، لأن أجزاء الأجسام في الأرض ، وأن الأرواح في السماء ؛ ونظير هذا قوله : « وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ، ولا رطب ولا يابس ، إلا في كتاب مبين » (ج ٧ ص ١٦) .

٢ — لتأتينكم الساعة ، لينال كل من المؤمن والكافر جزاءه ، فالذين آمنوا

وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما فرط منهم من ذلات لا يخلو البشر منها ،  
ورزق حسن لاتعب منه ولا منّ ولا انقطاع ؛ والذين كفروا ، وجاهدوا  
في إبطال أدلتنا ، وتكذيب القرآن الذي أنزلنا على رسولنا ، وتزهيد الناس  
فيه ، وتشبيطهم عن الإيمان ، وصدّهم عنه ، مقدرين عجزنا عن إدراكهم  
لمحاسبتهم على أعمالهم ، لظنهم أن لا بعث ولا عقاب ، أولئك يعاقبون  
بعذاب سيئ مؤلم شديد .

٣ -- ويعلم أولو العلم من الصحابة ومن شايعهم ، ومؤمنو أهل الكتاب الذين  
قرءوا التوراة الصحيحة . أن القرآن الذي أنزل إليك من ربك هو الحق  
الذي لا مرأ فيه ، ومع كونه حقاً وصدقاً ، فإنه هو الذي يوصل إلى  
طريق دين الله ذي العزة ، الذي ينتقم ممن خالف رسوله ، والذي يستحق  
كل حمد وثناء على جزيل آلائه ؛ وهذه الآية وحدها في هذه السورة  
نزلت بالمدينة .

( ٣ )

من الآية السابعة إلى الآية التاسعة من سورة سبأ

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا : هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ  
يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ : إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ  
جَدِيدٍ ؟ -١- . أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ؟  
بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ  
الْبَعِيدِ -٢- . أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا  
خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؟ إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ  
الْأَرْضَ ، أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ ، إِنْ  
فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ -٣- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
إذا مزقتم	إذا مزقت أجسادكم ، وتفترقت أجزاءها . وصرتم تراباً .
أفترى على الله كذباً	أهو قد اختلق هذا الكذب الذي يدعيه على الله ؟
أم به جنّة	أم به جنون جعله يتخيل ذلك ؟
في الضلال البعيد	في الضلال البعيد عن الحق والصواب .

الألفاظ	شرحها
إلى ما بين أيديهم وما خلفهم نَخَسَفَ بهم الأرض كَسَفًا عبد منيب	إلى ما أحاط بهم . نجعل الأرض تغور بهم . قطعاً . عبد راجع إلى ربه .

### مجمل المعنى

١ - وقال كفار قريش بعضهم لبعض ، استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم : هل ندلكم على رجل يحدثكم بأعجب الأعاجيب ؟ إنه يزعم أنكم تبعثون وتنشئون خلقاً جديداً ، بعد أن تموتوا وتبلى أجسادكم في القبور ، وتتمزق كل تمزيق ، وتنفرق أوصالكم شدَّارَ مذارَ ، وتذهب السنون برفاتكم ، وتصيرون تراباً تذروه الرياح .

٢ - أهو بزعمه هذا قد اختلق هذا الكذب على الله ، وادعى نسبه إليه ؟ أم هو مجنون يهذى ، ويتكلم بما لا يدري ، وبما لا معنى له ؟ يوهمه جنونه هذا ، فينطق به لسانه ؛ كلا أيها الكافرون المعاندون المكابرون ، ليس محمد مفترياً ولا مجنوناً ، بل أنتم - الذين لا تصدقون بالآخرة المشتملة على البعث - في تمام اختلال العقل ، والضللال البعيد عن الحق والصواب ، وما يؤدي إليه من العذاب الأليم الدائم في جهنم ، تستحقونه بكفركم وعنادكم .

٣ - أعبى هؤلاء المكابرون الجاحدون للبعث بعد الممات ، فلم يروا ما أحاط بهم من آثار قدرة الله في السماء والأرض ، فيرتدعوا وينزجروا ؟ أهم أشد خلقاً أم السماء والأرض ؟ ونظير هذا قوله تعالى : « أوليس الذي خلق

السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ » ( ج ٢٣ ص ٣٥ )  
إن نشأ نحن — جرياً على سنتنا — جعلنا الأرض تغور بهم ، كما فعلنا  
بقارون ، أو نسقط عليهم قطعاً من السماء تبيدهم ، كما فعلنا بقوم شعيب ؛  
إن في ذلك التفكير ، والنظر في آثار قدرة الله ، لدلالة قاطعة ، وآية  
واضحة ، على كمال قدرته ، لكل عبد راجع إلى ربه ، مطيع له ، يستدل  
به على أنه لا يعجزه شيء ، وينزجر إذا ظهر له الحق .



( ٤ )

من الآية ١٠ إلى الآية ١١ من سورة سبأ

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا : يَا جِبَالُ ، أُوِّبِي مَعَهُ  
وَالطَّيْرَ ، وَاللَّنَّا لَهُ الْحَدِيدَ : أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ ،  
وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ، وَاْعْمَلُوا صَالِحًا ، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ  
بَصِيرٌ .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فضلا	نبوة ، وكتاباً ، وملكاً ، وصوتاً حسناً .
أوَّبي معه	رجعى معه صوت تسيحه .
والطير	ودعونا الطير .
سابغات	دروعاً واسعات ضافيات .
وقدر في السرد	وقدر في نسج الدروع ، بحيث تتناسب حلقاتها .
واعملوا صالحاً	واعملوا يا آل داود عملاً صالحاً .

### قصة سيدنا داود

١ - ذكرنا في الصفحة ١٤٩ من تفسير الجزء الثاني ، كيف قتل داود جالوت ؛  
وقد صار داود بعد قتل جالوت ملكاً على بني إسرائيل ، فاستطاع أن

يجمع شملهم بعد أن كانوا شيعاً ، ولم يجتمعوا قبله تحت لواء ملك واحد ، وكانت سنه إذ ذلك ثلاثين سنة .

ب— وكان داود فطناً ذكياً ، حكيماً عادلاً ، وكانت مملكته شديدة البأس ، قوية السلطان ، بل كانت في عهده أقوى مملكة في العالم ، وأعظمها سلطاناً ، استولت على بلاد كثيرة من الشام وعمان ، وقد أشار الله إلى ذلك بقوله : « وشددنا ملكه ، وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » ، ( ج ٢٣ ص ٩٥ )

ح— اختاره الله نبياً ، وأنزل عليه الزبور ، وفيه مزامير داود ، وهي مائة وخمسون مزموراً ، تشتمل على قصائد وأناشيد ، تتضمن تسبيح الله وحده ، والثناء عليه ، والتضرع له ، وبعض الحوادث ، وكان داود حسن الصوت ، إذا تغنى بمزاميره طرب لسماعها كل كائن حي ، حتى قيل : إن الطيور والوحوش كانت إذا سمعت غناء داود تؤخذ من أعناقها فلا تحس ، وكانت الجبال تردد غناؤه برجع الصدى ، وفي ذلك يقول الله تعالى : « إنا سنخرنا الجبال معه ، يسبحن بالعشى والإشراق ، والطير محشورة ، كل له آوآب » ، ( ج ٢٣ ص ٩٥ ) .

د— وقد ألان الله له الحديد ، فصنع منه دروعاً سابغات تردطعنات الحراب ، وضربات السيوف عنم يرتديها ، وكانت هذه الدروع محكمة النسيج ، متصلة الحلقات ، في دقة وحسن سرد .

هـ— وكان داود شديد الورع والتقوى ، بلغ من ورعه أنه تورع أن يأخذ من بيت المال ما يعيش به ، فلما ألان الله له الحديد ، ونجح في صناعة الدروع ، ربح من بيعها ربحاً أغناه عن بيت المال ، قال صلى الله عليه وسلم : « ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » ، وفي هذا حث على تعلم الصناعات واتخاذها أداة للكسب الحلال .

و - وكان يقسم أوقاته أقساماً : قسمًا ينقطع فيه للعبادة ، وقسمًا يجلس فيه للقضاء بين الناس ، وقسمًا يخص به أهله ، وقسمًا للوعظ ؛ وكان له تسع وتسعون امرأة ؛ وسند كوفي ص ٩٥ من تفسير الجزء الثالث والعشرين قصة الملكين اللذين تسورا عليه محرابه يوم خلوته ، واختصما إليه ، عند شرح قوله تعالى : « وهل أتاك نبال الخضم إذ تسورا المحراب » ؛ وقد ذكرنا كثيراً عنه فيما تقدم من تفسير أجزاء القرآن الكريم .

ز - ويستنبط من تاريخ أبي الفداء ، أنه ولد حوالي سنة ١٢٣٩ قبل الميلاد ، وأنه عاش ٧٠ سنة ، وهو من نسل يهوذا بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام .

### مجمل المعنى

ولقد أعطينا داود من لدنا فضلا ، منة منا وكرماً ، فكان نبياً ، وأنزلنا عليه الزبور ، ومنحناه الصوت الحسن ، ودعونا الجبال أن تردد معه تسبيحه حينما يشدو بمزاميره ، يرجع الصوت ، فيسمع منها ما يسمع من المسبح ، ونخرنا الطير أن تُصغى إليه ، وآتيناه قوة خارقة للعادة ، فألنا له الحديد بصرفه كيف يشاء ، وأوحينا إليه أن يعمل دروعاً كاملات واسعات ضافيات ، تحمي لابساها من شفرات السيوف وأسنة الرماح ، واستعمل دقة التقدير في نسجها ، بحيث تناسب حلقاتها المصنوعة من الحديد ، فلا تكون دقيقة تتكسر ، أو غليظة تثقل على لابساها ، وكلفنا آل داود أن يعملوا عملاً صالحاً يستحق أن يثابوا عليه ؛ إني بصير بما يعملون فأجازيهم عليه . ( تراجع الفقرة الثالثة من الصفحة ٤٠ من تفسير الجزء السابع عشر من سورة الأنبياء ، عند شرح قوله تعالى : « وعلمناه صنعة لبوس لكم » ) .

(٥)

من الآية ١٢ إلى الآية ١٤ من سورة سبأ

وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ ، غُدُوها شَهْرٌ ، وَرَوَّاحُها شَهْرٌ  
وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ ، وَمِنَ الجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ  
يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ، وَمَنْ يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ  
عَذَابِ السَّعِيرِ -١- . يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ  
وَتَمَثِيلِ ، وَجِفَانِ كَالْجَوَابِ ، وَقُدُورِ رَاسِيَّاتِ ،  
اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْرًا ، وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ  
-٢- . فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ المَوْتَ ما دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ  
إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ، فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتْ  
الجِنُّ أَنْ لَوْ كانوا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ ، ما لَبِثُوا فِي  
العَذَابِ المُهِينِ -٣- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ولسليمان الريح غدوها شهر	وسخرنا لسليمان الريح . مسيرها من الصباح إلى الزوال يقطعها الراكب المحدف في شهر.

الألفاظ	شرحها
ورواحها شهر	ومسيرها من الزوال إلى الغروب يقطعه الراكب المجدف في شهر.
عين القطر	عين النحاس المذاب .
بإذن ربه	بأمر ربه .
ومن يزغ منهم	ومن يعدل منهم عن العمل .
محارب	قصور حصينة مرتفعة .
وتماثيل	صور من نحاس أو زجاج أو رخام .
وجفان كالجواب	وصحاف كالجوابي ، جمع الجابية : وهو الحوض الكبير .
وقدور واسيات	وقدور لطبخ الطعام ثابتة ، لا تتحرك لعظمتها .
اعملوا آل داود شكراً	وقلنا : اعملوا يا آل داود بطاعة الله ، شكراً له على نعمه .
إلا دابة الأرض	إلا الأرضة التي تأكل الخشب .
منسأته	عصاه .
خرّ	سقط .

### قصة سيدنا سليمان

١ --- قدمنا فيما تقدم ، في الصفحة ٣٨ من تفسير الجزء السابع عشر ، عند تفسير قوله تعالى : « وداود وسليمان إذ يحكمان في الحَرْث . . . » ما كان عليه سليمان من الفطنة والذكاء ورجاحة العقل . منذ نعومة أظفاره .

ب --- وقد تولى سيدنا سليمان الملك بعد وفاة أبيه داود ، فدعا الله أن يمنحه ملكاً

لا ينبغي لأحد من بعده ، فأجاب الله دعاءه ، وسخر له الريح تحمل بساطه حيث أراد ، وكان يجلس عليه وحوله حاشيته من العلماء والأخبار ، وسخر له الجن يستخدمهم في بناء القصور ، وصنع التماثيل ، وقصاع الطعام ، والقدور التي يطبخ فيها ، ويستخدمهم في الغوص في البحار يستخرجون منها له اللآلئ ، وسخر له الطير تظله في مسيره ، وتنفذ إرادته ، وعلمه منطقها ، فكان يسمع منها وتسمع له ، وعلمه لغة الحيوانات حتى الحشرات منها ، وقد سبق أن ذكرنا قصته مع النملة ، وحديثها معه في وادي النمل بين جيرون وعسقلان في سورة النمل ، في الصفحة ١١٠ وما يليها ، من تفسير الجزء التاسع عشر .

### مجمل المعنى

١ -- وسخرنا لسليمان الريح تحمل بساطه ، فكانت تقطع فيما بعد الصباح والظهر ، ما يقطعه الراكب المجد في شهر ، وتقطع فيما بين الظهر والغروب ما يقطعه الراكب المجد في شهر ، قيل : كان يغدو من دمشق ، فيقيل بإصططخر — بلدة بفارس — وبينهما مسيرة شهر ، ويروح من إصطخر فيبيت بكابل — حاضرة الأفغان الآن — وبينهما مسيرة شهر ، وأرسلنا لسليمان آعيناً يخرج منها النحاس المذاب ، فكان يجري كجري الماء على الأرض ، ليصنع منها ما يشاء ، كما ألنا لأبيه داود الحديد من قبل ، وسخرنا له من الجن من كان يعمل بين يدي سليمان بأمر ربه ، ومن يعدل منهم عن تنفيذ أمرنا الذي أمرناه به من طاعة سليمان ، ندقه في الآخرة من عذاب النار المستعرة الملهبة المتقدة .

٢ — كان الجن يعملون لسليمان ما يشاء من :

( ا ) قصور مرتفعة حصينة .

( ب ) وصور من نحاس أو زجاج أو رخام لسباع أو طيور ، ولم تكن التصاوير محرمة في شريعته ، فصنعوا لقائمتي كرسیه الأماميتين أسدين ، وصنعوا فوق كرسیه نسرین باسطين أجنحتهما .

( ح ) وقصاع كالحياض الكبار ، يجتمع عليها ألف رجل يأكلون منها .

( د ) وقدور لطهو الطعام ، ثابتات لا تتحرك لعظمتها ، يصعد إلى أعلاها بالسلام .

وقلنا لآل داود : إننا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم ، فاعملوا بطاعة الله وابعده ، شكراً له على جزیل نعمه التي آخصكم الله بها ، وقليل من عبادى من يتوفر على الشكر بلسانه وقلبه وجوارحه ، على ما أسديته إليه من النعم ، ويبذل جهده فيه ، ويخلص في أدائه .

٣ — فلما حكمنا على سليمان بالموت ، وأنفذناه فيه ، استمر قائماً متكئاً على عصاه ، والجن مستمرون على القيام بالأعمال الشاقة التي كلفهم إياها على عاداتهم ، لا يشعرون بموته ، وما دلّ الجن على موته إلا الأرضة التي أخذت تأكل عصاه التي كان متكئاً عليها — وهي دُوببّه تأكل الخشب ، وتسمى سوسة الخشب — فلما سقط سليمان بعد أن أوهنت الأرضة عصاه ، انكشف للجن أنهم لو كانوا يعلمون الغيب كما كانوا يزعمون ، لعلموا موته حين حدوثه ، ولما استمروا في العمل الشاق المهين بعد موته .

وكان عمر سليمان حين مات ثلاثاً وخمسين سنة ، بعد أن ملك أربعين سنة ، بنى خلالها هيكله العظيم وبيت المقدس .

( ٦ )

من الآية ١٥ إلى الآية ٢١ من سورة سبأ

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ : جَنَّاتٍ عَنْ  
يَمِينٍ وَشِمَالٍ ، كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ،  
بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ -١- . فَأَعْرَضُوا ، فَأَرْسَلْنَا  
عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ، وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ  
ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ ، وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ -٢- .  
ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا ، وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ؟  
-٣- . وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا  
فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً ، وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ، سِيرُوا فِيهَا  
لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ -٤- . فَقَالُوا : رَبَّنَا ، بَاعِدْ بَيْنَ  
أَسْفَارِنَا ، وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ،  
وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ  
صَبَّارٍ شَكُورٍ -٥- . وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ  
فَاتَّبَعُوهُ ، إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ -٦- . وَمَا كَانَ  
لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ  
مَنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ، وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
حَفِيظٌ . -٧- .



## شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
علامة دالة على قدرة الله القاهر الجبار .	آية
فأعرضوا عن شكر الله على نعمه ، وطغوا وبغوا وكفروا .	فأعرضوا
جمع عَرِمَة ، وهو سدّ يعترض الوادى ، ويمسك الماء إلى وقت الحاجة .	العريم
مأكول مرّ بشع ، وهو نوع من الأراك الذى يتخذ منه السواك .	أكل خمط
وشجر يشبه شجر الطرفاء ، ولا ثمر له .	وأثل
من قليل من شجر نبق برى لا ينتفع بثمره ، ولا يصلح ورقه للغسول .	من سدر قليل
قرى متتابعة ، يظهر بعضها لبعض .	قرى ظاهرة
جعلنا السير مقدرًا بينها ، على قدر معلوم من المسافة .	وقدّرنا فيها السير
اجعل السفر المقدر بعيداً .	باعد بين أسفارنا
فرقناهم فى جزيرة العرب كل فريق .	مزقناهم كل ممزق
لكل صبار عن المعاصى ، شكور على النعمة .	لكل صبار شكور
حقق إبليس ظنه فيهم حين أغواهم .	صدق عايهم لإبليس ظنه

## سيل العَرَم - أو سد مأرب

١ - بلغت بلاد اليمن أيام الدولة السبئية ، التي تنسب إلى سبأ بن يشجب ، شأواً عظيماً في التمدن والحضارة ، فبنوا القصور الفخمة مثل : مأرب وغمَمدان وناعط ، وأقاموا سدوداً كثيرة لحجز السيول ، وهي جدران ضخمة كانوا يقيمونها في عرض الأودية ، فترفع المياه لرى الأراضى المرتفعة ، كما تفعل الأمم المتمدينة في إقامة الخزانات .

٢ - وأشهر سدود اليمن سدّ مأرب ، وكان مبنياً بالصّخر والقار ، فكان يجبس سيول العيون والأمطار التي تتجمع من مواضع جمّة ، ثم تصرف المياه منه من فتحات بعضها فوق بعض ، على نحو ما هو معروف في سد أسوان ، بمقدار الحاجة إليها ، ثم تقفل الفتحات بعوارض ضخمة من الخشب ، يتألف منها باب متين ، إذ لم يكن باليمن أنهار ، وإنما يستقى أهلها من مياه الأمطار التي تحفظها السدود ؛ وقد اختار السبئيون مضيّقاً بين جبلين ، وبنوا فيه السدّ الذي عرف بسدّ مأرب .

٣ - ثم أهمل تعهد سد مأرب ، وعمارة ما تخرب منه ، فتصدع نحو ثلثه وهدم ، وسالت مياهه فأغرقت البلاد ، ودمرت القرى ، وأتلفت كل ما كان في طريقها ، فتفرقت القبائل التي كانت تقيم في اليمن في أنحاء جزيرة العرب ، حتى ضرب العرب بهم المثل في التفرقة ، فقالوا عند تبديد الشمل ، وضعف القوة : تفرّقوا أيدي سبأ . وكان سيلُ العرم إبان ملك ذى الأزعار بن حسان ، في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد ، عليهما الصلاة والسلام .

## مجمل المعنى

١ - لقد كان للقبيلة التي تنسب إلى سبأ بن يشجب في مساكنهم باليمن ، علامة دالة على وجود الإله القادر القهار ، الذي يُعَلِّمُ للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته : « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ، إن أخذه أليم شديد » ، وكان لهم مجموعتان من البساتين : مجموعة عن يمين مأرب ، ومجموعة عن شمالها ، كل مجموعة منها في تقارب بساتينها وتضامتها ، كأنها بستان واحد ، كما في المدن العامرة المتحضرة المزدهرة ، بل البيوت نفسها كانت تحيط بها البساتين ، فكانوا جديرين بأن يقال لهم لتمكينهم من تلك النعم : كلوا من ثمار هذه الحدائق ، التي رزقكم الله إياها ، واشكروه على ما منحكم من أرض طيبة الهواء ، جيدة التربة ؛ والله الذي رزقكم هذه النعم ، وطلب منكم أن تشكروه عليها ، ربّ غفور لما يفرط من زلات من يشكره .

٢ - لكن هؤلاء القوم أعرضوا عن شكره ، وغمطوا حقه ، وجحدوا فضله ، فأرسلنا عليهم سيلا من السدّ الذي أقاموه لحجز المياه إلى حين الحاجة إليها ، فأغرقتنا جنتيهم ، وبدلناهم بهما جنتين ذواتي مأكول من ثمر مُرّ بشع - هو ثمر شجر الأراك الذي يؤخذ منه السواك ، وذواتي أثل - وهو شجر الطرفاء ، أو شجر شبيه به ولا ثمر له ، يسمى السمر - والطرفاء : شجر برّي لا ثمر له ؛ وشيء من شجر النبق البري الذي لا ينتفع بثمره ، ولا يصلح ورقه للغسول ، يسمى الضّالّ .

٣ - ذلك التبديل جزيناهم به بسبب كفرهم النعمة التي أغدقناها عليهم ، وهل

نجازى بمثل هذا الجزاء إلا الكفور الجحود ، الذى لا يشكر النعمة ،  
ويكفر بما منحها ؟

٤ - وجعلنا بينهم - وهم باليمن - وبين القرى التى باركنا فيها بكثرة مياهها  
وأشجارها وثمارها - وهى الشام وفلسطين والأردن - حين يسرون إليها  
للتجارة وغيرها ، قرى ظاهرة للعيان ، متصلة من اليمن إلى الشام ، يظهر  
بعضها لبعض لعيون الناظرين ، لقرب المسافة التى بين كل قريتين ،  
وجعلنا هذه القرى على قدر معلوم من المسافة ، فكانت نسبة بعضها إلى  
بعض على مقدار معين ، بحيث يتقيل السائر الذى يخرج غدوة فى القرية  
التى تليها ، وإذا خرج من هذه يستطيع أن يبيت فى القرية التى بعدها ،  
إلى أن يبلغ الشام ، فلا يحتاج إلى حمل زاد أو ماء ، وقلنا لهم : سيروا فى  
هذه القرى إن شئتم بالليل أو بالنهار ، آمنين من كل مكروه ، فإن الأمن  
مستتب ليلاً ونهاراً ، لا تخافون عدواً ، ولا تخشون جوعاً ولا عطشاً ، مهما  
طالت مدة سفركم .

٥ - فطلب ذوو الثراء من ربهم ، وهم الذين أبطرتهم النعمة ، ووجدوا أن لا فرق  
بينهم وبين الفقراء فى الاستمتاع بهذا الأمن - أن يباعد بين أسفارهم ،  
ويجعل الطريق بين اليمن والشام صحارى مقفرة ، ليتناولوا على الفقراء  
بركوب الراحل ، وحمل الزاد والماء فى جمع حاشد من الحراس والعبيد ،  
ليتفاحروا بمظاهيرهم هذه على الفقراء ، وظلموا أنفسهم بالبَطَر وكفران النعمة ،  
فكان مثلهم كمثل اليهود الذين طلبوا من الله العدى والثوم والبصل ، بدل  
المن والسلوى ، فجعلناهم أحاديث لمن بعدهم ، يتحدث بها الناس ،  
ويتعجبون من فعلهم ، وفرقناهم فى جزيرة العرب بأنهار سد مأرب كل  
تفريق لا اتصال بعده ، بعد اجتماع شملهم ، وصاروا مثلاً مضروباً

للتبديد وتمزيق القوى ، ومنهم الأوس والخزرج بالمدينة وغسان بالشام ؛  
إن في ذلك التفريق لعبرة لكل صبار عن المعاصي ، شكور على النعم .  
٦ - ولقد حقق فيهم إبليس ظنه ، باستعدادهم لإغوائه ، حين قال مخاطباً  
المولى جل وعلا : « لأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين » ،  
( ج ٢٣ ص ١٢٧ ) ، فاتبعوه وركبوا رءوسهم ، وانغمسوا في الشهوات  
والآثام ، إلا فريقاً قليلاً من المؤمنين لم يتبعوه ، لكن البلاء إذا عم ،  
لا يصيب الذين ظلموا خاصة .

٧ - وما كان لإبليس تسلط واستيلاء عليهم ، فلم يقهرهم على الكفر ، وإنما  
كان منه الوسوسة والإغواء ، وقد ابتليناهم بهما ، ليتعلق علمنا بتمييز من  
يؤمن بالآخرة وما فيها من الثواب والعقاب ، ممن هو منها في شك ، فنجازي  
كلاً منهما : المؤمن على إيمانه ، والشاك على قدر ضلاله ، وربك يا محمد  
على كل شيء رقيب .

( ٧ )

من الآية ٢٢ إلى الآية ٢٧ من سورة سبأ

قُلْ : ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ،  
لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ،  
وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكَ ، وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ  
-١- . وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ،  
حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، قَالُوا : مَاذَا قَالَ  
رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا : الْحَقُّ ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ -٢- .  
قُلْ : مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ؟ قُلْ :  
اللَّهُ ، وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ -٣- .  
قُلْ : لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا ، وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا  
تَعْمَلُونَ -٤- . قُلْ : يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ، ثُمَّ يَفْتَحُ  
بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ، وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ -٥- . قُلْ :  
أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ ، كَلَّا ! بَلْ هُوَ  
اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ -٦- .

## شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
زعمتم من دون الله مثقال ذرة ما لهم فيها من شرك ظهير فُزَّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا : الحق وإنا أو إياكم أجرمنا يفتح بيننا بالحق وهو الفتح	زعمتموهم آلهة من دون الله . وزن ذرة ، وهي الجزء الذي لا يتجزأ . ليس لهم في السموات والأرض شركة . مُعِين . كشف الفزع عن قلوبهم . سأل المشفوع لهم من المؤمنين . ماذا قال ربكم في طلب الشفاعة ؟ قالوا : قال الله القول الحق ، وهو الإذن بالشفاعة لمن يستحقها . وإن أحد الفريقين : الموحدين أو المشركين . اكتسبنا من الذنوب . يحكم ويفصل بالعدل . وهو الحكم العدل .

## مجمل المعنى

١ - هذا الذي سبق ذكره من أمر داود وسليمان وقصة سبأ ، من آثار قدرتي ، فقل يا محمد لمشركي مكة : هل عند شركائكم قدرة على شيء من ذلك ؟ ادعوا الذين زعمتموهم آلهة من غير الله وعبدتموهم ، والتجسسوا إليهم فيما يهتمكم من جلب نفع أو دفع ضرر ، لعلمهم يستجيبيون لكم ، إن صحت

دعواكم في أنهم يستحقون الألوهية ، ثم أجاب الله عنهم الإجابة التي لا تقبل المكابرة ، بأن هؤلاء الآلهة لا يملكون وزن ذرة من خير أو شر ، ونفع أو ضرر ، لا في السموات ولا في الأرض ، وما لهؤلاء الآلهة أية شركة في السموات والأرض ، لا خلقاً ولا ملكاً ولا تصرفاً ، وما للمولى جل شأنه مُعين من هذه الآلهة في إيجادهما ، وتدبير أمرهما ؛ وإذا كانت آلهتكم على هذا العجز البين ، فكيف تعبدونها ؟

٢ — ولا تنفع شفاعة هذه الآلهة عند الله ، كما يزعم هؤلاء المشركون ، فلا جدوى لهم من عبادتهم إياها ، إذ لا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن أذن له فيها : « من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه » ، ( ج ٣ ص ٧ ) ، وهذه الآلهة أحقر من أن تشفع ؛ والشافعون من الملائكة والنبیین ونحوهم من المتأهلين لمقام الشفاعة ، ينتظرون الإذن بالشفاعة من الله ، ويرقبون كلمة يتكلم بها رب العزة في إطلاق الإذن بالشفاعة لهم ، وهم من خشيته مشفقون ، حتى إذا كشف الله الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم من المؤمنين ، وسرّ عنهم الخوف ، وأذن الله بالشفاعة للشفعاء ، سأل المشفوع لهم ، المحتاجون إلى الشفاعة ، المهتمون بأمرها ، المتشبهون بأذيال الرجاء : ماذا قال ربكم في الشفاعة ؟ قال الشفعاء المباشرون للاستئذان : قال الله القول الحقّ ، وهو الإذن بالشفاعة للمستحقين لها ، وهو ذو العلو والكبرياء ، الذي لا يتكلم أحد من ملك ولا نبي يوم القيامة إلا بإذنه .

٣ — قل يا محمد للمشركين — ليتحققوا أن آلهتهم لا تملك مثقال ذرة مما يملكه الإله القادر — : من يرزقكم من السموات بالمطر والشمس والقمر ، ومن الأرض بالماء والنبات وغيرهما ، فإن لم يجيبوا — لأنهم لا يستطيعون أن يقولوا : هذا فعل آلهتنا — فقل لهم الجواب الذي لا جوابَ غيره : الرازق هو الله



وحده ، وإن الفريقين منا : الموحدين للإله القادر الرازق ، أو المشركين به أصناماً لا تضر ولا تنفع ، لعلّ أحد الأمرين : الهدى أو الضلال ؛ وفي هذا الأسلوب دلالة خفية على من هو من الفريقين على الهدى ، ومن هو على الضلال ؛ ونظيره قول القائل - وهو يعلم أنه صادق ، وأن صاحبه كاذب - : أحدنا كاذب ، ولو جابهه بأنه كاذب لغضب ، والمعنى : ما نحن وأنتم على أمر واحد ، بل على أمرين متضادين ، فأحد الفريقين مهتد ، وهو نحن ، والآخر ضال ، وهو أنتم ، إذ أشركتم مع الذى خلق السموات والأرض غيره ، فسجّل الله عليهم ضلالهم بأحسن من التصريح به ، إظهاراً لبطلان عبادتهم ، وتوبيخاً لهم .

٤ - قل لهؤلاء الكفار يا محمد : أنتم لا تسألون عما اكتسبنا من الذنوب أيها المشركون ، ولا نسأل عما تعملون ، فلا أقصد بما أدعوكم إليه إلا الخير لكم ، لا أنه ينالني ضرر كفركم ، فلكم دينكم ولى ديني ، والله يجازي كلّاً بعمله ؛ وفي التعبير بالإجرام عن المؤمنين ، وبالعمل عن المشركين ، من أدب الخطاب ما لا يخفى .

٥ - قل لهم : يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ، ثم يحكم ويفصل بيننا بالعدل والإنصاف . بلا جور ولا ميل ، بعد ظهور حال كل منا ، فيدخل الحق الجنة ، ويدخل المبطل النار ، وهو الحكم العدل الفيصل ، العليم بما ينبغي القضاء به :

٦ - قل لهم : أعلموني الذين ألحقتموهم بالله في استحقاق العبادة ، وجعلتموهم شركاء له ، لأرى بأية حجة استحقوا أن تضعوهم في هذه المرتبة ، فهل شاركوا في خلق السموات والأرض ؟ كلا ! ارتدعوا عن إشراك هذه الآلة لله في العبادة ، وتنبهوا من غفلتكم ، فالجدير بأن يعبد هو الله الغالب القاهر في تدبيره لخلقه ، الذى لا شريك له فى ملكه .

(٨)

من الآية ٢٨ إلى الآية ٣٠ من سورة سبأ

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ،  
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . وَيَقُولُونَ : مَتَى  
هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ؟ -١- . قُلْ : لَكُمْ مِيعَادُ  
يَوْمٍ ، لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ -٢- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً أكثر الناس	إلا للناس جميعاً . مبشراً المؤمنين بالجنة . ومنذراً الكافرين النار . أكثر الكفار الذين كانوا كثرة في ذلك الوقت .

### مجمل المعنى

١ - وما أرسلناك يا محمد إلى قومك خاصة ، ولكننا أرسلناك إلى الناس جميعاً :  
عربهم وعجمهم ، أسودهم وأحمرهم ، مبشراً المؤمنين المطيعين بالجنة يوم  
القيامة ، ومنذر الكافرين العاصين عذاب جهنم ، ونظير هذا قوله تعالى :

« قل : يأيتها الناس ، إني رسول الله إليكم جميعاً » ، ( ج ٩ ص ٦١ ) ، ولكن أكثر من يكفرون بك لا يعتقدون صحة ما تبلغهم إياه ، فيحملهم عنادهم على مخالفتك ، وإصرارهم على الغي والضلال — وكانوا في وقت إنزال هذه الآية أكثر من المؤمنين عدداً — ويقولون من فرط جهلهم على سبيل الاستهزاء ، حين سمعوا وعيد الله للكفار ، وما أعد لهم من العذاب يوم القيامة : متى هذا الوعد من التبشير والإنذار ، إن كنتم أيها الرسول والمؤمنون صادقين فيما تزعمون ؟

٢ - قل لهم يا محمد : لكم ميعاد يوم تحاسبون فيه على أعمالكم، إذا فاجأكم لا تتأخرون عنه ساعة ، ولا تتقدمون ، فلا يمكنكم التأخر عنه بالاستمهال ، ولا التقدم بالاستعجال .

من الآية ٣١ إلى الآية ٣٣ من سورة سبأ

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا : لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ ،  
 وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ  
 مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ :  
 يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا : لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا  
 مُؤْمِنِينَ -١- . قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا :  
 أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ ؟ بَلْ  
 كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ -٢- . وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ  
 اسْتَكْبَرُوا : بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، إِذْ تَأْمُرُونَنَا  
 أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا -٣- . وَأَسْرُوا  
 النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ، وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ  
 الَّذِينَ كَفَرُوا ، هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ؟ -٤-

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ولا بالذى بين يديه إذ الظالمون موقوفون عند ٣٣ ر	ولا بما تقدم القرآن ، كالتوراة والإنجيل . إذ الكافرون محبوسون للحساب عند ربهم .

الألفاظ	شرحها
يرجع بعضهم إلى بعض القول الذين استضعفوا للذين استكبروا	يتحاورون ويتجادلون ، ويرد بعضهم على بعض الأتباع الضعفاء . للقيادة الرؤساء المستكبرين .
مجرمين	مصرين على الكفر ، لإيثاركم الضلال على الهدى .
مكر الليل والنهار	مكركم بنا الدائم في الليل والنهار ، واحتيالكم وخذاعكم .
أنداداً	شركاء .
أسروا الندامة	أظهروا الندامة . وهذا الفعل يدل على الإخفاء والإظهار .
الأغلال	جمع عُغْل ، وهو قيد يضم الأيدي إلى الأعناق .

### عناد كفار مكة

بعث كفار مكة وفدًا منهم إلى أهل الكتاب ، يسألونهم عن محمد ، فأخبرهم أهل الكتاب أنهم يجدون نعته في كتابهم ، فغضب كفار مكة ، وقالوا : لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه .

## مجمل المعنى

١ - وقال كفار مكة كأبي جهل وأضرابه : لن نؤمن بهذا القرآن الذى يزعم محمد أنه من عند الله ، ولا بما تقدمه من الكتب السماوية ، كالتوراة والإنجيل ، التى تدل على البعث والحساب ، ما دام فيها نعت محمد ، بل نكفر بها ؛ ولو ترى يا محمد إذ الكفار محبوبسون بين يدي ربهم للحساب فى ذلة واستكانة ، يرد بعضهم على بعض فى محاوراة ومراجعة ، ويتجادبون أطراف المحاوراة ، ويحاول كل من القادة والرؤساء المستكبرين ، والأتباع المستضعفين ، أن يلقى اللوم على الآخر ، ويتنصّل من التّبعة ، بعد أن كانوا أخلاء متناصرين فى الدنيا ، لرأيت أمراً عجيباً ، وحواراً طريفاً ، يقول الأتباع للرؤساء: لولا أنتم صدّدتمونا عن الإيمان ، وأغويتمونا وأضللتمونا لكننا مؤمنين باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ - فيقول لهم القادة الرؤساء المستكبرون : أنحن صدّدناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم به رسول الله ، ورددناكم عن الإيمان ، ومنعناكم من قبول الحق؟ بل إنكم أنتم الذين صدّدتم أنفسكم عن الهدى ، وأعرضتم عن اتباع الحق ، وأجرتم بتقليد آباءكم فى عبادة الأصنام ، وإيثاركم الضلال على الهدى ، وإصراركم على الكفر ، ولم تحلّ بينكم وبين ما تريدون من الإيمان برسول الله .

٣ - فيقول الأتباع المستضعفون : لم يكن إجرامنا هو الذى صدّدنا عن الهدى ، بل الذى صدّدنا عنه . ، مكرّم بنا الدائم ليلاً ونهاراً ، واحتيالكم علينا ،

وخذاعكم لنا ، حتى ظنننا أنكم على الحق حين تأمروننا أن نكفر بالله ،  
ونجعل له شركاء في عبادته .

٤ - وأظهر الفريقان الندامة على تفريطهم في طاعة الله ، وترك الإيمان به  
وبرسوله ، حين عاينوا العذاب الذي أُعِدَّ لهم ، وغُتَّتْ أيدي الكفار في  
جهنم إلى أعناقهم عقاباً لهم ؛ هل يفعل الله بهم هذا العقاب إلا جزاء  
وفاقاً على أعمالهم في الدنيا ؟

( ١٠ )

من الآية ٣٤ إلى الآية ٣٩ من سورة سبأ

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا :  
إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ -١- . وَقَالُوا : نَحْنُ  
أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا ، وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ -٢- . قُلْ :  
إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ، وَلَكِنَّ  
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ -٣- . وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا  
أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى ، إِلَّا مَن آمَنَ  
وَعَمِلَ صَالِحًا ، فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا  
عَمِلُوا ، وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ -٤- . وَالَّذِينَ  
يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ، أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ  
مُحْضَرُونَ -٥- . قُلْ : إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن  
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ، وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ  
فَهُوَ يَخْلِفُهُ ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ -٦- .



## شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
مترفوها	رؤساؤها المتنعّمون ، وأغنياؤها وجبابرتها .
يبسط الرزق	يوسع الرزق .
ويقدر	ويضيّق .
زلقى	قربى .
جزاء الضعف	جزاء حسن مضاعف .
وهم في الغرفات	وهم في غرفات الجنة .
يسعون في آياتنا	يسعون في إبطال أدلتنا ، وآيات كتابنا .
معاجزين	مقدرين عجزنا عن إدراكهم ، لمحاسبتهم حين البعث .
يخلفه	يعوّضه .

## مجمل المعنى

١ — أراد الله جل شأنه تسليمة رسوله صلى الله عليه وسلم ، على ما يلقاه من أذى قريش وتعنتهم ، وإصرارهم على الكفر ، فذكر له أنه ما أرسل رسولا منذراً قومه النار لمن عصاه ، إلا قال رؤساؤها المتنعّمون بزخارف الدنيا ، المهتمكون في شهواتهم ، المستهينون بمن لم يحطّ منها بنصيب ، المفاخرون بشيئرائهم : إنا كافرون بما أرسلتم به ؛ ونخصّ المترفون بالذكر ، لأنهم في الغالب

أسبق إلى مخالفة الدعاة إلى الحق ، لما سيؤدى إليه قبولهم دعوتهم من قيود لا يودون أن يقيدوا أنفسهم بها .

٢ — وقالوا للرسول — كما قالت لك يا محمد قريش — : لقد فضّنا الله بكثرة الأموال والأولاد على الضعفاء الذين آمنوا بكم ، ولو لم يكن كلُّ منا أثيراً عند الله ، لما آثرنا بهذا الخير الوفير ، وما نحن بمعذبين ، لأن من أكرمنا في الدنيا لا يعرضنا للهوان في الآخرة ، إن كانت ثمة حياة أخرى ، فلو لم يكن الله راضياً عنا ، ولنا عنده كرامة ، ما منحنا الأموال والأولاد التي نستمتع ونعتزُّ بها ، ولولا أن المؤمنين هانوا على الله ما حرمهمُوها ، ونظير هذا قولهم : « أى الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً » ، ( ج ١٦ ص ٥٦ ) .

٣ — قل لهم يا محمد ، ردّاً على ظنهم الفاسد : إن ربى يوسع الرزق لمن يشاء امتحاناً ، ويضيّقه ابتلاءً ، وليس لتوسيع الرزق أو تضييقه علاقة بالكرامة أو الهوان ، فربما يوسع الرزق على العاصي ، ويضيّقه على المطيع ، أو يعكس الأمر ، فلا يقاس على ذلك أمر الثواب والعقاب في اليوم الآخر ، اللذين مناطهما الطاعة والعصيان ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك ، فيظنون أن مدار البسط الشرف والكرامة ، ومدار التضييق الحقارة والمهانة .

٤ — وما أموالكم ولا أولادكم أيها المكابرون المعاندون بالتي تقر بكم قربى عندنا ، لكن القربى من عند الله لمن آمن وعمل صالحاً ، بإنفاق ماله في سبيل الله ، وتعليم أبنائه وبناته ، وتنشئتهم على حب الخير ، وتربيتهم على الصلاح والتقوى ، فأولئك يقربهم إيمانهم وعملهم الصالح من الله ، ولهم جزاء حسن مضاعف عنده ، فالحسنة بعشر أمثالها ، والله يضاعف لمن يشاء ، وهم في عُرفات الجنة ومنازلها الرفيعة ، آمنون كل مكروه ، كسقم أو حزن ، أو عذاب أو موت .

٥ — والذين يسعون في إبطال أدلتنا وحججنا ، يبتغون إدحاضها ، ويسعون في التنقص من آيات كتابنا يحاولون تكذيبه بوسائل شتى ، مقدرين عجزنا عن إدراكهم يوم القيامة ، ظانين أنهم يفوتوننا بعد أن صاروا رفاتاً ، أولئك يحضرهم زبانية جهنم إليها لعذابهم ، « كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها » ، (ج ٢١ ص ٩٨) ، ولن تنفعهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً .

٦ — قل يا محمد : إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، وما أنفقتم من شىء في طاعة الله يعوّضه عليكم ، إما عاجلاً في الدنيا ، وإما آجلاً في الآخرة ، فنعم الآخرة لا ينافى نعم الدنيا ، بل الصالحون قد يوسع الله لهم في الرزق في الدنيا ، فينعمون دنيا وأخرى ، وهو خير الرازقين الواهبين من غير حساب ، ولا رازق سواه ، يعطى المنفق خلفاً ، ويعطى الممسك تلفاً ، وقد ذكر الله بسط الرزق وتضييقه في هذه المجموعة من الآيات مرتين ، أريد بالأولى توجيه الكلام إلى الكفار ، وأريد بالثانية توجيه الكلام إلى المؤمنين ، بدليل قوله فيها : « من عباده » ، والعباد يراد بهم المؤمنون ؛ ثم وعد الله المؤمنين بأن يُخلف عليهم ما أنفقوه ، ولم يذكر شيئاً من ذلك في الآية الأولى .

( ١١ )

من الآية ٤٠ إلى الآية ٤٢ من سورة سبأ

وَيَوْمَ يَخْشُرُهُمْ جَمِيعًا ، ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ :  
 أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا : سُبْحَانَكَ !  
 أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ ، بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ،  
 أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ - ١ - . فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ  
 لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ، وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا : ذُوقُوا  
 عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ - ٢ - .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يخشُرهم جميعاً سبحانك	يجمع كلاً من المستكبرين والمستضعفين . تنزيهاً لك عن الشريك .
أنت ولينا من دونهم يعبدون الجن	أنت الذي نواليه من دونهم ، ولا مولاة بيننا وبينهم . يطيعون الشياطين في عبادتهم .

## مجمل المعنى

١ — اذكر يا محمد يوم يحشر الله المستكبرين والمستضعفين جميعاً للحساب يوم القيامة ، ثم يقول للملائكة — تقريراً للمشركين ، وإقناً لهم من شفاعة الملائكة لهم كما كانوا يظنون — : أهؤلاء الكفار كانوا يخصونكم بالعبادة دوني ؟ فيجيب الملائكة : تنزيهاً لك ربنا عن الشريك ! أنت يا ربنا الذى نطيعه ، ونعبده ونخلص له فى العبادة ، وأنت الذى نواله دونهم ، ولا موالاة بيننا وبينهم ، ونحن نبرأ من الرضا بعبادتهم ، بل كان المشركون يطيعون الشياطين ، وينقادون لهم فى عبادة غيرك ، ويخيل هؤلاء إليهم أنهم الملائكة فيعبدونهم ، وأكثرهم كانوا يصدقون بما يوسوسه الشياطين لهم ؛ وخصت الملائكة بالذكر ، مع أن الكفار عبدوا غيرهم ، لأنهم أشرف معبوديهم ؛ واقتصرت الملائكة فى ردها على المولى على ذكر الكثرة من هؤلاء الكفار ، لأن من الكفار من كان يعبد الكواكب أو النار أو غيرها .

٢ — فالיום — وهو يوم الجزاء ، حيث الأمر كله لله ، وهو المجازى وحده — لا يملك بعض المعبودين على اختلافهم لبعض العابدين نفعاً ولا ضرراً ، لأن النافع والضرار فيه هو الله وحده ، ونقول للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم وتعريضهم لعذاب الله : ذوقوا عذاب النار التى كنتم تكذبون بها .

( ١٢ )

من الآية ٤٣ إلى الآية ٤٥ من سورة سبأ

وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ، قَالُوا : مَا هَذَا  
 إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ ،  
 وَقَالُوا : مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى ، وَقَالَ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ : إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ -١-  
 وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ، وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ  
 قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ -٢- . وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ،  
 وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ ، فَكَذَّبُوا رُسُلِي ، فَكَيْفَ  
 كَانَ نَكِيرٍ ؟ -٣- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
بينات	واضحات .
يصدكم	يمنعكم .
ما هذا إلا إفك مفترى	ما القرآن إلا كذب مختلق .
إن هذا إلا سحر مبين	ما القرآن الذي نعجز عن الإتيان بمثله إلا سحر بيّن .
وما بلغوا معشار ما آتيناهم	وما بلغ كفار مكة عشر ما آتينا من قبلهم من القوة .
نكير	عاقبة إنكارى عليهم ، فقد ذاقوا وبال أمرهم .

## مجمل المعنى

١ - وإذا تتلى على كفار مكة بلسانك آيات القرآن الواضحات التي أنزلناها عليك ، الناطقة بالتوحيد وبطلان الشرك ، قالوا عناداً واستكباراً : ما محمد إلا رجل يريد أن يمنعكم من عبادة ما كان يعبده آباؤكم ، ويغير دينكم ودين أسلافكم ، لتكونوا أتباعاً له ، فيعارضون البرهان العقليّ بالتقليد الأعمى ، وقالوا : ما هذا القرآن الذي يتلوه علينا محمد إلا كذب مختلق على الله ، وقال هؤلاء الكفار لما جاءهم القرآن ، وعجزوا عن الإتيان بمثله : ما هذا القرآن إلا سحر بين .

٢ - يقولون هذا بلا حجة ولا برهان ، فما آتيناهم كتباً يقرءونها وفيها دليل على صحة عبادة الأصنام ، وبطلان ما جئت به يا محمد ، ولا سمعوا هذا من رسول بعثناه إليهم ، أبلغهم أنهم على حق في عبادتهم ، فمن أين أتوا بهذا المذهب الزائف ؟ ليلستمس لهم عذر في عبادتهم الباطلة؟ ونظير هذا قوله تعالى في سورة « الزخرف » : « أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون » ، ( ص ٥٤ ج ٢٥ ) .

٣ - ولقد كذب الذين من قبلهم من الأمم الماضية في العصور الخالية ، وما بلغ كفار مكة عشر ما آتيناهم هذه الأمم من القوة والسلطان ، وطول العمر ، وكثرة الأموال والأولاد ، كعاد وثمود ، فكذبوا رسلي ، فانظر كيف كانت عاقبة إنكارى عليهم ، وعقابي لهم ؟ فقد دمّرنا قرآهم ، واستأصلنا أهلها ، ولم تُغن عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً ؛ فليحذر كفار مكة أن أعاقبهم بمثل ما عاقبت غيرهم ، فإن بطشى لشديد .

( ١٣ )

من الآية ٤٦ إلى الآية ٥٠ من سورة سبأ

قُلْ : إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ : أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَى  
 وَفَرَادَى ، ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا : مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ ،  
 إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ -١- .  
 قُلْ : مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا  
 عَلَى اللَّهِ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ -٢- . قُلْ : إِنْ  
 رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ ، عَلَّامُ الْغُيُوبِ -٣- قُلْ : جَاءَ  
 الْحَقُّ ، وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ -٤- . قُلْ :  
 إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي ، وَإِنِ اهْتَدَيْتُ  
 فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ رَبِّي ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ -٥- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أعظمكم بواحدة أن تقوموا لله	أنصح لكم بخصلة واحدة ، وأرشدكم إليها . هي أن تقوموا قياماً خالصاً لوجه الله ، بعيداً عن التقليد .



الألفاظ	شرحها
<p>مثنى وفردى                  ما بصاحبكم من جنة                  بين يدي عذاب شديد                  ما سألتكم من أجر                  شهيد                  يقذف بالحق                  جاء الحق                  وما يبدئ الباطل وما                  يعيد</p>	<p>جماعات ووحداناً .                  فتعلموا : ما محمد صاحبكم مجنوناً .                  أمام عذاب شديد ، ينتظر العصاة يوم القيامة .                  إن سألتكم أجراً على نصيحتي ورسالتى .                  مطلع .                  يلقي بالحق في قلوب من يضطفيهم من أنبيائه .                  جاء الإسلام وظهر القرآن ، وبانت المعجزات .                  } وذهب الباطل الذي لا يستطيع أن ينشئ خلقاً ،                  } أو يعيدهم بعد فناءهم .</p>

### مجمل المعنى

١ - قل لهم يا محمد : إننى أنصح لكم بخصلة واحدة ، إن أنفذتموها ساعدتم ،  
 وفتحت لكم أبواب الخير : هى أن تقوموا زرافات ووحداناً قياماً خالصاً  
 لوجه الله ، بعيداً عن التقليد والتعصب والعناد ، فإن قبتم جماعات عرض  
 كل منكم على صاحبه رأيه ، فينظران فيه نظرة صدق وإنصاف ،  
 حتى يؤديهما النظر الصحيح إلى الحق ، فإن قتم فردى فكترتم وعرضتم  
 فكركم على عقولكم ، وبعد أن ترووا فكروا تفكيراً عميقاً ، فتعلموا وتناكدوا  
 أن صاحبكم محمداً ليس به جنون ، وأنه راجع العقل ، صادق القول ،  
 لا يختلف إلى أحد من يدعى العلم بالسحر ، أو يليم بأقاصيص وأخبار  
 الأوائل ، وما هو إلا منذر إياكم ، قبل أن يأتيكم عذاب شديد تصلوناه

في نار جهنم يوم القيامة؛ وإذا علمتم هذا ، وجب عليكم أن تصدقوه في دعوته - فكيف إذا انضم إلى هذه الصفات ، المعجزات التي أيده الله بها ؟

٢ - قل لهم يا محمد : أي شيء سألتكم إياه من أجر على تبليغ رسالتي لكم - إن كنت سألتكموه - فهو لكم ، وما أجرى للقيام بأعباء الرسالة إلا على الله ، وهو مطلع على كل شيء ، يعلم صدقي وأمانتي ، وتخلص نيتي في تبليغي رسالته إلى خلقه .

٣ - قل لهم يا محمد : إن ربي علام الغيوب ، المطلع على السرائر ؛ يُلقى بالحق في قلوب الأنبياء الذين يصطفاهم من خلقه ، فالأمر بيده يفعل ما يريد ، فهو يعطي من يشاء ما يشاء .

٤ - قل لهم يا محمد : جاء الحق وزهق الباطل بظهور الإسلام وإنزال القرآن ، وظهرت قدرة الله القادرة ، والمعجزات الباهرة ، فحققت الباطل الذي يعجز أن ينشئ خلقاً ، أو يعيدهم أحياء بعد فنائهم .

٥ - يقولون لك يا محمد : لقد ضللت بترك دين آبائك ، فقل لهم : إن ضللت فإن وبال ضلالي عائد على نفسي ، وإن اهتديت إلى الحق فبها يوحى إلى ربي من القرآن ، وبما يوفقي إلى الهداية ، إنه سميع الدعاء ، قريب الإجابة ، يسمعي إذا ناديته ، وهو أقرب إلى من حبل الوريد ، وهو الذي أستعدي به عليكم ، إن بقيتم على شرككم .

من الآية ٥١ من سورة سبأ ، إلى آخر السورة

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ ، وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ -١- . وَقَالُوا : آمَنَّا بِهِ ، وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاطُوشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ؟ -٢- . وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ، وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ -٣- . وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ -٤- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فَزِعُوا	ذُعِرُوا وخافوا .
فلا فوت	فلا مهرب .
وأخذوا من مكان قريب	وأخذوا إلى النار من مكان قريب من الموقف .
آمنا به	آمنا بمحمد .
التناوش	تناول الإيمان ، والظفر بمطلوبهم بيسر وسهولة .
من مكان بعيد	من مكان بعيد عن محله الذي في الدنيا ، لأنهم الآن في الآخرة .

الألفاظ	شرحها
ويقدفون بالغيب	وَيُرْمَوْنَ بما غاب عنهم لنسيانهم إياه ، من مطاعنهم في الرسول ، وكفرهم بدعوته ، وتكذيبهم إياه
من مكان بعيد	من مكان بعيد عنهم الآن ، لأنه كان في الدنيا ، وهم الآن في الآخرة .
وحيل بينهم وبين ما يشتهون	وحيل بينهم وبين قبول الإيمان منهم ، والنجاة من النار .
بأشياءهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب	بأشباههم من كفار الأمم الماضية . إنهم كانوا من أمر البعث والحساب والجنة والنار . في شك موقع في الريبة .

### مجممل المعنى

- ١ — ولو ترى يا محمد الكفار الذين كانوا يقولون عنك : « ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم » ، ويقولون عن القرآن : « ما هذا إلا سحر مفترى » ، وما أصابهم من الذعر والخوف عند البعث والحساب ، إذ لا يستطيع أحد منهم الإفلات والهرب ، وأخذوا إلى النار من مكان قريب من الموقف — لو ترى هذا لهالك أمرهم ، ولرثيت لحالمهم ، لما هم فيه من الذل والاستكانة .
- ٢ — وقال الكفار حين عاينوا العذاب : آمنا بمحمد ، ولكن كيف يتناولون الإيمان في الآخرة في يسر وسهولة ، من مكان بعيد عن محله في الدنيا ، وكانوا يستطيعونه حين بلغهم محمد دعوته ، فأوان الإيمان قد فات .
- ٣ — وقد كفروا بمحمد من قبل في الدنيا ، وَيُرْمَوْنَ بما غاب عن علمهم غيبة بعيدة ، لنسيانهم إياه لطول العهد به ، حيث قالوا : لا بعث ولا حساب ،

ولا جنة ولا نار ، وقالوا : ما نحن بمعذبين ، لأننا أكرم على الله من أن يعذبنا ، وقالوا في النبي : إنه ساحر وشاعر وكاهن ، وقالوا في القرآن : إنه سحر وشعر وكهانة .

٤ — وحيل بينهم وبين ما يروونه من قبول الإيمان ، والنجاة من النار ، كما فُعل بأشباههم من كفار الأمم الأخرى ، إنهم كانوا من أمر الرسل ، والبعث والحساب ، والجنة والنار ، في شك موقع في الريبة ، وقد استبان لهم صدق ما كانوا يشكُّون فيه .

## سورة فاطر

نزلت بمكة ، وآياتها خمس وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( ١ )

من الآية الأولى إلى الآية الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، جَاعِلِ  
الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ : مثنى وثلاث ورباع ،  
يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ  
- ١ - . مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ،  
وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ - ٣ - .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فاطر السموات والأرض رسلاً	خالقهما ومنشئهما ، ومبدعهما على غير مثال سابق . وسائط بينه وبين رسله .

الألفاظ	شرحها
أولى أجنحة: مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يُمسك فلا مرسل له من بعده	ذوى أجنحة متعددة، تتفاوت بتفاوت مراتبهم . يزيد في مراتب الخلق على حسب مشيئته . إن يُطلق الله للناس رحمة ، كنعمة وأمن وصحة . فلا يستطيع أحد أن يجبسها عنهم . وإن يجبس . فلا يستطيع أحد أن يطلقه بعد إمساكه .

### مجمل المعنى

١ - الشكر الخالص ، والثناء التام لله المعبود بحق ، خالق السموات والأرض ومنشئهما ، ومُبدعهما على غير مثال سبق ، جاعل بعض الملائكة ، وسائط بينه وبين أنبيائه ، يبلغون إليهم رسالاته بالوحي ، وهؤلاء الملائكة رسل ذوو أجنحة ثنائية أو ثلاثية أو رباعية ، فهي تتفاوت بتفاوت مراتبهم عند الله ، ينزلون بها ويعرجون ، و يتصرفون على حسب ما أمرهم الله به - والبحث عن هذه الأجنحة لا طائل تحته ، فعلينا أن نؤمن به - يزيد الله في الأجنحة ما يشاء بمقتضى إرادته ، فقد تكون أكثر من أربعة ؛ روى مسلم في صحيحه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل ليلة المعراج ، وله ستمائة جناح ؛ وكما تتناول الآية الزيادة في الأجنحة ، تتناول الناس من حيث زيادة إسباغ نعمه عليهم ، بمنحهم ملاححة الوجه ، أو حسن

الصوت ، أو رجاحة العقل ، أو سماحة النفس ، أو شدة البطش ، أو زلاقة اللسان ، أو ضخامة الأجسام ؛ إن الله على كل شيء قدير .

٢ - إن يطلق الله للناس خزائن رحمته ، من نعمة وأمن ، وصحة ونبوة وعلم ، فلا يستطيع أحد أن يجبسها عنهم ، وأى شيء يمسكه ويمنعه ، فلا يستطيع أحد إطلاقه بعد إمساكه ، لأن مفاتيح الخير ومغاليقها كلها بيد الله ، وهو الغالب على ما يشاء ، فليس لأحد أن ينازعه على ما يريد ، فهو وحده القادر على الإمساك والإطلاق ، الحكيم الذي لا يفعل شيئاً إلا بحكمة وإتقان .



( ٢ )

من الآية ٣ إلى الآية ٧ من سورة فاطر

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؟ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَآنَى تُؤْفَكُونَ ؟ -١- . وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ ، وَإِلَى اللَّهِ تَرْجَعُ الْأُمُورُ -٢- . يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ -٣- . إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ ، فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ، إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ -٤- . الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ -٥- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فأنى تُؤفكون ترجع الأمور	فكيف تُصرفون عن توحيدهِ إلى الشرك به ؟ تصير أمور الخلق إليه في الآخرة .

الألفاظ	شرحها
فلا تغرنكم الحياة الدنيا	<p>فلا تخذعنكم الحياة الدنيا بزخارفها ، فتشغلنكم  عن النظر في أمر الآخرة .  الشیطان المبالغ في الغرور والخداع .  أتباعه وشيعته من الناس .  جهنم الملتهبة النار .</p>
الغرور	
حزبه	
السعير	

### مجمل المعنى

١ - يأهل مكة ، اذكروا بألستكم وقلوبكم نعمة الله عليكم ، بإسكانكم حرماً آمناً ، والناس يُتَخَطَّفون من حولكم ، وبما بسطه الله من الرزق لكم ، وقابلوها بالشكر ، وحافظوا عليها بمعرفة حقها ، وطاعة مُسديها ، وعدم الإشراف به ؛ هل ثمة خالق وموجد للنعم غير الله الواحد الأحد؟ فهو الذى يرزقكم من السماء بالمطر ، ومن الأرض بأنواع النبات ، فلا تعبدوا إلا إياه ، وأقروا أنه لا إله إلا هو ، فكيف تُصِرُّون عن توحيد خالقكم ورازقكم ، الذى بيده نفعكم وضرركم ؟ وكيف تسوون بين الصنم المنحوت ، ومن بيده الملكوت ؟

٢ - وإن يكذبك كفار قریش یا محمد، فيما أرسلت به من التوحيد والبعث ، والحساب والعقاب ، فقد كُذِّبَت رسل كثيرون من قبلك فيما أرسلوا به ، فلا يعظم عليك تكذيب قومك لك ، فإن ذلك سنة كفار الأمم الذين خلوا من قبلهم ، فتأسَّ بمن قبلك من الرسل فى الصبر ، فقد كُذِّبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ، ومرجع الأمور إلى الله وحده يوم القيامة ، فيجازى المكذبين على تكذبيهم .

٣ - يأهل مكة المكذبين لمحمد ، إن وعد الله بالبعث والحشر والجزاء حق لا مرأى فيه ، ومصير أموركم إلى الله ، فلا يخدعنكم ما أنتم فيه من بسطة العيش في الدنيا ، وكثرة الأموال والأولاد ، والانغماس في اللذات ، والانهماك في الشهوات ، عن طلب الآخرة ، بالإيمان بالله مصدر هذه النعم ، فيقول كل منكم حين يعاين العذاب : « ياليتني قدمت لحياتي » ، ( ص ٥٤ ج ٣٠ طبعة خامسة ) ولا يغُرّتكم الشيطان المبالغ في غرركم بأن يمنيكم المغفرة ، مع الإصرار على المعصية .

٤ - إنه لا يمنعكم من خداع الشيطان إلا أن تعتقدوا أن الشيطان لكم عدو من عهد أبيكم آدم - وقد فعل معه ما تعلمون - فاتخذوه عدوًّا لا تطيعوه ، فقد تعهد بإضلالكم بقوله : « ولأضلنهم ولأمنينهم » ، ( ص ٨١ ج ٥ ) ، واحذروا وسوسته في جميع أعمالكم ، لئلا يوردكم موارد الردى ، فهو إنما يدعو حزبه وشيعته من الناس إلى اتباع الهوى ، والركون إلى ملاذ الدنيا وشهواتها ، ليكون مصيرهم إلى جهنم المتأججة نارها ، فهل ثمة عداوة أشد من هذه العداوة ؟

٥ - الذين كفروا ، واتبعوا نزغات الشيطان ، وأصاخوا إلى وسوسته فأطاعوا هواهم ، لهم عذاب شديد يوم القيامة ؛ والذين آمنوا وعملوا الصالحات بمخالفة الشيطان ومعاداته ، لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم ، وأجر كبير لا غاية له ، وهو الجنة ونعيمها .

( ٣ )

من الآية ٨ إلى الآية ٩ من سورة فاطر

أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ؟ فَإِنَّ  
 اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ، فَلَا تَذْهَبُ  
 نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ  
 ١- . وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ ، فَتُشِيرُ سَحَابًا ،  
 فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ ، فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ  
 مَوْتِهَا ، كَذَلِكَ النُّشُورُ ٢- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فلا تذهب نفسك عليهم	} فلا تهلك نفسك لحسراتك على إصرار قومك على الكفر ؛ والحسرة : الغم على ما فات . قطعة أرض مجدبة .
حسرات	
بلد ميت	

مجمل المعنى

١ - أفمن حسن له الشيطان عمله السيئ ، فغلب عليه هواه ، وركب رأسه  
 من كفر قريش - وبخاصة أبو جهل - فانتكس رأيه ، فرأى الباطل

حقاً، والقبيح حسناً، تغتم من أجله وتتحسر؟ ليس هذا كمن وُفق إلى الإيمان فعرف الحق ، وميَّز الحسن من القبيح ، ونظير هذا قوله تعالى: «أفمن كان على بينة من ربه ، كمن زين له سوء عمله؟» (ص ٣٥ ج ٢٦) ؛ إن الله يُضِلُّ من يشاء لفساد فطرتهم وسوء استعدادهم للإيمان ، ويهدي إلى الإيمان من عباده من يشاء لفطرتهم السليمة ، وحسن استعدادهم لقبول الإيمان ؛ فلا تغتم ولا تحزن ، ولا تهلك نفسك لحسراتك على تكذيبهم إياك ، ولا يشتد أسفك على عدم قبولهم دعوتك ، فإن أسفك على إقامتهم على كفرهم لا يُجدي نفعاً ؛ وقد سبقت كلمتنا بصلاحهم ، وما عليك إلا البلاغ ، إن الله عليم بما يصنعون فيجازيهم عليه ، ونظير هذا قوله في سورة آل عمران: « ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر » ( تراجع الصفحة ٧٤ من تفسير الجزء الرابع ) ، وقوله في سورة الكهف : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً » ، ( تراجع الفقرة الثانية من الصفحة ٨٠ من تفسير الجزء الخامس عشر ) .

٢ - والله وحده هو الذي أرسل الرياح بكمال قدرته ، وبالغ حكمته ، فأثارت سحاباً ، فسقنناه إلى قطعة من الأرض مُجدبة لا نبات فيها ، فأحيينا بالمطر بعد نزوله من السحاب الأرض بعد جذبها ، وأخصبناها ، وأنبتنا فيها الزرع والكلأ ، ومثل قدرتنا على إحياء موات الأرض في سهولة من غير عناء ، تكون قدرتنا على إحياء الأموات يوم القيامة .

( ٤ )

من الآية ١٠ إلى الآية ١١ من سورة فاطر

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا -١- .  
 إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ  
 -٢- . وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ،  
 وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ -٣- . وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ،  
 ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ، ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ، وَمَا تَحْمِلُ مِنْ  
 أَنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ، وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا  
 يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ  
 يَسِيرٌ -٤- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
العزة	الشرف والكرامة .
فله العزة جميعاً	فليطلبها من الله لأنه لا يملكها غيره .
يصعد الكلم الطيب	يرتفع الكلم الطيب إلى محل القبول والرضا .
والعمل الصالح يرفعه	والعمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب إلى المولى جل وعلا .
يمكرون السيئات	يدبرون التدبيرات السيئات بالنبي في دار الندوة .

الألفاظ	شرحها
ومكر أولئك هو يبور	{ ومكر أولئك الكفار بمحمد ، هو الذى يبطل ، لا مكرنا . ٣٣ .
خلقكم من تراب	خلق أباكم آدم من تراب .
ثم من نطفة	ثم خلق ذريته من منى .
ثم جعلكم أزواجاً	ثم جعلكم مزدوجين : ذكوراً وإناثاً .
وما يعمر من معمر	وما يمد في عمر طاعن في السن .
ولا ينقص من عمره	وما يقدر من أجل قصير العمر .
إلا في كتاب	إلا وهو مثبت في اللوح المحفوظ .

### مجمل المعنى

١ - من كان يريد الشرف والمنعة ، والعزة والكرامة في الدنيا والآخرة ، فله العزة كلها ، فليطلبها منه ، فهو وحده الذى يعز من يشاء ويذل من يشاء ، وقد منحها رسوله والمؤمنين ، وهى لا تنال إلا بطاعته ، بل الطاعة نفسها لا يعتد بها ما لم تقبل ؛ وفي هذا ازدراء بالكفار الذين كانوا يعتزون بعبادة الأصنام ، ويعتقدون أنها تدفع عنهم كل شر ، وقد أخبر الله عنهم بقوله : « واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً » ، (تراجع الفقرة ٥ من الصفحة ٧٠ من تفسير الجزء السادس عشر) ؛ وازدراء بالمنافقين الذين يعتزون بالمشركين ، وقد أخبر الله عنهم بقوله : « الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبغون عندهم العزة ؟ فإن العزة لله جميعاً » ، (تراجع الفقرة الثالثة من الصفحة ١٠٢ من تفسير الجزء الخامس) ؛ ولا يستحق

العزة إلا من آمن بالله وتواضع ، فمن تواضع لله رفعه ، ولا يعترز إلا من أعزه الله .

٢ - إلى الله وحده يصل الكلم الطيب من ذكر ودعاء ، وتوحيد صادر عن عقيدة ، ونصيحة ناصح مخلص ، ورد إشاعة مفتر ؛ والعمل الصالح - من عبادة خالصة ، وجهاد في سبيل الله والوطن - يرفع الكلم الطيب إلى الله ، فإذا لم يقترن الكلم الطيب بالعمل الصالح فلا فائدة فيه ، فإن العمل الصالح شرط في قبول الكلام الطيب ، فمن خالف قوله عمله باء بالخسران ؛ ولا يقتضى الصعود إلى الله أن للمولى مكاناً فوقنا ، وإنما المراد أن الكلم الطيب المقترن بالعمل الصالح ، يصل إلى محل القبول والرضا ، كما يقال : ارتفع الأمر إلى الحاكم : أى وصل إليه وعلمته .

٣ - وكفار قريش الذين يدبرون التدبيرات السيئات بالنبي في دار الندوة : بحبسه أو قتله أو إجلائه من مكة ، التي فصلناها في الصفحة ١٤٠ من تفسير الجزء التاسع - لهم عذاب شديد يوم القيامة ، ومكر أولئك الماكرين المفسدين هو الذى يبطل ويفسد ، ولا يستطيع أحدهم إنفاذه ، لا مكرنا بهم ، إذ لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ؛ ويرى بعضهم أن المراد بالذين يمكرون بالسيئات هم المرءون ، وهو عندنا أصوب ، وألصق بالمقام .

٤ - والله - جل شأنه - خلق أباكم آدم أيها الناس من تراب ، ثم أنشأ ذريته من منى حين يباشر الذكر الأنثى ، ثم جعلكم أصنافاً مزدوجين : ذكوراً وإناثاً ، يتزوج بعضكم بعضاً لتتناسلوا ، وما تحمل أنثى ، ولا تضع مولودها إلا بعلمه ، وما يمد في عمر أحد فيبلغ حد الشيخوخة ، ولا ينقص من عمره بأن يكون قصير العمر ، يُقدر له عمر أنقص من عمر غيره ، إلا كان ذلك بعلم الله ، مثبتاً في اللوح المحفوظ أزلاً ؛ إن طول العمر وقصره ، وتقدير الأجال ، هيّن على الله جل شأنه .



( ٥ )

الآية ١٢ من سورة فاطر

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ : هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ  
شْرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ؛ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا  
طَرِيًّا ، وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا ، وَتَرَى الْفُلْكَ  
فِيهِ مَوَاحِرَ ، لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ، وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
عذب فرات	حلو شديد الحلاوة ، يكسر حدة العطش .
سائغ شرابه	يسهل انحداره من المرء .
ملح أجاج	ملح شديد الملوحة ، يحرق بملوحته في أثناء انحداره .
لحماً طرياً	لحم السمك الطرى .
حلية تلبسونها	تستخرجون اللؤلؤ والمرجان للتحلى بهما .
وترى الفلك فيه مواخر	وترى السفن في كل منهما تشق مياهه بجرورها فيه .

## مجمل المعنى

وما يستوى البحرين : أحدهما ماؤه عذب شديد الحلاوة ، يسهل انحداره من المرء إلى المعدة لحلاوته ، ويكسر حدة العطش ويزيله ، والآخر ماؤه ملح ، غير مستساغ شربه ، لحرقته في أثناء انحداره من المرء إلى المعدة ؛ ومن كل البحار : الحلوة والملحة ، تأكلون لحم السمك الطرى اللذيذ ، وتستخرجون من البحر الملح خاصة اللؤلؤ والمرجان للتحلى بهما ، وترى السفن في كل منهما تشق مياهه ، وتجرى فيه مقبلة ومدبرة ، لتطلبوا الرزق من فضل الله بالتجارة ، وإصدار ما يزيد على حاجة البلاد من منتجاتها ، واستيراد ما تحتاج إليه من مصادره في الجهات الأخرى ؛ ولعلكم تعرفون حقوق النعم ، فتقوموا بتوحيده وطاعته ، شكراً له على نعمائه ، وترادف آلائه .

وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ، فهما وإن اشتركا في الصورة ، لا يتساويان ، فثلهما كمثل البحرين ، يشتركان في صورة الماء ، ويستخرج من كل منهما السمك الطرى ، ومن أحدهما اللؤلؤ والمرجان ، ولكنهما يختلفان فيما هو المقصود بالذات من الماء ، فأحدهما عذب سائغ شربه ، والآخر ملح أجاج . لما خالطه من الملح المذاب فيه ، الذي أفسده وغيره عن صفاء فطرته ، فكذلك المؤمن والكافر لا يتساويان . وإن اشتركا في الإنسانية وفي بعض الفوائد ، كالشجاعة والسخاء ، فقد بقي المؤمن على فطرته التي فطر الناس عليها ، وفسدت فطرة الكافر فضل عن سبيل الهدى .

( ٦ )

من الآية ١٣ إلى الآية ١٤ من سورة فاطر

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ، وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ،  
 وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى  
 - ١ - . ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَالَّذِينَ  
 تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ؛ إِنْ تَدْعُوهُمْ  
 لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ ، وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ،  
 وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ ، وَلَا يُنْبِتُكَ مِثْلُ  
 خَبِيرٍ - ٢ - .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل	يدخل وقت أحدهما في وقت الآخر ، بأن يكون ظلام في جهة ، وضياء في جهة أخرى ، وبالعكس .
لأجل مسمى	لمدة دورته في فلكه التي قدرها الله له .
ذلكم الله ربكم	الفاعل كل هذه الأعاجيب هو الله ربكم .
تدعون من دونه	تعبدون من غيره .

الألفاظ	شرحها
قطمير يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير	لُفافة النواة الرقيقة البيضاء . يتبرعون من إشرارككم إياهم في عبادة الله . { ولا يخبرك بالأمر مثل خبير به ، وهو الله سبحانه وتعالى . }

### مجمل المعنى

١ - من آثار قدرة الله أنه يدخل وقت الليل في وقت النهار ، فتكون بعض الجهات في ظلام دامس ، وبعضها في ضياء ساطع في الوقت نفسه ، كما يبدو هذا في مصر وأمريكا مثلاً ، فحين يكون الوقت ليلاً في مصر . يكون نهاراً في أمريكا ، وبالعكس ، وذلك بسبب كُرْبِيَّة الأرض ، ودورانها حول نفسها وحول الشمس ، (تراجع الفقرة الثانية من الصفحة ٨٨ من تفسير الجزء الثالث ، والفقرة الثالثة من الصفحة ١٠٥ من تفسير الجزء السابع عشر) ؛ وهذا دليل واضح على أن القرآن صرح بما لم يكشفه العلم الحديث إلا منذ عهد قريب ، وهو كُرْبِيَّة الأرض ، ودورانها حول نفسها أمام الشمس ؛ ويستأنس لهذا بقوله تعالى : « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت ، وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً » ، وسخر الشمس والقمر ، وذلكهما لمصلحة عباده ، كل منهما يجري في فلكه مدة دورته حسب حركته الخاصة جرياناً مستمراً ، إلى أجل قدره الله ، ثم إلى حين فناء العالم ، فينقطع جريانها .

٢ - ذلكم الفاعل - أيها الناس - لهذه الأعاجيب ، هو الله ربكم العظيم الشأن ،  
الذى له وحده النفوذ والسلطان فى الكون ، ولا معبود سواه ؛ والذين تعبدونهم  
من غيره ، وهم الأصنام أو غيرها ، ما يملكون شيئاً مهما كان تافهاً حقيراً ،  
كالقشرة الرقيقة البيضاء الملتفة حول النواة ؛ إن تدعوهم ، وتستعينوا بهم  
عند النوائب ، لا يسمعون دعاءكم ، لأنهم جماد ، ولو سمعوا - على سبيل  
الفرض - دعاءكم ما أجابوكم ، لعجزهم عن الإجابة ، ويوم القيامة  
يكفرون بإشراككم إياهم فى عبادة الله ، ويُقرُون ببطولانها ، ويتبرءون  
منكم ومن عبادتكم إياهم ، بأن يُقدِر الله الأصنام على الكلام ، فتقول :  
« ما كنتم إيانا تعبدون » (ص ٦٨ ج ١١) ، وإذا كان المعبدون الملائكة ،  
فإنهم يقولون : « سبحانك ! أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن » .  
(ص ٨٥ من هذا الجزء) ؛ ولا ينجرك من حال المشركين وأصنامهم  
يوم القيامة مثل خبير ، عالم بخفايا الأمور ، وهو الله سبحانه وتعالى ،  
فإنه الخبير بكنه الأمور ؛ الذى لا يخفى عليه شئ ، فإذا أعلمكم أيها  
الناس بحالكم وحال الأصنام معكم يوم القيامة ، فهو حق لا مرأى فيه .

من الآية ۱۵ إلى الآية ۱۸ من سورة فاطر

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ، وَاللَّهُ هُوَ  
 الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ؛ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ،  
 وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ - ۱ - . وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ  
 أُخْرَى ، وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ  
 شَيْءٌ ، وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ - ۲ - . إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ  
 يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ؛ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا  
 يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ - ۳ - .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يذْهِبْكُمْ	يُفْنِكُمْ .
بِخَلْقٍ جَدِيدٍ	بِأَنْسَاءٍ آخِرِينَ بِدَلِكُمْ .
بِعَزِيزٍ	بِأَمْرٍ شَاقٍ .
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى	وَلَا تَحْمِلُ نَفْسٌ آثِمَةً إِثْمَ نَفْسٍ أُخْرَى .
مُثْقَلَةٌ	نَفْسٌ أَثْقَلَهَا الْآثَامُ .
إِلَىٰ حِمْلِهَا	إِلَىٰ حَمْلِ بَعْضِ آثَامِهَا .
إِنَّمَا تُنذِرُ	إِنَّمَا يَقْبَلُ الْإِنذَارَ .
وَمَنْ تَزَكَّىٰ	وَمَنْ تَطَهَّرَ مِنْ دَنَسِ الْمَعَاصِي .

## مجمل المعنى

١ - يأيها الناس ، أنتم المفتقرون إلى الله في كل حال من أحوالكم ، فتقربوا إليه بعبادته ، ولا تشركوا به شيئاً ، وهو لا يأمركم بالعبادة لاحتياجه إليكم ، وأنتم المحتاجون إليه ، ليمنحكم الصحة في حالة المرض ، والفرج في حالة الشدة ، والصبر في حالة النوائب ؛ والله هو المستغنى عن خلقه ، المستحق للحمد لكثرة إنعامه عليكم ، فإن يشأ يفتنكم ويأت بآخرين أطوع منكم يأتمرون بأمره ، وليس ذلك الإنشاء والإفناء شاقاً عليه ، بل هو عليه هين ، فإنما أمره إذا أراد أمراً أن يقول له : كن ، فيكون .

٢ - والعدالة الإلهية تقتضى ألا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى يوم القيامة ، وإنما تحمل وحدها وزرها التي اقترفتها ، وتؤخذ بجريرتها ، فلا تؤاخذ نفس بذنب نفس أخرى ، وقد بيّنا هذا في الفقرة الثالثة من الصفحة ٥٥ من تفسير الجزء الثامن ، وأما قوله تعالى في سورة العنكبوت : « وَلَيْسَ حَمْلُنَا أَنْقَالَهُمْ وَأَنْقَالًا » مع أنقَالَهُمْ ، ( ص ١٠١ ج ٢٠ ) فقد نزلت في الضالّين المضلّين ، الذين قالوا لمن أضلّوهم : « اتبعوا سبيلنا ، ولنحمل خطاياكم » فإنهم يحملون أنقال أضلّالهم ، مع أنقال ضلّالهم ؛ وإن تدعُ نفس مثقلة بالأوزار نفساً أخرى إلى حمل بعض أوزارها ، لا يُحمّل منه شيء ، ولو كان المدعوُّ من ذوى قرابة الداعى ، كالابن والأخ مثلاً .

٣ - إنما يتقبّل إنذارك ويتعظ به ، الذين يخافون ربهم من غير أن يعاينوا عذابه ، المؤمنون إيماناً صادقاً بما أتيتهم به من عند الله ، البعيدون عن النفاق والمداهنة ، الذين أدوا صلاتهم حق الأداء وداوموا عليها ؛ ومن تطهّر من دنس الشرك والمعاصي ، فإنما نفع تطهيره لنفسه ، وصلاحه يعود عليه نفعه ، وإلى الله وحده المرجع يوم القيامة ، فيجازى كلّاً على عمله .

( ٨ )

من الآية ١٩ إلى الآية ٢٦ من سورة فاطر

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ، وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا  
النُّورُ ، وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ؛ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا  
الْأَمْوَاتُ ؛ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ  
فِي الْقُبُورِ ، إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ -١- . إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ  
بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ  
-٢- . وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ،  
جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ ، وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ  
-٣- . ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ -٤-

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الأعمى والبصير	الأعمى عن دين الله ، البصير الذى أبصر الرشد فاهتدى .
ولا الظلمات ولا النور	ولا الباطل والحق .
ولا الظل ولا الحرور	ولا الجنة والنار .



الألفاظ	شرحها
وما يستوى الأحياء ولا الأموات	وما يستوى المؤمنون والكافرون .
إن الله يسمع من يشاء	إن الله يسمع من أراد هدايته صوت الحق فيهدى .
وما أنت بمسمع من في القبور	{ وما أنت بمسمع المصيرين على الكفر ، الذين يشبهون الموتى في القبور .
إن أنت إلا نذير	وما أنت إلا منذر .
وإن من أمة	وما أهل عصر من العصور الماضية .
إلا خلا فيها نذير	إلا كان فيها من ينذرهما .
وإن يكذبوك	وإن يكذبك مشركو مكة .
بالبينات	بالمعجزات الدالة على نبوتهم .
وبالزبر	وبالصحف المكتوبة كصحف إبراهيم .
وبالكتاب المنير	وبالكتب الواضحة كالطورا والإنجيل .
أخذت الذين كفروا	عاقبت الذين كفروا .
فكيف كان نكير	فكيف كانت عاقبة إنكارى عليهم ؟

### مجمل المعنى

١ — وما يستوى الأعمى عن دين الله الذى بعثك الله به ، والبصير الذى أبصر  
الرشد فاتبعك وصدقك . ولا الضلال والهدى ؛ وذكرت الظلمات جمعاً ،  
والنور مفرداً . لأن الباطل طرقه متعددة ، والحق واحد لا تعدد فيه —  
ولا تستوى الجنة ذات الظل الدائم ، والنار ذات الحرارة اللاذعة ، وما  
يستوى المؤمنون الذين اهتدوا وآمنوا بالله ورسوله ، والكافرون الذين أصروا

على الكفر استكباراً ؛ إن الله يوفق من يشاء إلى الاستماع إلى الداعى إلى الإيمان فيؤمن ، وما أنت يا محمد بمسمع المصرين على الكفر ، الذين أمات الله قلوبهم ، وختم على سمعهم ، فصاروا يشبهون الموتى فى قبورهم . فكما أنك لا تُسمع من مات ، كذلك لا تُسمع من أصمه الله عن سماع صوت الحق ، وما عليك إلا الإنذار ، أما إسماع هؤلاء فليس من وظائفك ، ولا سبيل لك إليه ، ولا حيلة لك فيه ، فقبولهم منك ماجئهم به . بيد الله لا بيدك ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات .

٢ - إنا أرسلناك بالدين الحق ، مبشراً المؤمنين بالجنة ، ومنذراً الكافرين النار ، ولست مبشراً أو منذراً من تلقاء نفسك ، وإنما بأمر من الله جل شأنه ، وليس ثمة أهل عصر قبل عصرك ، إلا مضى فيهم نذير من نبي أو عالم . فلم تخل أمة من أحدهما يخوفهم عاقبة كفرهم ، وعذاب الله الذى يقع بهم ، إن تمادوا فى عصيانهم .

٣ - وأن يكذبك قومك : فقد كذب الذين من قبلهم ، جاءتهم رسلهم بالمعجزات الظاهرة ، والشرائع الواضحة ، الدالة على نبوتهم . والصحف المنزلة عليهم ، كصحف إبراهيم ، والكتب المنيرة الواضحة : كالتوراة والإنجيل ، فكذبوهم ، فاصبر كما صبروا .  
٤ - ثم عاقبت الذين كفروا بتكذيبهم ، فانظر كيف كانت عاقبة إنكارى عليهم ، وحلول عقابي بهم ، وإهلاكهم ، وتدمير منازلهم ؟

( ۹ )

من الآية ۲۷ إلى الآية ۳۰ من سورة فاطر

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ  
مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ؟ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ  
أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ؟ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ  
مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ ؟ - ۱ - . إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ  
الْعُلَمَاءُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ - ۲ - . إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ  
كِتَابَ اللَّهِ ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا  
وَعَلَانِيَةً ، يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ، لِيُؤَفِّيَهُمْ أَجُورَهُمْ  
وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ، إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ - ۳ - .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ومن الجبال جُدَدٌ مختلف ألوانها وغرابيب سود يخشى يرجون تجارة لن تبور	ومن الجبال ما هو ذو طرائق وطبقات . مختلف ألوانها قوة وضعفاً . ومن الجبال ما هو صخور شديدة السواد يخاف ويعظم . يرجون بطاعة الله تجارة لن تكسد .

## مجمل المعنى

١ - انظر إلى آثار قدرتنا يا محمد ، تر أننا أنزلنا من السماء ماء ، فسقينا به أشجاراً ، وأخرجنا من هذه الأشجار ثمرات مختلفاً ألوانها وأجناسها ، وأصنافها وطعمها وهيئاتها ، وخلقنا من الجبال ما هو ذو طرائق وطبقات مختلفة الألوان ، من أبيض وأحمر ، والألوان نفسها تختلف قوة وضعفاً ، فقد يكون اللون الأبيض ناصع البياض ، أو ضارباً إلى البياض ، وكذلك اللون الأحمر ؛ وبعض الجبال أسود حالك السواد - ولم يُذكر في الأسود من الجبال أنها مختلفة الألوان ، لأن الأسود الغريب بلغ غاية السواد ، فهو لا يختلف قوة وضعفاً - وخلقنا من الناس والدواب والأنعام من هو مختلف ألوانه ، كاختلاف ألوان الثمار والجبال ، فمنهم الأبيض والأحمر والأسود وغير ذلك ، مع اختلاف هذه الألوان قوة وضعفاً أيضاً .

٢ - إنما يخشى الله من عباده العلماء العارفون به ، وبما يليق به من صفاته الجليلة ، وأفعاله الحميدة ، فمن كان أعلم به كان أشد خوفاً منه ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام : « إني أخشاكم لله وأتقاكم » ، وقال أيضاً : « أعلمكم بالله أشدكم له خشية » ، بخلاف الجهال من أهل مكة ، فإنهم إن كانوا لا يخشون الله فلجهلهم مقداره ؛ إن الله عزيز في ملكه ، يعاقب المصر على طغيانه ، غفور لمن تاب وآمن وعمل صالحاً .

٣ - إن الذين يقرءون القرآن ، ويداومون على قراءته ، ويعملون بما فيه ، وأدوا الصلاة حق أدائها ، وداوموا على أدائها ، وأنفقوا مما رزقناهم في السرّ

والعلن ، لا ليشتهروا بالكرم والسخاء ، ولكنهم يطلبون بإنفاقهم طاعة الله ، هؤلاء لن تكسب ولن تبور معاملتهم مع الله أبداً ، ولكنها تروج عنده رواجاً عظيماً ، وهي ليست كغيرها من التجارات عرضة للكساد والخسارة ، فهو الذي يوفيه ثواب أعمالهم ، ويزيدهم من فضله ورحمته ، ويغفر لهم ما فرط منهم من زلات ، ويشكر لهم طاعتهم : بإجزال الثواب عليها .

( ١٠ )

من الآية ٣١ إلى الآية ٣٥ من سورة فاطر

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ ، مُصَدِّقًا  
لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ -١- . ثُمَّ  
أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ  
لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ  
اللَّهِ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ -٢- . جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا  
يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ، وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا  
حَرِيرٌ ، وَقَالُوا : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ، إِنَّ  
رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ، الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ ،  
لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ ، وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ -٣- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
من الكتاب مصداقاً لما بين يديه	من القرآن . مصداقاً لما تقدمه من الكتب .

الألفاظ	شرحها
أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات	قضينا بأن يرث القرآن . أمة محمد الذين فضلناهم على سائر الأمم . فمنهم مقصر في العمل بما في القرآن . ومنهم من يقرن العمل الصالح بالسيئ . ومنهم من رجحت حسناته بعمل الخيرات ، فكفرت سيئاته .
ومنهم سابق بالخيرات ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها من أساور من ذهب	ذلك التوريث هو الفضل الكبير على أمة محمد . هم جميعاً لهم جنات إقامة يدخلونها . بعض أساور ذهبية ، وهي جمع أسورة ، وهذه جمع سوار .
ولؤلؤاً دار المقامة نصب لغوب	ويجلبون لؤلؤاً . دار الإقامة الدائمة . تعب ومشقة . إعياء وكلال .

### مجمل المعنى

١ - والذي أوحينا إليك من القرآن هو الحق الذي لا مرأى فيه ، مصداقاً لما تقدمه من الكتب السماوية ؛ إن الله لعالم ببواطن عباده وظواهرهم ، وقد وجدك أهلاً لأن يوحى إليك هذا القرآن المعجز ، فاصطفاك .

٢ - ثم قضينا بأن يرث القرآن بعدك أمتك التي فضلناها على سائر الأمم ، وأن

يعلموا أحكامه وعقائده ، من غير كد ولا تعب في طلبه ، فمن عبادنا من أمتك :

( ا ) من هو ظالم مقصر في العمل بما في القرآن ، قد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله يوم القيامة ، وهو ممن يحبسون طوال يوم المحشر ، ويقرعون ويوبخون ، حتى يظنوا أنهم سيلقون العذاب الأليم ، ثم يشملهم الله برحمته فيدخلون الجنة .

( ب ) ومن يعمل في غالب الأوقات ، ويقصر في بعضها ، فيخلط العمل الصالح بالعمل السيئ ، وهؤلاء يحاسبون حساباً يسيراً ، ثم يدخلون الجنة .

( ج ) ومن هو سابق في عمل الخيرات ، مجتهد فيها بعون الله وتوفيقه ، ترجح حسناتهم على سيئاتهم فتكفرها ، ويُخلصون في العمل لوجه الله ، وهؤلاء يدخلون الجنة بغير حساب .

وهذا المعنى يطابق ما تقدم في سورة التوبة ، في قوله تعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار . . . » ، إلى قوله : « ذلك الفوز العظيم » ، وقوله : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم ، خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً » ، وقوله : « وآخرون مُرجون لأمر الله . . . » ، ( تراجع الصفحات التي من ٤ - ١٤ من تفسير الجزء الحادى عشر ) ؛ ذلك التورث للقرآن الذى اختصصنا به أمتك يا محمد ، هو الفضل الكبير من المولى جل وعلا ؛ روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال على المنبر بعد أن قرأ هذه الآية : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سابقنا سابق ، ومقتصدنا ناج ، وظالمنا مغفور له » .

٣ - هؤلاء جميعاً ، لهم جنات إقامة يدخلونها ، يدخلون فيها بعض أساور من ذهب ،



ويحلّون فيها لؤلؤاً، ولباسهم فيها حرير، فيستمتعون بما حُرّموه في الدنيا ؛  
يقولون في فرح وابتهاج : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن مما كنا نخشاه  
من خوف سوء العاقبة ، إن ربنا لغفور للذنوب وإن كثرت ، شكور  
للمطيعين ، وهو الذي أحلنا دار الإقامة من إنعامه وفضله ، وعطائه وكرمه ،  
لا نبرحها ولا نفارقها ، ولا يمسنّا فيها تعب ، ولا يمسنّا فيها كلال ولا إعياء .

من الآية ٣٦ إلى الآية ٣٩ من سورة فاطر

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ ، لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمُوتُوا ، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ، كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ -١- . وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا : رَبَّنَا ، أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ، أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ ، وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ؟ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ -٢- . إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ -٣- . هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ، فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ، وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ، وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا -٤- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يصرخون فيها أولم نعمركم ما يتذكروا فيه من تذکر	يصرخون بصوت عال . { أولم نمحکم عمراً كافياً ، يتفكر فيه من له مسكة { من العقل .

الألفاظ	شرحها
النذير عالم غيب السموات والأرض عليم بذات الصدور خلائف في الأرض مقتاً خساراً	الرسول مؤيداً بالقرآن . لا يخفى عليه خافية في السموات والأرض . عليم بما تكنه القلوب . يخلف بعضكم بعضاً في الأرض . بُغضاً وغبضاً . خسارة الآخرة .

### مجمل المعنى

١ - بعد أن ذكر الله الأصناف الثلاثة من المؤمنين وأحوالهم ، عقبه بذكر أحوال الكفار يوم القيامة ، فبيّن أن الذين كفروا لهم نار جهنم يصلونها أبداً ، لا يُقضى عليهم بالموت فيموتوا ويستريحوا ، ولا يخفف عنهم عذابها طرفة عين ، فكلما خبت النار ازدادت سعيراً ، وكلما نضجت جلود الكفار بدّلوا جلوداً غيرها ؛ يمثل هذا الجزء القطيع ، نجزي كل كفور بالله ورسوله .

٢ - وهم يستغيثون في النار ، ويصرخون بصوت عالٍ ، قائلين : ربنا ، أخرجنا من النار ، وردنا إلى الدنيا ، نعمل عملاً صالحاً غير الذي كنا نعمله ، فنؤمن ولا نكفر ، ونطيع ولا نعصى ، ونمثل أمر الرسل ، فيقال لهم : أو لم نمهلكم ، ونمنحكم من العمر وقتاً كافياً ، تتمكنون فيه من التفكير في أمر مصيركم ، وفي المعجزات الدالة على صدق من أرسلوا إليكم ،

وجاءكم الرسل فأندروكم ، فما أجبتهم دعوتهم ، وأصررتم على الكفر ، فذوقوا عذاب جهنم ، فما للكافرين من نصير يدفع العذاب عنهم .

٣ - إن الله جل شأنه لا تخفى عليه خافية ، فهو يعلم كل ما غاب عنكم علمه في السموات والأرض ، ولا تخفى عليه أحوال الكفار ، ويعلم أنه لو ردهم إلى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه ؛ إنه عليم بما تكنه القلوب ، فعلمه بغيره أولى .

٤ - هو الذى جعلكم أيها الكفار خلفاء فى الأرض ، خلفتم فيها من قبلكم ، وعرفتم مصير من سبقوكم ، وأباح لكم الاستمتاع بمنافعها ، فطغيتم واستكبرتم ، وجحدتم نعمه ، وغمظتم حق مُسديها ، فمن كفر فعليه وبال كفرة ، ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتاً وغيظاً واحتقاراً ، ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارة الآخرة ، فأية خسارة تعدل هذه الخسارة ؟

( ١٢ )

من الآية ٤٠ إلى الآية ٤٣ من سورة فاطر

قُلْ : أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ،  
أُرُونِي : مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ؟ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ؟  
أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ ؟ بَلْ ، إِنْ يَعِدُ  
الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا -١- . إِنْ اللَّهُ يُمْسِكُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَا ، وَلَكِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا  
مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا -٢- . وَأَقْسَمُوا  
بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ : لَنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لِيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ  
إِحْدَى الْأُمَمِ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ،  
أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ، وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ  
السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ، فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ ؟ فَلَنْ  
تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا -٣- .

## شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أرأيتم	أنخبروني .
تدعون	تعبدون .
شرك في السموات	مشاركة في خلق السموات .
أم آتيناكم كتاباً	أم أنزلنا على المشركين كتاباً نوافق فيه على إشراك عبادة الأوثان لنا .
فهم على بينة منه غروراً	فهم على برهان وحجة مما أمرتهم به من الإشراك . خداعاً .
يمسك السموات والأرض أن تزولا	يحفظ السموات والأرض من الزوال والاختلال .
إن أمسكهما من أحد من بعده	ما أمسكهما وما حفظهما أحد سوى الله .
وأقسموا بالله جهد أيمانهم من إحدى الأمم	أقسم أهل مكة بالله ما وسعه جهدهم .
فلما جاءهم نذير ومكر السيء	من اليهود أو النصارى . فلما جاءهم رسول منهم . ومكروا المكر السيء .
يحيق ينظرون	ينزل ويحل . ينتظرون .
إلا سنة الأولين	إلا سنة من سبقوهم ممن كذبوا رسلهم .
تبديلاً	أن يُستبدل بمن يستحق العذاب غيره .
تحويلاً	تحويل العذاب إلى غير من يستحقه .

## مجمل المعنى

١ - أخبروني يا أهل مكة ، عن هؤلاء الأصنام الذين تزعمون أنهم شركاء لله في العبادة ، بأى حق استحقوا أن تعبدوهم ؟ أروني أى جزء من الأرض انفردوا بخلقه ، وبرهنوا على أن لهم مشاركة في خلق السموات ، فإذا ثبت عجزهم ، فكيف تعبدوهم ؟ فهل تعبدوهم لأننا أنزلنا كتاباً من عندنا ، أمرناكم فيه بأن تشركوهم في عبادتنا ، فأنتم على حجة وبرهان من عبادتها ؟ لا شىء من ذلك ألبتة ، بل الحقيقة أنه ما حملكم على عبادتها ، واتخاذها أنداداً لله ، إلا وعد الرؤساء للأتباع أنهم يشفعون لهم عند الله ، وتغريهم بهم ، وهو وعد باطل ، وخداع ماكر .

٢ - إن آلهتكم أعجز من أن تخلق شيئاً من السموات والأرض ، وإن خالقيهما وممسكهما من الزوال والانهيال هو الله وحده ، بقدرته وحكمته ؛ ولئن زالتا وانهارتا - على سبيل الفرض - ما أمسكهما أحد سواه ، إنه كان حليماً في تأخير عقاب الكفار ، ولولا حلمه لهوت السماء فصعقتهم ، وانشقت الأرض فابتلعتهم ، وخرت الجبال هدماً فدمرتهم ؛ وكان الله غفوراً لمن تاب وآمن وعمل صالحاً .

٣ - وبلغ كفار مكة - وكانوا أهل رحلة وتجارة - أن طوائف من اليهود والنصارى يكذب بعضهم بعضاً ، فقالت اليهود : ليست النصارى على شىء ، وقالت النصارى : ليست اليهود على شىء ، فقالوا - قبل مبعث محمد - لعن الله اليهود والنصارى . وأقسموا بالله ما وسعهم الجهد في أيمانهم : لأن أئانا رسول كما أتاهم ، لنكونن أهدي من أى واحدة منهما . فنؤمن جميعاً ، ولا يكذب بعضنا بعضاً ، فلما جاءهم رسول الله منهم . وهو محمد

صلى الله عليه وسلم ما زادهم مجيئه إلا تباعدوا عنه ، ونفوراً منه ، استكباراً عن الإيمان فى الأرض ، ومكروا المكر السيئ بالرسول الذى دعاهم إلى الإيمان ، وكادوا له ، ولا تنزل عاقبة المكر السيئ إلا بأهله ، فمن حفر حفرة لأخيه وقع فيها ، ونظير هذا قوله تعالى : « يأىها الناس ، إنما بغيكم على أنفسكم » ، (ص ٦١ ج ١١) - وقد حاق بالكفار مكرهم يوم بدر - فهل ينتظرون بتكذيبك يا محمد إلا سنة الأولين السابقين فيهم ، بأن ينزل بهم العذاب كما نزل بمن قبلهم ؟ سنتقم لك منهم ؛ فلن تجد لسنة الله تبديلاً ، بأن يستبدل الله بالعذاب غيره ، ولن تجد لسنة الله تحويلاً ، يحول العذاب إلى غير مستحقه .



(١٣)

من الآية ٤٤ من سورة فاطر ، إلى آخر السورة

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ  
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ؟ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ، وَمَا كَانَ اللَّهُ  
لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ، إِنَّهُ كَانَ  
عَلِيمًا قَدِيرًا -١- . وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا ،  
مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ، وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ  
مُّسَمًّى ، فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا -٢- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
دابة	حتى يذب على الأرض .
إلى أجل مسمى	{ إلى وقت محدد قدره الله في اللوح المحفوظ ، وهو يوم القيامة . }

## مجمل المعنى

١ - أو لم يسر كفار مكة إلى الشام واليمن والعراق ، فينظروا كيف كانت عاقبة الذين من قبلهم ، ويطلعوا على ما حلّ بمن كذبوا رسلهم ، ويسرحوا فيه أبصارهم ، ويعرفوا كيف أنا أهلكتناهم ودمرنا مساكنهم ، « فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا » - وقد كانوا أشد منهم قوة وبطشاً ، فما نفعهم قوتهم ولا بطشهم - فيتعظوا وينزجروا ، وما كان الله ليعجزه شيء في السموات ولا في الأرض ، إذا أراد عذاب قوم ، فتهن قوتهم أمام بطشه وجبروته ، إنه كان عليمًا لا يخفى عليه شيء ، قديرًا على كل شيء .

٢ - ولو يؤاخذ الله الناس بما اقترفوا من المعاصي ، ما ترك على ظهر الأرض شيئاً يدب عليها ، ولكنه يؤخر حسابهم إلى وقت مضروب معلوم ، مثبت في اللوح المحفوظ ، وهو يوم القيامة ، فإذا جاء وقت حسابهم ، فإن الله كان بعباده بصيراً ، فيجازيهم على أعمالهم ؛ بإثابة المؤمنين ، وعقاب الكافرين .

## سُورَةُ يَسَّ

نزلت بمكة ، إلا الآية ٤٥ فإنها نزلت بالمدينة ، وآياتها ٨٢ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( ١ )

من الآية الأولى إلى الآية الثانية عشرة

يَسَّ ، وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ،  
عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ -١- . تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ، لِيُنذِرَ  
قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ ، فَهُمْ غَافِلُونَ -٢- . لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ  
عَلَى أَكْثَرِهِمْ ، فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ -٣- . إِنَّا جَعَلْنَا فِي  
أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا ، فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ ، فَهُمْ مُمْتَحُونَ .  
وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا ، وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ،  
فَأَغْشَيْنَاهُمْ ، فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ -٤- . وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ  
أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ؟ لَا يُؤْمِنُونَ ، إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ  
الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ ، فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ  
كَرِيمٍ -٥- . إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا  
وَأَثَارَهُمْ ، وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ -٦- .

## شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يس	اسم من أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم .
صراط مستقيم	طريق لا اعوجاج فيه ، وهو طريق التوحيد والاستقامة والهدى .
تنزيل العزيز الرحيم	نزّله الغالب في ملكه ، الرحيم بخلقه ، تنزيله على محمد .
ما أنذر آباؤهم	لم ينذر آباؤهم مدة الفترة بين عيسى ومحمد .
فهم غافلون	فالقوم غافلون عن الإيمان والتوحيد .
حق القول على أكثرهم	حق قولى ووجب على أكثرهم بالعذاب الأليم .
أغلا لا	يجمع غُل ؛ وهو ما أحاط بالعنق ، ويسمى جامعة .
فهى إلى الأذقان	فالأيدى منضمة إلى الأذقان .
مقمحون	رافعون رؤوسهم ، لا يستطيعون خفضها .
من بين أيديهم	من أمامهم .
فأغشيناهم	فغطينا أبصارهم ، حتى صاروا كالعميان .
إنما تنذر	إنما ينفع إنذارك .
من اتبع الذكر	من اتبع القرآن .
وخشى الرحمن بالغيب	وخشى الله مع أنه لا يراه .
وآثارهم	وأعمالهم من حسنة وسيئة .
فى إمام مبین	فى كتاب مبین ، وهو اللوح المحفوظ .

## مجمل المعنى

١ - يا يس ، يا أيها الرسول الكريم ، يا سيد البشر أجمعين ، والقرآن المحكم ، ذى الحكمة البالغة ، المشتمل على عجيب النظم وبلاغة الأسلوب ، إنك

لمن المرسلين إلى من أرسلت إليهم ، على طريقة مستقيمة لا اعوجاج فيها ،  
وهي التوحيد والهدى والرشاد ، فلا تعبأ بقول الكفار : « لست مرسلًا » .

٢ - أنزل القرآن عليك العزيز في ملكه ، الرحيم بخلقه ، تنزيلاً من عنده ،  
لتنذر به قوماً ، ما أتى آباءهم الأقربين قبلك نذير ، في مدة الفترة التي بين  
عيسى ومحمد ، وهي زهاء ستمائة سنة ، فبقوا غافلين عن الإيمان والهدى ،  
لعدم إرسال رسول إليهم .

٣ - لقد حق ووجب قولي : « لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » ، على  
أكثر قومك ، فهم لا يؤمنون ، لأنى قدرت عليهم - لفساد فطرتهم ، وسوء  
استعدادهم - أنهم يموتون على الكفر ، فليس ثمة سبيل إلى إرعواضهم .

٤ - - حدث أن أبا جهل حلف : لئن رأى محمداً يُصلى ، ليرضخن :  
« يكسرن » رأسه بحجر ، فلما رآه يصلى ، ذهب فرفع حجراً ليرميه  
به . فلما رفع يده بالحجر اثنت إلى عنقه ، ولزق الحجر بيده ، حتى  
فكته منها أصحابه بجهد ، فقال رجل ثان من الكفار : أنا أقتله بهذا الحجر ،  
فأتى رسول الله وهو على حالته يصلى ، ليرميه بالحجر ، فأعمى الله بصره  
عنه ، فجعل يسمع صوته ولا يراه ، فرجع إلى أصحابه ، فلم يره حتى  
نادوه ، فقال : والله ما رأيته ، ولقد سمعت صوته ، فقال ثالث : والله  
لأشدخن : « أكسرن » أنا رأسه ، ثم أخذ الحجر ، وانطلق به نحو رسول  
الله ، فإذا به يرجع القهقري ، ينكص على عقبيه ، حتى خر على قفاه  
مغشياً عليه ، فقيل له : ما شأنك ؟ فقال : شأنى عظيم ، دنوت من  
محمد ، فإذا فحل يخطر بذنبيه ، ما رأيت فحلاً قط أعظم منه ، حال  
بيني وبينه ، فواللات والعزى ، لو دنوت من محمد لأكلنى ؛ فنزل قوله  
تعالى : « إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالاً . . . » ، إلى قوله : « فهم  
لا يبصرون » ، والمعنى : أن مثل هؤلاء الكفار فى امتناعهم عن قبول

الإيمان ، ومحاولتهم إيذاء الرسول ، كمثل من وضعنا في أعناقهم أغلالاً ، ضمت أيديهم إلى أذقانهم لأن الأغلال إذا كانت في الأعناق ، تكون أيدي المغلولين منضمة إليها ، ولذا تسمى : الجامعة ، فهم يظنون رافعين رؤوسهم ، لا يستطيعون خفضها - فإن من غلت يده إلى ذقنه ارتفع رأسه - غاضين أبصارهم ، لا يستطيعون فتحها ، لأنهم كانوا لا يعطفون أعناقهم نحو الحق ، ولا يلتفتون إليه ، ولا يطأطئون له رؤوسهم ويشمخون بها تكبراً ؛ ومثل من أحاط بهم سدان فغطيا أبصارهم ، بحيث لا يبصرون شيئاً أمامهم ولا خلفهم ، لتكبرهم وعنادهم ، فلم يروا الآيات والدلائل التي تنير لهم طريق الهدى والرشاد ، وعموا عن النظر في آثار قدرة الله ، لإصرارهم على الكفر ، وتماديهم في الضلال .

٥ - ومن أضلهم الله هذا الإضلال ، لا ينفعهم الإنذار ولا الوعيد ، فإنذارك يا محمد إياهم وعدم إنذارك سواء ، فهم لا يؤمنون ، لأن الله قضى أن يظلموا على ضلالهم حتى يموتوا ، والإنذار إنما ينفع من اتبع القرآن ، وتأمل فيه ، وعمل به ، وخاف الرحمن وهو لم يره ، قبل أن يحل به عقاب الآخرة ، ويعاين أهوالها ، أو خشى الرحمن وهو غائب عن أعين الناس لا يراه أبداً ؛ فن كان كذلك ، فبشره بمغفرة واسعة لذنوبه ، وأجر كريم في الآخرة ، وهو الجنة ؛ وذكر الرحمن هنا ، للإشعار أن الله منع كونه ذا رحمة ، لا يؤمن عذابه .

٦ - إنا نحن نحي الموتى للبعث والحساب من المصرين على الكفر ، والمنتهجين بالإنذار ، ونكتب ما قدمه جميع الخلق في صحائف أعمالهم من خير أو شر ، ليجازوا عليه ، وآثارهم إن كانت حسنة أو سيئة ، وكل شيء من أعمالهم أحصيناه في كتاب بين ، وهو اللوح المحفوظ .

( ٢ )

من الآية ١٣ إلى الآية ١٩ من سورة يس

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ، إِذْ جَاءَهَا  
الْمُرْسَلُونَ ، إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا ، فَعَزَّزْنَا  
بِثَالِثٍ ، فَقَالُوا : إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ، قَالُوا : مَا أَنْتُمْ  
إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ، وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ ، إِنْ أَنْتُمْ  
إِلَّا تَكْذِبُونَ ، قَالُوا : رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ-١- .  
وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ، قَالُوا : إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ،  
لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ ، وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ .  
قَالُوا : طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ، أَلَيْسَ ذُكِّرْتُمْ ؟ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ  
مُشْرِفُونَ .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
القرية	أنطاكية .
المرسلون	رسل عيسى عليه السلام من الحواريين .
فعززنا بثالث	فقوييناهم برسول ثالث .
إن أنتم إلا تكذبون	ما أنتم إلا كاذبون في دعوة الرسالة .

الألفاظ	شرحها
البلاغ المبين تطيرنا بكم لدرجناكم طائركم معكم أئن ذُكرتم مسرفون	التبليغ المبين للحق ، المؤيد بالأدلة الواضحة . تشاءنا بكم ، لانجاس المطر عنا . لنتقلنكم رجماً بالحجارة . شؤمكم لاصق بكم ، بسبب كفركم . أئن وعظمت تشاءمتم ؟ متجاوزون الحد في العصيان .

### قصة أهل أنطاكية

١ — أنطاكية : مدينة عظيمة في الشمال الشرقي من البحر الأبيض المتوسط ، فتحها أبو عبيدة بن الجراح في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب ، وكانت تابعة للروم . وبها قبر حبيب انجار الذي سيأتي ذكره ، وهي الآن حاضرة إسكندرونة على حدود سوريا وتركيا .

ب — كان أهلها أيام عيسى عليه السلام يعبدون الأصنام ، فأرسل إليهم اثنين من الحواريين يبلغانهم شريعته ، فطلب الرسولان من أهلها عبادة الله وحده ، وترك عبادة الأصنام ، فلما قرب الرسول من أنطاكية ، رأيا حبيباً النجار يرعى غنيمات ، فسألها عن حالها ، فأخبراه أنهما مرسلان إلى قومه ، فقال لهما : أمعكما آية ؟ قالا : نعم نشفي المريض ، ونبرئ الأكمه : ( من ولد أعمى ) ، والأبرص ، وكان له ولد مريض مضي على مرضه سنتان ، ففرا بأيديهما عليه ، فشفي من مرضه ، فأمن حبيب بهما ، وذاع في المدينة خبرهما ، وشفي على أيديهما خلق كثير — وليس



عجيباً أن ينزلهما الله منزلة من أرسلهما، وهو عيسى عليه السلام — وبلغ الملك خبرهما ، فأحضرهما ، وسألهما : ألنا إله غير آلهتنا ؟ قال : نعم ، هو مز أوجدك وآلهتك ، فأمر الملك بجلدهما وحبسهما ، ثم بعث عيسى شمعون رأس الحواريين — وكان فطناً ذكياً — فدخل المدينة متنكراً ، واختلط بحاشية الملك حتى استأنسوا به ، وأوصلوه إلى الملك ، فأنس به ، وصار من خاصته ، فقال له شمعون يوماً : بلغني أنك حبست رجلين ، فهل سمعت ما يقولانه ؟ قال : حال غضبي عليهما دون مناقشتهما ، فطلب من الملك استدعاءهما ، وقال لهما بحضرة الملك : إلى من تدعوان ؟ قال : إلى الله الواحد الأحد ، الذي خلق كل شيء ، ولا شريك له في ملكه ؛ قال شمعون : صِفاهُ وأوجزهُ ، قال : إنه يفعل ما يشاء ، وما يريد ، قال : وما آيتكما ؟ قال : ما يتمنى الملك ، فدعا بغلام أكمه ، فسحا على عينيه ، فانشق له بصره ، فقال شمعون للملك : أرأيت لو سألت آلتك تصنع مثل هذا ، فقال الملك : ليس لي عنك سرّ ، آلهتنا لا تبصر ولا تسمع ، ولا تضر ولا تنفع ، ثم قال للرسولين : إن قدرتما على إحياء ميت آمنت بكما ، فدعا بغلام مات منذ سبعة أيام ، فدعوا الله فقام ، فأمن الملك وحاشيته ؛ ويظهر أن إيمانهم كان سرّاً — كما في تفسير أبي السعود — على خوف من قومه الذين حدثت بينهم وبين الرسل المحاورة التي سيأتي ذكرها .

## مجمل المعنى

اضرب يا محمد للكفار مثلاً بأهل أنطاكية ، لعلهم يتعظون ، إذ جاءهم رسل عيسى عليه السلام من الحواريين بأمر من الله ، وبمعجزات عيسى ، ليدعوهم إلى عبادة الله وحده ، ونبذ عبادة الأصنام ، وبدأنا بإرسال اثنين فبلغاهم رسالتهما ، فكذبوهما ، فقويناهما وشددنا أزرهما برسول ثالث ، وهو شمعون رئيس الحواريين ، فدارت بينهم وبين أهل أنطاكية المحاورة الآتية :

قال الرسل لهم : إنا إليكم مرسلون لتعبدوا الله وحده ، وتركوا عبادة الأصنام .  
أهل أنطاكية : ما أنتم إلا بشر مثلنا ، تأكلون الطعام وتمشون في الأسواق ، ولا مزية لكم علينا ، تقتضى اختصاصكم بالرسالة دوننا ، وما أنزل الرحمن عليكم وحياً ، ولا أمركم فى شأننا بشيء ، إن أنتم إلا كاذبون فى ادعاء الرسالة إلينا .

الرسول : لم يسأموا ولم يملوا ، بل كرروا قولهم مؤكداً ، فقالوا : ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون - وهو كلام يجرى مجرى القسم ، كقولك : يشهد الله أنى فعلت ، ويعلم الله أنى قلت - وما علينا إلا التبليغ المبين للحق ، المؤيد بالأدلة الباهرة ، كإبراء الأكمه والأبرص ، وإحياء الميت ، وقد بلغنا ، فأى شيء تطلبون منا أكثر من هذا لتصدقونا ؟

أهل أنطاكية : إنا تشاءنا بكم ، لانقطاع المطر عنا بسببكم ، لئن لم ترجعوا عن ادعائكم لنقتلنكم رجماً بالحجارة ، وليصيبنكم منا عذاب مؤلم إذا لم نقتلكم .

الرسول : سبب شؤمكم معكم ، ملازم لكم لا من قبلنا ، لسوء عقيدتكم ،

وإصراركم على الكفر ، فنحن ندعو إلى التوحيد ، وفيه غاية  
اليمن والخير والبركة ؛ أئن وعظّم ودعيتم إلى الإيمان بالله وحده ،  
تتوعدونا بالرجم والتعذيب ؟ بل أنتم قوم متجاوزون الحدّ في  
الآثام ، بشرككم وعصيانكم ، فمن ثمّ أتاكم الشؤم من قبلكم  
لا من قبلنا .

والغرض من هذا المثل تسلية محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد تمرد الكفار  
على ثلاثة من الرسل ، وهو واحد أمام قوم عتاة مستكبرين ، ليكون له بهم  
أسوة .

( ٣ )

من الآية ٢٠ إلى الآية ٢٧ من سورة يس

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ، قَالَ : يَا قَوْمِ ،  
 اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ : اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا ، وَهُمْ  
 مُهْتَدُونَ -١- . وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ، وَإِلَيْهِ  
 تُرْجَعُونَ ؟ . أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ؟ إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ  
 بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا ، وَلَا يُنْقِذُونِ ؛ إِنْ أَرَادْتُمْ  
 أَنْ تُضِلُّوا ، فَاصْبِرُوا صَبْرًا مُبِينًا ، إِنْ أَرَادْتُمْ أَنْ تُقِيمُوا ، فَاصْبِرُوا  
 سَبْرًا مُبِينًا ، إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا قَوْمٌ يَمُوتُونَ . قِيلَ :  
 ادْخُلِ الْجَنَّةَ ، قَالَ : يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي  
 رَبِّي ، وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ -٣- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وجاء رجل من أقصى المدينة	وجاء حبيب النجار من أبعد مكان في المدينة .
يسعى	يشهد عذوه .
فطرني	أنشأني وخلقني .
فاستمعون	فاشهدوا أني آمنت بكم .

## مجمل المعنى

١ - وجاء حبيب النجار - وكان قد آمن كما تقدم ، بعد أن شنّى الرسولان ابنه من مرضه - جاء يعدو من منزله الذى بأقصى المدينة ، ويسرع فى مشيه ، لما سمع بتكذيب قومه للرسول ، قال : يا قومى ، اتبعوا المرسلين إليكم ، الداعين إلى عبادة الله وحده ، اتبعوا من لا يسألكم أجراً على رسالته ، ويمحضكم النصح ، وهؤلاء الرسل مهتدون إلى خير الدارين ، عالمون بالطريقة المستقيمة الموصلة إلى الحق ، فاتبعوهم واهتدوا بهديهم .

٢ - فقال له أهل أنطاكية : أو أنت على دين هؤلاء ؟ فأجابهم : وأى مانع عندى من عبادة الله الذى خلقتنى ، وإليه تُرجعون بعد الموت يوم القيامة للحساب ، فيجازيكم على أعمالكم ؟ فكيف لا تشاركونى فى عبادته ؟ وكيف أتخذ غيره من الأصنام إلهاً ؟ إن ربى وخالى ذا الرحمة الواسعة ، إن مسنى بضر أو شدة ، لا تغن عنى شفاعة هذه الأصنام شيئاً ، ولا ينقذونى فى دفع الضر عنى ، ولا يخلصونى مما أتعرض له من مكروه ؛ إنى إن عبدت غير الله ، وآثرت ما لا ينفع ولا يدفع ضرراً ، على الخالق القادر على النفع والضر ، أكن فى ضلال بيّن ، ثم أسرع إلى الرسول ، فقال لهم : إنى آمنت بربكم ، فاسمعوا إيمانى لتشهدوا لى به .

٣ - لكن قومه أصروا على كفرهم ، ورجموه بالحجارة فقتلوه ، وهو يقول : اللهم اهد قومى ، فقبل له عند موته : قد وجبت لك الجنة فادخلها ، فقال : ليت قومى يعلمون بغفران ربى لى ، وإكرامى بدخول الجنة ، فيقلعوا عن كفرهم ؛ تمنى لو يعلمون بحاله ، ليعلموا حسن مآله ، فيصلوا إلى ما وصل إليه بالإيمان ، ونبت الشوك والعصيان .

## فهرس الجزء الثانى والعشرين من تفسير القرآن الكريم

أرقام الصفحات	أرقام الآيات فى المصاحف	أسماء السور	الرقم
من ٣ - ٤	الآية ٣١	الأحزاب	١
» ٥ - ٨	من ٣٢ - ٣٥	»	٢
» ٩ - ١٥	» ٣٦ - ٤٠	»	٣
» ١٦ - ١٧	» ٤١ - ٤٤	»	٤
» ١٨ - ١٩	» ٤٥ - ٤٨	»	٥
» ٢٠ - ٢١	الآية ٤٩	»	٦
» ٢٢ - ٢٧	من ٥٠ - ٥٢	»	٧
» ٢٨ - ٣٢	» ٥٣ - ٥٥	»	٨
الصفحة ٣٣	الآية ٥٦	»	٩
من ٣٤ - ٣٥	من ٥٧ - ٥٨	»	١٠
» ٣٦ - ٣٧	الآية ٥٩	»	١١
» ٣٨ - ٣٩	من ٦٠ - ٦٢	»	١٢
» ٤٠ - ٤١	الآية ٦٣	»	١٣
» ٤٢ - ٤٣	من ٦٤ - ٦٨	»	١٤
» ٤٤ - ٤٥	الآية ٦٩	»	١٥
الصفحة ٤٦	من ٧٠ - ٧١	»	١٦
من ٤٧ - ٤٩	» ٧٢ إلى آخر السورة	»	١٧
» ٥٠ - ٥١	» ١ - ٢	سبأ	١
» ٥٢ - ٥٤	» ٣ - ٦	»	٢
» ٥٥ - ٥٧	» ٧ - ٩	»	٣
» ٥٨ - ٦٠	» ١٠ - ١١	»	٤
» ٦١ - ٦٤	» ١٢ - ١٤	»	٥
» ٦٥ - ٧٠	» ١٥ - ٢١	»	٦

الرقم	أسماء السور	أرقام الآيات في المصاحف	أرقام الصفحات
٧	سبأ	من ٢٧ - ٢٢	من ٧٤ - ٧١
٨	»	» ٣٠ - ٢٨	» ٧٦ - ٧٥
٩	»	» ٣٣ - ٣١	» ٨٠ - ٧٧
١٠	»	» ٣٩ - ٣٤	» ٨٤ - ٨١
١١	»	» ٤٢ - ٤٠	» ٨٦ - ٨٥
١٢	»	» ٤٥ - ٤٣	» ٨٨ - ٨٧
١٣	»	» ٥٠ - ٤٦	» ٩١ - ٨٩
١٤	»	» ٥١ إلى آخر السورة	» ٩٤ - ٩٢
١	فاطر	» ٢ - ١	» ٩٧ - ٩٥
٢	»	» ٧ - ٣	» ١٠٠ - ٩٨
٣	»	» ٩ - ٨	» ١٠٢ - ١٠١
٤	»	» ١١ - ١٠	» ١٠٥ - ١٠٣
٥	»	» الآية ١٢	» ١٠٧ - ١٠٦
٦	»	» من ١٤ - ١٣	» ١١٠ - ١٠٨
٧	»	» ١٨ - ١٥	» ١١٢ - ١١١
٨	»	» ٢٦ - ١٩	» ١١٥ - ١١٣
٩	»	» ٣١ - ٢٧	» ١١٨ - ١١٦
١٠	»	» ٣٥ - ٣٢	» ١٢٢ - ١١٩
١١	»	» ٣٩ - ٣٦	» ١٢٥ - ١٢٣
١٢	»	» ٤٣ - ٤٠	» ١٢٩ - ١٢٦
١٣	»	» ٤٤ إلى آخر السورة	» ١٣١ - ١٣٠
١	يس	» ١٢ - ١	» ١٣٥ - ١٣٢
٢	»	» ١٩ - ١٣	» ١٤٠ - ١٣٦
٣	»	» ٢٧ - ٢٠	» ١٤٢ - ١٤١

# تفسير القرآن الكريم

الجزء الثالث والعشرون

تأليف

حسن علوان

محمود محمد حمزة

محمد أحمد برانق



تراجع الخطبة التي في صدر تفسير الجزء الأول ، ونرجو أن يراعى  
في هذا الجزء والأجزاء التي تليه ، أن الأرقام التي في صدر  
مجموعات آيات القرآن الكريم ؛ تطابق نظائرها في المصاحف ،  
وأن الأرقام التي تخللت مجموعات آيات القرآن الكريم ،  
تطابق نظائرها في مجمل المعنى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

( ١ )

من الآية ٢٨ إلى الآية ٣٥ من سورة يس

وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ ،  
وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ، إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ، فَإِذَا هُمْ  
خَامِدُونَ -١- . يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ! مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ  
إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ -٢- . أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا  
قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ؟ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا  
جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُخْضَرُونَ -٣- . وَآيَةٌ لَهُمْ : الْأَرْضُ  
الْمَيْتَةُ ، أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا ، فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ،  
وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ، وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ  
الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ، أَفَلَا  
يَشْكُرُونَ ؟ -٤- .

## شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
قومه من جند من السماء وما كنا منزلين إن كانت إلا صبيحة واحدة خامدون يا حسرة على العباد ألم يروا من القرون أنهم إليهم لا يرجعون وإن كل لما جميع لدينا محضرون وآية لهم الأرض الميتة أحييناها فجبرنا وما عملته أيديهم	قوم حبيب النجار ، الذي جاء من أقصى المدينة. ملائكة لإهلاكمهم . وما كانوا يستحقون أن ننزل عليهم ملائكة . ما كانت عقوبتهم إلا صبيحة واحدة . هامدون ميتون ساكنون . وأأسفاه على هؤلاء الناس ، وما أشد ندامتهم ! ألم يعلم أهل مكة . من الأمم السابقة . أن المكذبين المهلكين قد قطع دابرهم . ما كل هؤلاء المكذبين المهلكين . إلا مجموعون محضرون لدينا يوم القيامة للحساب والجزاء . ودليل لهم على البعث . الأرض المجذبة التي لا نبات بها . جعلناها صالحة للإنبات . شققنا وفتحنا . ويأكلون مما عملته أيديهم ، كالعصير والمرببات .

## مجمل المعنى

١ - وما أنزلنا على قوم حبيب النجار الذى تقدم ذكره فى الصفحتين ١٣٧، ١٤٢ من تفسير الجزء الثامن والعشرين بعد موته، ملائكة لإهلاك قومه ، كما أرسلنا الملائكة يوم وقعة بدر ويوم وقعة الأحزاب ، بل أبدناهم على أسهل وجه ، أبدناهم بصيحة ، لأنهم لا يستحقون أن ننزل إليهم ملائكة ، استهانة بأمرهم ، وتحقيراً لشأنهم ؛ ونزول الملائكة إنما يكون لعظام الأمور ، كالانتصار لك من قومك ، فلم تكن عقوبة قوم حبيب النجار إلا صيحة واحدة ، فإذا هم ميتون ساكنون لا يتحركون ؛ والمراد بالصيحة : الصاعقة ، كما حدث لثمود قوم صالح عليه السلام ، قال تعالى فى سورة هود : « وأخذ الذين ظلموا الصيحة » ، ( تراجع الصفحة ٤٨ ، والفقرة السابعة من الصفحة ٥٢ من تفسير الجزء الثانى عشر ) ، وقال فى سورة فصلت : « وأما ثمود فهديناهم ، فاستحبوا العمى على الهدى ، فأخذتهم صاعقة العذاب » . وسيأتى هذا فى تفسير الجزء الرابع والعشرين .

٢ - وأسفاه على العباد المعاندين الذين يكذبون الرسل ! وما أشد ندامتهم حين يلقون جزاء كفرهم وعنادهم ! لأنهم الذين ركبوا رءوسهم ، وأمعنوا فى عنادهم ؛ والمراد أنهم أحقأ أن يتحسروا ، ويتحسر عليهم المتحسرون ، فما يأتىهم رسول إلا سخروا منه ، واستهزؤا به .

٣ - ألم يعلم أهل مكة أننا استأصلنا قبلهم أمماً كثيرة لتكذيبهم رسلهم ؟ ألا يرون أن هؤلاء المكذبين قد قطع دابرهم ، واستؤصلت شأفهم ، وانقطع نسلهم ، على أن موتهم لم يكن راحة لهم ، بل لأنهم جميعاً سيحشرون لدينا ، فى الموقف بعد البعث ، ويحضرون للحساب والجزاء .

٤ - فإن أرادوا الدليل على إمكان البعث ، والحياة بعد الموت ، فيها هي ذى الأرض المجذبة الجرداء، ينبثق فيها الماء ، فتحييا بعد موتها ، فتنبت النبات الذى يُخرج الحبّ فنأكل منه ؛ فكما فعلنا فى مَوات الأرض نفعل فى أموات الخلق ، وقد أوجدنا فى هذه الأرض بعد أن دبّت فيها الحياة بساتين ، فيها أنواع النخيل والأعناب ، وشققنا فيها العيون ، فسال ماؤها الذى أروى الأشجار ، فأينعت ثمارها ، وجناها الناس ، وتمتعوا بأكلها ، كما تمتعوا بما يتخذ منها من أنواع الحلوى التى يصنعونها بأيديهم ، كالعصير والشراب والمربيات والعسل والحل ؛ أفلا يشكرون الله على هذه النعم التى أسبغها عليهم ، فيعترفوا بربوبيته ووجدانيته ؟ ونظير هذا قوله تعالى فى سورة السجدة : « أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز ، فنخرج به زرعاً تأكل منهم أنعامهم وأنفسهم ، أفلا يبصرون ؟ » (تراجع الصفحة ١٠٥ من تفسير الجزء الحادى والعشرين ) ، وقوله : فى سورة الروم «فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها ، إن ذلك لحجى الموتى ، وهو على كل شىء قدير» . ( تراجع الصفحة ٥٢ من تفسير الجزء الحادى والعشرين أيضاً ) .

( ٢ )

الآية ٣٦ من سورة يس

سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا : مِمَّا تُنْبِتُ  
الْأَرْضُ ، وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
سبحان الذي خلق الأزواج	تزهوا المولى عن كل ما لا يليق به ، وهو مصدر ناب عن فعل الأمر . الأصناف يقترن بعضها ببعض .

مجمل المعنى

١ - تزهوا الخالق عن كل ما لا يليق به ، كنسبة الولد والشريك إليه ، فإنكم ترون عجائب صنعه ، وبدائع حكمته ، وآثار قدرته ، وروائع نعمائه الموجبة لشكره ، فهو وحده الذي خلق من النبات والإنسان ، ومما لم يكن الناس يعلمونه عند الرسالة ، أزواجاً يقترن بعضها ببعض ، ليحصل من تزواجها إنبات الثمر ، وبقاء النسل ، ورفق العالم في مدارج الحضارة :

(١) فالازدواج فيما تنبت الأرض ينشأ من التلقيح ، إما بتأبير النخل :  
( تلقيحه ) ، وإما بالرياح التي تنقل لقاح الذكر إلى المؤنث --  
قال تعالى : « وأرسلنا الرياح لواقح » ، ( تراجع الفقرة « هـ » من  
الصفحة ١٢ من تفسير الجزء الثاني عشر ) ، وإما ببعض الحشرات  
كالنحل والقرّاش ، وإما بمياه الأنهار والسيول ، وإما بغير أولئك  
مما هو معروف في علم النبات .

(ب) والازدواج في الأنفس ، باتصال الذكر بالأنثى اتصالاً جنسياً .  
(ج) والازدواج فيما لم يكن يعلمه الناس عند ما أرسل رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، ولكن ارتقاء العقل البشرى أظهره ، كالتيار الكهربائي ،  
الحادث من اجتماع قوتين : إحداهما موجبة ، والأخرى سالبة .

( ٣ )

من الآية ٣٧ إلى الآية ٤٠ من سورة يس

وَآيَةٌ لَهُمْ : اللَّيْلُ نَسَلَخْنَا مِنْهُ النَّهَارَ ، فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ -١- . وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ -٢- . وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ -٣- . لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ، وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ، وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ -٤- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون لمستقر لها	نكشف ، ونزيل ضوءه ، ونميزه منه . فإذا الناس داخلون في الظلمة . إلى مستقر مقدر لها في كل يوم ، في مشرقها ومغربها .
ذلك منازل	جري الشمس ، وتعاقب الليل والنهار . جمع منزل ، والمراد به : المسافة التي يقطعها القمر في يوم وليلة .



الألفاظ	شرحها
عاد كالعرجون القديم	صار كالعِدْق : ( السُّبْاطة ) ، إذا قدم ويبس واعوج .
ينبغي لها	يصح لها .
تدرك القمر	تجتمع معه ليلاً .
سابق النهار	يسبقه ويحل محله قبل انقضائه .
فلك	مدار ومجرى .
يسبحون	يجرون جرياناً بحركة ذاتية ، في نظام دقيق .

### مجمل المعنى

١ - علامة للكافرين المعاندين دالة على قدرة الله ووحدانيته ، إذ خلق الكائنات على نظام عجيب بديع ، فالليل يُقبل بعد أن ينكشف ويزول عنه ضوء النهار ، فإذا الناس في ظلام دامس ، بعد أن كانوا في ضوء ساطع -- وعبر الله عن هذه الإزالة بالسلخ ، لأنها تشبه إزالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال بعد سلخه .

٢ - والشمس تجرى وتنتقل إلى مستقر مقدر لها في كل يوم ، في مشارقها ومغاربها ، فلها في كل يوم مشرق تطلع منه ، ومغرب تغيب فيه ، ثم لا تعود إليه إلا في نظير ذلك اليوم من العام القابل ، ذلك تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل شيء ، المحيط علمه بكل شيء .

٣ - وقد رنا لمسير القمر منازل مدارها ثمانية وعشرون منزلاً ، لا يتخطاها ولا يحيد عنها - والمراد بالمنزل : المسافة التي يقطعها القمر في كل يوم وليلة ،

فإذا كان في آخر منازلها ، صار دقيقاً مقوساً ، كعذق النخلة الذي عليه الشاربخ ، إذا تقادم عليه الزمان فيبس واعوج ، ثم يستتر القمر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً ، وليلة إن كان الشهر تسعة وعشرين يوماً .

٤ — والشمس والقمر يسيران على نظام دقيق ثابت ، فلا الشمس يجوز لها أو يسهل عليها أن تسبق القمر ، فتجتمع معه في الوقت المقدر للقمر في الليل ، ولا الليل يسبق النهار قبل انقضاء زمانه ، بل كل يسبح في فلكه ، ويجرى في مداره ؛ وعاد الضمير في « يسبحون » جمعاً ، مراعاة للفظ « كل » ، وكأن هذه الدقة لا تصدر إلا من عاقل ، ولذا عاد على « كل » ضمير العقلاء .

( ٤ )

من الآية ٤١ إلى الآية ٤٤ من سورة يس

وَآيَةٌ لَهُمْ : أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ،  
وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ-١- . وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ  
فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ ، وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ، إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا ،  
وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ-٢- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وآية لهم	وعلاوة لكفار مكة ، دالة على عظيم قدرتنا .
ذريتهم	{ الذرية : تطلق على الآباء والأبناء ، والمراد هنا الأول ، كما في لسان العرب .
الفلک المشحون	{ سفينة نوح المملوءة ، المفرد والجمع بلفظ واحد ، والمراد هنا : الأول .
من مثله	من مثل فلك نوح ، كالإبل وغيرها .
صريخ	مُغِيث .

## مجمل المعنى

١ - ودليل آخر لأهل مكة على قدرتنا على ما نشاء ، وعلى وحدانيتنا ، وعلى رحمتنا بهم ، وعطفنا عليهم ، أنا حملنا آباءهم عند ما عمّ الطوفان في عهد نوح عليه السلام ، في السفينة المملوءة الموقرة المثقلة بركابها ، لنجاتهم من الموت غرقاً ، ولولا ذلك لانقرض نسل بنى آدم ، وخلقنا لهم من مثل فلك نوح مراكب أخرى كالإبل ، وألهمناهم صنع مراكب بحرية وبرية وجوية ، وأقدرناهم على اختراعها ، كالبواخر والسيارات والطائرات .

٢ - وإن اقتضت مشيئتنا إغراق هؤلاء المشركين ، مع ما تحملوا من متاع إذا ركبوا في الفلك ، نفذت إرادتنا ، فلا مغيث لهم يحميهم من الغرق ؛ ولا هم ينقذون وينجون من الموت إلا من أجل رحمتنا بهم ، وتمتعهم بالحياة إلى أجل هم بالغوه ، والمراد : أنهم في حال استمتاعهم ، ينبغي ألا يأمنوا عذاب الله .

( ٥ )

من الآية ٤٥ إلى الآية ٥٠ من سورة يس

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ ،  
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ، وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا  
كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ -١- . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : أَنْفِقُوا مِمَّا  
رَزَقَكُمُ اللَّهُ ، قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا : أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ  
يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ ؟ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ -٢-  
وَيَقُولُونَ : مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ؟ مَا يَنْظُرُونَ  
إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ  
تَوْصِيَةً ، وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ -٣- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون آية	اخشوا عذاب الدنيا كما حدث لغيركم . واخشوا عذاب الآخرة . لتكونوا ممن يرجون رحمة الله . آية من آيات القرآن .
إن أنتم إلا في ضلال مبين	ما أنتم في قولكم هذا أيها الكفار إلا في ضلال مبين .

الألفاظ	شرحها
متى هذا الوعد ما ينظرون إلا صيحة واحدة يخصمون توصية	متى الوعد بالبعث ؟ ما ينتظرون . إلا صيحة إسرافيل الأولى ، للإعلام بانقضاء العالم . يخصمون ويتجادلون في المساومة ونحوها في الدنيا . توصية الإنسان لأهله وهو فيهم .

### مجمل المعنى

١ - إذا قامت الأدلة الواضحة لأهل مكة أعرضوا عنها ، وإذا قيل لهم :  
اخشوا عذاباً يحل بكم في الدنيا إن أصررتم على كفركم وعنادكم ، كما  
حدث لغيركم من الأمم الماضية لشركهم وتكذيبهم الرسل ، واخلشوا عذاب  
الآخرة في جهنم ، وآمنوا بي وبرسولي ، لتكونوا ممن يرجون رحمة الله وعفوه  
وصفحه ، فإن مناط النجاة ليس إلا رحمة الله ، واطقاء عذابه ، بالإيمان  
والطاعة - إذا قيل لهم ذلك أعرضوا ، ونأوا بجانهم ، وأصروا على كفرهم ،  
واستكبروا استكباراً ، وما تأتيتهم آية من آيات القرآن ، التي منها الآيات  
الناطقة ببدايع صنع الله في الكون ، وسوانح آلائه عليهم ، الشاهدة بوحدانيته  
وكمال قدرته ، مما يوجب عليهم الإقبال عليها ، والإيمان بها ، إلا كذبوها ،  
وأعرضوا عن التصديق بها ولم يلتفتوا إليها ؛ ونظير هذا قوله تعالى  
في سورة القمر : « وإن يروا آية يُعرضوا ويقولوا : سحر مستمر » ، وسيأتي  
الكلام عليها في تفسير الجزء السابع والعشرين .

٢ - وإذا قيل لهم : تصدقوا على فقراء المسلمين من أقربائكم الذين كنتم تمدونهم  
ببعض المال ، وأنفقوا على هؤلاء المحتاجين من بعض ما تفضل الله به

عليكم ، قال الذين كفروا للذين آمنوا استهزاء بهم : لَمَّا كَانَ اللَّهُ قَادِرًا عَلَىٰ إِطْعَامِ الْفَقِيرِ وَلَمْ يَطْعَمَهُ ، فنحن أحقُّ ألا نطعمه ، ولو شاء أن يُطعمه لأطعمه ، فلم يلتمس الرزق منا ؟ إذا كان الله أفقره ، فكيف نرزقه ؟ فإنا أنتم أيها المشركون في قولكم هذا إلا في ضلال بيِّن لا يخفى على أحد ، فإن الله يُجرى رزق الفقراء على أيدي الأغنياء ، فإن مَلَكَ الْغَنَىٰ مَالًا ، فقد أوجب الله عليه فيه حقًّا .

٣ - ويقول المشركون : متى يقع هذا الوعد الذي تزعمونه بالبعث ، إن كنتم صادقين فيه ؟ فردَّ الله عليهم ، بأن الوعد محقق الوقوع ، ولا ريب فيه ، وسيفجؤهم من حيث لا يعلمون ، فلا يلبثون إلا وقد صاح فيهم إسرافيل صبيحة واحدة ، فيصعقُ من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله من الملائكة بغتة ، وهم يتجادلون في أمور دنياهم : في متاجرهم ، وفي أثناء معاملاتهم ، لا يخطر ببالهم أمرها ، فترجف أفئدتهم ، ويقعون صرعى ، لا يستطيعون النطق بأية كلمة ، ولو بالتوصية التي يكونون في أمس الحاجة إليها إن كانوا بين أهاليهم ، ولا يستطيعون أن يرجعوا من أسواقهم وأشغالهم إلى أهاليهم ، بل يموتون حيث كانوا .

( ٦ )

من الآية ٥١ إلى الآية ٥٤ من سورة يس

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ، فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى  
رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ -١- . قَالُوا : يَا وَيْلَنَا ! مَنْ بَعَثَنَا مِنْ  
مَرْقَدِنَا ؟ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ ، وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ -٢- .  
إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ، فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا  
مُخَضَّرُونَ -٣- . فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَلَا تُجْزَوْنَ  
إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ -٤- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
نفخ في الصور	أعلم الناس بيوم البعث ، والصور : البوق .
الأجداث	القبور .
ينسلون	يخرجون ويسرون مسرعين .
يا ويلنا	الويل : حلول الشر ، والبلية ، والفضيحة .
هذا	هذا البعث .
إن كانت إلا صيحة واحدة	لم تكن النفخة إلا صيحة واحدة .



## مجمل المعنى

١ - وأعلم الناس بيوم البعث ، والتعبير بالماضى : للدلالة على تحقق الوقوع ؛ والنفخ فى الصور : تمثيل وتصوير لبعث الأموات من قبورهم ، وعرضهم للحساب ، واستجابتهم للدعوة بسرعة ، وقد صاح فيهم بوق عظيم ، كما يستجيب الجنود ، فيهبون من رقادهم حين ينفخ أحد الجنود فى بوقه نفخة تسمى : نفخة الاستيقاظ ، أو أن إسرافيل ينفخ فى البوق النفخة الثانية ، وهى نفخة البعث ، فالأولى يُميت الله بها كل حي ، والثانية يُحيى بها كل ميت - فإذا الناس جميعاً يُخرجون من قبورهم ، ويسرون مسرعين « كأنهم جراد منتشر » ، أو « كأنهم إلى نُصُب يوفضون » ، لاوقوف بين يدي المولى جل وعلا ، ربهم ومالك أمرهم .

٢ - فإذا بُعثوا ، تذكر الكفار بعد أن رُدت أرواحهم إلى أجسادهم ، ما كانوا يسمعون من الرسل عن البعث ، فقالوا : وافضيحتاه ! ما أشد ما سنلاقيه من العذاب الذى ينتظرنا ! من أيقظنا من رقادنا ؟ هذا هو البعث الذى وعد به الرحمن على لسان رسله ، كنا نكذبه ، ولقد صدق الرسل فيما أخبروا به ، وأبلغوه إيانا .

٣ - لم تكن النفخة الأخيرة إلا صيحة واحدة ، فإذا الخلائق جميعاً بمجرد سماعها مجموعون ، أحضروا إلى موقف الحساب بين يدي الله تعالى .

٤ - فالיום - يوم القيامة - تقام موازين العدل والقسطاس ، فلا تُظلم نفس شيئاً ، سواء أكانت برة أم فاجرة ، وإن كان عملها فى الدنيا وزن ذرة من حسنة أو سيئة ، أتى الله بها ، ولا تُجزى كل نفس إلا بما عملت ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

( ٧ )

من الآية ٥٥ إلى الآية ٥٨ من سورة يس

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ - ١ - . هُمْ  
وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ ، عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِئُونَ ، لَهُمْ فِيهَا  
فَاكِهَةٌ ، وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ - ٢ - . سَلَامٌ : قَوْلًا مِنْ رَبِّ  
رَحِيمٍ - ٣ - .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
شُغْلٌ	شأن يشغلهم عما سواهم .
فاكهون	ناعمون بطيب العيش ، مسرورون .
وأزواجهم	زوجاتهم اللاتي كنَّ لهم في الدنيا ، أو أمثالهم في الإيمان .
في ظلال	في ظلال دائمة ، لا يُحسون حرًّا ولا برداً .
الأرائك	جمع أريكة : وهي السرير المزين بالستور والفرش .
ما يدعون	ما يتمنون وما يشتمون .
سلام قولاً	يقول لهم الملائكة قولاً هو سلام يبلغونه إياهم عن ربهم .

## مجمل المعنى

١ - إن أصحاب الجنة - وهم المؤمنون الصادقوا بالإيمان - يوم القيامة في شغل بما هم فيه من البهجة والمسرة ، واللذات والنعيم ، عما فيه أصحاب النار من العذاب الأليم ، ناعمون بطيب العيش ، ملتذون بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

٢ - وما يزيدهم بهجة وسروراً ، ويلهيم عما عداهم ، أنهم هم وزوجاتهم المؤمنات اللاتي كنَّ لهم في الدنيا ، في ظلال دائمة ممدودة في الجنة ، لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً ، متكئون على السرر المنجدة المزينة بالستور والفرش ، متمتعون في كنف الله وظله بأنواع الفاكهة الشمية ، ولم فيها ما يتمنون وما يشتهون ، ونظير هذا قوله تعالى في سورة المرسلات : « إن المتقين في ظلال وعيون ، وفواكه ، مما يشتهون » ، (تراجع الصفحة ١٦٣ من الطبعة الأولى من تفسيرنا لجزء « تبارك ») ، ويجوز أن يكون المراد من « أزواجهم » : أمثالهم في الإيمان ، كما قال تعالى في سورة « ص » : « وآخر من شكله أزواج » ، وسنشرحه في تفسير هذا الجزء عند تفسير هذه السورة .

٣ - يقول الله لهم قولاً هو سلام يبلغه إياهم عنه ملائكته ، أو بغير وساطة ، تكريماً لهم وتعظيماً ، فيقول لهم : السلام على عبادي الذين أطاعوني ، وحفظوا عهدي بالغييب ، لا خوف عليكم اليوم ، ولا أنتم تحزنون ، وهذا السلام من مالك الملك ، ذي العطف والرحمة .

( ٨ )

من الآية ٥٩ إلى الآية ٦٤ من سورة يس

وَأَمْتَارُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ - ١ - . أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ  
 يَا بَنِي آدَمَ : أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ؟ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ،  
 وَأَنْ اعْبُدُونِي ، هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ - ٢ - . وَلَقَدْ أَضَلَّ  
 مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ، أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ؟ - ٤ - هَذِهِ  
 جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ  
 تَكْفُرُونَ - ٤ - .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
امتازوا	انفردوا وانفصلوا من المؤمنين .
ألم أعهد إليكم	ألم آمركم ، وأوصيكم بما أقمت لكم من الدلائل والحجج ؟
ألا تعبدوا الشيطان	ألا تطيعوا الشيطان .
هذا صراط مستقيم	هذا الانقياد إلى طاعة الله وحده . هو الطريق المستقيم .
جبلًا كثيرًا	خلقًا كثيرًا .
أصلوها	ذوقوا حرها وعذابها .

## مجمل المعنى

١ - حين يسار بالمؤمنين إلى الجنة ، يقال للمجرمين من العصاة : انفردوا وانفصلوا عنهم ، واذهبوا إلى مصيركم في النار ، ونظير هذا قوله تعالى في سورة الروم : « ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فهم في رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ . وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة ، فأولئك في العذاب محضرون » ، ( راجع الصفحة ٢٨ من تفسير الجزء الحادى والعشرين ) .

٢ - ويقال للكفار من جملة ما يقال تقريباً لهم وتبكيئاً ، وإقامة للحجة عليهم : ألم أمركم يا بنى آدم ألا تطيعوا الشيطان في معصيتى ، بما أقمت لكم من الأدلة الدالة على وحدانيتى ، كما عهدت إلى أبيكم من قبل ؟ فقلت في سورة الأعراف : « يا بنى آدم ، لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة » ، وقلت في سورة النور : « لا تتبعوا خطوات الشيطان » ؟ ألم أوصكم على السنة رسلى ألا تنقادوا إلى وسوسته ، فإنه لكم عدو بين العداوة من عهد أبيكم آدم ، بما يزينه لكم من المعاصى ؟ ألم أكلفكم أن تعبدونى وحدى ، فإن تخصيصى بالعبادة هو الطريق المستقيم الذى لا عوج فيه ، والدين القويم الذى يهدى إلى الحق ؟

٣ - إن من له مُسكة من العقل ، يستطيع أن يدرك أن الشيطان مضل مبين ، فلقد أضل منكم خلقاً كثيراً ، أكنتم تشاهدون آثار عقوبتهم ، فلم تكونوا تعقلون أنها بسبب ضلالهم ؟

٤ - هذه جهنم التى كنتم توعدونها على السنة الرسل لمن أطاع الشيطان وتبذ طاعتى ؛ ذوقوا فى هذا اليوم الذى لم تستعدوا له بطاعتى حرَّها ، بسب كفركم فى الدنيا .

( ٩ )

من الآية ٥٦ إلى الآية ٦٨ من سورة يس

الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ ، وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ ،  
وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ -١- وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا  
عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ ، فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ ، فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ؟ . وَلَوْ  
نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ، فَمَا اسْتَبَاعُوا مُضِيًّا وَلَا  
يَرْجِعُونَ -٢- . وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ، أَفَلَا  
يَعْقِلُونَ ؟ -٣- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
نختم على أفواههم	نمنعها من الكلام .
لطمسنا على أعينهم	لحونا أعينهم بمسحها .
فاستبقوا الصراط	فبادروا إلى الطريق الذي اعتادوا سلوكه .
فأنى يبصرون	فكيف يبصرون بعد أن أصابهم العمى ؟
لمسخناهم	لغيرنا صورهم ، وأبطلنا قواهم .
على مكانتهم	في مكانهم ، فلا يستطيعون حراكاً .
مضياً	ذهاباً إلى مقاصدهم .
ولا يرجعون	ولم يقدرُوا على العودة .

الألفاظ	شرحها
نعمرة نكسه في الخلق	نُطِل حياته حتى يبلغ أُرذل العمر. نقلب خلقته ، ونردّه إلى حالة الصبا .

## مجمل المعنى

١ - حين يقال للكفار : « اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون » ، ينكرون كفرهم ، ويقولون : « والله ربنا ما كنا مشركين » ( كما تقدم في سورة الأنعام ، في الصفحة ٥٨ من تفسير الجزء السابع ) ، حينئذ يعقد الله ألسنتهم ، ويمنعها من النطق ، فتنطق جوارحهم : تتكلم أيديهم ، وتشهد أرجلهم بما اجترحوها من السيئات ، يؤيد هذا قوله تعالى في سورة فصلت ، التي سيأتي تفسيرها في الجزء الرابع والعشرين : « وقالوا لجلودهم : لم شهدتم علينا؟ قالوا : أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء » ، روى أن كلاً من الكافرين والمنافقين يُدعى للحساب ، فيعرض الله عليه عمله ، فيجحد ويقول : لقد كتبَ علىّ هذا الملك ما لم أعمله ، فيقول الملك : أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا؟ فينكر ، فيختم الله على فيه ، وتنطق جوارحه بما عمل ، فيقول لجوارحه : سحفاً لكن! فعنكن كنتُ أناضل ؛ ورأى بعضهم أن الختم والكلام والشهادة أمور معنوية ، المراد بها : أن الله يظهر آثار المعاصي ، على الأيدي والأرجل ، ودلالاتها على أفعالها .

٢ - ولو نشاء لمحونا أعين الكفار في الدنيا بمسحها وأعميناها ، فإن أرادوا أن يبادروا إلى الطريق الذي اعتادوا سلوكه كعادتهم ، فكيف يبصرونه بعد أن أصابهم العمى؟ وكيف يهتدون إليه؟ ولو نشاء لبدلنا صورهم ، وأبطلنا

قواهم في مكانهم ، فجمدوا فيه بحيث لا يستطيعون ذهاباً ولا رجوعاً ،  
ولا يقدرّون أن يبرحوا مكانهم ، ولا أن يتحركوا يمنة أو يسرة ، والمراد :  
أن الكفار بكفرهم ، ونقض ما عهد إليهم ، يستحقّون أن يفعل بهم ذلك ،  
لكننا لم نفعل رحمة منا ، وإمهالاً لهم ، لعلمهم بثوبون إلى رشدهم ، ويُدعّون  
إلى الحق .

٣ - ومن نطل حياته ، ونبلغه أُرذل العمر ، نبدّل خلقته ، فلا يزال يتزايد  
ضعفه وتنتقص قواه ، حتى يصير كما بدأ ، فلا يعلم من بعد علم شيئاً ،  
ويعود إلى حالة شبيهة بحالة الصبيّ في ضعف الجسد ، وقلة العقل ، والخلوّ  
عن الفهم والإدراك ، ويكون بعد قوّته وشبابه ضعيفاً هَرِمًا ، وشيخاً فانياً ؛  
أيرى هؤلاء الكفار هذا فلا يعقلون قدرة الله على ما يشاء؟ وأن من قدّر على أن  
يخلق من الضعف قوة ، ومن القوة ضعفاً ، قادر على الطمس والمسح ،  
وقادر على البعث ، وأن عدم إيقاعهما إنما هو لعدم تعلق مشيئة الله بهما ؟  
قال تعالى في سورة الروم : « الله الذي خلقكم من ضعف ، ثم جعل  
من بعد ضعف قوة ، ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة » ، ( تراجع  
الصفحتان ٥٢ ، ٥٣ من تفسير الجزء الحادى والعشرين ) ، وقال الشاعر :  
من عاش أخلقت الأيام جيّدته وخانه ثقته : السمع والبصر



( ١٠ )

من الآية ٦٩ إلى الآية ٧٠ من سورة يس

وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ، إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ  
وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ، لِيُذَكِّرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ، وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى  
الْكَافِرِينَ .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ما ينبغى	ما يصح له ، وما يسهل عليه ، وما يليق بجلال منصبه .
إن هو إلا ذكر	ليس الذى أتى به الرسول إلا وعظماً وإرشاداً من عند الله .
وقرآن مبين ويحق القول	وقرآن مظهر للشرائع والعقائد والأحكام . ويحق العذاب .

### مجمل المعنى

كان الكفار عندما يتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم شيئاً من القرآن ، يقولون: إن محمداً شاعر ، وإن ما يأتى به من القرآن شعر ، فردّ الله عليهم بأنه لم يعلمه الشعر ، وأن القرآن لا يماثل الشعر ، لأنه غير موزون

ولا مُقَفِّسٍ ، وما يصح لمحمد ، ولا يسهل عليه ، ولا يليق بجلال منصبه أن يكون شاعراً ، حتى لو أراد نظمه ، فقد مكث أربعين سنة قبل النبوة ، لم يُسمع عنه أنه نظم شعراً ، وأما قوله يوم حنين :  
أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وقوله حين أصاب إحدى أصابعه حجر في إحدى غزواته فدَميت :  
هل أنت إلا إصبع دميتِ وفي سبيل الله ما لقيتِ

الأول من منهوك الرجز ، والآخر من السريع ، فقد اتفقَ أنهما يطابقان أوزان الشعر ، ولم يقصد رسول الله بقولهما أن يكون شعراً ؛ والأوزان الشعرية قد تأتى عفواً في القرآن ، غير مقصودة ، كما في قوله في سورة آل عمران : « لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تُحبون » ، وقوله في سورة سبأ : « وجفان كالجواب ، وقدور راسيات » ؛ بل كان رجل مريض من عامة الناس ينادى :

اذهبوا بي إلى الطبيب ب ، وقولوا : قد اکتوى

وقد كان رسول الله إذا أراد أن يتمثل بيت من الشعر كسر وزنه ، فمن ذلك أنه أراد أن يتمثل بيت لطرفة وهو :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فقال :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك من لم تزوده بالأخبار

ويندر أن ينشد لأحد الشعراء بيتاً مستقيماً ، وليس فيما قاله رسول الله ما يتوخاه الشعراء من التخيلات المرغبة والمنفرة ، أو الألفاظ المزخرفة المنمقة ؛ على أن الشعر كثيراً ما ينزل بالشاعر إلى درك التكسب به ، أو يغريه بالكذب رغبة في نيل جائزة الممدوح ، ولذلك قيل : الشعر أعذبه أكذبه ،

والنبي صلى الله عليه وسلم برىء من كل هذا، والقرآن أحكام وشرائع وعقائد ، وأين الشعر من كلام الله المملوء بالحكم والأحكام الباهرة ، الموصلة إلى سعادتي الدنيا والآخرة ؟ وما القرآن إلا وعظ وإرشاد، وكتاب سماوى مظهر لأحكام الدين ، لا زخرف فيه ولا وزن ولا قافية ، وليس من كلام البشر ، أنزله الله لينذر من كان متأملاً عاملاً حتى القلب ، لا الغافلين الذين هم بمنزلة الأموات ، لأنهم لا يعقلون ما يخاطبون به ، أو يعقلونه ويستكبرون عن اتباعه، وليحقق العذاب على المصرين على الكفر تحقيقاً لقوله تعالى فى سورة السجدة : « لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » (تراجع الصفحة ٩٧ من تفسير الجزء الحادى والعشرين).

( ١١ )

من الآية ٧١ إلى الآية ٧٥ من سورة يس

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا ،  
فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ، وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ ، فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ ، وَمِنْهَا  
يَأْكُلُونَ . وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ ، أَفَلَا يَشْكُرُونَ ؟  
١- وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً ، لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ،  
لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ ، وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ -٢- .  
فَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ ، إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
مما عملت أيدينا	مما انفردنا بخلقه من غير شريك ولا معين .
أنعاماً	إبلًا وبقراً وغنماً .
مالكون	متملكون ؛ يتصرفون فيها كما يشاءون .
وذللناها لهم	وسخرناها وروضناها لهم .
فنها ركوبهم	فنها ما يركبون .
منافع	كالأصواف والأوبار والأشعار واللحوم .
مشارب	الألبان .

الألفاظ	شرحها
لعلهم يُنصرون وهم لهم جند محضرون	لعلهم يمنعون من عذاب الله بشفاعة الأصنام لهم . والمشركون مجندون لآلهتهم ، يحرسونها ويخدمونها . مُعدون .

### مجمل المعنى

١ - أو لم ير الكفار رؤية اعتبار وتبصر ، أننا تفضلنا عليهم ، فخلقنا لهم من جملة ما خلقناه ، ولا يقدر على إحداثه غيرنا ، إبلا وبقراً وغنماً ، فهم مالكون قاهرون لها ، يتصرفون فيها كما يشاءون ؟ وبخزناها وروضناها لهم ، فلا تستعصى عليهم في شيء مما يريدون منها ، حتى ليقود الصبيّ الجمل الكبير ويضربه ؛ ولو كانت نافرة متمردة ، لما تم الانتفاع بها - فبعضها يركبونه ، وبعضها يأكلونه ، ولهم فيها منافع في أصوافها وأوبارها وأشعارها ، ولحومها وجلودها ، وحرثها الأرض ، ومشارب من ألبانها ، أفلا يشكرون المنعم عليهم بهذه النعم ، فيؤمنوا به ويخصوه بالعبادة ؟ إذ لولا خلقه هذه الأنعام ، ما أمكن الاستمتاع بهذه المزايا .

٢ - لكنهم لم يؤمنوا ولم يشكروا ، بل وضعوا مكان الشكر الشرك ، وأقبلوا على عبادة أصنام لا تضر ولا تنفع ، ولا تقدر على شيء واتخذوا منها آلهة ، وأشركوها في عبادة الله ، لعلها تمنع عنهم عذابه بشفاعتها عنده في الآخرة ، أو لعلها تنصرهم إن استنصروها في دفع عذاب الله عنهم في الدنيا ، لكن هذه الأصنام لعجزهم لا يستطيعون نصرهم ، بل المشركون أنفسهم هم المجندون لحراستها وخدمتها ، والذنب عنها إن اعتدى عليها أحد .

٣- فإذا كان حال الكفار مع الله المنعم عليهم هكذا ، فلا يحزنك يا محمد قولهم : إنك شاعر أو ساحر ، أو كاهن أو مجنون ، أو غير ذلك مما ينسبونه إليك ، إنا نعلم ما يُسرون وما يعلنون ، لا يعزب عن علمنا أى شىء ، وسنجازيهم عليه ، فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل .

( ١٢ )

من الآية ٧٦ إلى الآية ٨٠ من سورة يس

أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ ؟ فَإِذَا هُوَ  
خَصِيمٌ مُبِينٌ . -١- . وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ،  
قَالَ : مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ؟ -٢- قُلْ : يُحْيِيهَا  
الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ -٣- .  
الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا ، فَإِذَا أَنْتُمْ  
مِنْهُ تُوقِدُونَ -٤- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
من نطفة	من ماء مهين حقير قدر ، وهو المنى .
خصيم مبین	شديد الخصومة لنا ، معرب عما في نفسه من الحقد والبغضاء .
وضرب لنا مثلاً	وأورد لنا قصة .
ونسى خلقه	ونسى أنا خلقناه من هذا الماء المهين الحقير .
ريم	بالية أشد البلى .
خلق	مخلوق .
الشجر الأخضر	كل شجر أخضر تظهر منه النار بالإحراق ، أو المرخ والعفار اللذين سيأتي ذكرهما .
توقدون	توقدون النار .

## مجمل المعنى

١ - أو لم ير الإنسان الكافر الجاحد الذى ينكر البعث ، وهو أبى بن خلف الجُمَحى ، الذى قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحرية فى غزوة أحد ، أنا خلقناه فى بدء أمره من أحسن شئ وأحقره ، وهو ماء مهين قدر ، استقر فى رحم أمه ؟ فإذا هو مفطر فى خصوصته ، قادر على الحاجة والجدل ، منطيق ، فصيح ، معرب عما فى نفسه ، بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً ، فلينظر : محمٌ خلق ؟ « أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ؟ » .

٢ - اجتمع جماعة من قريش ، منهم أبى بن خلف الجُمَحى ، وأبو جهل ، والعاص بن وائل ، والوليد بن المغيرة ، فتكلموا فى شأن رسول الله ، فقال أبى بن خلف : ألا ترون ما يقوله محمد ؟ إنه يقول : إن الله يبعث الأموات ؛ واللوات والعزى لأصيرن إليه ولأخاصمنه ، وأخذ عظماً بالياً جعل يفتته بيده ، وقال لرسول الله : أترى أن ربك يُحيى هذا بعد أن رم ؟ رأيت إن سمحت هذا العظم ، وأذريته فى الريح ، أيعيده الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « نعم ، ويبعثك ، ويُدْخلك نار جهنم » ؛ والمعنى : لقد أورد هذا الكافر فى شأننا قصة عجيبة فى نبي القدرة على إحياء الموتى بعد البلى ، وجعل لنا نظيراً من الخلق ، وقاس قدرتنا بقدرتهم ، ونسب خلقنا إياه من نطفة ، وخلقنا أباه آدم من تراب ، وأودعنا من خلقنا الحياة والعقل والإدراك ، قال : من يُحيى العظام بعد أن بليت أشد البلى ؟ مستبعداً إعادة الحياة إليها .

٣ - قل لهؤلاء المعاندين يا محمد تبكيتاً لهم : الذى خلقكم من العدم هو الذى



يجي العظام التي أنشأها أول مرة ، بل إن ذلك أهون عليه ، لأن الإحياء أسهل من الإنشاء ، وهو عليم بكل مخلوق ، فيعلم أجزاءه مهما تبددت وتفتتت ، ويعلم مواقعها ، ويميز بعضها من بعض ، ويعيد الأعراض والقوى إلى ما كانت عليه ، وينفخ الروح في خلقه .

٤ — وكيف تنكرون قدرة الله ؟ وهو الذي خلق لكم من المرخ والعفار الأخضر ناراً — والمرخ والعفار شجرتان تُقدح منهما النار ، بأن يسوى من أغصانها الزناد فيقتدحُ بهما ، وزنادهما أسرع الزناد ورّياً ، أما المرخ فهو شجر يتفرع ويطول ، ويُستظلّ بظله ، وأما العفار فهو شجر خوار جيد للزناد، وللعفار الزند الأعلى ، وللمرخ الزند الأسفل ، والزندان : عُصنان مثل السواكين ، يؤخذان وهما يقطران ماء ، فيحك أحدهما بالآخر ، فيخرج منهما النار — ومن قدر على إخراج النار من الشجر الأخضر ، مع وجود الماء المضاد للنار ، قادر بلا شك على إعادة الغضاضة فيما كان غَضاً فيبس وبلي .

( ١٣ )

من الآية ٨١ من سورة يس إلى آخر السورة

أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ  
يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ؟ بَلَىٰ! وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ -١- . إِنَّمَا أَمْرُهُ  
إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ : كُنْ ، فَيَكُونُ -٢- .  
فَسُبْحَانَ الَّذِي فِي يَدَيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ! وَإِلَيْهِ  
تُرْجَعُونَ -٣- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
مثلهم	مثل الناس المعاندين ، ويعيدهم إلى الحياة بعد الموت .
أراد شيئاً	أراد خلق شيء .
فسبحان	فتزهوا الخالق عن كل ما لا يليق به .
ملكوت	ملك .

### مجمل المعنى

١ - - أوليس خالق السموات والأرض مع كبر جرمهما ، ودقة صنعهما ، وعظم شأنهما ، بقادر على أن يخلق مثل هؤلاء المعاندين الجاحدين ، ويعيدهم

إلى الحياة بعد الموت ، مع حقارة شأنهم بالنسبة لخلق السموات والأرض ؟ قال تعالى في سورة غافر : « لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس » ، بلى ، هو قادر على كل شيء ، وهو الكثير المخلوقات العليم بكل شيء ، والذي لا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء .

٢ — إنما شأن الله أنه إذا تعلق إرادته بخلق شيء ، نفذت إرادته فوراً ؛ وفي هذا ردّ على من ضربوا الله مثلاً ؛ وقوله : « كن فيكون » تمثيل لتأثير قدرة الله في مُرادِهِ ، وحدث ما يأمر به فوراً ، من غير تريث أو علاج أو توقف ، أو افتقار إلى مزاولة ، أو احتياج إلى استعمال آلة .

٣ — وإذا كان الأمر كذلك ، فنزهوا الله يا كفار قريش عن كل ما لا يليق به ، فهو مالك الملك ، وهو القاهر فوق عباده ، وإليه وحده مصيركم يوم القيامة .

## سورة الصافات

نزلت بمكة ، وآياتها ١٨٢ آية

( ١ )

من الآية الأولى إلى الآية ٢١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ، فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ، فَالتَّالِيَاتِ  
ذِكْرًا ، إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ، رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا  
بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ -١- . إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ :  
الْكَوَاكِبِ ، وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ، لَا يَسْمَعُونَ إِلَى  
الْمَلَأِ الْأَعْلَى ، وَيُقَذِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، دُحُورًا ، وَلَهُمْ  
عَذَابٌ وَاصِبٌ ، إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ  
ثَاقِبٌ -٢- . فَاسْتَفْتِهِمْ : أَمْ أَسَدٌ خَلَقْنَا أَمْ مِنْ خَلْقِنَا ؟  
إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ -٣- . بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ،  
وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ، وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ -٤- .  
وَقَالُوا : إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ، أَيُّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا  
إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ؟ أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ؟ قُلْ : نَعَمْ ، وَأَنْتُمْ

دَاخِرُونَ - ٥ - . فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ،  
وَقَالُوا : يَا أُوَيْلِنَا ! هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ، هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي  
كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ - ٦ - .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
والصّافات صفّاً	أقسم الله بطوائف الجنود حينما تقف منتظمة صفّاً صفّاً .
فالزّاجرات زَجْرًا	وأقسم بها أيضاً وهى تزجر الخيل للهجوم على الأعداء .
فالتاليات ذِكْرًا	وأقسم بها وهى لا تنى عن تلاوة ذكر الله ، واستمداد العون والنصر من قوته .
ربُّ المشارق	مالك مطالع الشمس .
زِينَتَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا	أضأنا السماء القريبة منكم بضوء الكواكب .
مارد	متمرد ، خارج عن الطاعة .
لا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى	لا يسمعون ولا يحاولون السماع إلى الملائكة ، وهم الملأ الأعلى .
وَيُقذِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا	ويُرْمُونَ فى الدنيا بالشهب ، من كل جهة يحاولون استراق السمع منها ، ليطردوا .
ولهم عذابٌ واصبٌ	ولهم فى الآخرة عذاب دائم غير منقطع ، بعد تعذيبهم فى الدنيا بالرجم بالشهب .

شرحها	الألفاظ
إلا من حاول من الشياطين أن يسترق من الملائكة كلمة .	إلا من خَطِيفَ الخطفة
فلحقته شعلة مضيئة منقضة من السماء ، فتحرقه قبل أن ينزل إلى الأرض .	فأتبعه شهاب ثاقب
فاستخبر كفار قريش الذين كذبوا بيوم الدين .	فاستفهم
أهؤلاء المشركون المكذبون أقوى خلقاً ، وأمن بنية ، وأصعب إنشاء ، وأشق إيجاداً .	أهمّ أشدُّ خلقاً
إنا خلقناهم وهم أضعف من خلقنا ، وأهون من أنشأنا ، من طين لزج لاصق .	إنا خلقناهم من طين لا زب
بل أنت عجبت من إنكارهم للبعث وهم يسخرون .	بل عجبت ويسخرون
وإذا رأوا معجزة من معجزاتك تبادلوا فيما بينهم السخرية منها .	وإذا رأوا آية يستسخرون
ما هذا إلا سحر ظاهر بين .	إن هذا إلا سحر مبين
أو يبعث آباؤنا الأقدمون ، بعد أن أتى على موتهم حين من الدهر ، وصاروا تراباً .	أو آباؤنا الأولون
قل لهم يا محمد : نعم ستبعثون جميعاً للحساب وأنتم صاغرون .	قل : نعم وأنتم داخرون
وليس أمر البعث إلا صيحة واحدة يسمعونها .	فإنما هي زجرة واحدة
فإذا هم أحياء قيام ، ينظر بعضهم إلى بعض في ذعر ودهشة .	فإذا هم ينظرون
وقالوا : ما أشد حسابنا ! وما أطول عذابنا !	وقالوا : يا ويلنا

شرحها	الألفاظ
هذا هو اليوم الذي تُندان فيه ، ونجازى على أعمالنا .	هذا يومُ الدين
هذا هو يوم القضاء الذي يفصل فيه بين الحق والباطل .	

### مجمل المعنى

١ — ذكر سبحانه وتعالى في الآيات السابقة وهي آخر سورة يس ، ما يدل على المعاد ، وعلى قدرته على إحياء الموتى ، لأنه هو الذى أنشأهم من العدم، ولأن إرادته إذا تعلقت بشيء كان ، وذكر هنا في أول سورة الصافات ما يدل على وحدانيته ، لأن الإله القادر لا يتم له أن ينفذ ما تتعلق به إرادته ، إلا إذا كان واحداً لا شريك له ، ولتأكيد هذه الوحدانية ، أقسم — جل وعلا — بطوائف الجنود الغازية المجاهدة في سبيل الله ، وقد اصطفت صفوفاً متحدة منتظمة ، متآزرة كالبناء المرصوص ، وعزمت أن تبيع في سبيل الله نفوسها على أن لها الجنة ، فتقتل أو تُقتل ، ثم امتطت صهوات الخيل تزجرها زجراً ، وتدفعها في ميدان القتال دفعاً ، لا تبالى إذا استشهدت في سبيل الله كيف قتلت ، وإذا فاضت أرواحها لإعلاء كلمة الله كيف أزهقت ، فلا تتلو إلا كلام الله ، ولا تذكر إلا اسم الله ، ولا تعتمد إلا على الله ، ولا تستمد العلب إلا من قوته ، ولا تتوقع النصر إلا بإرادته ، وما النصر إلا من عند الله ؛ وهذا قسم تشریف للمقسم به ، نوه فيه سبحانه وتعالى بثلاثة أمور ، هي دعائم النصر والفوز :

(١) الجندية القوية المنظمة المتحددة .

(ب) والاستعداد الكامل للغزو، والجهاد الذى يحفظ كيان الدولة، ويحمى حوزتها .

(ج) والإيمان بالله ، والاعتماد عليه ، واستمداد النصر والتأييد من قوته . والمقسم عليه ، هو وحدانية الله ، وتفرده بالالوهية ، والرد على من يقولون : أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ هو رب السموات والأرض ، ورب المشارق ، لأن إبداع هذا الكون ، وإنشائه على هذا النظام ، لا يمكن أن يكون من قوى متعددة ، يتفاوت إبداعها ، ويتغير خلقها، أو ليس من القدرة التى تتضاءل أمامها أى قدرة، والقوة التى تحترها أى قوة ، أن يخلق الله الشمس ، ويجعل الأرض تدور حولها ، ويجعل لها ثلثمائة وخمسة وستين مشرقاً ومغرباً ، بعدد أيام السنة الشمسية ؟ لأن مشرق الشمس يتغير كل يوم ، على حسب وضع الأرض منها فى حركتها الدائمة ، فتشرق كل يوم من مشرق ، وتغرب فى مغرب ، ذلك تقدير العزيز العليم .

٢ - وأى إبداع فى الخلق ، وروعة فى الإنشاء ، بعد أن جعلنا هذه الكواكب التى تبدو لكم فى السماء الدنيا منكم ، وهى أجرام هائلة مضيئة ، لامعة متلألئة ، تزدان بها السماء ، كما يزدان بعقود الجواهر صدر حسناء ؟ فما ظنكم بكواكب فى سماء غير سماءكم ، لا تقع تحت حصر ، ولا يراها البصر ، وهى أعظم جرمًا ، وأكبر حجماً ، من الكواكب التى تبدو لكم ، وتظهر فى سماءكم ؟ أى قدرة أقلد من أنكم ترون هذه الكواكب صغيرة ثابتة ، وهى كبيرة متحركة حركة دائبة منتظمة ؟ وقد جعلنا هذه الكواكب حرساً للمكوتنا ، وحفظناها حفظاً من كل شيطان عاتٍ من الجن ، متمرد علينا ، خارج عن طاعتنا ، وحجبناهم عن السماء ، فلا يعرفون



شيئاً عن أنبيائها ، ولا يصل إليهم علم أخبارها ، فهم لا يستطيعون أن يتسمعوا شيئاً من أحاديث الملائكة الأعلى ، وهم الملائكة الأبرار ، وإذا حاولوا أن يسترقوا السمع منهم ، فُذفوا من كل ناحية بشهبٍ مُحرقة ، فيرتدون مدحورين مطرودين - والدحور : الطرد ، فكأن الله تعالى يقول : ويُطردون طرداً من كل جانب - هذا جزاؤهم في الدنيا ، أما في الآخرة فقد أعدنا لهم عذاباً شديداً دائماً غير منقطع ، إلا أن يختطف أحد منهم بخفة حركته خطفة ، ويسترق مما يسمعه شيئاً ، فيتبعه قبل أن يصل به إلى الأرض شهاب شديداً الاشتعال ، قوى الضوء ، فيحرقه قبل أن يفضى به إلى المتكهنين ، الذين يضيفون إليه المفتريات والأكاذيب ، ويضللون بها أهل الأرض تضليلاً ، ( تراجع الصفحة ٨٣ من الطبعة الأولى من تفسير جزء « تبارك » ) .

٢ - فسل أهل مكة الذين ينكرون وحدانية الإله ، ويقولون : أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ وقد عموا عن هذه الأدلة الناطقة بوحدانيته ، واستخبرهم : أهم أشد خلقاً ، وأصعب تكويناً ، أم من خلقنا من الملائكة والأرض والكواكب والجبال والبحار ؟ قل لهم : أنتم أشد خلقاً أم السماء ؟ قل لهم : لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ، فكيف ينكرون قدرتنا على خلقهم ، وقدرتنا على إحيائهم بعد موتهم ، وهم أضعف من خلقنا ، وأهون من أنشأنا ؟ إنا خلقناهم من طين لزج لاصق لا قوام له بنفسه ، ولا يصلح لقيام كيانه بذاته ، كيف يستنكرون وقد خلقناهم من طين وتراب ، فيقولون : أئذا كنا تراباً وآبائنا أئنا لمخرجون ؟ وقد خلقنا هذه العوالم ، وخلقها أشق ، وتكوينها أبدع وأدق ؟

٤ - لشد ما بينك وبينهم ، وما بين قوة إيمانك وشديد إنكارهم ؛ بل عجبت من قدرة الله القادرة ، على هذه الخلائق العظيمة ، وعجبت من إنكارهم

لخالقها ، ومن إنكارهم لقدرتهم على بعثهم وإحيائهم بعد الموت ، وهم  
ساخرون مستهزون منك ومن عجبك ، ومن البعث والحساب ، والثواب  
والعقاب ، وقد طبع الله على قلوبهم ، فإذا ذكرتهم بآيات الله ، ووعظهم  
بالقرآن ، لا يتذكرون ولا يتعظون ، ولا ينتفعون بما ذكروا ؛ وإذا رأوا  
معجزة من المعجزات ، وآية من الآيات ، فإن بعضهم يستدعى بعضاً  
للسخرية منها ، والاستهزاء بها ، وقالوا : ما هذا الذي جاء به محمد إلا  
سحر ظاهر يريد أن يضلنا به عما كان يعبد آباؤنا من قبل .

٥ -- وقالوا منكرين للبعث : أئذا متنا ، وتحللت أجسامنا ، وصارت تراباً ،  
وذهبت ذراتها في الأرض هنا وهناك ، أتجمع من هذه الذرات عظامنا ،  
وتتكون أجزاءنا ، وتعود إليها الحياة ، وتبعث للحساب ؟ وهل يمكن أن  
نصدق ذلك لأبائنا الأقدمين ، الذين ماتوا من آلاف السنين ، كيف  
تعود أجسامهم ، وترد إليهم حياتهم ؟ قل لهم يا محمد : نعم ستنشرون من  
قبوركم ، وتحيون بعد موتكم أنتم وآباؤكم ، وتساقون إلى الحساب وأنتم  
أذلاء صاغرون .

٦ -- ولا يستدعى هذا الأمر الذي أنكرتموه واستبعدتموه غير صيحة واحدة  
تأمر بها ، فإذا القبور تنشق عنكم ، وإذا أنتم أحياء كما كنتم ، وإذا  
بكم قيام ينظر بعضكم إلى بعض ، وقد أخذه الفرع من هول المباغثة ،  
ومن رهبة الموقف ، ومن قدرة الله الذي يقول للشئ : كن ، فيكون ؛  
وإذا الحقيقة قد وضحت ، وقدرة الله قد ظهرت ، ووقف بعضهم يقول  
لبعض : يا ويلنا ما أسوأ حالنا ! وما أشد عذابنا ! هذا يوم الجزاء ، هذا  
يوم الحساب ؛ فيقال لهم : نعم هذا يوم الفصل بين الحق والباطل ،  
وبين الهدى والضلال ، هذا يوم الحكم بين الناس ، هذا هو اليوم الذي  
يظهر فيه المحق من المبطل ، فقريق في الجنة وفريق في السعير ، هذا  
هو اليوم الذي كنتم به تكذبون ، فذوقوا جزاء ما كنتم تعملون .

( ٢ )

من الآية ٢٢ إلى الآية ٣٤ من سورة الصافات

أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ  
 مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ، وَقِفُوهُمْ ،  
 إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ -١- . مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ؟ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ  
 مُسْتَسْلِمُونَ -٢- . وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ،  
 قَالُوا : إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ؛ قَالُوا : بَلْ لَمْ  
 تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ؛ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ، بَلْ  
 كُنْتُمْ قَوْمًا طَآغِينَ -٣- . فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا . إِنَّآ  
 لَدَائِقُونَ -٤- . فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ، فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ  
 فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ، إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ -٥- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ	اجمعوا المشركين والكفار والعصاة في الموقف . مع أشياعهم وأشباههم في الشرك والعصيان .

شرحها	الألفاظ
<p>واحشروا معهم آلهتهم من الأصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله . فسوقوهم إلى طريق جهنم .</p>	<p>وما كانوا يعبدون من دون الله فاهتدوهم إلى صراط الجحيم</p>
<p>واحبسوهم ، إنهم مسئولون عن أعمالهم ، محاسبون على كفرهم .</p>	<p>وقفيوهم إنهم مسئولون</p>
<p>يقال لهم على سبيل التوبيخ والتقريع : لماذا لا ينصر بعضكم بعضاً ، كما كنتم تفعلون في الدنيا ؟ منقادون خاضعون . وأقبل الأتباع على الرؤساء . يتجادلون .</p>	<p>ما لكم لا تتناصرون مستسلمون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون</p>
<p>كنتم تمنعوننا من الإيمان ، باليمين التي كنتم تحلفونها لنا أنكم لنا ناصحون فنصدقكم .</p>	<p>كنتم تأتوننا عن اليمين</p>
<p>لم تكونوا مؤمنين فحوّلناكم كفاراً ، لكنكم كنتم على الكفر فأقمتم عليه .</p>	<p>لم تكونوا مؤمنين</p>
<p>وما كان لنا عليكم من حجة أو قهر أو تسلط يسلبكم الاختيار في اتباع الحق . ضالين متجاوزين الحد .</p>	<p>وما كان لنا عليكم من سلطان طاغين</p>
<p>فوجب علينا جميعاً ما كتبه الله علينا من العذاب جزاء كفرنا .</p>	<p>فحق علينا قول ربنا</p>
<p>فزيّننا لكم ما كنتم عليه من الكفر .</p>	<p>فأغويناكم</p>

الألفاظ	شرحها
غاوين	ضالّين .
مشركون	ضالّون ومضلون .
كذلك	مثل هذا الفعل .
بالمجرمين	بالكفار .

### مجمل المعنى

١ — يقول الله تعالى للملائكته ، بعد أن يبعث الناس من قبورهم يوم الجزاء الذى كان يكذب به المشركون : احشروا الظالمين ، واجمعوا المكذبين ، والطغاة والمشركين ، واجمعوا معهم أزواجهم وأشياعهم وأشباهم ، ومن كان على شاكلتهم ، المشرك مع المشرك ، والقاتل مع القاتل ، والزانى مع الزانى ، وهاتوا معهم آلهتهم من الأصنام والشياطين التى كانوا يعبدونها من دون الله ، ليعلموا أنها لا تنفع ولا تشفع ، ودلّوهم على طريق الجحيم ، وسوقوهم إلى عذاب النار ، بعد أن تقفوهم لنسألهم عن كفرهم وأعمالهم وأقوالهم ، ونحاسبهم على سوء ما فعلوا .

٢ — وقولوا لهم يا ملائكتى موجنين لهم ، ومستهزئين بهم : — لقد كنتم فى الدنيا تقولون : نحن جميع منتصر ، وسيمنع بعضنا بعضاً من عذاب الله ، فما لنا لا نراكم اليوم ينصر بعضكم بعضاً ؟ بل نراكم مستسلمين منقادين خاضعين .

٣ — وعند ذلك يقع الخصام ويحتدم الجدل بين الضالين والمضلين ، والآتباع والمتبوعين ، والكبراء والمستضعفين ، ويُقبل هؤلاء على هؤلاء ، يسأل

بعضهم بعضاً في لَدَدٍ وخصام ، فيقول الضعفاء : إنكم غررتم بنا  
وخذعتمونا ، وأوقعتمونا في الضلال والكفر ، باليمين التي كنتم تقسمون  
لنا بها على أنكم ناصحون مخلصون ، فخذعنا بكم ، وبقينا على ضلالكم ؛  
فيرد عليهم الكبراء قولهم ، ويسقطون حججهم ، ويقولون لهم : إنا لم نوقعكم  
في الكفر كما زعمتم ، ولم نحل بينكم وبين الإيمان كما ادعيتم ، لأنكم لم  
تكونوا من قبل مؤمنين فأوقعناكم في الكفر ، ولم تكونوا متجهين نحو الإيمان  
فحولنا اتجاهكم ، ولم يكن لنا عليكم تسلط أو قهر كما قلتم ، حتى  
نسلبكم اختياركم كما افترتكم ، ولم يكن لنا عليكم حجة قوية ، أو برهان  
قوى يمنعكم اتباع الحق ، بل كنتم كما كنا قوماً ضالين ، طاغين ،  
متجاوزين الحد في الكفر والضلال والعصيان .

٤ — لهذا وجب علينا وعليكم ما توعدنا به ربنا في الدنيا فكذبناه ، فكلنا ذائقو  
العذاب الأليم ، كما أخبر الله على لسان الرسل ، ولقد تحقق ما أكده :  
« لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » .

٥ — ولئن كنا دعوناكم إلى الغي ، وزينا الكفر لايكم ، إنا كنا ضالين مثلكم ،  
ومع ذلك فإننا تلقى جميعاً جزاءنا ؛ إنهم جميعاً — ضالين ومضلين —  
مشاركون في العذاب ، كما اشتركوا في الغي والضلال ، وإن الله يفعل  
بكل الكفار والمشركين ، ومن ارتكب الضلال أو حرّض عليه ، وعمل  
الجريمة أو أعان عليها ، مثل ما فعل بهؤلاء المشركين .

( ٣ )

من الآية ٣٥ إلى الآية ٦١ من سورة الصافات

إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، يَسْتَكْبِرُونَ ،  
وَيَقُولُونَ : أَأَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ؟ -١- . بَلْ  
جَاءَ بِالْحَقِّ ، وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ -٢- . إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا  
الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ، وَمَا تُحْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ -٣- .  
إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ، أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ : فَوَاكِهُ  
وَهُمْ مُكْرَمُونَ ، فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ، عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ،  
يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ، بَيْنَضَاءٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ،  
لَا فِيهَا غَوْلٌ ، وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ، وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ  
الطَّرْفِ عِينٌ ، كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ، فَاقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى  
بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ، قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ،  
يَقُولُ : أَأَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ، أَتَيْدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا  
وَعِظَامًا ، أَأَئِنَّا لَمَدِينُونَ ؟ قَالَ : هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ؟  
فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ، قَالَ : تَاللَّهِ ، إِنْ كِدْتَ  
لَتُرْدِينَ ، وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ -٥- .

أَفَمَا نَحْنُ بِمِثِّيْنَ ، إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُوْلَى ، وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِيْنَ ؟ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ -٦- . لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُوْنَ -٧- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
إذا قيل لهم لا إله إلا الله	إذا قيل لهم : آمنوا ، واعتقدوا بوحداية الله .
أثنا لتاركو آلهتنا	أينبغي أن نترك عبادة آلهتنا ؟
لشاعر مجنون	لتتبع قول شاعر يستلهم الخيال ، مجنون يخلط في الكلام .
وصدق المرسلين	وآمن بما جاء به الأنبياء المرسلون من توحيد الله .
المخلصين	الموحدين الذين أخلصهم الله لطاعته .
لهم رزق معلوم	لهم في الجنة عطاء معلوم لا ينقطع .
على سرر متقابلين	يجلسون على أسرة ووجوههم متقابلة ، ليكتمل الأُنس ، ويتم السرور .
يُطاف عليهم	يطوف عليهم بالشراب ولدان يبعث منظرهم سرور النفس .
من معين	من شراب جار مائه ، لا متغير ولا آسن .
لا فيها غول	ليس فيه كحول يقتال عقولهم وأجسامهم ، كما كانت تغتالها خمر الدنيا .
يُنزفون	يسكرون ، فتذهب بسببها عقولهم .



شرحها	الألفاظ
<p>نظرهن مقصور عن التحديق في الرجال ، وذلك من سمات الجمال ، والعين جمع عيناء ، وهي واسعة العين .</p>	<p>قاصرات الطرف عين</p>
<p>هن عذارى مصونات من العيب بهن ، كالبييض النقي الصافي المصون من الكسر .</p>	<p>كأنهن بيض مكنون</p>
<p>قائل من أهل الجنة . كان لي جليس ملازم لي في الدنيا .</p>	<p>قائل منهم كان لي قرين</p>
<p>أأنت من المؤمنين المصدقين بيوم الدين ؟ أأنا لسندان ونحاسب على أعمالنا بعد الموت ؟</p>	<p>أأنتك لَمِين المصدقين أأنا لمدينون</p>
<p>هل تنظرون لأريكم هذا القرين الذي كان يجادلني في الدنيا في أمره البعث ؟</p>	<p>هل أنتم مطلعون</p>
<p>في وسط جهنم . قسماً بالله .</p>	<p>في سواء الجحيم تالله</p>
<p>إنك قاربت أن تهلكني بإغوائك . ولولا أن الله تفضل عليّ بنعمته ، فعصمني من</p>	<p>إن كدت لتُرددين ولولا نعمة ربي</p>
<p>الكفر ، ووقفني إلى الاستمساك بالإيمان . لكنت من الذين أحضروا معك في النار .</p>	<p>لكنت من المُحَضَّرِينَ</p>
<p>هل نحن مخلدون في نعيم الجنة فلا ندوق الموت ؟ غير موتتنا الأولى في الجنة .</p>	<p>أفأ نحنُ بميتين إلا موتتنا الأولى</p>

## مجمل المعنى

١ - إن هؤلاء المشركين الذين وقفوا للحساب أذلاء صاغرين ، يُلقى بعضهم على بعض تبيعة الكفر والضلال ، كانوا في الدنيا إذا عُرض عليهم أن يقولوا : لا إله إلا الله ، ودعاهم الرسول إلى الإيمان بالله . والاعتقاد بوحديته ، أعرضوا عنه ، واستكبروا استكباراً ، وأخذتهم العزة بالإثم ، فأصروا على الكفر ، وقالوا : لا ينبغي أن نترك آلهتنا ، ونُدع الأصنام التي نعبدها ، ونصبأ عن دين آبائنا وأجدادنا ، لتتبع قول شاعر يستوحى خياله ، ويستلهم شيطانه ، مجنون يخلط في الكلام ويأتينا بما لم نسمعه من قبل .

٢ - إن محمداً ليس شاعراً كما زعمتم ، وليس مجنوناً كما افترتم ، بل إن ما جاء به من الإيمان بالله وتوحيده ، هو الحق الذي قام عليه البرهان ، وأجمعت عليه كافة الرسل ، وإنه مصدق لما جاء به من قبل أنبياء الله ورسله ، فأين الشعر والجنون من رجل يقول : ربى الله .

٣ - إنكم لتذوقون العذاب الأليم ، وتعاقبون العقاب الشديد ، وليس هذا إلا جزاء أعمالكم السيئة جزاء وفاقاً ، لا زيادة فيه ولا نقص .

٤ - إلا عباد الله الذين آمنوا به ، وصدقوا رسله ، واتبعوا ما جاءوا به فلهم أضعاف مضاعفة من الجزاء الحسن ، يتمتعهم الله بكل أنواع النعيم في الجنة ، فيجعل لهم رزقاً معلوماً بصفاته الطيبة : من لون وطعم ورائحة ومنفعة ، يأتهم رَغداً ، لا يعانون في الحصول عليه مشقة ، وهو من فواكه طيبة جنية ، يقدم إليهم وهم مُكرمون معظمون في مقامهم من جنات النعيم ، حيث يجمع الله لهم إلى الرزق الحسن كل ألوان السرور ،

فيعد لهم أسرة يتكثون عليها متقابلة وجوههم ، وقد علاها البشر والبهجة ،  
فيأتنس كل منهم بأخيه ، وينعم بمحادثته ومجالسته ؛ ويطوف عليهم  
وهم جالسون ناعمون مغتبطون ولدان صياح الوجوه، أنيقو المنظر، يقدمون  
لهم كنوس خمر لذيذة ، بيضاء صافية ، من معين جار ، فيها مع حسن  
مذاقها لذة للشاربين ، وليست هذه الخمر مما يقتال العقل ، أو ينهك  
الجسم ، أو تذهب بعقل شاربها وتسكره لما فيها من الكحول ، ولكنها  
تبعث النشاط ؛ والبهجة ، وعندهم للإيناس ، ومضاعفة السرور، حور  
الحنة ، خافضات النظر ، مقصورات الطرف ، نُجَل العيون ، فيهن  
استحياء وخُفر ، يزيدهن جمالا على جمال ، صافية أجسامهن ، مصونات  
لم يمسهن قبلهم أحد ، فبقيت فيهن النضارة والبضاضة والصفاء ، كأنهن  
البيض النقي الصافي المكنون ، الذي لم تمسه يد ولم يغيره زمن ، في ضيافة  
الله الكريمة ، وفي ساحة جناته الفسيحة - وقد خيم السرور على أهل  
الحنة ، واكتنفهم النعيم - جلسوا يتحادثون ويتساءلون ، ويتذاكرون  
أمور الدنيا ، وما كانوا يسمعون من المشركين الكافرين بالله ، فقال  
أحدهم فيما قال : إني لأذكر أنه كان لي في الدنيا قرين ملازم لي في  
كل الأوقات ، حاول أن يُضلني ويغويني ، ويوقعني في الشرك والضلال  
ويشئني عن التوحيد والإيمان ، فكان يقول لي : أنت من المصدقين  
بوحداية الله ، ومن المؤمنين برسالة محمد، ومن المعتقدين بالبعث والحساب،  
والتواب والعقاب ؟ أو تصدق أنا بعد أن نموت ، ونصير تراباً وحطاماً ،  
وعظاماً نخرة متفرقة هنا وهناك ، نحيا بعد الموت ، ونبعث للحساب ،  
لندان على أعمالنا ، وأقوالنا ، ونحاسب على ما قدمت أيدينا ؟

٥ - قال المتحدث : هل لكم أن تطلعوا معي على أهل النار ، لتروا كيف  
يلقون جزاءهم ؟ ثم وجه نظره وأشرف عليهم ، فرأى هذا القرين الذي  
كان يغويه ويضله في وسط النار ، يصلى حرها ، ويقاسى عذابها .

فقال له متشفياً موبحاً : أقسم بالله ، إنك قاربت أن تخذعني وتضلني ، وتوقعني مثلك في الردى والهلاك ، ولولا أن الله منّ عليّ بنعمته ، وحفظني من شركك ، ووقفني إلى الاستمسك بعروة الدين ، والبقاء على الإيمان ، لكنت مثلك ممن أحضروا معك إلى هذه النار ، فقاوسوا حرها ، وذاقوا عذابها .

٦ — قال المتحدث مغتبطاً بنعمة الله : أنحن مخلدون في هذا النعيم ، لا ينقطع عنا ولا نحرمه ، ولا نموت مرة أخرى بعد الموت الأولى التي كانت في الدنيا ، ولا يحل بنا عذاب ، أو يقع علينا عقاب ؟ إن ما نحن فيه من نعيم مقيم ، وحياة لا موت بعدها ، واطمئنان لثواب الله ، وأمن من عذابه ، هو الفوز العظيم ، الذي ليس وراءه فوز .

٧ — لنيل هذا المرام ، ولاستحقاق هذا المقام . يجب أن يعمل العاملون ، ويتنافسون المتنافسون ؛ من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد .

( ٤ )

من الآية ٦٢ إلى الآية ٧٤ من سورة الصافات

أَذْلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا ، أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ؟ إِنَّا جَعَلْنَاهَا  
 فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ، إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ، طَلْعُهَا  
 كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ، فَإِنَّهُمْ لَا كَلُونَ مِنْهَا ، فَمَا لِسُونِ  
 مِنْهَا الْبُطُونَ ، ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ، ثُمَّ إِنَّ  
 مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ - ١ - . إِنَّهُمْ أَفْوَا أَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ،  
 فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ - ٢ - . وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ  
 الْأَوَّلِينَ - ٣ - . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ . فَاَنْظُرْ كَيْفَ  
 كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ - ٤ - .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أذلك خير نزلاً	أذلك الرزق المعلوم خير نزلاً؟ والتزل : هو ما هبى لأهل الجنة من رزق حسن ، يستتبع اللذة والسرور .

شرحها	الألفاظ
<p>أم ثمرة الزقوم خير نزلًا؟ والزقوم : شجرة مرّة ، كريمة الرائحة ، وثمرها غذاء أهل النار .</p>	<p>أم شجرة الزقوم</p>
<p>إنا جعلناها محنة وعذاباً للمشركين في الآخرة . منبها في قرار جهنم .</p>	<p>إنا جعلناها فتنة للظالمين تخرج في أصل الجحيم</p>
<p>ثمرها شكله متناهى القبح ، مزعج كأنه رعوس الشياطين .</p>	<p>طلعها كأنه رعوس الشياطين</p>
<p>يأكلون منها على سوء حالها ، فيملئون بطونهم لشدة الجوع ، فيزيد ألمهم ، ويشتد عذابهم .</p>	<p>فألتون منها البطون</p>
<p>ثم إن لهم بعد أن يملئوا بطونهم منها . لشراباً مخلوطاً من صديد وماء حار يقطع أمعاءهم .</p>	<p>ثم إن لهم عليها لشرباً من حميم</p>
<p>بعد أن يقدم لهم هذا الطعام وهذا الشراب ، يصيرون إلى الجحيم ليقيموا بها .</p>	<p>ثم إن مرجعهم إلى الجحيم</p>
<p>لأنهم وجدوا آباءهم على الشرك والضلال فقلدوهم ، دون أن يستشيروا عقولهم .</p>	<p>لأنهم ألفوا آباءهم ضالين</p>
<p>فهم يتبعون دين آباءهم ، ويسيرون على آثارهم مسرعين ، من غير توقف للبحث والنظر .</p>	<p>فهم على آثارهم يهرعون</p>
<p>ولقد وقع قبلهم في الضلال الذي وقع فيه قومك أكثر الأمم السابقة .</p>	<p>ولقد ضل قبلهم أكثر الأئلين</p>
<p>مخوفين لهم عواقب كفرهم وضلالهم . إلا الذين تنبهوا بالإنذار ، فأخلصوا دينهم لله .</p>	<p>منذرين إلا عباد الله المخلصين</p>

## مجمل المعنى

١ - ذكر الله تعالى في الآيات السابقة نُزِّلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ ، وما أعدَّ لهم ربهم فيها من رزق معلوم ، وما هياً لهم بها من حياة دائمة طيبة ؛ وفي هذه الآيات ذكر نزل أهل النار ، وما أعدَّ لهم فيها من طعام ، وهو ثمر شجرة الزقوم ، المرير مذاقه ، الكريهة رائحته ، القبيح شكله قبحاً شديداً ؛ إن الله قد جعل هذه الشجرة فتنة وبلاء يعذب بها المشركين في الآخرة . لأنها شجرة لا تقوى نار جهنم على إحراقها ، وقد نبتت في قرار جهنم ، وبسقت قروعها خلال اللهب المشتعل ، وبدا ثمرها قبيح الشكل ، بشع المنظر ، مخيفاً كأنه رموس الشياطين ؛ وقد جرى في مألوف أساليب العرب أن يصوروا الشيء المتناهي في القبح بوجه الشيطان أو رأسه ، والشيء المتناهي في الحسن بصورة الملك ، وكلاهما لا يرى ؛ فهذا طعامهم ، وهذا نزلهم الذي أعد لهم من شجرة الزقوم وثمرها كما وصفنا ( تراجع الفقرة الثامنة من الصفحة ٤٤ من تفسير الجزء الرابع عشر عند شرح قوله : « والشجرة الملعونة في القرآن » ) ؛ يتركون حتى يشتد بهم الجوع ، ويكاد يقطع أمعاءهم ؛ ثم يؤتى بهم إليها فيأكلون منها بشره حتى يملئوا منها بطونهم ، فيشتد بهم العطش ، فيعرضوا على شراب ، وما هو شراب ، ولكنه من أغلظ ألوان العذاب ، إنه مزيج من صديد وقبح وماء حار ، وبعد أن يأكلوا هذا الطعام ، ويشربوا هذا الشراب ، يردون إلى سواء الجحيم ، وينقلبون إلى عذاب السعير .

٢ - هذا هو الجزاء الحق لهؤلاء المشركين ، لأنهم وجدوا آباءهم على الضلال والشرك فاقتدوا بهم ، ومضوا على آثارهم مسرعين ، دون أن ينظروا

ويفكروا فيما جاءهم به الأنبياء من الآيات التي توضح طريق الحق ،  
وتقطع بوحدانية الله ؛ وفي هذه الآيات دلالة ظاهرة على أن الإنسان  
يجب أن يتحمل تبعه ما يقول وما يعمل ، وأنه لا يعفيه من التبعة أن يُخدع  
أو يضل ، فينبغي أن يحكم عقله ، ويقدر عاقبة ما يعمل من عمل .

٣ - وليس مشركو مكة أول من ضل وغوى باتباعهم دين آبائهم الأولين ،  
أو بوقوعهم في حبال الرؤساء والكبراء المضللين ، فلقد ضل قلوبهم أكثر  
الأمم السابقة ، فساروا على دين آبائهم ، وخدعوا بتضليل رؤسائهم ،  
وعصوا أنبياءهم .

٤ - ولقد أرسلنا في الأمم السالفة أنبياء ذوى شأن خطير ، بينوا لهم بطلان ما هم  
عليه من الشرك والضلال ، وأنذروهم عاقبته الوحيمة ، فعصوا وعموا وصموا  
عن اتباع الحق ، ولم يلتفتوا إلى الإنذار ، فانظر كيف كانت عاقبتهم  
من الهول والفظاعة وسوء المصير ؛ ولم يسلم من الضلال والكفر الذى استتبع  
هذا العذاب ، إلا من وفقهم الله وهداهم إلى اتباع الحق ، وعصمهم من  
الشرك ، من عباده المؤمنين الذين أخلصهم الله للإيمان ، فأخلصوا دينهم لله .



( ٥ )

من الآية ٧٥ إلى الآية ٨٢ من سورة الصافات

وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ ، فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ! وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ  
مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ، وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ، وَتَرَكْنَا  
عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ -١- . سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ،  
إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ،  
ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ -٢- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ولقد نادانا نوح	ولقد دعانا نوح واسنغاث بنا .
فلنعم المجيبون	فكنا نحن المغيثن له ، فأجبناه أحسن إجابة .
وأهله	ومن آمن به واتبعه .
من الكرب العظيم	من الغرق وهوله .
ذريته	هم أولاد سام وحام ويافث .
وتركنا عليه في الآخرين	وجعلنا له ثناء حسناً ، وذكراً طيباً ، في الأجيال الآتية بعده .
سلام على نوح	وهذه الأجيال تسلم على نوح ، وتدعوه على الدوام ، جزاء له على صبره الطويل على أقوال الكفرة وأذاهم .
أغرقنا الآخرين	أغرقنا المكذبين له من قومه .

## قصة سيدنا نوح

اقرأ ما جاء عن نوح وقصته مع قومه ، في تفسير الجزء الثامن من سورة الأعراف ، في الصفحة ١٠٢ وما بعدها ، وفي تفسير الجزء الثاني عشر من سورة هود ، في الصفحة ٢٣ وما بعدها ، وفي تفسير الجزء التاسع عشر في الصفحة ٦٦ وما بعدها .

### مجمل المعنى

١- ولما ذكر الله ضلال الأولين ، واتباعهم آباءهم ، وتكذيبهم المرسلين لهدايتهم ، ذكر أسبقهم شهرة في التكذيب والضلال ، وهم الذين كذبوا نوحاً من قومه ، كما كذبت قريش محمداً ، فبيّن أن نوحاً عصاه كثير من قومه ، وأعرضوا عن دعوته واستكبروا استكباراً ، وآذوه أشد الأذى ، فنادى ربه ودعاه ، واستغاث به أن ينجيه من شرهم ، وأن يحفظه من العذاب الذى سيحل بهم ، فاستجاب الله دعاه ، وأرسل عليهم الطوفان ، ونجى نوحاً هو ومن آمن به واتبعه من هول الطوفان ، وخلصه من الغرق ، وجعل ذريته من أبنائه : سام ويافتوحام هى الباقية المستعمرة للأرض ، وأهلك من عصوه فانقطعت ذريتهم ، وجعلنا له ثناء حسناً وذكرأ باقياً طيباً فى الأجيال التى جاءت بعده ، وفى الأمم الباقين من الأجيال المتعاقبة .

٢- لنوح - جزاء ما صبر طويلاً على أذى قومه ، وعلى عصيانهم له - سلام الله وتحياته وبركاته ، ودعاء له من الأمم التى تعاقبت بعده ، إنه كان من عبادنا المؤمنين الصادقين فى إيمانهم ، فصبر طويلاً على دعوة قومه ، واحتمل كثيراً من شرهم ، وكان محسناً إليهم متجاوزاً إساءتهم ، راغباً فى هدايتهم ، فجزاه الله خير الجزاء ، وكذلك نجى كل محسن ، كما نجى كل مسيء فأغرقتنا الآخريين المكذبين له من قومه بالطوفان .

( ٦ )

من الآية ٨٣ إلى الآية ١١٣ من سورة الصافات

وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ، إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ،  
إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ : مَاذَا تَعْبُدُونَ ؟ أَتُنْفَكُوا إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ  
تُرِيدُونَ ؟ -١- . فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ؟ -٢- . فَنَظَرَ  
نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ، فَقَالَ : إِنِّي سَقِيمٌ ، فَتَوَلَّوْا عَنْهُ  
مُدْبِرِينَ -٣- . فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ ، فَقَالَ : أَلَا تَأْكُلُونَ ؟  
مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ؟ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ -٤- .  
فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ، قَالَ : أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ، وَاللَّهُ  
خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ؟ -٥- . قَالُوا : ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ  
فِي الْجَحِيمِ ، فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا ، فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ  
-٦- . وَقَالَ : إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهْدِينِ ، رَبِّ ،  
هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ، فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ -٧- .  
فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ، قَالَ : يَا بُنَيَّ ، إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ  
أَنِّي أَدْبَحُكَ ، فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ؟ قَالَ : يَا أَبَتِ ، أَفْعَلُ  
مَا تُؤْمَرُ ، سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ -٨- .  
فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ، وَنَادَيْنَاهُ : أُنْ يَا إِبْرَاهِيمُ

قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ، إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ،  
 إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ -٩- . وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ،  
 وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ، سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ، كَذَلِكَ  
 نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ -١٠- .  
 وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ -١١- . وَبَارَكْنَا  
 عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ  
 مُبِينٌ -١٢- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وإن من شيعته لإبراهيم	وإن ممن شايع نوحاً في التوحيد ، وجرى على منهاجه وسنته ، إبراهيم .
إذ جاء ربه بقلب سليم	اذكر يا محمد إبراهيم ، حين جاء ربه بقلب سليم من الشرك والشك ، مخلص لدين الله .
أنفكاً آلهة دون الله تريدون	أأنتم تعبدون من دون الله آلهة ، لا عن إيمان وصحة اعتقاد ، ولكن للإفك والكذب والضلال ؟
فاظنكم برب العالمين	أي شيء ظنتم برب العالمين المستحق للعبادة ، حتى تركتم عبادته وعبادتم الأصنام ؟
فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم	فأوهمهم أنه نظر في علم الكواكب الذي كانوا يعانونه ، وأخبرهم أنه استدل بأماراة في علم النجوم على أنه مشرف على السقم والمرض .

شرحها	الألفاظ
<p>{ فخافوا من العلوى ، وانصرفوا عنه هاربين ،          وذهبوا إلى الاحتفال بعيدهم .</p>	<p>فتولوا عنه مدبرين</p>
<p>فأقبل في خفية وحيلة على آلهتهم .          فأنهال عليهم ضرباً باليمين .</p>	<p>فراغ إلى آلهتهم          فراغ عليهم ضرباً باليمين</p>
<p>فأتوا إلى إبراهيم مسرعين مستنكرين تحطيم آلهتهم .          { أتعبون أصناماً أنتم تنحتونها بأيديكم ، وتنجرونها          وتبرونها من الحجر والخشب .</p>	<p>فأقبلوا إليه يزفون          أتعبون ما تنحتون</p>
<p>{ أقيموا له مبنى ، واملأوه حطباً ، وأضرموا فيه النار ،          وألقوا فيها إبراهيم .</p>	<p>ابنوا له بنياناً</p>
<p>فأرادوا أن يمكروا به ، واحتالوا لهلاكه .          فجعلناهم المقهورين المغلوبين .</p>	<p>فأرادوا به كيداً          فجعلناهم الأسفلين</p>
<p>أعطى ولدأ من عبادك المؤمنين الصالحين .          { فلما شب وكبر ، وبلغ المبلغ الذى جعله يسعى          مع أبيه .</p>	<p>هب لى من الصالحين          فلما بلغ معه السعى</p>
<p>ففكر فى هذا الأمر ، وأشر برأيك فيه .          { قال على سبيل الطاعة والتعظيم ، يا أبت ، أفعل          ما أمرت به .</p>	<p>فانظر ماذا ترى ؟          قال : يا أبت أفعل ما          تؤمر</p>
<p>{ فلما استسلما وخضعا لأمر الله وطاعته ، وصرعه          على شقه ، فوقع جبينه وهو أحد جانبي جبهته          على الأرض .</p>	<p>فلما أسلما وتأمه للجبين</p>
<p>قد حققت ما نبهناك عليه من ذبح ولدك .          الابتلاء والامتحان الظاهر .</p>	<p>قد صدقت الرؤيا          البلاء المبين</p>

الألفاظ	شرحها
وفديناه بذبح عظيم وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين	وفديناه بكبش كبير سمين . وأفضنا على إسماعيل وإسحاق بركة الدين والدنيا . ومن ذريتهما محسن لنفسه بالطاعة والإيمان . وظالم لنفسه ظلماً مُبيناً ظاهراً بالمعصية والكفر .

### قصة إبراهيم

اقرأ ما جاء عن قصة إبراهيم في تفسير :  
الجزء الأول من سورة البقرة ، في الصفحة ٩٣ وما بعدها ، والجزء الرابع من  
سورة آل عمران في الصفحة الثالثة وما بعدها ، والجزء السابع من سورة  
الأنعام في الصفحة ١٠٢ وما بعدها ، والجزء الثاني عشر من سورة هود ، في  
الصفحة ٥٤ وما بعدها ، والجزء السادس عشر من سورة مريم في الصفحة ٤٤  
وما بعدها ، والجزء السابع عشر من سورة الأنبياء في الصفحة ٢٧ وما بعدها .

### مجمل المعنى

١ - يؤكد الله أن ممن شايعوا نوحاً في الدعوة إلى التوحيد ، واحتمال الصبر على  
أذى قومه ، إبراهيم . اذكره يا محمد حين أعلن الدعوة إلى الإيمان ونبذ  
الشرك ، وجاء ربه بقلب سليم ، مخلص دينه لله ، برىء من النقائص  
كالغل والحسد ، والكيد والضلال والكفر ؛ وقال لأبيه وقومه ممن يصنعون  
الأصنام ، وينجرونها من الخشب ، وينحتونها من الحجر بأيديهم ، ثم

يتخذونها آلهة يعبدونها من دون الله : أى شىء هذا الذى تعبدونه ،  
وأعينكم تقول لكم : إنه قِطع من حجر ، أو أغصان من شجر ،  
وأيديكم تقول لكم : إنها هى التى صنعتها على مرأى منكم ؟ أتريدون أن  
تجعلوها آلهة تعبدونها من دون الله للإفك ، والإمعان فى الكذب  
والضلال؟! !

٢ - ما ظنكم بالله المستحق وحده للعبادة والتوحيد ، رب العالمين وخالقهم  
ورازقهم ، إذا لقيتموه وقد كفرتم به ، وعبدتم غيره ، وأشركتم معه سواه ؟

٣ - لقد دعاه قومه أن يذهب معهم للاحتفال بعيدهم ، وأن يشاركهم فى  
لهوهم وضلالهم ، لعله يترك الطعن فى آلهتهم ويندمج فى حياتهم ، وقد  
اعتزم هو أن يقيم لهم الدليل ظاهراً على أن آلهتهم لا تدفع عن نفسها  
ضراً ، ولا تجلب لها نفعاً ، فتعلل بعدم الخروج معهم ، بأن نظر نظرة  
فى النجوم ، وتأمل فى طوالع الكواكب ، وكانت عند أهل بابل فى عهد  
إبراهيم مرجع القوم ، يستشيرونها فيما يفعلون ويتركون ، فجاءهم من حيث  
يصدقون ، وقال لهم : إني عرفت منها أنى مشرف على مرض الطاعون ،  
وكان متفشياً بينهم ، وكانوا يفرون منه ، فخافوا من العدوى ، وتركوا  
إبراهيم ، وانصرفوا عنه مدبرين هاربين خوفاً من العدوى ، وذهبوا إلى  
الاحتفال بالعيد .

٤ - فأقبل إبراهيم فى حيلة وخفية ، وتسلى إلى المعبد ، فوجده خالياً إلا من  
الأصنام التى لا تنطق ولا تأكل ولا تشرب ، رأى أمامها ما تركه  
القوم قرباناً لها من الطعام لتأكله فى زعمهم ، فخاطبها ساخراً بقول من  
عبدوها ، مندداً بكذب سدنتها على الناس ، وزعمهم أن الأصنام الآلهة  
تأكل الطعام ، والحقيقة أنهم هم الذين يملثون به بطونهم ؛ خاطبها قائلاً :

ألا تأكلون هذا الطعام الذى تركه القوم أمامكم ؟ ما لكم لا تنطقون ولا تجيبون عن سؤالى؟ ثم أنحى عليهم ضرباً بيمينه ، وكامل قوته ، فخرت محطمة ، ووقعت مهشمة ، ثم ذهب ولم يشعر به أحد .

٥ - رجع القوم من عيدهم ، وجاءوا إلى معبدهم ، ووجدوا الأصنام على هذه الحال ، فبحثوا عن إبراهيم ، وأقبلوا إليه مسرعين ، وأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ، وقالوا له : أنت فعلت هذا بآهتنا يا إبراهيم ؟ فسألهم موبخاً منكرراً لهم : أتعبدون الأصنام التى تحتونها بأيديكم ، وتتخذون آلهة من تماثيل ، أنتم الذين صورتموها وشكلتموها كما شئتم ، ثم تركون عبادة الله الذى خلقكم ، وخلق لكم أيديكم التى عملتها وصورتها ، كما خلق الأصنام التى تعبدها ، لأنه هو الذى خلق فيكم الاستعداد والقدرة للعمل ، كما أنه خلق المادة التى منها عملت ، فكيف تكونون أنتم الذين عملتم هذه التماثيل ، ثم تجعلونها معبودات لكم !؟

٦ - ولما أفحمهم إبراهيم بالحجة ، وغلبهم بقوة الدليل ، لجئوا إلى الاستبداد والخبروت ، فقالوا : ابنوا له بنياناً ، واملئوه حطباً وخشباً ، وأوقدوا فيه النار ، وألقوه فيها ، فوالله لنحرقنه ثم لننصفنه نصفاً ، حرقوه وانصروا آلهتكم ؛ ثم فعلوا ما أرادوا من الكيد لإبراهيم ، وألقوه فى النار التى صنعوها . ولكن الله أبطل كيدهم ، وأذهب عنه شرهم ، فجعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم ، وجعلهم الأسفلين المقهورين بقوة حجة إبراهيم عليهم ، وبمعجزته التى ظهرت أمامهم .



## إسماعيل وإسحاق

٧ - فلما نجاه الله من كيدهم ، وخلصه من النار التي ألقوه فيها ، عزم أن يرحل عنهم ، ويهاجر إلى بلد هادئ يستطيع أن يعبد فيه ربه ، فتركهم وقال : إني ذاهب إلى ربي ، سيهدينى ، ويوفقنى إلى ما فيه صلاحى ، وهاجر من بابل مملكة النمرود إلى الشام ، ودعا ربه أن يرزقه بولد ذكر ، ويجعله من عباده الصالحين ، ليعينه في شيخوخته ، ويؤنسه في وحدته ، ويتقوى في غربته . فاستجاب الله دعاءه ، وبشره بأنه سيولد له غلام ذكر ، متصف بالحلم ، ووهب له ولده إسماعيل ، ثم رحل به إلى واد غير ذى زرع ، عند بيت الله المحرم .

٨ - فلما شب وكبير ، وأصبح قادراً على السعى مع أبيه في أمور الدنيا ، وأن يعينه على أعماله ، رأى إبراهيم في المنام في الليلة التي تسبق ليلة عرفة ، من يقول له : إن الله يأمرك بذيح ابنك هذا ، فلما أصبح روى في هذه الرؤيا : أى فكر : أهذه الرؤيا من الله أم من الشيطان ؟ فسُمى اليوم الذى يسبق عرفة يوم التروية ، فلما أمسى رأى نفس المنام ، فعرف أنه أمر من الله ، وسُمى اليوم عرفة لذلك ، ثم رأى مثله في الليلة الثالثة ، فهم بنجره ، وسُمى اليوم يوم النحر ؛ وجاء بابنه وقال له في شفقة وحنان : يا بنى ، إني أرى في المنام أنى أذبحك ، وأراد أن يقوى قلبه على تحمل تلك البلية العظيمة ، فشاورة بقوله : فانظر ماذا ترى ، وإن كان يعلم أن أمر الله لا بد من نفاذه ، ليعلم ما عند الفتى من الصبر عند تلقى هذا الامتحان العظيم ، وليشجعه على ملاقة هذا البلاء ، فقال إسماعيل في تعظيم وتقدير لأبيه ، وفي طاعة واستسلام لأمر الله : يا أبت ، افعل ما أمرك الله به ، وستجدنى إن شاء الله من الصابرين على قضائه ، الممثلين لأمره .

٩ - فلما استسلما لأمر الله ، وأذعنا لحكمه ، وهمّ الأب أن يذبح ابنه ، وأسلم الابن نفسه لأبيه ، فأوقعه على أحد جنبيه إلى الأرض ، وشرع يذبحه في صبر ورجل ، أمره الله أن يكف ، وأخبره أنه قبل منه شرعه في تنفيذ أمر الله برضاً وصبر ، وسمع نداء يقول له : يا إبراهيم قد حققت ما أمرناك به في المنام من التسليم بذبح ابنك ، وقد مننا عليك بالفرج بعد الشدة ، وأنقذناك من الكرب العظيم ، وبمثل ذلك الجزاء نجزي المحسنين أمثالك ، وإن ما اخترنا به إخلاصك وإيمانك ، هو الابتلاء البين الذي يتميز به المخلصون ؛ روى أن إسماعيل قال لأبيه عند ما أراد ذبحه : يا أبت : اشدد رباطي حتى لا أضطرب ، واكفف ثيابك لئلا ينتضح شيء من دمي فتراه أمي فتحزن ، وأسرع ممر السكين على حلقى ليكون الموت أهون عليّ ، وكبّني على وجهي لئلا تنظر إليه فترحمني .

١٠ - وقد قبل الله من إبراهيم أن يخلص ابنه من هذا البلاء ، بأن يذبح بدله كبشاً سميناً كبيراً ، وجعل له في الأمم التي تعجب بعدة ثناء حسناً ، وذكراً طيباً ؛ وله سلام من الله ، وتحية مباركة ، فقد كان من المحسنين الذين يستحقون خير الجزاء ، وأحسن الثناء ، لأنه كان من المؤمنين المخلصين .

١١ - وقد أراد الله أن يتم نعمته على إبراهيم بعد أن وهب له ولده إسماعيل ، وافتداه بذبح عظيم ، فبشره بأنه سيهب له من ابنة عمه سارة ولده إسحاق ، وأنه سيصطفيه ويجعله من أنبيائه الصالحين .

١٢ - وبارك الله في إسماعيل وإسحاق ، فأجزل النعمة عليهما ، وكثر نسلهما ، وقد بين الله أن بنوة الأنبياء لا تنفع إلا إذا صاحبها العمل الطيب ، فقال : ومن ذريتهما فريق محسن يعمل الأعمال الصالحة ، فيستحق رضا الله ومثوبته ، وفريق ضال لا يعمل عملاً صالحاً ، فهو ظالم لنفسه ، بما يجر عليها من عذاب شديد ، وعقاب بين ظاهر يوم القيامة ، ولا ينفعه أنه ابن إسماعيل أو ابن إسحاق .

( ٧ )

من الآية ١١٤ إلى الآية ١٢٢ من سورة الصافات

وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ، وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنْ  
الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ، وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ -١- .  
وَأْتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ، وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ  
الْمُسْتَقِيمَ ، وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ -٢- . سَلَامٌ عَلَىٰ  
مُوسَىٰ وَهَارُونَ ، إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، إِنَّهُمَا  
مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ -٣- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ولقد منّا على موسى وهارون ونجيناها وقومها من الكرب العظيم الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما في الآخرين	ولقد أنعمنا بالنبوة عليهما . وأنقذناهما وبني إسرائيل قومهما من ظلم فرعون وقومه ، ومن الغرق في بحر القلزم . التوراة الواضحة البينة . وأرشدناهما إلى الطريق الحق ، والدين الصحيح . وجعلنا لهما ذكراً حسناً في الأمم التي جاءت بعدهما .

## قصة موسى وهارون

ارجع إلى ما كتب عن قصة موسى وهارون وفرعون ، في تفسير الجزء التاسع بسورة الأعراف ، في الصفحة ١٢ وما بعدها ، وفي تفسير الجزء السادس عشر ، بسورة طه ، في الصفحة ٧٦ وما بعدها ، وفي تفسير الجزء التاسع عشر ، بسورة الشعراء ، في الصفحة ٣٨ وما بعدها ، وفي الصفحة ١٠٣ وما بعدها ، وفي تفسير الجزء العشرين بسورة القصص ، من الصفحة ٢٧ وما بعدها .

## مجمل المعنى

١ - نؤكد أننا قد أنعمنا على موسى وأخيه هارون بنعمة النبوة ، واصطفيناها للرسالة ، وخلصناهما وقومهما بنى إسرائيل من ظلم فرعون وقومه ، الذين كانوا يسومونهم العذاب ، وأنقذناهم من الغرق الذى أدرك فرعون وجنوده ، ونصرناهم - على استكانتهم وجبروت فرعون وقومه - فجعلناهم الغالبين الظافرين ، وليس بعد ذلك منة ، أو وراء ذلك نعمة ، يمتن بها الله على موسى وهارون ، وقومهما من بنى إسرائيل : تشریف بالنبوة ، ونجاة من الذل والأسر والاستعباد ، ونصر على عدو يسومهم سوء العذاب ، وتغلب على جبار جعل نفسه عليهم الرب الأعلى ، وقال لهم : أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ؟

٢ - ثم آتاها بعد ذلك كاه التوراة البينة الواضحة ، التى تهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، وجعلنا لهما فى الأمم المتعاقبة ، والأجيال المتتالية ، ذكراً حسناً .

٣ - ولهما تحية من الله مباركة طيبة ، وعليهما سلام منه ورضاً تام ، فلقد استحقا هذه النعم وهذا السلام ، لأنهما كانا من المحسنين ، ومن عباد الله المؤمنين ؛ ومثل هذا الجزاء الطيب نجزي المحسنين المؤمنين .

( ٨ )

من الآية ١٢٣ إلى الآية ١٣٢ من سورة الصافات

وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ، إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ : أَلَا تَتَّقُونَ ؟ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ، وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ : اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ -١- . فَكَذَّبُوهُ ، فَأِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ، إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ -٢- . وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ؛ سَلَامٌ عَلَى إِلْيَاسِينَ ؛ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ -٣- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وإن إلياس لمن المرسلين	إلياس : نبي من أنبياء الله ، من ذرية هارون أخى موسى .
أتدعون بعلًا	أتعبدون الصنم الذى سميتوه بعلًا .
وتذرون أحسن الخالقين	وتتركون عبادة الله الذى خلق أحسن خلق ، وقدّر أبدع تقدير .
الله ربكم	وتتركون عبادة الله ربكم ، الذى خلقكم ورعاكم ورزقكم .

الألفاظ	شرحها
مُحَضَّرُونَ إلياسينَ	لمسوقون ومُحَضَّرُونَ إلى النار ، ليلقوا جزاءهم فيها . جمع إلياس ، والمقصود به : إلياس وقومه الذين اتبعوه .

## إلياس

كان إلياس سبط هارون أخى موسى ، وكان من الأنبياء المرسلين ، أرسل إلى قومه ، وكانوا يعبدون صنماً يدعى « بعلاً » ، فى بلد بالشام تسمى : « بَك » ، وهى التى تسمى الآن « بعلبك » .

## مجمل المعنى

١ - وإن إلياس لنبي من أنبياء الله المرسلين إلى قومه ، حينما دعاهم إلى عبادة الله ، وقال لهم ألا تخشون الله وتتقون عذابه ؟ كيف تعبدون « بعلاً » ، وتطلبون منه الخير لكم ؟ وهو صم لا يسمع ولا يعقل ، ولا يضر ولا ينفع ، وتركون عبادة الله ، وهو الذى خلق هذا العالم فأبدع خلقه ، وكونه فأحسن تكوينه ، هو الله خالقكم وخالق آباءكم الأقدمين ، منذ نشأتكم الأولى .

٣ - ظل قوم إلياس على عبادة الصنم ، وكذبوه فلم يؤمنوا بالله ، وسيحضرهم للعذاب الشديد على الكفر والتكذيب ، ولا ينجو من عذابه إلا من آمن به وصدقه من عباده المؤمنين الخالصين .

٣ - وقد جعلنا لإلياس ذكراً وثناء باقياً فى الأمم المتعاقبة ، والأجيال المتتالية ، وعليه تحية من الله مباركة ، وسلام ورضاً ، لأنه ممن كانوا يؤثرون الاحسان ، وكان من عباد الله المؤمنين ؛ ومثل هذا الجزاء الحسن ، يجزى الله المحسنين المؤمنين .

( ٩ )

من الآية ١٣٣ إلى الآية ١٣٨ من سورة الصافات

وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ، إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ،  
إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ، ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ، وَإِنَّكُمْ  
لَتَمْرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
إلا عجوزاً في الغابرين دمرنا الآخرين تمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون	إلا امرأته العجوز ، فإنها باقية مع الباقين في العذاب. أهلكتنا الآخرين الذين لم يؤمنوا . تمرون على آثار منازلهم في النهار ، وأنتم في طريقكم بتجارتكم إلى الشام . وتمرون عليها بالليل . أليس لكم عقول تفكرون وتعتبرون بها ؟

### قصة لوط

اقرأ ما كتب عن قصة لوط في تفسير الجزء الثامن بسورة الأعراف ، في  
الصفحة ١١٩ وما بعدها ، والجزء الثاني عشر بسورة هود ، في الصفحة ٥٩  
وما بعدها ، والجزء الرابع عشر بسورة الحجر ، في الصفحة ٢١ وما بعدها ،

والجزء السابع عشر بسورة الأنبياء ، في الصفحة ٣٤ وما بعدها ، والجزء التاسع عشر بسورة الشعراء ، في الصفحة ٨٠ وما بعدها ، والجزء العشرين بسورة العنكبوت ، في الصفحة ١١٨ وما بعدها .

### مجمل المعنى

وإن لوطاً لمن أنبياء الله المرسلين ، واذكر يا محمد إذ نجيناها وأهله الذين آمنوا به ، فخرجوا معه ليلاً من قرية سدوم ، ونجوا من الحسف والحلاك أجمعين ، إلا امرأته العجوز ، فقد قضى عليها أن تظل في الغابرين الباقين في القرية ، مع الظالمين المعذنين ، لأن هواها كان معهم ؛ ثم أوقع الله الحسف والحلاك والتدمير بالعصاة الآخرين ، وأبقى آثارهم شواهد جليلة ، تذكر الناس بما فعل بأولئك الذين ارتكبوا أفحش الجرائم جهرة ، دون أدب أو حياء ؛ وإنكم يا معشر قريش لتمرون بقرية سدوم ، وأنتم في طريقكم بالتجارة إلى الشام ، في كل وقت من النهار أو الليل ، في الصباح أو المساء ، فترونها ماثلة أمامكم ، وعبرة وموعظة لكم ، أفلا تعقلون وتتدبرون يا كفار قريش ، حينما تشاهدون هذه الآثار ، فلتتخذوا منها العبرة ، وتحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم من الحسف والعذاب .



( ١٠ )

من الآية ١٣٩ إلى الآية ١٤٨ من سورة الصافات

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ، إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ  
الْمَشْحُونِ ، فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ -١- . فَالْتَقَمَهُ  
الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ -٢- . فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ،  
لَدَبَّتْ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ -٣- . فَنَبَذْنَاهُ  
بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ، وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ،  
وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ، فَاْمُنُوا فَامْتَعْنَاهُمْ  
إِلَى حِينٍ -٤- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أَبَقَ	هرب من قومه بغير إذن ربه .
إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ	إلى السفينة المملووة .
فَسَاهَمَ	فألقي السهام معهم ، مشاركاً لهم في القرعة .
فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ	فكان من المغلوبين في القرعة .
فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ	فابتلعه الحوت .
وَهُوَ مُلِيمٌ	وهو مؤاخذ ، واقع عليه اللوم .
كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ	من الذاكرين الله كثيراً بالتسبيح .

الألفاظ	شرحها
للبث في بطنه إلى يوم يُبعثون	لبث في بطن الحوت . إلى يوم القيامة ، فيبعث مع جميع الخلق .
فنبذناه بالعراء وهو سقيم	فألقيناه بالمكان الخالي من الشجر والناس ، وهو مريض عليل من الضيق الذي عاناه في بطن الحوت .
من يقطين	من شجرة القرع الكثيرة الظلال والامتداد ، ولا يغشاها الذباب .
فتعناهم إلى حين	فأنعمنا عليهم بالإيمان والهناءة طول حياتهم .

### قصة يونس

أقرأها في تفسير الجزء الحادى عشر ، في الصفحة ١٢٠ وما بعدها ، من سورة يونس ، وفي تفسير الجزء السابع عشر في الصفحة ٤٥ وما بعدها ، من سورة الأنبياء مبسوطه مفصلة ، وفي تفسير جزء « تبارك » في الصفحة ٣٧ وما بعدها ، من سورة القلم .

### مجمل المعنى

١ — وإن يونس بن متى عليه السلام ، لمن أنبياء الله المرسلين ، اذكر قصته حينما هرب دون إذن من ربه ، يائساً من أن يصدقه أهل نينوى الذين أرسله الله إليهم ، وجاء إلى بحر الروم ، فوجد سفينة مملوءة بالسلع والمسافرين ، فلما سارت في البحر ثارت عليها العواصف والزجاج ، وجاءتها الأمواج

من كل مكان ، فتوقفت عن السير ، وكادت تغرق ، فألقى ما فيها من السلع ، تخفيفاً لحمولتها ، فلم يسلس قيادها ، وبقيت في اضطرابها ، فاقترح أهل السفينة أن يجروا قرعة على الركاب ، ليقتذف من تقع عليه القرعة بنفسه في البحر ، تخفيفاً من حمولة السفينة ، لعلها أن تسير ، فألقوا سهامهم ، وساهم يونس معهم ، فكان من المدحضين المغلوبين في القرعة ، وألقى بنفسه في البحر .

٢ — فابتلعه حوت كبير ، فشعر بالضيق والظلمة والخوف في بطن الحوت ، وظن أنه سيموت ، ودعا الله أن يخفف عنه الكرب ، ويفرج عنه الضيق ، وينقذ حياته ، ويعيده إلى الشاطئ سالمًا ، وعرف أنه كان قد فعل ما يلام عليه ، وأنه مؤاخذ مستحق للعقاب ، لهربه دون أن يأذن الله له ، وتركه قومه مغاضباً لهم .

٣ — ولكن الله تولاه برحمته ، وأدركه بلطفه ، لأنه كان من المؤمنين المسبحين ، الذاكرين الله كثيراً ، فقدفه الحوت على الشاطئ ، ولولا ذلك لما تفتحت عينه على نور الدنيا ، ولظل في بطن الحوت ، وذهب مع الذاهبين إلى يوم القيامة ، حتى يبعث مع جميع الخلق .

٤ — فألقى في الخلاء وهو سقيم مريض ، متعب مجهد ، خائف وحيد ، فأثبت الله عليه شجرة وريقة من أشجار اليقطين — وهو القرع — فظلته من حرارة الشمس ، وحمته من الريح ، حتى سكنت نفسه ، وذهب خوفه ، وشعر بلطف الله ورحمته ، فأذعن لأمر ربه ، وقام بأداء رسالته ، وذهب إلى أهل نينوى وكانوا نحو مائة ألف ، فهداهم الله جميعاً ، ولم يقع منهم ما كان يخشاه من التكذيب والعصيان والعناد والأذى ، مثل ما وقع لغيره من الأنبياء ، وآمنوا به ، وأنعم الله عليهم بنعمة الهدى والإيمان ، والسعادة والهناء طول حياتهم .

من الآية ١٤٩ إلى الآية ١٦٣ من سورة الصافات

فَاسْتَفْتِهِمْ : أَلِرَّبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ؟ -١- . أَمْ  
 خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ؟ -٢- . أَلَا إِنَّهُمْ  
 مِنْ إِنْكَهَامِهِمْ لَيَقُولُونَ : وَلَدَ اللَّهُ ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ -٣- .  
 أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ؟ مَا لَكُمْ ؟ كَيْفَ تَحْكُمُونَ  
 -٤- . أَفَلَا تَذَكَّرُونَ -٥- . أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ؟ فَاتُوا  
 بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ -٦- . وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ  
 الْجَنَّةِ نَسَبًا ، وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ : إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ،  
 سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ، إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ -٧-  
 فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ، مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ، إِلَّا مَنْ  
 هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ -٨- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فاستفتهم	فسل يا محمد أهل مكة ، مستنكراً عليهم ما يقولون . هل البنات منسوبات إلى الله ، والبنون منسوبون إليكم ! ؟
ألربك البنات	

الألفاظ	شرحها
وهم شاهدون إفكهم	وهم حاضرون مشاهدون حين خلقنا الملائكة إناثاً . أسوأ كذبهم ، وأقبح افتراءهم .
كيف تحكمون ؟	كيف تحكمون هذا الحكم الفاسد ، الذي لا يقبله العقل ؟
أفلا تذكرون وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا	أفلا تفكرون وتذكرون بأنه لا ينبغي أن يكون له ولد . قال اليهود : إن الله صاهر الجن ، فولدوا له الملائكة فهم بناته ، وجعلوا الجنة أنساباً لله وأصهاره إن الذين قالوا ذلك محضرون إلى النار ، ليلقوا فيها جزاءهم .
لأنهم لمحضرون	
سبحان الله عما يصفون	تنزه الله تنزيهاً ، وتبرأ مما ينسبون إليه من الولد أو الصهر أو الشريك .
ما أنتم عليه بفاتنين	ما أنتم بمضلين أحداً عن عبادة الله ، فاتنين له عن الاعتراف بوحدانيته .
إلا من هو صال الجحيم	إلا من كتب الله عليه أنه لا يهتدى ، ويصلى نار جهنم .

### مجمل المعنى

١ - فاسأل يا محمد أولئك السفهاء من قريش ، من قبائل جُهينة وبنى سلمة  
ونخزاعة وغيرهم ، مبكثاً لهم ، مبيناً فساد اعتقادهم ، وخطل رأيهم ، ومنكراً  
قولهم الذي لا يسوغه تفكير صحيح ، ولا يقبله رأى سديد ، وهو قولهم :

الملائكة بنات الله ، وقل لهم : أربي البنات ، ولكم أنتم البنون ؟ وما الذى  
سوّغ لكم هذا القول حتى تقولوه ؟

٢ — وأى دليل عندهم جعلهم يؤثنون الملائكة ، ثم يقولون إنهم بنات الله ؟  
هل حينما خلقهم الله ، كان قد أحضرهم ليشاهدوا خلقهم ، حتى يعرفوا  
إن كانوا إناثاً أم كانوا ذكوراً ؟ وهل رأوا الملائكة حتى يحكموا على طبيعة  
خلقهم ، ويعرفوا حقيقة أمرهم ؟

٣ — إلا إن من قبح افتراءهم على الله ، أن ينسبوا له الولد ، وهم يعلمون أنه  
يستحيل على الإله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، أن يكون له والد أو ولد ،  
وإنهم لكاذبون فى قولهم ذلك كذباً بيناً صريحاً ، تعالى الله عن ذلك علواً  
كبيراً .

٤ — ما الذى سوّل لهم أن يزعموا ذلك وهو واضح البطلان ؟ فإذا كان من  
المستحيل أن يكون له ولد أو بنت ، فلماذا — كما زعمتم — اختار أن يكون  
له البنات ، وأن يكون لكم البنون ؟ ما الذى جرى لكم ، وحصل لعقولكم ؟  
كيف تحكمون هذا الحكم الفاسد ، الذى لا يقبله عقل ولا منطق ؟

٥ — أفلا تتفكرون فى خلق الله ، وتتذكرون عظيم قدرته ، وبراهين وحدانيته ،  
وتنزّهه عن الوالد والولد ، فتلاحظوا بطلان ما قلتم ، وتصحيحوا ما فسد  
من اعتقادكم ؟

٦ — بل ألكم سلطان مبين ، وحجة بالغة نزلت عليكم من السماء ، فأخبرتكم  
بسوء ما قلتم ؟ لأن ما قلتم ليس له سند حسى أو عقلى ، يسوّغ لكم  
هذا الافتراء ، فإن كان عندكم هذا البرهان ، ولكم هذا الدليل ، الذى  
يثبت دعواكم ، فهاتوه إن كنتم صادقين ؛ وفى هذه الاستفهامات الساخرة  
المتكررة ، بيان لاستبعاد أباطيلهم ، وتسفيه أحلامهم ، والاستهزاء بهم .

٧ - وزعم هؤلاء القوم الأفاكون أن الجن أصهار الله وأنسابه ، ومن هذه المصاهرة ولدت الملائكة ، فالجنة أمهاتهم ، والله أبوهم ، وأقسم لقد علمت هذه الجنة التي جعلوا بينها وبين الله نسباً ، أن الكفرة الذين قالوا ذلك وافتروه ، لمحضرون إلى النار ، معذبون بها لكذبهم وافترائهم ، وأن الجنة التي ادعى هؤلاء لهم هذا النسب يكذبونهم في ذلك ، ويحكمون بأنهم معذبون لأجل ما قالوه عذاباً مؤكداً ، وقالت الملائكة : تنزه الله عما وصفوه به من الشريك والولد والصهر ، وإن عباد الله المخلصين ، المؤمنين بوحداية الله ، الذين نحن من جملتهم ، برآء من أن يصفوا الله بما وصفه به المشركون ، ولن يحضروا معهم النار ، ويعذبوا فيها كما يعذبون .

٨ - فإنكم وما عبدتم من دون الله أيها المشركون ، لستم بفاتنين ومفسدين عليه عباده المخلصين ، ولستم مُضلين لهم عن سبيل الله ، لكن الذين يظنون على الكفر بسوء اختيارهم ، وفساد اعتقادهم ، سيصيرون من أهل النار ، يصلون حرها ، ويقاسون عذابها .

( ١٢ )

من الآية ١٦٤ من سورة الصافات ، إلى آخر السورة

وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ۝١- . وَإِنَّا لَنَخْنُ الصَّافُونَ ،  
وَإِنَّا لَنَخْنُ الْمُسَبِّحُونَ ۝٢- . وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ : لَوْ أَنَّ  
عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ، لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ،  
فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣- . وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا  
لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ : إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ، وَإِنَّ جُنَدَنَا  
لَهُمُ الْغَالِبُونَ ۝٤- . فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ، وَأَبْصِرْهُمْ  
فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۝٥- . أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ؟ فَإِذَا  
نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذِرِينَ ! ۝٦- . وَتَوَلَّ  
عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ، وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۝٧- . سُبْحَانَ  
رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ،  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٨- .



## شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
مكان معلوم في العبادة . المصطفون لعبادة الله .	مَـمَّام مَعْلُومٌ الصَّافُّونَ
لو أن عندنا كتاباً من الكتب التي نزلت على الأقدمين .	لو أن عندنا ذِكْرًا من الأولين
سبق وعدنا بالنصر والغلبة . لأنبيائنا الذين أرسلناهم لهداية البشر . المؤمنين بنا من أتباع الأنبياء . فأعرض عنهم . إلى حين يأتي موعد نصرك .	سَبَقْتُ كَلِمَتَنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ جُنْدَنَا فَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ
وأبصرهم ترى العذاب الذي يقع بهم لا محالة ، فسوف يبصرون ما قضينا لك من النصر والتأييد . أيستعجلون عذابنا قبل حينه ؟ فإذا نزل العذاب بفيناهم ، وحلّ بهم . فبئس صباح المنذرين صباحهم . تنزيهاً لربك . ذى العزة والقوة والغلبة . عما ينسبون إليه من الولد والصاحبة والشريك . للمرسلين الأمن من الله يوم الفرع الأكبر .	وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ أَفْعِدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ فَإِذَا نَزَلَ بِصَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ

## مجمل المعنى

١ - وما منا معشر الملائكة إلا له مقام معلوم ، وموضع محدد في العبادة ، والخضوع لأمر الله ، مقصور عليه لا يتجاوزه ، ولا يستطيع أن يجيد عنه ، إذعاناً لعظمته ، وخشوعاً لهيبته ، وتواضعاً لجلاله ، وإقراراً بمعبوديته ووحدانيته .

٢ - وإنا لنحن المصطفون المتفرغون لعبادته ، المنقطعون لطاعته ، ونحن المسيبون له ، المقدسون لذاته عن كل ما لا يليق به .

٣ - إن هؤلاء المكذبين من قريش ، كانوا يقولون : لو أنزل إلينا من السماء كتاب من كتب الأولين ، كالتوراة والإنجيل ، لاتبعناه وآمنا به وصدقناه ، وأخلصنا العبادة لله وحده . ولقد جاءهم كتاب أى كتاب ، وذكرٌ خيرٌ ذكر ، كما تمنوا وكما أرادوا ، فكفروا به وكذبوه ، وسيعرفون غاية تكذيبهم ، وسوف يعلمون عاقبة كفرهم .

٤ - ولقد سبق وعدنا لأنبيائنا الصادقين ، وعبادنا المرسلين ، بأنهم الغالبون المنصرون ، وأنهم سيعلنون على أعدائهم في مقام الحججة ، وملاحم القتال في الدنيا ، وبالظفر بنعيم الجنة في الآخرة ، وإن جندنا - وهم أتباع الرسل - هم دائماً الغالبون على أعدائهم في الدنيا والآخرة .

٥ - فأعرض عن المشركين يا محمد ، ولا تلق بالك لتكذيبهم ، ولا تأبه لعنادهم ، فسينصرك الله عليهم ، وأبصرهم لترى ما يقع بهم من القتل والأسر على أسوأ حال ، وأفضع نكال ، فسيبصرون ما قضينا لك من النصر والتأييد ، حين لا ينفعهم الإبصار ، والمراد بإبصارهم : الإيذان بقرب وقوع العذاب بهم .

٦ — ولما نزل قوله تعالى : « وأبصرهم فسوف يبصرون » ، قالوا مستعجلين لعذاب الله ، متحدثين لقدرته : متى يكون هذا ؟ فنزل قوله تعالى : « أفبعذابنا يستعجلون؟ » وعضبنا يستنجزون؟ ؛ فإذا تحقق وعدنا، ودهمهم العذاب ، ونزل بفنائهم ، وحل بدارهم ، وأخذهم بغتة وهم لا يشعرون ، فبئس العذاب عذاب المشركين ، وبئس الصباح صباح المنذرين ، روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما أتى خيبر ، وكان اليهود خارجين إلى مزارعهم ، قالوا : محمد والخميس — أى الجيش — ، ورجعوا إلى حصنهم ، فقال عليه الصلاة والسلام : الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم ، فساء صباح المنذرين .

٧ — لا تشغل بالك بهم يا محمد ، وأعرض عن هؤلاء المشركين ، إلى أن يحين موعد انتصارك عليهم ، فستبصر ما يحل بهم من كل فنون الهزيمة والنكال ، وسيبصرون ما تنال من كل أنواع النصر ، مما لا يحيط به وصف .

٨ — ننزه الله سبحانه وتعالى عن كل ما يصفه به المشركون مما لا يليق بربوبيته ، وهو مربيك ومكملك ، وله وحده العزة والغلبة ، والقهر والسلطان ؛ وعلى الأنبياء المرسلين تحية من الله ، وهم سلام وأمن من كل مكروه ، وفوز بجميع مآرب الدنيا والآخرة ، والحمد لله رب العالمين على هلاك الأعداء ، ونصرة الأنبياء .

## سورة ص

نزلت بمكة ، وآياتها ثمان وثمانون آية

( ١ )

من الآية الأولى إلى الآية ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص ، وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ -١- . بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا  
فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ -٢- . كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ،  
فَنَادَوْا وَلَا تَجِئْ بِحُجَّتِنَا إِنَّهُمْ مُنْذِرُونَ -٣- . وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ  
مِنْهُمْ ، وَقَالَ الْكَافِرُونَ : هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ -٤- . أَجَعَلَ  
الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ؟ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ -٥- . وَانطَلَقَ  
الْمَلَأُ مِنْهُمْ ؛ أَنْ امشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ ، إِنَّ هَذَا  
لَشَيْءٌ يُرَادُ ، مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ ، إِنَّ هَذَا  
إِلَّا اخْتِلَاقٌ -٦- . أَوْ نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ؟ بَلِ  
هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي ؟ بَلِ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِ -٧- . أَمْ  
عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ -٨- . أَمْ لَهُمْ

مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ؟ فَلْيَرْتَقُوا فِي  
الْأَسْبَابِ - ٩ . جُنْدًا مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ - ١٠ -

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ص والقرآن ذى الذكر فى عزة وشقاق	تراجع الصفحة ١٣ من تفسير الجزء الأول . أقسم بالقرآن ذى الشرف والقيمة والذكر . فى استكبار عن الحق ، وخلاف لله ورسوله .
كم أهلكتنا من قبلهم من قرن	لقد أهلكتنا قبلهم كثيراً من الأمم بسبب كفرهم .
فنادوا	فجهروا بالاستغاثة والتوبة والاستغفار ، بعد أن رأوا العذاب .
ولات حين مناص منذر منهم	وليس الوقت وقت تخلص ونجاة . نبي من جنسهم .
هذا ساحر كذاب	هذا رجل يعمل عمل السحرة ، فما يسميه معجزة ليس إلا سحراً يفتره على الله .
أجعل الآلهة إلهاً واحداً؟	ينكرون عليه أن يدعو إلى أن هذا الكون ليس له إلا إله واحد .
عجاب وانطلق الملائم منهم واصبروا على آلهتكم	فيه غاية العجب ونهايته . وخرج أشرافهم مندفعين . واثبتوا على دينكم ، لا تترحزحوا عنه .

شرحها	الألفاظ
<p>إن هذا شيء يريد محمد لنتقاد له ، فنكون له أتباعاً يتحكم فينا .</p>	<p>إن هذا لشيء يراد</p>
<p>ما سمعنا بما يدعو إليه محمد من التوحيد في الملة التي وجدنا عليها آباءنا ، ولا في ملة النصاري الذين يؤمنون بالتثليث .</p>	<p>ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة .</p>
<p>ليس هذا الذي أتى به محمد إلا كذباً . أُنزل عليه القرآن من بيننا دون غيره ، مع أنه ليس خيراً منا ؟</p>	<p>إن هذا إلا اختلاق أُنزل عليه الذكر من بيننا؟</p>
<p>من القرآن ، والوحي الذي نزل عليك به . لم يذوقوا عذابي إلى الآن ، واغتروا بطول الإمهال ، فإذا ذاقوه زال شكهم .</p>	<p>من ذكرى لما يذوقوا عذاب</p>
<p>بل هم لا يملكون خزائن رحمة الله ، حتى يتصرفوا فيها على ما يريدون . القاهر القادر ، الكثير العطاء ، الذي يمنح من يشاء . فليصعدوا في المصاعد التي توصلهم إلى السماء .</p>	<p>أم عندهم خزائن رحمة ربك العزیز الوهاب فليرتقوا في الأسباب</p>
<p>ما هم إلا جند كأى جند ، مغلوب عما قليل ، فلا يعبأ بهم . من أحزاب إبليس .</p>	<p>جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب .</p>

## مجمل المعنى

١ — هذا الحرف الذى بدأنا به هذه السورة ، وما يماثله من حروف الهجاء ، قد تركبت منه ألفاظ القرآن ، وأنتم أيها الكفار المعاندون قادرون على أن تصوغوا من هذه الحروف ما شئتم من الأساليب ، ولكنكم عاجزون عن مجارة أساليب القرآن فى فصاحتها وبلاغتها ؛ أقسم بالقرآن ذى الشرف العظيم ، والقدر الرفيع إنه لكلام معجز ، فإن كنتم فى ريب من هذا فأتوا بسورة من مثله ، واستعينوا بمن شئتم ، إن كنتم صادقين فيما زعمتم أن القرآن صنعه محمد .

٢ — لكن هؤلاء الكافرين الذين ينفرون من النبي ، ولا يؤمنون به ، أخذتهم العزة بالإثم ، فهم يستكبرون عن الحق ، ولا يؤمنون بما يجيء به الدين الصحيح ، ويختلفون مع النبي ويعادونه .

٣ — ولو أنهم تدبروا ، ونظروا إلى الوراة قليلا ، لعرفوا أن الله سبحانه وتعالى أهلك كثيراً من الأمم التى سبقتهم ، بسبب عنادهم وكفرهم ، ونفورهم من أنبيائهم ؛ فلما رأوا العذاب بأعينهم ، وأيقنوا أنه نازل بهم ، تابوا إلى رشدهم ، وعرفوا أن الحق ما جاءهم به رسلهم ، فاستغاثوا ، ولبثوا إلى الله أن يدفع العذاب عنهم ، وتابوا إليه ، وندموا على ما فرط منهم ، واستغفروا ربهم ، ولكن لا يقبل الله منهم ، ولا خلاص لهم ولا منجى ، لأنهم لم يؤمنوا إلا حينما رأوا العذاب نازلا عليهم .

٤ — استعجب كفار قريش من أن الله أرسل إليهم نبياً عربياً قرشياً منهم ، يحذرهم وينذرهم ، فليس من دهاقين الفرس ، وليس من أشرف الروم ، وليس من صنديد قريش ، وليس ملكاً من الملائكة ، وليس جنياً من

الجن ؛ فكان مُثَارَ عجبهم حسدٌ وحقدٌ يأكل قلوبهم ، ويُحرق صدورهم ، فلم يكادوا يرون ما يجرى على يديه من معجزات ، حتى وصفوه بأنه ساحر ، ونعتوه بأنه كذاب يفترى على الله .

٥ — وأنكروا عليه أنه يدعو إلى التوحيد ، وأنه ينكر تعدد الآلهة ، وعجبوا من ذلك أشد العجب ، لأنه يدعوهم إلى شيء لم يعرفوه عن آبائهم .

### في دار أبي طالب

اجتمع نفر من مشيخة قريش ، منهم : أبو جهل ، والعاص بن وائل ، والأسود بن المطلب وغيرهم ، وقال بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى أبي طالب نكلمه في ابن أخيه ، لينصفنا منه ، فيأمره أن يكف عن شتم آلهتنا ، وندعه وإلهه الذي يعبده ، فإننا نخاف أن يموت هذا الشيخ ، فيكون منا شيء لمحمد ، فتعيرنا العرب ، فيقولون : تركوه ، حتى إذا مات عمه تناولوه ؛ وبعثوا رجلاً منهم إلى أبي طالب يستأذن عليه ، فأذن لهم ، فلما دخلوا عليه قالوا : يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا ، فأنصفنا من ابن أخيك ، فره فليكف عن شتم آلهتنا ، وندعه وإلهه ، فبعث أبو طالب إلى محمد واستدعاه ، فجاء إليه ، ودخل عليه ، فقال له : يا ابن أخي ، هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم ، وقد سألك : أن تكف عن شتم آلهتهم ، ويدعوك وإلهك ، فقال له محمد : « أي عم ، أولاً أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها ؟ ! » قال : وإلام تدعوهم ؟ ! قال : « أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ، ويملكون بها العجم » ؛ فقال أبو جهل من بين القوم : ما هي وأبيك ؟ لنعطينكها وعشر أمثالها . قال : « تقولون : لا إله إلا الله » ، فنفروا وقالوا : سلنا غير هذه ، قال : « لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها » ، فغضبوا ، وقاموا من عند أبي طالب غضاباً ،



وقالوا : والله لنشتمنك والذي يأمرك بهذا ، وانطلق الملائمة منهم ؛ وأقبل محمد على عمه ، فقال له عمه : يا بن أخي ، ما شططت عليهم ، فقال لعمه : « أى عم ، قل كلمة أشهد لك بها يوم القيامة ، تقول : لا إله إلا الله » ، فقال : لولا أن تعيىبها العرب ، يقولون : جزع من الموت ، لأعطيتكها ، ولكن أموت على ملة الأشياخ ، فتزل : « إنك لا تهدي من أحببت . . . » ، ورويت هذه القصة بصيغة أخرى .

٦ — وخرج أشراف قريش من دار أبى طالب غضاباً مسرعين ، يقول بعضهم لبعض : اثبتوا على دينكم ، وتمسكوا به ، فإنه لا يراد بكم إلا أن تتزحزحوا عن هذا الدين ، وتتبعوا محمداً ، ونحن ما سمعنا من أصحاب آخر ملة — وهم النصرى — أن الإله واحد ، ولكنهم يقولون : الأب والابن والروح القدس ؛ وما سمعنا من آباءنا أن الإله واحد ، فنحن ندين بدينهم ، ونقيم عليه ، والذي جاء به محمد من دعوى الرسالة والمناداة بالتوحيد ، ليس إلا كذباً وافتراء ، يخلقه محمد ، وينشره فى الناس .

٧ — يستمر هؤلاء الكفار فى إنكارهم ويقولون : لماذا ينزل القرآن على محمد ، ويختص بالرسالة من دون الناس ؟ إنه ليس أعلى منا قدراً ، ولا أعظم جاهاً ، ولا أكثر مالا ، ولا أعز نفراً ؛ وهؤلاء الكافرون فى شك من نزول القرآن على محمد ، واختصاصه دونهم بالوحى والرسالة ، لأنهم لا يفكرون فيما يقدمه لهم من حجج وبراهين على صدقه ، فهم سيظلون ساذرين فى عنادهم ، حتى إذا نزل العذاب بهم ، وصحواً من غفلتهم وتنبهوا — علموا أن محمداً صادق ، وأن قرآنه من عند الله .

٨ — هؤلاء الكافرون لا يملكون خزائن رحمة الله ، فيتصرفون فيها على ما يشاءون ، فيعطون ويمنعون ، ويمنحون ويحرمون ، ويختارون للنسوة من لهم رغبة فى

نبوته ، ويصرفونها عن لا رغبة لهم في نبوته ؛ ولكن هذا كله بيد الله القوى العزيز القاهر ، الواهب ما يشاء لمن يشاء .

٩ - وإذا كان هؤلاء المشركون لا يملكون خزائن رحمة الله ، ولا يستطيعون أن يتصرفوا على هواهم فيما خلق الله ، فهم لا يملكون سماء ولا أرضاً ، ولا يسيطرون على شيء بين السماء والأرض ، جليلاً كان ذلك الشيء أو حقيراً ، وإن لم يقنعهم ذلك ، فليصعدوا إلى حيث يريدون أن يصعدوا إن كانوا مستطيعين ، وليدبروا هذا الملكوت على ما يشاءون ، وليتفضلوا بالنبوة على من يريدون .

١٠ - إنهم لن يستطيعوا ذلك كله ، وهم أعجز من أن يتحدوا ، وأضعف من أن يؤبه لهم ، ما هم إلا جند من الكفار المتحزبين ، مهزومون مخذولون عما قريب ، كما خذل من سبقوهم ممن كذبوا أنبياءهم ، فلا ثبال يا محمد بما يقولون ، ولا تكترث بما يهدون ، وقد أنجز الله وعده بهزيمتهم في وقعة بدر .

( ٢ )

من الآية ١٢ إلى الآية ١٦ من سورة ص

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ،  
وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ، أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ،  
إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ ، فَحَقَّ عِقَابٍ -١- . وَمَا يَنْظُرُ  
هُؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ، مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ -٢- . وَقَالُوا :  
رَبَّنَا ، عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ -٣- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
قبلهم	قبل أهل مكة .
ذو الأوتاد	ذو الملك الثابت .
وأصحاب الأيكة	وقوم شعيب ، والأيكة : الشجر الكثير الملتف .
أولئك الأحزاب	هؤلاء هم المتحزبون على رسلهم .
فحق عقاب	فوجب عقابي لهم ، وحل عذابي بهم .
وما ينظر هؤلاء	وما ينتظر أهل مكة وأمثالهم من السابقين الذين كذبوا رسلهم .
إلا صيحة واحدة	المراد بالصيحة : النفخة الأولى .

الألفاظ	شرحها
ما لها من فواق عجل لنا قطننا قبل يوم الحساب	ما لها تردد ولا رجوع . عجل لنا نصيبنا وحظنا الذي يعدنا محمد به . قبل يوم القيامة .

### مجمل المعنى

١ - يواسى الله نبيه ، وينصحه ألا يحزن لتكذيب قومه إياه ، ويوجه نظره إلى ما حدث للسابقين من زملائه الأنبياء ، فإنهم جميعاً لثقوا من أقوامهم مثل الذى يلاقيه هو من قريش ، فقد كذب نوحاً قومه ، وكذبت عاد هوداً ، وكذب فرعون موسى ، وكذبت ثمود صالحاً ، وكذب لوطاً قومه ، وكذب أصحاب الأيكة شعيباً ؛ هؤلاء جميعاً أحزاب الشيطان ، تحزبوا على رسلهم وكذبوهم ، فاستوجبوا غضب الله عليهم ، واستحقوا مقتته وعذابه .

٢ - والذين يكذبون محمداً الآن ، وكذلك الأقسام المتقدمون الذين كذبوا أنبياءهم ، لا ينتظرون إلا النفخة الأولى التى تكون يوم الفرع الأكبر ، ولا يكون هناك تلبث ولا توقف - ولو كان وقت التلبث والتوقف قصيراً - فإنه إذا أراد الله أن تقع الواقعة ، وقعت بمجرد الإرادة فى اللحظة التى يحددها الله ، فلا إمهال ولا تردد ولا رجوع .

٣ - وعد الله المؤمنين أن مصيرهم يوم القيامة إلى الجنة ، ليثابوا على ما قدموا من صالح الأعمال ، وتوعد الكافرين بأن مصيرهم إلى النار ليعاقبوا على

ما قدموا من مخالفة أنبيائهم وإشراكهم ، فسخر الكافرون مما وعد الله به  
المؤمنين الطائعين ، وتوعد به الكافرين العاصين ، وطلبوا على سبيل  
السخرية والاستهزاء ، أن يعجل الله ثوابهم في الدنيا قبل أن يكون في الآخرة ،  
وإن لم يكن لهم نصيب من الجنة في الدنيا ، فليعجل الله عذابهم  
الذى هددوا به فيها .

( ٣ )

من الآية ١٧ إلى الآية ٢٦ من سورة ص

أَضْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ، وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ،  
إِنَّهُ أَوَّابٌ -١- . إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ  
وَالْإِشْرَاقِ ، وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ، كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ -٢- .  
وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ، وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلَ الْخِطَابِ -٣- .  
وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ؟ إِذْ دَخَلُوا عَلَى  
دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ، قَالُوا : لَا تَخَفْ ، خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا  
عَلَى بَعْضٍ ، فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ ، وَاهْدِنَا إِلَى  
سَوَاءِ الصِّرَاطِ -٤- . إِنَّ هَذَا أَخِي ، لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ  
نَعْجَةً ، وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ، فَقَالَ : أَكْفَلْنِيهَا ، وَعَزَّنِي  
فِي الْخِطَابِ -٥- . قَالَ : لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ  
إِلَى نِعَاجِهِ ، وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى  
بَعْضٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَقَلِيلٌ  
مَا هُمْ ، وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ، فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ ، وَخَرَّ رَاكِعًا  
وَأَنَابَ ، فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ ، وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ

مآبٍ -٦- . يَا دَاوُدُ ، إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ،  
فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ  
سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ  
شَدِيدٌ ، بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ -٧- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
اصبر على ما يقولون	اصبر يا محمد على ما يرهيك الكفار به ، ويتقولونه عليك .
واذكر عبدنا داود	واذكر لهم ما حدث لداود عليه السلام ، حين زلّ فلم يعفه الله من العقاب .
ذا الأيد	صاحب القوة والتشدد في أمور دينه .
إنه أواب	إنه كثير الرجوع إلى الله طلباً لرضاه .
نخرنا الجبال معه	ذلنا له الجبال .
يسبّحن	تكون سبياً في ترداد تسميحه ، لأن في وجودها دلالة على قدرة خالقها وعظمته .
بالعشى والإشراق	في طرفي النهار ، وفيما بين طرفي النهار .
والطير محشورة	وذللنا له الطير مجتمعة من كل نوع ومن كل ناحية .
كل له أواب	كل من الجبال والطير مطيع لله ، خاضع لإرادته .

شرحها	الألفاظ
<p>وقوينا ملكه بماله من عظيم المنزلة ، وجلال الهيبة . وعلمناه العلم ، ومنحناه النبوة . والقول الفصل الذى لا يقبل شكاً ولا مناقشة ، لما يكتنفه دائماً من الصواب .</p>	<p>وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب</p>
<p>قصة الخصماء ، والخصم : يطلق على المفرد والجمع ، مثل ضيف . تسلقوا سور الغرفة التى كان فيها . فخافهم .</p>	<p>نبأ الخصم تسوروا المحراب ففرع منهم خصمان بغى بعضنا على بعض</p>
<p>نحن متخاصمان ، تعدى بعضنا على بعض . ولا تجر فى حكمك ، ولا تعدل عن الحق . إلى الطريق الواضح المستقيم ، الذى يظهر الحق فيه واضحاً .</p>	<p>ولا تشطط إلى سواء الصراط</p>
<p>إن هذا الذى أخاصمه أمامك ، وأشكوه إليك ، أخى فى الدين والصدقة . ملكنيها ، وضمها إلى ما أملك .</p>	<p>إن هذا أخى أكفلنيها</p>
<p>وغلبنى فى المناقشة والحاجة ، لأنه أقوى منى لساناً وبياناً .</p>	<p>وعزنى فى الخطاب</p>
<p>بطلبه إضافة نعجتك إلى نعاجه ، وإذا كان مجرد السؤال ظلماً ، فما بالك بالإضافة الفعلية ؟ وفى هذا أشد الإنكار ، وأبلغ الاستهجان . من الشركاء والأصدقاء .</p>	<p>بسؤال نعجتك إلى نعاجه من الخلطاء</p>



شرحها	الألفاظ
<p>ليعتدى بعضهم على بعض . وهم قليلون .</p>	<p>ليبغى بعضهم على بعض وقليل ما هم</p>
<p>واستيقن داود أن الله أراد بهذا ابتلاءه ، وتنبهه على الخطر الذى أقدم عليه .</p>	<p>وظن داود أنما فتناه</p>
<p>فطلب من الله أن يغفر له ما أخطأ فيه . وسقط على وجهه ساجداً لله ، مستغفراً عما فرط منه .</p>	<p>فاستغفر ربه وخر راکعاً</p>
<p>ورجع إلى الله تائباً .</p>	<p>وأتاب</p>
<p>فعفا الله عنه ، وتجاوز عن زلته .</p>	<p>فغفرنا له ذلك</p>
<p>لقربي ومنزلة خاصة بعد الغفران .</p>	<p>لزلنى</p>
<p>وحسن مرجع يوم القيامة ، بدخول الجنة .</p>	<p>وحسن مأب</p>
<p>جعلناك ملكاً مستخلفاً فى الأرض ، وقد أخلفت من سبقك من الأنبياء .</p>	<p>جعلناك خليفة فى الأرض</p>
<p>فاقض بين قومك قضاء عادلاً تقضى به الشريعة .</p>	<p>فاحكم بين الناس بالحق</p>
<p>ولا تجر فى قضائك على حسب ما تمليه نفسك وهواك .</p>	<p>ولا تتبع الهوى</p>
<p>عن الطريق الحق الذى يدل عليه دين الله .</p>	<p>عن سبيل الله</p>
<p>بسبب نسيانهم اليوم الذى يحاسبون فيه ، وهو يوم القيامة .</p>	<p>بما نسوا يوم الحساب</p>

## قصة داود

سبق في مواضع مختلفة من تفسير الأجزاء السابقة ، الحديث عن داود عليه السلام ، فتناولنا فيها الموضوعات الآتية :

- ١ - تسخير الجبال وتسبيحها : سورة الأنبياء ج ١٧ ص ٣٩ ، ٤٠ .
- ٢ - ومعرفة لغة الطير وتسبيحها معه : سورة الأنبياء ج ١٧ ص ٣٩ ، ٤٠ .
- ٣ - وإلانة الحديد له : سورة سبأ ج ٢٢ ص ٥٨ .
- ٤ - وعمله الدرّوع المركبة من حلق الحديد : سورة الأنبياء ج ١٧ ص ٤٠ .  
ونكتبي هنا بالحديث عن « فتنة داود » :

يقول الأولون : إن داود عليه السلام قسم أيامه أربعة أقسام : يوماً للعبادة ، ويوماً للقضاء ، ويوماً للوعظ ، ويوماً لخاصة نفسه ، وفي اليوم الخاص بنفسه ، كان جالساً في بيته ، والناس ممنوعون من الدخول عليه ، والحراس ملازمون بابيه ، فهو مطمئن ألا يدخل عليه أحد في خلوته ، ولكن حدث أن ملائكة في صورة آدميين تسلقوا عليه سور داره ، ودخلوا عليه في خلوته ، فلما رأهم فزع منهم ، فقالوا له : لا تخف ، نحن فريقان متخاصمان ، واحتكنا إليك ، فاحكم بيننا بالحق ، ولا تكن جائراً لنصرة ظالم على مظلوم ؛ ثم أخذ المعتدى عليه يقص قصته ، قال : إن هذا - وأشار إلى زميل له - أخى في الدين والنصيحة ، يملك تسعاً وتسعين نعجة ، وأنا أملك نعجة واحدة ، فطمع في نعجتي ، وأراد أن يأخذها مني ، ويضمها إلى نعاجه ، فيكون له بذلك مائة نعجة ، ولا يكون لي أنا شيء ، ودارت بيني وبينه مناقشة في هذا الشأن فغلبنى ، ولم أستطع أن أحاجّه .

سمع داود القضية ، فأنكر على صاحب النعاج الكثيرة أن يأخذ من صاحب النعجة الواحدة نعجته ، وحكم عليه بأنه ظالم في طلبه هذا ، شأنه في ذلك شأن كثير من الأصدقاء الأقوياء ، الذين يحاولون أن يظلموا أصدقاءهم الضعفاء ، وهنا تنبه داود إلى أن هذا ابتلاء من الله ، وأنه أريد تنبيهه على شيء ، فأدرك ذلك وتنبه ، واستغفر فغفر الله له ؛ أما الشيء الذي أريد تنبيهه عليه فإن للمتقدمين فيه كلاماً كثيراً ، وغاية ما نفهم نحن من الآيات ، أنه كان يرى ما عند غيره فيستحسنه ، ويقع من نفسه موقعاً حسناً ، ويتمنى لو أنه كان صاحبه ، فنبهه الله - سبحانه وتعالى - على أن الرجل الصالح - بكه النبي - لا يجوز له بحال من الأحوال أن يمد عينيه إلى ما يملكه غيره ، سواء أكان هذا الشيء زوجة أم خطيبة أم مالا أم عيلاً ، أم أى شيء آخر .

## مجمل المعنى

١ - يأمر الله نبيه محمداً أن يصبر على ما يتقوله عليه الكافرون : إذ يرمونه بالجنون ، ويتهمونونه بأنه يريد جاهاً أو مالا ، ويصفونونه بأنه ساحر ، وينفرون منه ويكذبونه ، ويؤذونه ويبالغون في إيدائه هو ومن آمن به ؛ ويطلب الله إلى محمد أن يتذكر ما كان من شأن داود ، ويذكر قومه بما حدث لداود عندما زلّ ، فإن الله لم يُعفه لمجرد أنه نبي ، ولكنه عتب عليه ؛ وقد زل داود مع أنه قوى في دينه ، قوى في عقيدته ، قوى في دعوته ، قوى في قضائه ؛ ومع أنه قوى في كل هذا ، فإنه كثير الرجوع إلى الله طلباً لرضاه .

٢ - والله - سبحانه وتعالى - سخر لداود الجبال والطير : أما الجبال فإن قيامها شاحخة راسية على وجه الأرض ، تحفظها أن تميل أو تميد - فيه دليل على

قدرة الله وعظمته ، ودلالتها على عظمته تسبيح في كل وقت ، فالتأمل فيها يعتبر بها ، ويرجع إلى الله ، ويسبحه وينزهه ، وقد نشأ تسبيحه وتنزيهه من النظر في الجبال نظر المتأمل المعتبر ، فكأن الجبال هي التي تسبح ، لأنها هي التي بعثت على التسبيح ، وأما الطير مجتمعة فإنها هي مسبحة على اختلاف ألوانها وأنواعها : فطيرانها تسبيح ، وأصواتها تسبيح ، وإلهاماتها تسبيح ، وكل حركة وسكنة في حياتها تسبيح ، لأن فيها دلالات على قدرة الله .

٣ - وقوى الله لداود ملكه ، بما وهب له من قوة الشخصية ، والمنزلة الدينية والأدبية والاجتماعية والعلمية ، وبما أقدره الله عليه من إشاعة العدل بين قومه ، والتلطف في المعاملة ، وحسن التأني للأمر ، ومكثه من التوفيق إلى الصواب في أحكامه ؛ اجتمع هذا وغيره لداود ، فكان مهيباً في قومه ، عالي القدر ، مرموق المنزلة .

٤ - ولقد تسلق سور الغرفة على داود جماعة متخاصمون ، فلما رأهم أمامه - وما كان يظن أن أحداً يتسور عليه محرابه - داخله الخوف والفرع ، فلما رأوا منه ذلك ، قالوا له : لا تخف ، إننا نعرض عليك قضية اثنين متخاصمين ، ظلم أحدهما الآخر ، فقصدناك لتحكم بيننا حكماً عادلاً . لا حيف فيه ولا ميل ، وعليك أن ترشدنا إلى الطريق الحق ، بما تصدر من حكم عادل سليم .

٥ - بدأ أحد الخصمين يقص قصيته ، فقال : خصمي هذا يملك تسعاً وتسعين نعجة ، وأنا أملك نعجة واحدة ، أراد أن يأخذ نعجتي ويضسها إلى نعاجه ، فيكون مالكاً مائة نعجة ، ولا أملك أنا شيئاً فعارضته ، ففسا على :

وغلبني في المناقشة والمحاجة ، لأنه أقوى منى سلطاناً ، وأكثر بياناً ، وأقدر على إقامة الحجة .

٦ - سمع داود قضية المتخاصمين ، ورأى وضوحها ، فلم يلبث أن أصدر حكمه فيها ، وهو يقضى بأن صاحب النعاج التسعة والتسعين ظالم لصاحب النعجة الواحدة ، وعقّب على ذلك الحكم ، بأن أكد أن كثيراً من الشركاء والأصدقاء يبغى بعضهم على بعض ، فيأخذ القوى حق الضعيف ، ويغتصب الغنى مال الفقير ، ولا يتورع عن ذلك إلا المؤمنون الذين عمر قلوبهم بتقوى الله ، وامتلأت نفوسهم خوفاً منه ، وأقبلوا على الطيبات يعملونها تقرباً إليه ، وهؤلاء قليلون في الناس ؛ ولم يكذ داود يصدر حكمه في هذه القضية ، حتى تنبه على أن لها ملابسات عجيبة : فهؤلاء المتخاصمون وصلوا إليه بطريق غير عادي ، فتسوروا عليه محرابه على الرغم من أن جنوده وحراسه على بابه ، فلم يفتنوا لهم ، واختصموا إليه في يوم غير اليوم الذي يجلس فيه للقضاء ، لذلك أيقن أنهم إنما يعرضون به في مسألة المرأة التي تزوجها ، بعد أن خطبها على خطيبها الأول ، ولا سيما أنهم بعد أن حكم بينهم اختفوا ، فاعتبر هذا عتاباً من الله على زلة زلها ، وهفوة هفاها ، فاستغفر الله منها ، وتاب إليه ، وسجد لله سجوداً طويلاً ، ورجع إليه ، فقبل الله توبته ، وغفر له ذنبه ، وطمأنه بأن أكد له أنه قريب إليه ، مرضى عنه ، مغفور له ، ومصيره إلى الجنة .

٧ - يؤكد الله لداود أنه جعله يخلف من تقدمه من الأنبياء : كآدم ونوح وهود وصالح ، وجعله كذلك خليفة له في أرضه ، يحكم فيها بين عباده ، ويقضى بين المتخاصمين ، وأمره لذلك أن يحكم بين الناس حكماً عادلاً ، يتبع فيه أوامر الله ، ولا يجيد عن طريق الحق ، وألا يتبع ما يسوله له هواه

من أمور قد تجانب الصواب ، وأن يصون نفسه عن وسوسة الشيطان ، حتى لا يضل عن الطريق الصحيح الذي يهdy إليه الدين السليم ، والشرع القويم ؛ والله سبحانه وتعالى يؤكد أن الذين يضلون عن طريق الدين الصحيح يعذبهم الله يوم القيامة عذاباً شديداً ، لأنهم نسوا في حياتهم الدنيا أنهم سيحاسبون يوم القيامة ، ولو أنهم ذكروا ذلك في دنياهم ، لما ضلوا سواء السبيل .

( ٤ )

من الآية ٢٧ إلى الآية ٢٩ من سورة ص

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ، ذَلِكَ  
ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ! - ١ - .  
أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي  
الْأَرْضِ ، أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ؟ - ٢ - . كِتَابٌ  
أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ، وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو  
الْأَلْبَابِ - ٣ - .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
باطلاً	لعباً وعبثاً .
ذلك ظن الذين كفروا	الذين كفروا هم الذين يظنون أن الله خلق السموات والأرض وما بينهما لعباً وهواً .
فويل للذين كفروا من النار	فهلاك للذين كفروا في نار جهنم .
كالمفسدين في الأرض	كالمشركين بالله .
الفجار	الذين لا يتقون الله ولا يخشونه .
كتاب أنزلناه إليك	هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد ، وهو القرآن .

الألفاظ	شرحها
ليدبروا آياته أولو الأبواب	ليتفكروا في حججه وتعاليمه . أصحاب العقول الراجحة .

### مجمل المعنى

١ - ينهى الله سبحانه وتعالى أنه خلق السموات والأرض وما بينهما للعبث واللغو ؛ ولكنه خلقها لحكمة أرادها . وغاية قصد إليها . تلك هي عبادته وحده ، والعمل على طاعته بتنفيذ أوامره ، واجتناب نواهيه « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » ؛ والذين يظنون أن الله خلقهم لعباً وعبثاً إنما هم الكافرون ، وهؤلاء الكافرون مصيرهم إلى عذاب شديد في نار جهنم يوم القيامة .

٢ - وإن في يوم القيامة تمييزاً واضحاً بين بعض الناس وبعض ، فليسوا سواء ، لأن المؤمنين الصالحين المطيعين ليسوا كالكافرين المفسدين العاصين ؛ ولأن المتقين الذين يخافون الله ويخشونه ، ليسوا كالفجار الذين لا يخافون الله ولا يخشونه ، فإن هؤلاء في الجنة يتمتعون بنعيمها ، وأولئك في النار يتقبلون في جحيمها .

٣ - يخبر الله نبيه محمداً أنه أنزل عليه قرآناً ، هو مصدر نور وهداية ، ومنبع بركة وإرشاد ، أريد به أن يفكر الناس فيما أتى به من حجج وبراهين ، وما تضمن من دعوة إلى الدين الصحيح ، وما حوى من مسائل التقين والتشريع ، وما اشتمل عليه من الحكم والسير ، ولا يستفيد من هذا كله إلا من رزقه الله عقلاً راجحاً ، يتقبل المسائل على وجهها الصحيح ، فيتعظ ويعتبر .



( ٥ )

من الآية ٣٠ إلى الآية ٤٠ من سورة ص

وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ ، نِعَمَ الْعَبْدِ ! إِنَّهُ أَوَّابٌ -١- .  
إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ، فَقَالَ : إِنِّي  
أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ، حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ،  
رُدُّوهَا عَلَيَّ ، فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ -٣- . وَلَقَدْ  
فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ، وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ، ثُمَّ أَنَابَ :  
قَالَ : رَبِّ . اغْفِرْ لِي ، وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ  
مِنْ بَعْدِي ، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ -٣- . فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ  
تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ، وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ  
وَعُودَّاصٍ ، وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ؛ هَذَا عَطَاؤُنَا ،  
فَأْمُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ؛ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ  
مَآبٍ -٤- .

## شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وهبنا لداود سليمان	ورزق الله داود سليمان .
نعم العبد	نعم ما وهب الله لداود ، وهو سليمان .
إنه أواب	إنه كثير الرجوع إلى الخير .
بالعشي	في وقت المساء .
الصفات	{ الخيول القائمة على ثلاث قوائم ترفعها بحيث لا يمس الأرض إلا طرف حافرها ، وهذه الوقفة من علامات الأصالة في الخيل .
الحياد	الأصيلة الجيدة ، التي تسرع في الجرى .
{ أحبيت حب الخير عن ذكر ربي	{ آثرت حب الخيل على أداء الصلاة لربي ، والخيل خير ، لتعلق كثير من الخير بها .
حتى توارت بالحجاب	{ حتى انتهى مرور الخيل جميعها ، وحجبها الظلام عن عيني .
ردوها علي	ردوا علي الخيل .
{ فطفق مسحاً بالسوق والأعناق	فجعل يمسح سوقها وأعناقها ، حباً لها ، وبراً بها .
فتناً سليمان	اختبرنا سليمان .
على كرسیه	على عرشه الذي اعتاد أن يجلس عليه .
جسداً	جثة ميتة .
ثم أناب	ثم رجع إلى الله .

الألفاظ	شرحها
لا ينبغي لأحد من بعدى فسخرنا له الريح رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص	لا يتيسر ولا يتهيأ لأحد غيرى . فدللنا له الريح ، وطوعناها له . لينة هادئة سهلة إلى أى جهة يريد . { سخرنا له من الشياطين كل ماهر فى البناء ، وكل ماهر فى الغوص .
وآخرين مقرنين فى الأصفاذ	{ وسخرنا له من الشياطين نوعاً ثالثاً ، هو مردة مقرون بعضهم إلى بعض فى سلاسل من الحديد ، وكان يقيد فى سلاسل الحديد الكفار منهم .
هذا عطاؤنا	{ هذا الملك الذى ملكناه إياك هو عطاؤنا إياك ، تتصرف فيه ، فتعطى وتحرم ، وتمنع وتمنع .
فامن أو أمسك	{ فتمنح بما تشاء على من تشاء منهم ، أو احرم من تشاء ، فلك مطلق التصرف .
وإن له عندنا لزلنى	{ وإن لسليمان عند الله قربى ومنزلة عظيمة ، بدليل ما منحه من سلطان فى الدنيا ، وما يكون عليه فى الآخرة .
وحسن مآب	ومرجعاً حسناً طيباً يوم القيامة .

## سليمان

سبق الحديث عن سليمان بالنسبة للمسائل الآتية فى الأجزاء السابقة :

١ - سليمان والهدهد وملكة سبأ : سورة النمل ، ج ١٩ ص ١١٥ .

٢ - وتسخير الجن : سورة النمل ، ج ١٩ ص ١١١ .

- ٣ - وإسالة عين القطر : سورة سبأ ، ج ٢٢ ص ٦١ .
  - ٤ - ومنطق الطير : سورة النمل ، ج ١٩ ص ١١١ .
  - ٥ - وتسخير الرياح : سورة الأنبياء ، ج ١٧ ص ٤٠ .
  - ٦ - ودابة الأرض : سورة سبأ ، ج ٢٢ ص ٦١ .
- ونكتفي هنا بالحديث عن : الصافنات الجياد ، والفتنة .

### الصافنات الجياد

كان سليمان عليه السلام معنيًا بتربية الخيل ، لحاجته إليها في الحرب التي كان يحاربها ، لا لدنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، وإنما كان يحارب من أجل الدين ؛ وكان يستعرض خيله بين حين وحين ، ليقف على حالها ، وليأمر بتدبير شأنها ، والعناية بها ، إذا كانت في حاجة إلى مزيد من العناية والتدبير ؛ أمر سليمان بإحضار الخيل من إصطبلاتها ، وأخذ يستعرضها ، والخيالون يمرون بها أمامه ، حتى انتهى الاستعراض ، ودخلت الإصطبلات وتوارت بالحجاب ، وغابت عن عين سليمان ، ولأمر من الأمور أمر سليمان الخياليين أن يعيدوا إخراج الخيل ، وإحضارها أمامه ، فلما جرىء بها أخذ يلاطفها بالمسح بيديه على سيقانها وأعناقها ؛ وعمله هذا يدل على مبلغ عنايته بالخيل ، وفيه إغراء لرجالها أن يُعنوا بالخيل عنايته بها ، ولعله كان يعرف أحوال الخيل وأمراضها وعيوبها ، فأراد بذلك المسح على سوقها وأعناقها أن يتعرف حالها من هذه النواحي .

### الفتنة

طال اشتغال سليمان برياضة الخيل ، وأنفق فيها وقتاً طويلاً ، كاد يفوت عليه عبادته ، ويصرفه عما يجب عليه نحو ربه ؛ فابتلاه الله ، وأصابه مرض

أهزله ، وحال بينه وبين تصريف ملكه ، وقد بلغ به الضعف والهزال حدًّا جعله إذا جلس على كرسیه كان جسداً كأنه لآحیة فیہ ، وبعد أن مر علیه بعض الوقت ، وهو مریض ، رضی الله عنه ، وأبرأه من مرضه ، فعادت إليه صحته ، وجلس على كرسیه سلیماً معافاً ، یصرف ملكه الذى ازداد اتساعاً وعمراً .

## مجمل المعنى

١ - وهب الله لداود سليمان ، وسليمانُ : عبد الله التقي المستحق ثناء الله عليه ، لأنه كان صالحاً ، كثير الرجوع إلى الله في كل أوقاته .

٢ - وكان سليمان يوماً يتعبد ، وحيء له بخيل لتعرض عليه ، وكانت خيلاً كريمة أصيلة يعدها للحرب ، فكادت تشغله رؤيتها واستعراضها عن صلاته ، ولكنه لم يلبث أن تنبه إلى أن صلاته وتعبده أولى من اشتغاله بخيله ، فأشار إلى من جاءوا بالخيل أن يُنحوها عنه ، حتى يفرغ للعبادة ؛ فساقوها إلى إصطبلاتها ، وستروها فيها ؛ فلما انتهى من عبادته أمرهم أن يردوا عليه الخيل ، فردوها عليه ، وقام إليها يمسحُ سوقها وأعناقها بيديه ، إكراماً لها ، وتلطفاً بها ، ويمتتع نظره بجمال خيله .

٣ - اختبر الله سليمان بنوع من الاختبار ، فلقد كادت الخيل الكريمة تشغله عن الاستمرار في التعبد ، فابتلاه الله بمرض أصابه ، وألح عليه المرض حتى صار هيكلًا جسداً ، كأنه لا روح فيه ، ففطن سليمان لما أراد الله به ، ولما أراد له ؛ فتنبه لما حدث منه ، فرجع إلى ربه تائباً ، وسأله أن يغفر له ما فرط منه ، ودعاه أن يقدره على أداء حقه عليه في هذه الدنيا . بأن يحسن سياسة ملكه ، وتدابير شأنه ، ويواظب على العبادة ؛ ويشيع العدل بين من يتولى عليهم ، ويجتهد في دعوتهم إلى خيري الدنيا والآخرة ،

ويرعى شؤونهم رعاية طيبة، ويقوم على جميع ما يتحقق به نفعهم مادياً وروحياً ، فيستقيم ملكه استقامة لا تهبأ لأحد غيره ، وأكد في دعائه أن الله وحده هو الذى يملك الإعطاء والحرمان ، والمنح والمنع ، وأنه كثير الإعطاء .

٤ - استجاب الله لسليمان دعائه ، ومكن له فى الأرض تمكيناً لم يهبأ لأحد ، فسخر له :

(أ) الريح : فكان يتحكم فيها ، ويجريها هينة لينة سهلة إلى الجهة التى يريدتها .

(ب) والشياطين : فكان يستخدمها فى بناء ما يشاء من الأبنية على الوضع الذى يريده ، ويستخدمها كذلك فى الغوص فى البحار لاستجلاب ما يشاء .

(ج) والتسلط على مردة الشياطين الذين خرجوا عليه ، ولم يؤمنوا به : فقد أقدره الله عليهم ، وقيدهم فى سلاسل من الحديد . إذلالاً لهم ، ومبالغة فى السيطرة عليهم ، والاستمكان منهم .

وهذه الأمور الثلاثة التى يسرها الله لسليمان ، لم تيسر لأحد من عباد الله قبل سليمان ولا بعد سليمان ؛ وهذا الملك العريض ، والسلطان الواسع المبسوط على الإنس والجن والطيور والرياح ، هبأه الله لسليمان ، وأباح له أن يتصرف فيه على الوجه الذى يريده من غير حسيب ولا رقيب ، ثم أكد الله لسليمان أن له عنده منزلة عظيمة فى الدنيا ، وحسن مرجع فى الآخرة .

( ٦ )

من الآية ٤١ إلى الآية ٤٤ من سورة ص

وَإِذْ كُرِّعْنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ : أُنِّي مَسَّنِيَ  
الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ -١- . أُرْكُضْ بِرِجْلِكَ ، هَذَا  
مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ -٢- . وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ  
مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا ، وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ -٣- . وَخُذْ  
بِيَدِكَ ضِغْتًا ، فَاصْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ ، إِنَّا وَجَدْنَاهُ  
صَابِرًا ، نِعْمَ الْعَبْدُ ! إِنَّهُ أَوَّابٌ -٤- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
واذكر عبدنا أيوب	واذكر يا محمد ما جرى لأيوب عبدنا ونبينا .
أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب	أنى أصابنى الشيطان بتعب شديد ، ومشقة كبيرة ، يريد بذلك محاولة إغوائه ، وزعزعة عقيدته بمختلف الوسائل ، وبما أصابه من المرض الشديد الموجع ، وما نكب به من فقدان المال والأهل والولد .
اركض برجلك	اضرب برجلك الأرض .

الألفاظ	شرحها
هذا مغتسل بارد وشراب	هذا ماء تغتسل به فيبراً ظاهره ، وتشرب منه فيبراً باطنك .
وهبنا له أهله ومثلهم معهم	ورد الله عليه من تركه من أهله ، ومعهم مثلهم .
وذكرى لأولى الألباب	وتذكيراً لأصحاب العقول الرشيدة .
ضغثاً	حزمة صغيرة من حشيش أو ريحان .
ولا تحث	ولا تقع في يمينك .
إنا وجدناه صابراً	إنا علمناه صابراً على ما يصيبه ، مهما بلغ من شدته .
إنه أواب	إنه كثير الرجوع إلى الله ، واللجوء إليه .

## قصة أيوب عليه السلام

- ذكرنا قصة أيوب مجملة في الصفحة ٤٣ من تفسير الجزء السابع عشر ،  
 وها نحن أولاء نذكرها هنا مفصلة :
- ( أ ) أيوب رجل غني مؤمن ، محسن صبور ، من ذرية عيصو بن إسحاق بن إبراهيم ،  
 وكان يملك البثنية من أعمال دمشق . وهي قرية تقع بين دمشق وأذرعات .
- ( ب ) وكانت رحمة زوجة أيوب من ذرية يوسف بن يعقوب : ( إسرائيل )  
 ابن إسحاق ، وكانت مثل زوجها إيماناً وصلاحاً وتقوى .
- ( جـ ) ووسع الله لأيوب في الرزق ، ومد له في الجاه ، ورزقه الكثير من البنين  
 والبنات ، فكملت له زينة الحياة .



( د ) ولكن أيوب ما كان له من زينة الحياة إلا ما يمسك رمقه ، ويكسو عريه ؛  
فما كان يأكل لقمة وهو يعرف أن وراءه جائعاً ، وما كان يكتسى ثوباً  
وهو يعلم أن بجانبه عارياً .

( هـ ) وكان أيوب لا يكف لسانه عن شكر الله ، ولا يسكت عن ذكره ،  
والتسبيح باسمه ؛ وكان يصل أقاربه وجيرانه ، ويرعى غلمانه وأعوانه  
الذين يرعون له مزارعه الواسعة ، ومواشيه الكثيرة ، ويعاونونه في مهامه  
إن كثرت أو قلت .

( و ) أما قوم أيوب فكانوا قوماً غارقين في ظلمات الضلال ، لا يعبدون ربهم ،  
ولا يسجدون له ، إلا أنهم كانوا جميعاً يتفانون في حب أيوب ، لما كان  
يغمرهم به من عطف ، ويأسرهم به من معروف وإخلاص .

( ز ) ولم يكن يتبع أيوب في إيمانه بالله ، وعبادته له ، إلا ثلاثة رجال أصدقاء  
لأيوب ، وكان أيوب يميل إلى مجلسهم الذي يجلسونه ، يذكرون فيه الله ،  
ويفكرون في أمر قومهم ، ويتدبرون في أنجع السبل التي يتخذونها لهدايتهم ،  
والخروج بهم من الظلمات إلى النور .

( ح ) ورأى إبليس ما يتمتع به أيوب من احترام الناس له في الأرض ، وإبليس  
هو عدو الإنسان منذ خلق الله آدم . فنقم من أيوب ما هو فيه من منزلة  
طيبة عند الله ، وآلى على نفسه أن يغويه ، وأن يقف في طريقه بالمرصاد .

( ط ) ولكن أيوب كان بإيمانه وتقواه في مناعة شديدة ضد غواية إبليس ووسوسة  
الشیطان ، فما استطاع إبليس أن يوسوس في صدره بما يصرفه عن الله ،  
ولا أن ينفذ إلى عقله وقلبه .

( ي ) وحدث ذات يوم ما جعل مكانة أيوب تتزعزع في نفوس بعض قومه ،  
فأتيحت الفرصة الطيبة لإبليس ، ليوسوس لهم في صدورهم بما يحقره  
لديهم ، ويضعف من منزلته عندهم .

( ك ) وذلك أنه كان لنفر من قومه حاجة لدى حاكم المدينة ، فصحبوا أيوب معهم ، ليكون عوناً لهم ، وناصرأ لدى الحاكم ، ولكن أيوب ظل ساكناً ساكناً لا يبدي رأياً ، ورفض الحاكم ملتمسهم ، ولم يسمع لظلامتهم ، برغم عدالة مطلبهم ، فخرجوا من لدنه وقد نعموا من أيوب سكوته ، واتهموه بمعاملة الحاكم .

( ل ) ووسوس الشيطان لهم أن أيوب مرء متكلف يظهر غير ما يبطن ، ويعمل لمصلحته قبل أن يعمل لمصلحة غيره ، يصانع الحاكم في أمور غيره ، حتى يكون متساهلاً في أمره !

( م ) ونجح الشيطان في الوسوسة في صدور الناس ضد أيوب ، ولكنه لم ينجح في أن يخرج بأيوب عن إيمانه وتقواه ، أو أن يحيد به عن الصراط المستقيم .

( ن ) وربض إبليس لأيوب متحيناً الفرص التي يستطيع أن ينفذ منها إليه .

( س ) وجاءت المصائب تترى إلى أيوب : فضاع ماله ، بأن جفت مزارعه ، ونفقت مواشيه ، ومات أولاده ، بأن انقضت جدران داره عليهم فأهلكهم ، وأصيب جسده بمرض طال أمده .

( ع ) وصبر أيوب على ضياع ماله فلم يتأفف ، ولم ينته عن شكر الله ، وصبر على هلاك أولاده فلم يجزع ، ولم يكف لسانه عن ذكر ربه ، وصبر على ابتلاء جسده : فلم يشك ، ولم يتألم ، ولم يتوان لحظة عن تسبيحه ، وزاد المرض بأيوب ولم يفد معه علاج ولا دواء .

( ف ) واستمر أيوب ، السنين ، لا يسمع منه إلا تسبيحه وشكره لله ، وظلت زوجته تجاهد وتكافح من أجله ، بعد أن نسيهما الأصدقاء والأهل والناس ، وضاعت بزوجة أيوب السبل ، وسدت في وجهها منافذ الرزق ، ولم تجد من يقبل خدمتها ، ولم يبق لديها ماتبيعه لتأخذ من ثمنه ما يقوم بأودها وأود زوجها ، فجزت شعرها الجميل وباعته لطالبات الجمال ، وحفظت بذلك ماء وجهها عن ذل السؤال .

(ص) وحانت الفرصة التي يتحينها إبليس ، لينفذ منها إلى صدور أعدائه ، فوسوس في صدور من اعترض طريق الزوجة ليقول لها : إن ما بزوجك ليس من فعل الله ، فما يفعل الله مع المؤمنين المتقين ذلك ، إن ما به ليس إلا مساً من الشيطان ، فدعيه يترضاه بكلمة ، أو يقدم له قرباناً لعله يُشفى ، ويذهب ما به من علة . فذهبت الزوجة إلى زوجها المبتلى تدعوه لذلك ، وغضب أيوب المؤمن التي الصبور من دعوة زوجته له إلى التماس رضا إبليس ، والتقرب من الشيطان ، وقال لها بصوته الواهن الضعيف : قسماً بالله ، لئن شفاني الله يوماً لأضربنك مائة ضربة ، جزاء حقاً لما تفوهت به .

(ق) وانصرفت عنه المرأة ، ليأتى إليه الثلاثة الذين كانوا يوماً له أصدقاء أوفياء ، جاءوا ليُسمعوه ما سمعه كثيراً من غيرهم ، ويقولون له : ما كانت عاقبة أمثالك مثل عاقبتك هذه ! ماذا فعلت يا أيوب حتى انتهيت إلى هذه النهاية ، وصرت إلى ذلك المصير؟ !

(ر) وانصرف الصحاب وتركوا أيوب ، وقد حز في نفسه ما سمع منهم ، وما جاءته به امرأته من قبلهم ، فابتهل إلى الله قائلاً : رب ، إني مسني الشيطان بنصب وعذاب ؛ رب ، إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ، أبعد بقدرتك التي وسعت كل شيء الداء عن لساني حتى أستطيع ذكرك ، وأقدر على التسبيح باسمك .

(ش) ونزل وحى الله على أيوب أن : اضرب برجلك الأرض ينبع منها ماء ، تغتسل به فيبراً ظاهرك ، وتشرب منه فيبراً باطنك . فضرب أيوب الأرض برجله كما أمره الله ، فانفجرت عيون من ماء عذب صاف ، واغتسل أيوب ، وشرب من الماء الذي فجره الله من أجله ، فإذا بجسمه وقد غدا سليماً معافى .

(ت) وأتت الزوجة تبحث عن زوجها العليل المبتلى ، فوجدت مكانه رجلاً سليماً ، فأنكرته ولم تعرفه ، فنادها فعرفته ، وعرفت أن الله الذي كادت تبيس من رحمته ، قد شمل أيوب بها ، فأقبلت على زوجها تستسمحه وتطلب منه أن يطلب لها غفران الله .

(ث) فقال لها أيوب : لقد أقسمت إن شفاني الله يوماً أن أضربك مائة ضربة ، فأوحى الله إلى أيوب أن : خذ بيدك ضعفاً ، فاضرب به ولا تحنث .

(خ) فجمع أيوب مائة عود من القش ، وضرب بها زوجته ضربة واحدة ، فتحلل من قسمه ، ورحم الله زوجة أيوب ، وغفر لها ما قدمت .

(ذ) وآتى الله أيوب ماله وأولاده جميعاً ، ومثلهم معهم ، رحمة منه ، وذكري لأولى الألباب .

## مجمل المعنى

١ - يأمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام أن يذكر ما حدث لعبد الله ونبيه أيوب ، فقد أصابه ما أصابه من مرض شديد مروع ، طال أمده ، وجعل الشيطان يوسوس لزوجته أن تنفر منه ، وتصيق به ؛ ومن ذهاب للأهل والولد ، ومن إفناء للمال ، وحاول الشيطان أن يفتنه عن الله ، ويجعله يجزع لهول ما أصابه في جسمه وماله وولده ، ولكنه لم يفتن ولم يجزع ؛ وكل ما كان منه أنه لجأ إلى ربه ، يدعوه أن يكشف عنه ما به من ضرر وبلاء .

٢ - حينما أراد الله له الشفاء ، أمره أن يضرب الأرض برجله ، فضربها ، فنبع منها ماء ، فأمره الله كذلك أن يغتسل بالماء ، فاغتسل ، فبرئ من علته الظاهرة ؛ وأمره أن يشرب من الماء ، فشرب فبرئ من علته الباطنة .

٣ - وأراد الله أن يتم على أيوب نعمته ، فرد عليه أهله الذين ذهبوا عنه ، ورد معهم من يساويهم عدداً وقوة وجاهاً ؛ وكان ذلك من رحمة الله به ، وفضله عليه ، وجعله الله عبرة وذكرى للعقلاء من الناس ، الذين ينظرون ويتدبرون ويتعظون .

٤ - كان أيوب قد غضب على زوجته غضبة ، فحلف ليضربها مائة ضربة ، إذا برئ من علته ، على نحو ما قدمنا - فأمره الله أن يأخذ حزمة من حشيش أو ريحان ، أو غيرهما ، بحيث تكون أعوادها مائة ، ثم يضربها بهذه المائة ضربة ، حتى لا يحنث في يمينه ، وحتى لا يقسو على امرأة خدمته في مرضه ، وأخلصت له ، ولا سيما أنه هو لا ينكر معروفها عليه ؛ وقد علم الله صبر أيوب ، ومدحَه ، وأثنى عليه ، لأنه كثير الرجوع إلى الله عند ما ينوبه مكروه .

( ٧ )

من الآية ٥ ، إلى الآية ٦٤ من سورة ص

وَأَذْكُرُ عِبَادَنَا : إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ، أُولَى  
الْأَيْدَى وَالْأَبْصَارِ ؛ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ : ذِكْرَى  
الدَّارِ ، وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ - ١ - .  
وَأَذْكُرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ ، وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ  
- ٢ - . هَذَا ذِكْرٌ ، وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَآبٍ : جَنَّاتٍ  
عَدْنٍ مُمْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ، مُتَّكِنِينَ فِيهَا . يَدْعُونَ فِيهَا  
بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ - ٣ - ، وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ  
أَثْرَابٌ ، هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ - ٤ - . إِنَّ هَذَا  
لَرِزْقُنَا ، مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ - ٥ - . هَذَا ، وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ  
مَآبٍ : جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ، فَبِئْسَ الْمِهَادُ ! - ٦ - . هَذَا  
فَلْيَذُوقُوهُ ، حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ، وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ - ٧ - .  
هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ ؛ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ، إِنَّهُمْ صَالُوا  
النَّارِ ، قَالُوا : بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ، أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ  
لَنَا ، فَبِئْسَ الْقَرَارُ ! - ٨ - . قَالُوا : رَبَّنَا ، مَنْ قَدَّمَ لَنَا  
هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ - ٩ - . وَقَالُوا : مَا لَنَا

لَأَنْتَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ؟ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا؟  
 أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ؟ - ١٠ - إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ  
 أَهْلِ النَّارِ - ١١ - .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أولى الأيدي والأبصار	أصحاب الأعمال الطيبة : الظاهرة والباطنة ، الحسية والمعنوية .
إنا أخلصناهم بخالصة	إنا استخلصناهم واصطفيناهم بصفة طيبة لا عيب فيها .
ذكرى الدار	بأنهم يذكرون الدار الآخرة دائماً ، ويعملون لها ، ويدعون الناس إليها ، فتطيب ذكراهم في الدنيا ، ويزيد ثوابهم في الآخرة .
لمن المصطفين الأخيار	لمن المختارين الطيبين من بين الناس جميعاً .
هذا ذكر	هذا شرف عظيم ، وذكر حسن جاء به القرآن .
لحسن مآب	لحسن مرجع .
جنات عدن	جنات إقامة دائمة .
متكئين فيها	جالسين فيها جلسة المترفين المنعمين .
قاصرات الطرف	نساء عيونهن مقصورة على أزواجهن لا تتعداهن .
أتراب	هن وأمثالهن من سن واحدة .
ليوم الحساب	ليوم المحاسبة والحجازة .
ما له من نفاذ	لا ينقطع ولا يزول ، وإنما هو دائم خالد .

شرحها	الألفاظ
<p>وإن للذين يتجاوزون حدهم ، ولا يطيعون أنبياءهم ، ولا يوحدون ربهم - مرجعاً هو شر مرجع ، ومصيراً هو أسوأ مصير .</p>	<p>وإن للطاغين لشر مآب</p>
<p>يدخلونها ، ويقاسون عذابها . فبئس ما يفترشونه من النار .</p>	<p>يصلونها فبئس المهاد</p>
<p>الحميم : الحار جداً ، والغساق : قبيح وصديد يسيل من أهل جهنم .</p>	<p>حميم وغساق</p>
<p>وعذاب آخر من نوع هذا العذاب شدة وفضاعة ، وهو أنواع وأشكال .</p>	<p>وآخر من شكله أزواج</p>
<p>هذا جمع كبير كثيف ، والمراد : الذين اتبعوهم في الكفر والضلال .</p>	<p>هذا فوج</p>
<p>داخل معكم النار ، أو مسوق إليها مثلكم . يدعون على أتباعهم الذين ضلوا بضلالهم . إنهم داخلو النار ، مقحمون فيها .</p>	<p>مقحم معكم لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار</p>
<p>أنتم قدمتم لنا العذاب ، بما دعوتونا إليه من الكفر والضلال .</p>	<p>أنتم قدمتموه لنا</p>
<p>فبئس المصير الذي صرنا إليه ، واستقرنا فيه ، وهو جهنم .</p>	<p>فبئس التمرار</p>
<p>فعذبهم عذاباً مضاعفاً بسبب إضلالهم إيانا . يقصدون الذين آمنوا بأنبيائهم ، فكان طريقهم إلى الجنة .</p>	<p>فآتهم عذاباً ضعفاً لا نرى رجالا</p>



الألفاظ	شرحها
كنا نعدهم من الأشرار	كنا نحترقهم في الدنيا ، ونرميهم بالضعف وسوء التفكير ، والسخف .
أخذناهم سخريةً ؟	أكنا نسخر منهم في الدنيا ، وكانوا على حق ، وكنا على ضلال ؟
أم زاغت عنهم الأبصار لحق	أم هم معنا ، ولكن أبصارنا زائغة لا تراهم . لواقع يوم القيامة .
تخاصم أهل النار	تجادل أهل النار ، والتلاحى الواقع بين الأشراف والسوقة ، يقول الأولون : لا مرحباً بكم ، ويقول الآخرون : بل أنتم لا مرحباً بكم .

### قصص إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب

سبق الحديث عن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ، في غير موضع من تفسير الأجزاء السابقة .

### قصتنا اليسع وذى الكفل

اليسع بن أخطوب ، هو نبيّ عاصر إلياس ، كان اليسع مريضاً حين أوت أمه إلياس في منزلها ، وأخفته فيه ، بعد أن دعا الله أن يجبس عن قومه المطر لإصرارهم على عبادة معبودهم « بعل » ، فدعا إلياس ربه فبرئ اليسع من مرضه ، وآمن بإلياس وصدقه ، ولزمه أينما ذهب ، وكان إلياس قد أسن وكبر ، واليسع ما زال غلاماً شاباً ، وبعد موت إلياس ، اختار الله اليسع نبياً .

ولما كبر اليسع ، وعجز عن قيام الليل وصيام النهار ، قال : من يتكفل لي بثلاث : قيام الليل ، وصيام النهار ، والقضاء بين الناس ، من غير أن يغضب؟ فجاءه رجل ، وقال له : أنا ، فاستخلفه اليسع ، فوفى بما تعهد به ، فسمى ذا الكفل ، لأنه تكفل بأداء ما وعده به ، والأكثر من على أنه كان نبياً ، لاقتران اسمه بأسماء الأنبياء ، ويقول الفخر الرازي : إن الله سباه ذا الكفل على سبيل التعظيم ، لأن عمله كان ضعف عمل غيره ، وثوابه كان ضعف ثواب غيره ، والكفل : النصيب ، فهياه الله لأن يكون ذا نصيب وافر من الأجر والثواب .

### مجمل المعنى

١ - يأمر الله - سبحانه وتعالى - نبيه محمداً أن يذكر من سبق من أنبياء الله ، وما كان يجري عليهم مع قومهم ، وما كانوا عليه من القوة في الدعوة إلى الله ، والإيمان به ، والخص على عبادته ، والعمل على طاعته ، وما كانوا عليه من قوة العقل والرأى ، وحسن التأني للأمور ، وجميل التدبير ، ونقاء السريرة ، وتوخي الحق والعدل والصواب في كل ما يتصرفون فيه ، وعبر عن القوة بالأيدي ، لأن كل الأعمال المحسوسة التي يحتاج أداؤها إلى قوة ، يكون أداؤها باليد ؛ وعبر عن التعقل والتدبير بالأبصار ، لأن المعرفة تنال ببصر القلب ، وقالوا : العالم بالشيء بصير به ، وأكد الله لنبيه أن هؤلاء الأنبياء استخلصهم الله واصطفاهم ، ومنحهم صفات طيبة لا عيب فيها ، ولم يكن لهم شغل يشغلهم إلا ذكر الآخرة دائماً ، ويجعلونها نصب أعينهم ، فهم يعملون لها ، ويدعون إليها ، فخصهم الله بخير ما فيها ، ويؤكد الله أنهم عنده من عباده المختارين الطيبين ، الذين خصهم برسالته .

٢ - ويأمر الله - سبحانه وتعالى- نبيه محمداً أيضاً أن يذكر فيمن يذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل، وأن يذكر ما أبلوا في طاعة الله ، وما لاقوا من معانديهم ، وأن يكون له في ذلك عزاء وتسلية ، وهؤلاء وغيرهم من الأنبياء من عباد الله الطيبين ، الذين لهم عند الله منزلة خاصة في الدنيا والآخرة .

٣ - هذا القرآن الذى أنزلناه عليك - يا محمد - لتبلغه قومك ، وتبشرهم وتنذرهم بما جاء فيه ، إنما هو ذكر لك ولمن أرسلت إليهم ، تتلونه ، وتتدبرونه ، وتتعضون بما جاء فيه ، ويؤكد الله أن الذين يخافونه ، لهم في الآخرة منزلة كريمة ، وخلود في النعيم ، ومصير طيب ، وهذا المرجع الطيب الذى قدره الله لهؤلاء يكون فى حدائق ذات بهجة ، يقيمون فيها إقامة دائمة وهذه الحدائق أبوابها مفتحة لهم ، فلا يعالجون فتحها ، ولا يلقون فى ذلك عناء ؛ وهم يقيمون فى تلك الحدائق والبساتين على سرر وثيرة ، يجلسون جلسة المتكئ ، لأن الاتكاء دليل الأمن والراحة والاطمئنان ، وإذا أرادوا فاكهة من فواكهها الكثيرة الصنوف والأنواع ، أو أرادوا شرباً من أشربتها الكثيرة أيضاً ، دعوا ما أرادوا ، وطلبوه باللسان أو بالإشارة ، فلا يلبثون أن يجابوا إلى ما يطلبون ، فياً كلون ما شاءوا أن يأكلوا ، ويشربون ما شاءوا أن يشربوا .

٤ - ولا يقتصر نعمهم على الفاكهة والشراب ، بل عندهم نساء عفيفات ، أطرافهن لا تتعدى النظر إلى أزواجهن ، وعيونهن لا تمتد إلى غير من أحله الله لهن ؛ وهؤلاء النساء فى سن واحدة ، كل منهن ترب للأخريات ، صديقة لهن ، فلا تباغض ولا تحاسد ولا تباعد ، ولا تقاطع ولا تدابر ولا تعادى ، وإنما هو التحاب والتآخى ، والتآلف والتواد ؛ وهذه الأشياء كلها هى التى وعد الله بها المؤمنين يوم القيامة .

٥ - هذا الذى أعطاه الله عباده المتقين من : الفاكهة والشراب وقاصرات الطرف ، هياهم فى الجنة تهيئة دائمة ، لا نقص فيها ، ولا نفاد لها .

٦ - وهذا الذى ذكره الله من قبل ، هو ما أعدده للمتقين ، أما الكافرون الذين لم يسمعوا لأنبيائه ، ولم يطيعوهم ، وأصروا على إشراكهم بالله ، فإن لهم شر مصير ، وأوخم عاقبة ، وذلك بدخولهم جهنم يوم القيامة ، وخلودهم فيها ، يقرشون نارها ، ويتقلبون فى جحيمها ، ونارها أسوأ فراش ، وجحيمها أشد جحيم .

٧ - هذا الذى يذوقونه - حميم أغلى - حتى وصل إلى أعلى درجة حرارة يمكن تصورها ، وقيح وصديد يسيل من أجسام المعذنين فى جهنم ؛ وكلاهما يؤذى أشد الإيذاء ، ويؤلم أوجع الإيلام ، وهم ذائقوهذا وذلك ، وليت أمرهم فى التعذيب ينتهى عند هذا ، بل إنهم يذوقون صنوفاً أخرى من العذاب ، تشبه هذين الصنفين ، ومن واديهما ، نعوذ بالله من ذلك .

٨ - يقال لرعوس الكفر وهم مسوقون إلى جهنم : هؤلاء جماعة كثيرة مسوفة معكم إلى جهنم ، تعذب فيها مثل تعذيبكم ، لأنهم انقادوا لكم فى الدنيا فضلوا كما ضللتكم ، وأصروا على الكفر لإصراركم ، فيرد هؤلاء الزعماء داعين عليهم ، متبرمين بهم : لا مرحباً بهم ، إنهم مثلنا فى العذاب ، يذوقونه كما ندوقه ، ويقلبون فى نار جهنم كما نتقلب ؛ فيقول الأتباع : بل أنتم لا مرحباً بكم ، وكانوا لا يستطيعون أن يردوا عليهم فى الدنيا ، لمكانهم من الرياسة والسلطان ، فلما تساوا فى نار جهنم ، لم يجدوا تحرجاً فى الرد عليهم ، واتهامهم بأنهم هم الذين أضلوهم وأغووهم ، فكأنهم بسبب ذلك الإضلال والإغواء قدموهم لجهنم حطباً ، وهى أشنع مكان يصير إليه الإنسان .

٩- ثم يستمر هؤلاء الأتباع في كلامهم ، ويقولون داعين الله أن يزيد أولئك الرؤساء تعذيباً ، ويضعف لهم ما هم فيه ، لأنهم هم الذين أضلّوهم في الدنيا ، ودعوهم إلى الكفر ، فلم يملكوا إلا أن يستجيبوا لما كان لهم عليهم من سلطان مبسوط ، ولكن هذا لا يعفيهم هم أيضاً من العذاب ، لأنهم كان عليهم ألا يطيعوا، مهما عرضتهم الطاعة للعنت والإرهاق .

١٠- ويقول الرؤساء والمتبوعون : عجباً ! ! كان معنا في الدنيا ناس كنا نعتبرهم من شر الناس ، ومع ذلك لانراهم معنا في هذه النار التي نعذب فيها ؛ وقيل : إن الذين يقولون هذا هم رؤوس الكفر من قريش : أبو جهل والوليد بن المغيرة ، وغيرهما ممن أصرّ على الكفر من زعماء قريش ؛ ويعنون بالرجال الذين كانوا يعدونهم من الأشرار : صُهيياً وبلاّلا وعماراً وخبّاباً وسلمان ، هؤلاء الذين عذبوا في الله ، وحاول الكفار أن يفتنّوهم عن دينهم ، فلم يسمعوا لهم ، وتحملوا أذاهم ، وصبروا على تعذيبهم ، والاستهزاء بهم ، والإمعان في تحقيرهم ، فإذا كان يومُ القيامة كان نصيبهم الجنة ، ولما لم يجدهم الكافرون معهم في النار ، سألوهم عنهم : لم لا يرونهم ؟ ! هل اتخذناهم سخرية في الدنيا فأخطأنا ، فهم من أجل ذلك ليسوا معنا في النار ؟ أم هم معنا ، ولكن أبصارنا زائغة مائلة ، لهول ما نحن فيه فلا نميزهم ؟ ! !

١١- يؤكّد الله - جل شأنه - أن هذا الذي ذكره في الآيات السابقة عن الملاحظة التي تكون بين بعض الكافرين وبعض ، والمشادة التي تقع بين الرؤساء والمرعوسين ، والتخاصم ودعاء بعضهم على بعض ، حق واقع حتماً ، لا شك فيه .

( ٨ )

من الآية ٦٥ من سورة ص ، إلى آخر السورة

قُلْ : إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ، وَمَا مِنِّ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ،  
رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ -١- .  
قُلْ : هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ -٢- مَا كَانَ لِي  
مِنَ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ، إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا  
أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ -٣- إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ : إِنِّي  
خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي  
فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ -٤- . فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ،  
إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ -٥- . قَالَ :  
يَا إِبْلِيسُ ، مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي ؟  
أَسْتَكْبَرْتَ ؟ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ؟ -٦- . قَالَ : أَنَا  
خَيْرٌ مِنْهُ ، خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ ، وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ -٧- .  
قَالَ : فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ، وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ  
يَوْمِ الدِّينِ -٨- . قَالَ : رَبِّ ، فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ  
-٩- . قَالَ : فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ  
الْمَعْلُومِ -١٠- . قَالَ : فَبِعِزَّتِكَ ، لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ،  
إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ -١١- . قَالَ : فَالْحَقُّ .

وَالْحَقُّ أَقُولُ : لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ  
 أَجْمَعِينَ -١٢- . قُلْ : مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ، وَمَا  
 أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ - ١٣ - . إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ،  
 وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ -١٤-

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
قل	قل يا محمد لمشركي مكة .
إنما أنا منذر	{ ما أنا إلا منذر لكم بما سيؤول إليه أمركم يوم القيامة ، إن أصررتم على كفركم .
وما من إله إلا الله	{ وما أنا إلا مبلغكم أنه لا دين إلا دين التوحيد ، الذي يقول أصحابه : لا إله إلا الله .
الواحد القهار	الفرد الذي لا شريك له ، القادر الذي لا يُغلب .
العزير الغفار	{ الذي إذا عاقب لا يسرد عقابه راداً ، ومع ذلك فهو كثير المغفرة لمن يتوب توبة نصوحاً .
قل : هو نبأ عظيم	{ هذا الذي أخبرتكم به من أنى منذر ، داع إلى التوحيد ، خبر عظيم يستحق الانتباه له ، والأخذ به ، لما يترتب على الأخذ أو الترك من نتائج خطيرة .
أنتم عنه معرضون	أنتم متغافلون عنه يا كفار مكة .
بالملا الأعلى	{ بكلام الملا الأعلى ، وهو التخاصم الذي وقع بين الملائكة وإبليس .

شرحها	الألفاظ
<p>فإذا أتممت خلقه وعدلته ، وجعلته مستويًا .          وبعثت فيه الحياة ، فتحرك وتنفس وأحس .          فأدوا له علامة الخضوع والاحترام والتحية .          { فأدى الملائكة جميعاً له ما يدل على تحيتهم          واحترامهم وخضوعهم ، وامثالهم أمر ربهم .          استعظم عن أن يفعل مثل ما فعل الملائكة .          عصيانه أمر الله ، وإبائه السجود لآدم ، جعله          في عداد الكافرين .</p>	<p>فإذا سويته          ونفخت فيه من روحي          فقعوا له ساجدين          فسجد الملائكة كلهم          أجمعون          استكبر          وكان من الكافرين</p>
<p>للذي خلقته بنفسى من غير واسطة ، وليس المراد          أن لله يدين سوى بهما خلق آدم ، ولكن لما          كانت أكثر الأعمال تؤدي باليدين ، نُسب إليهما          كل عمل ، ولو كان مؤدى بغيرهما .</p>	<p>لما خلقت بيديّ</p>
<p>{ أم كنت من الذين علت منزلتهم علواً يجعلهم فوق          جميع خلق الله ، حتى الملائكة ؛ وفي هذا          الأسلوب استنكار لما فعل إبليس .</p>	<p>أم كنت من العالين</p>
<p>فاخرج من الجنة .          فإنك مرجوم مطرود من رحمة الله ، ملعون .</p>	<p>فاخرج منها          فإنك رجيم</p>
<p>{ وإنك محكوم عليك بالإبعاد من رضاي ورحمتي          إلى يوم القيامة ، فإذا جاء يوم القيامة وقع عليك          العذاب .</p>	<p>وإن عليك لعنتي إلى          يوم الدين</p>
<p>{ فأمهلى إلى أن ينهى أبناء آدم من الدنيا ، ويأتى          يوم البعث .</p>	<p>فأنظرنى إلى يوم يبعثون</p>



الألفاظ	شرحها
فبعزتكم لأغوينهم لأملأن جهنم منك ومنهم تبعك منهم ما أسألكم عليه من أجر من المتكلفين	أقسم بسطانك وجبروتك . لأضلنهم . لأملأن جهنم يوم القيامة منك ومن الشياطين والأبالسة ، ومن الذين يتبعونك من بنى آدم . ما أطلب منكم أجراً على القرآن الذى أتيتكم به . من المتصنعين الذين يتصنعون ما يفعلون ، ويتكلفون ما يقولون ، ويدعون ما ليس فيهم . ليس القرآن إلا تذكرة للخلق جميعاً . خبر ما جاء فى القرآن من وعد ووعد ، وإنذار وتبشير . بعد مضى وقت ، ويكون ذلك وقت الموت ، حيث تتكشف البصائر ، وتُدرك الحقائق .
إن هو إلا ذكر للعالمين نبأه بعد حين	

### مجمل المعنى

١ - يأمر الله نبيه محمداً أن يؤكد للكافرين من قومه ، أنه ليس لإرسولا من عند الله الذى حملة الرسالة فحملها ، وغايته أنه ينذر أولئك الكافرين الذين لا يؤمنون به ، ويخوفهم عذاب الله ، ويدعوهم إلى الاعتقاد بأنه إله واحد لا شريك له ، ولا معبود سواه ، فليس له ولد ولا بنت ولا زوجة ولا شريك ، وهو قهار لكل من يشاء بقدرته التى ليس فوقها قدرة ، مالك للسموات والأرض وما بينهما ، ومن كان كذلك فهو الإله المستحق

للعبادة وحده وهو العزيز في نعمته من الكافرين ، الذى إذا عاقب لا يستطيع أحد أن يرد عقابه أو يدفعه ، ومع ذلك فهو واسع المغفرة ، يمنحها من يتوب من عباده توبة صادقة ، لا يشوبها رياء ، ولا يداخلها شك أو تردد .

٢ - ويأمر الله نبيه محمداً أيضاً أن يقول لهؤلاء الكافرين : إن هذا القرآن الذى أنزله الله على<sup>١</sup> لأبلغكم إياه ، خبر عظيم ، فيه خيركم إن سمعتموه وتدبرتموه ، وعلمتم بما فيه ، ولكنكم أغلقت قلوبكم ، فأعرضتم عنه ، وأصرتم على انحرافكم وتكذيبكم ، وبقائكم على كفركم .

٣ - ويأمر الله النبيّ أن يذكر لقومه ، أنه قبل أن يُوحى إليه ما أُوحى بشأن ما حدث من الملائكة قبل خلق آدم ، حين أخبرهم الله أنه سيخلق بشراً من طين ، وأنه سيجعله خليفة فى الأرض ، فقالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء؟! — ما كان يعلم عن هذا الأمر شيئاً ، وروايته هذا الحديث لهم الآن ، فيه أكبر الدليل على أنه أُوحى به إليه ، وأنزله الله عليه ؛ وهذا دليل على أن القرآن من عند الله ، وأن محمداً رسول الله ؛ وأن الله يوحى إلى<sup>٢</sup> لأنذرکم ، وأقفكم على سوء عاقبتكم ، وأوضح لكم ذلك بما يأمرنى الله به .

٤ - ما كان لمحمد علم بالتخاصم الذى وقع فى الملائكة الأعلى ، بشأن خلق آدم والسجود له ، وذلك أن الله أخبر ملائكته أنه خالق بشراً من الطين ، وطلب إليهم أن يسجدوا له بعد أن يسويه ، ويعدل صورته ، ويبعث فيه الروح ، ويصير حيّاً .

٥ - وحين أمر الله الملائكة أن يسجدوا له ، أطاعوا أمره ، وسجدوا لآدم ، ولم

يعص ذلك إلا إبليس الذى استكبر أن يسجد لآدم ، وعصيانه هذا جعله فى عداد الكافرين .

٦ - بعد أن امتنع إبليس عن السجود لآدم ، قال الله له : يا إبليس ، أى شىء منعك من السجود لآدم ، وهو عبدى الذى خلقتة وسوئته وأحييته ؟ وقد انفردت بهذه المخالفة ، لأن الملائكة جميعاً سمعوا وأطاعوا ، فسجدوا ، أهذا استكبار وتعظيم ، أم تعال منك ؟

٧ - قال إبليس : لم أمتنع عن السجود استكباراً عليك يا ربى ، وما كنت قبل اليوم مستكبراً ولا متعالياً ، ولكنى امتنعت ، لأنى أشرف من آدم فى أصل الخلقة ، فهو مخلوق من طين ، وأنا مخلوق من نار ! والنار أشرف من الطين ، فكيف يسجد الشريف للمشروف ؟

٨ - أمر الله إبليس أن يخرج من الجنة ، لأنه مرجوم مشثوم ملعون ، والجنة لا تكون لمن هذه صفته ، وأكد الله له أنه مطرود من رحمته إلى يوم الجزاء ، وهو يوم القيامة .

٩ - لما رأى إبليس غضب الله عليه ، وإخراجه من الجنة بسبب آدم ، سأله أن يمهله فلا يهلكه ، وأن يؤخره إلى اليوم الذى يبعث فيه خلقه ، وهو يوم القيامة .

١٠ - استجاب الله لإبليس دعاءه ، وأخبره أنه أخر إهلاكه إلى اليوم الذى طلبه .

١١ - أقسم إبليس بعزة الله ، وقدرته وسلطانه ، أنه سيتسلط على عباده ويوسوس لهم ، ويغويهم ويضلهم ، ولن يُفلت منه إلا الذين استخلصهم الله واستصفاهم ، وحفظهم منه ، فإنه لاسبيل له عليهم ، ولا يستطيع أن ينفذ إلى قلوبهم .

١٢ — الله هو الحق ، وله الحق ، ولا يقول إلا الحق ، ويؤكد أنه سيملاً جهنم بإبليس وبمن اتبعوا إبليس ، من بدء خلق آدم إلى يوم القيامة .

١٣ — كان كفار مكة يعجبون من أن القرآن ينزل على محمد من دونهم جميعاً ؛ فأمره الله أن يقول لهم : إني لا أطلب منكم أجراً على تبليغ ما يوحى إليّ الله ، ولست أنا من المتكلمين الذين يفترون على الله الكذب ، ويصنعون قرآناً ، وينسبونه إلى الله .

١٤ — وإن هذا القرآن ليس إلا كتاباً منزلاً من عند الله ، وأؤكد لكم — يا كفار مكة — أنكم ستأكدون من أنه كتاب الله ، كل منكم في الوقت الذي يناسبه ، فمن أسلم منكم بعد ذلك ، علم حين إسلامه أنه كتاب الله ، ومن قتل في غزوة من غزوات النبي تأكد حين يرى الموت بعينه ، أنه نبيّ الله ، ومن أصر على كفره ، وعاش في هذه الدنيا إلى أن يحين حيينه ، تأكد حين خروجه منها أنه كتاب الله .

## سُورَةُ الزُّمَرِ

نزلت بمكة ما عدا الآيات ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ فإنها نزلت بالمدينة

وآياتها خمس وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( ١ )

من الآية الأولى إلى الآية الرابعة

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ، إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ  
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ، فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ -١- . أَلَا  
لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ، وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ،  
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ، إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ  
بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ  
كَاذِبٌ كَفَّارٌ -٢- . لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا  
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، سُبْحَانَهُ ! هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ -٣- .

## شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
تنزيل الكتاب العزیز الحکیم	تنزيل القرآن . القوى السلطان ، المحکم التدبير .
أنزلنا إليك الكتاب بالحق	أنزلنا القرآن عليك بحالة لا يتطرق إليها شك ولا لبس .
مخلصاً له الدين	مضيفاً له الدين من كل شائبة ، كالشرك والرياء ونحوهما .
لله الدين الخالص	الله وحده هو الذى يستحق أن يكون الدين الخالص من جميع الشوائب له دون غيره .
أولياء	آلهة ونصراء .
ليقربونا إلى الله زلفى	ليقربونا إلى الله قربي ..
يحكم بينهم لاصطفى	يحكم بين المسلمين والكافرين يوم القيامة . لاختار .
سبحانه	تنزيهاً لذاته عن اتخاذ الشريك والولد !
القهار	القادر على أن يقهر كل شيء مهما كان ، ولو كان آلهتهم التى يعبدونها .

## مجمل المعنى

١ - نزل الله القوى السلطان ، المحكم التدبير ، العزیز فى انتقامه من أعداء أنبيائه ،  
القرآن على نبيه محمد ، وأكد له أنه أنزله عليه ، لحاجة خلقه إليه ، ورسم

لهم فيه طريق الحق ، ومهج العدل ، وأوضح طرق الحق ؛ وأقومُ منهاج العدل عبادة الله وحده ، وعدم إشراك أحد من خلقه معه في أى نوع من أنواع العبادة ؛ وأمر الله نبيه محمداً أن يخضع له وحده ، ويخصه بطاعته ، ويفرده بعبادته ، ويخلص له العبادة ، ولا يعمل ما عمله عبدة الأوثان من الإشراك بالله .

٢ - الدين الخالص ، دين الطاعة القلبية ، والعبادة على أساس الوحدانية ، هو دين الله ؛ والذين يتخذون آلهة غير الله ، يطيعونها ويعبدونها ، إنما فعوا ذلك لأنها تستحق العبادة لذاتها ، ولكنهم عبدوها ليلتمسوا بها القربى إلى الله ، ولتستشفح لهم في قضاء حاجاتهم عنده ؛ والذي يقضى بين هؤلاء الناس جميعاً يوم القيامة هو الله ، فيدخل الذين يخلصون له الدين الجنة ، ويدخل عبدة الأصنام والكواكب وغيرها النار ؛ ويؤكد الله أنه لا يهدى إلى الطريق المستقيم ، ولا إلى الدين القويم ، أحداً من الذين يفترون عليه ، ويجعلون له شركاء ، أو ينسبون إليه الولد أو الزوجة ، أو غير ذلك من الأمور التي لا تجوز عليه سبحانه .

٣ - لو شاء الله أن يكون له ولد - كما يزعمون - لاختار من خلقه الكثير ما يشاء ، والله منزه تنزيهاً عن أن يتصف بأى صفة من الصفات التي ينسبها إليه المشركون : كاتخاذ الشريك والولد وغير ذلك ، فهو الله الذي له السلطان على جميع خلقه ، الواحد الذي ليس له شريك ، القهار الذي لا يغلبه شيء .

( ٣ )

من الآية ٥ إلى الآية ١٠ من سورة الزمر

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ، يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى  
النَّهَارِ ، وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ  
وَالْقَمَرَ ، كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ، أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ  
الْغَفَّارُ ١- . خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا  
زَوْجَهَا ، وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ،  
يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ ، فِي  
ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ، ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا  
هُوَ ، فَآَنَى تُصْرَفُونَ ؟ ٢- . إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ  
عَنْكُمْ ، وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ، وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ  
لَكُمْ ، وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ  
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ  
٣- . وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ، ثُمَّ  
إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نِسِيَ مَا كَانَ يُدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ ،  
وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، قُلْ : تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ  
قَلِيلًا ، إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ٤- . أَمْ مَنْ هُوَ قَائِمٌ



آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا ، يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ، قُلْ : هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ؟  
 إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ -٥- . قُلْ : يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ؛ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ، وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ، إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ -٦- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يكور الليل على النهار ، ويكور النهار على الليل ونحر الشمس والقمر	يدخل وقت كل منهما في الآخر ، أو ينقص أحدهما من طول الآخر . جعلهما في وضع خاص ، وعلى نظام خاص ، يتنفع به الإنسان .
كل يجري لأجل مسمى العزير الغفار من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزلكم من الأنعام ثمانية أزواج	كل من الشمس والقمر يسير في مداره إلى يوم القيامة . الغالب في عزة ، السائر لذنوب التائبين . من أصل واحد ، وهو آدم . ثم خلق من نوعها حواء . وخلق لكم ثمانية أزواج من الأنعام ، سيأتي بيانها .

شرحها	الألفاظ
<p>تتطورون في الأرحام من حالة إلى حالة، حتى يتم الخلق .</p>	<p>خلقاً من بعد خالق</p>
<p>ظلمة صلب الرجل ، حيث تكونت الحيوانات المنوية، وظلمة مبيض المرأة ، حيث تكون البسبيضات المنوية ، وظلمة الرحم، حيث وقع اللقاح بين الذكر والأنثى ، وتكون الجنين ونمائه حتى تمت أشهر الحمل</p>	<p>في ظلمات ثلاث</p>
<p>الذي فعل ذلك كله، هو الله المستحق للربوبية دون سواه .</p>	<p>ذلكم الله ربكم</p>
<p>عجباً !! كيف تنصرفون عن عبادته ، وتفكرون في عبادة غيره ؟ !!</p>	<p>فأنى تصرفون</p>
<p>فإن الله في غير حاجة إلى عبادتكم . ولا يرضى أن يكون بين عباده كافر ، وإن أراد ذلك</p>	<p>فإن الله غنى عنكم</p>
<p>لبعضهم وقدّره عليهم لسوء استعدادهم وفساد فطرتهم . يرض لكم أن تشكروا ، ويثيبكم على ما تشكرون .</p>	<p>ولا يرضى لعباده الكفر يرضه لكم</p>
<p>ولا تتحمل مرتكبة إثمًا إثم مرتكبة أخرى ، ولكن يؤاخذ كلاً بذنبه .</p>	<p>ولا تزر وازرة وزر أخرى</p>
<p>مصيركم إلى الله بعد وفاتكم . فيخبركم بكل ما عملتم في الدنيا من خير وشر ، عظم أو صغر .</p>	<p>إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون</p>
<p>إنه عالم علم إحاطة بكل ما يجري ، حتى هاجسات النفس ، وواردات الخواطر .</p>	<p>إنه علم بذات الصدور</p>

شرحها	الألفاظ
<p>شدة من أى نوع كانت .  راجعاً إليه تائباً خاضعاً ذليلاً .  } منحه نعمة منه ، وجعلها ملكاً له يتصرف فيها  تصرف المالك .</p>	<p>ضر  منيباً إليه  خوله نعمة منه</p>
<p>وجعل لله نظراء يشركهم معه في عبادته ، ويستعين  بهم في قضاء حاجته ، وهم لا يقدرون ولا  يقضون .</p>	<p>وجعل لله أنداداً</p>
<p>ليقتدى به الجهال فيضلوا .  } تمتع بنعيم الدنيا مدة عمرك وهي قصيرة ، وفي هذا  الأمر تهديد للكافر .</p>	<p>ليضل عن سبيله  تمتع بكفرك قليلاً</p>
<p>من أهل النار .  أم المطيع المؤمن كالعاصي الكافر .  ساعات الليل .  يخاف عذاب الآخرة .  ويتمنى أن يرحمه الله بإدخاله الجنة .</p>	<p>من أصحاب النار  أم من هو قانت  آناء الليل  يخذر الآخرة  ويرجو رحمة ربه</p>
<p>} إنما يتعظ بالأحداث والحوادث والشواهد أصحاب  العقول السليمة .  خافوا الله باتباع أوامره ، واجتنب نواهيه .</p>	<p>إنما يتذكر أولو الألباب  اتقوا ربكم</p>
<p>للذين أطاعوا ربهم في هذه الدنيا حسنة في الآخرة .</p>	<p>للذين أحسنوا في هذه  لأنها حسنة</p>
<p>} إذا لم تيسر لكم الطاعة في أرض فاهجروها إلى  أرض أخرى ، تأمنوا فيها على عقيدتكم ، وكلها  أرض الله .</p>	<p>وأرض الله واسعة</p>

الألفاظ	شرحها
إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب	الذين يصبرون على ترك أوطانهم وأهلهم من أجل دينهم ، والذين يصبرون على ما يصيبهم من البلاء من أى نوع لأى سبب ، لهم عند الله أجر غير محدود .

### مجمل المعنى

١ - الأدلة على قدرة الله ووحدانيتها كثيرة ، منها أنه هو الذى خلق السموات والأرض وما بينهما من صنوف المخلوقات الكثيرة ، التى لا يمكن أن يصنعها غيره ؛ ومن المظاهر الواضحة الدالة على القدرة ، ذلك النظام البديع الذى خلق الله عليه هذا العالم ، والذى نشأ منه ما يتعاقب على الأرض من ليل ونهار ، وما يجرى بين الليل والنهار من تدخل ، فيطول هذا ويقصر ذلك حيناً ، ثم يقصر الأول ويطول الثانى حيناً آخر ، ويحل أحدهما مكان الآخر ؛ ويترتب على هذا التدخل أن يكون نهار فى أحد نصفي الكرة الأرضية ، وليل فى النصف الآخر ، وتغير حرارى على سطح الأرض ، وينشأ من ذلك التغير الحرارى تغير فى سقوط الأمطار ، وتكوّن الأنهار ، واختلاف المواسم الزراعية ، والإنتاج الحيوانى ، وغير ذلك من الأمور التى يطول الحديث عنها إذا أردنا أن نستقصيها ، وهى تحت سمعنا وبصرنا ، وهى كلها دالة على أن الله واحد لا شريك له ؛ ومن دلائل قدرته أيضاً تسخيره الشمس والقمر أيضاً ، بحيث يجرى كل منهما فى مداره ، ويدور كذلك حول نفسه ؛ ولكننا الحالتين أثر كبير فى حياة الإنسان والحيوان

والنبات ؛ فكأن الله خلقهما على هذا النظام لينتفع بهما خلقه ؛ ومن أظهر أنواع المنافع التي تعود علينا من هذا النظام ، معرفة السنين والشهور والمواسم والفصول ؛ وسيظل هذا النظام الكوني قائماً إلى يوم القيامة ، حيث تبدل الأرض غير الأرض ، وتبدل السموات غير السموات ؛ والله هو العزيز في انتقامه ممن لا يؤمنون به ، الكثير المغفرة لمن يتوب ، ولا يعود إلى خطئه .

٢ - ومن دلائل قدرة الله أيضاً أنه خلق الناس جميعاً من أصل واحد ؛ هو آدم ؛ وخلق على هيئة ذلك الأصل أنثاه ، وهى حواء ، وخلق أزواجاً ثمانية من الأنعام : اثنين من الإبل ذكراً وأنثى ، واثنين من البقر ذكراً وأنثى ، واثنين من الضأن ذكراً وأنثى ، واثنين من المعز ذكراً وأنثى ؛ وليس معنى ذلك أن الله لم يخلق من الحيوان غير هذه ، ولكنه خلق صنوفاً أخرى كثيرة ؛ وتلك التي ذكرها لها أثر في حياة الناس عامة ، وفي حياة العربي خاصة . والله القادر يخلقنا نحن الناس أطوراً في أرحام الأنثيات ، فن نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى غير ذلك ، وتتناوب هذه الأطوار على الجنين في ظلمات ثلاث ، فلا يخرج الجنين من ظلمة صلب الرجل وظلمة مبيض المرأة إلا إلى ظلمة الرحم ، وصاحب القدرة على هذا كله هو الذي يختص بذلك الملك الواسع ، المستحق للربوبية دون سواه ، فما أعجب أمر هؤلاء الذين ينصرفون عن عبادته ، ويفكرون في عبادة غيره !

٣ - إن تستمروا أيها المشركون على كفركم ، وتظلوا على عنادكم - فإن الله ليس في حاجة إلى صلاتكم ، ولا إلى صيامكم ، ولا إلى أى نوع من أنواع التبعّد الذي تؤدونه إذا آمنتم ؛ والله في غنى عن عبادتكم وعبادة غيركم ، ومع ذلك فإنه لا يرضى لعباده المؤمنين إيماناً صحيحاً أن يكفروا ، ولا يرضى

كذلك لأى من عباده أن يكون كافراً ، ولذلك يرسل إليهم أنبياءه يعظونهم ويرشدونهم وينذرونهم ، ويدعوهم إلى التوحيد ؛ فإن استجابوا وآمنوا فذلك هو الذى يحبه الله لهم ، وإن لم يستجيبوا فإن الله لا يرضى لهم أن يكونوا كافرين ؛ والله بعد ذلك يرضى عن عباده أن يشكروه ويطيعوه ؛

وعدل المولى جل وعلا يقتضى ألا يحمل مذنب ذنب آخر ، ولكن يؤخذ كل إنسان بعمله ، فمن أثم فعليه لثمه هو ، ولا يؤخذ بأثم غيره ؛ وبعد أن تنهى الحياة الدنيا يرجع الناس كلهم إلى الله ، فيجدون كل ما قدموا فى الدنيا من عمل : شراً كان أو خيراً - مُحصى عليهم ، حاضراً أمامهم ، يطلعهم الله عليه ، مهما دق هذا العمل ، ولو كان هاجس النفس ، ووارد الخاطر .

٤ - وإذا أصيب الإنسان بشىء فى صحته أو ماله أو ولده أو زوجته ، أو أى شىء يهيم أمره ، إصابة حسية أو معنوية ، تذكر الله ربه ، وبلأى إليه ، ودعاه أن يكشف غمه ويفرّج كثره ، واعتذر إليه عما بدر منه قبل ذلك من اقراراف لثم ، أو ارتكاب خطيئة ، أو انحراف فى عقيدة ، أو غير ذلك ؛ فإذا منّ الله عليه ، ومنحه نعمة من عنده ، وفرّج كربه ، وأزال شدته ، وبدل بؤسه نعيماً ، ومرضه صحة ، غره ما صار إليه من صحة وأمن ومال مثلاً ، ونسى ما كان فيه من شدة وكرب ، وعاد إلى زندقته وإلحاده ، وأشرك مع الله الآلهة التى كان يشركها معه من قبل ، وكان بعمله هذا مثلاً سيئاً لغيره من الناس الذين يتأثرون به ، ويتخذونه قدوة لهم ، فيضلون بضلاله ؛ ومثل هذا يأمر الله نبيه محمداً أن يقول له مهدداً إياه : تمتع بكفرك فى هذه الحياة الدنيا ، وهو تمتع قابل بعد الموت ، ثم أتى الحساب العسير يوم القيامة ، وتدخل بعده النار وتخلد فيها ، لأنك فعلت ما يوجب أن تكون من أهلها .

٥ - الذى يطيع الله ، ويخضع له ، ويقضى ساعات ليله فى عبادة بين سجود وقيام ، ويخاف عذاب الآخرة ، ويرجو الله أن يرحمه ، ويقيه عذاب النار ، لا يستوى مع العصاة المتمردين الذين لا يوحدون ربهم ، ولا يفردونه بعبادتهم ؛ ويأمر الله نبيه أن يقول لقومه : لا يستوى العالمون الذين يعرفون ما أعدده الله لهم من الثواب على ما يقدمون من طاعة وإيمان ، والجاهلون الذين لا يقدرّون حقيقة موقفهم ، وما أعدده الله للعصاة أمثالهم من عذاب ؛ ويؤكد الله أن الذين يعتبرون ويتعظون ، إنما هم ذوو العقول السليمة ، التى يستعينون بها على الفهم الصحيح ، فيبتدون إلى الصراط المستقيم .

٦ - يأمر الله نبيه أن يقول للمؤمنين من عباده : يا عباد الله الذين آمنوا به ، ووحده وعظموه ، وصدّقوا رسله ، اتقوا الله وخافوه ، واعملوا بأوامره ، واجتنبوا نواهيه ؛ والذين يطيعون لهم على طاعتهم حسنة فى الدنيا بتيسير أمورهم ، وتوفيقهم إلى ما فيه خيرهم ، وحسنة فى الآخرة بإدخالهم الجنة ؛ ويحض الله عباده المؤمنين على الهجرة من بلاد الشرك والكفر ، إلى بلاد تسلم فيها عقائدهم ، ويطمئنون على دينهم ؛ والله يؤكد أن الذين يصبرون على مرارة الهجرة ، وما يصحبها من الحرمان من المال والولد والأهل - يعطيهم أجراً كبيراً لا حد له .

( ٣ )

من الآية ١١ إلى الآية ١٨ من سورة الزمر

قُلْ : إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ،  
وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ -١- . قُلْ : إِنِّي أَخَافُ  
إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ -٢- قُلْ : اللَّهُ أَعْبُدُ  
مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ، فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ، قُلْ : إِنَّ  
الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،  
أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ -٣- لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ  
مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ، ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ  
بِهِ عِبَادَهُ ، يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ -٤- . وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا  
الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ ، لَهُمُ الْبُشْرَى ،  
فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ،  
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ، وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ -٥-



## شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
<p>{ لأن أكون أول من أسلم من هذه الأمة ، وأشد المسلمين إخلاصاً لله .</p> <p>نبذت طاعته بالعودة إلى عبادة ما تعبدونه من الأصنام .</p> <p>عذاب يوم القيامة .</p> <p>مخلصاً له طاعتي وعبادتي .</p> <p>{ فاعبدوا ما تريدون عبادته من غير الله ، وهذا تهديد ووعيد .</p> <p>{ خسروا أنفسهم بإلقائهم في نار جهنم ، وخسروا أهلهم بإضلالهم ودخولهم النار .</p> <p>الحسran الواضح ، الذى لا خسran فوقه .</p> <p>طبقات من النار .</p> <p>الوصف الذى وصف الله به نار جهنم .</p> <p>{ يا عبادى ، خافونى ، ولا تتعرضوا لغضبي وسخطي وعذابي .</p> <p>الشیطان ، كلمة مأخوذة من الطغیان .</p> <p>ورجعوا إلى الله .</p> <p>لهم البشارة الطيبة من الملائكة بشواب الله .</p> <p>{ وأولئك هم أصحاب العقول الناضجة المنتفعة بالنصح ، المميزة بين الخير والشر .</p>	<p>لأن أكون أول المسلمين</p> <p>عصيت ربى</p> <p>عذاب يوم عظيم</p> <p>مخلصاً له دينى</p> <p>فاعبدوا ما شئتم من دونه</p> <p>خسروا أنفسهم وأهلهم</p> <p>الحسran المبين</p> <p>ظلل من النار</p> <p>ذلك</p> <p>يا عباد فاتقون</p> <p>الطاغوت</p> <p>وأنا بوا إلى الله</p> <p>لهم البشرى</p> <p>وأولئك هم أولو الألباب</p>

## مجمل المعنى

١ - يأمر الله نبيه كذلك أن يقول لمشركى مكة : أوكد لكم أن الله أمرنى أن أخصه وحده بالعبادة ، ولا أشرك معه غيره ، وأن أخلص له فى ذلك وأصفيه به ، وأمرنى أن أكون أول مسلم بينكم ، فلا يسبقنى إلى الإسلام واحد منكم .

٢ - يأمر الله نبيه أيضاً أن يقول لقومه : أوكد لكم أنى أخاف عذاب يوم القيامة ، وما فيه من أهوال عظام ، إن أنا عصيته ولم أومن به ، وأشركت معه غيره فى العبادة ؛ وكان ذلك ردّاً على ما قاله له أشراف قريش ، وهو : ألا تنتظر إلى أبيك وجدك وسادات قومك ، يعبدون اللات والعزى !! !

٣ - ويأمر الله نبيه أيضاً أن يخبر قومه أنه يخص الله بعبادته ، ويفرده بتوحيده ؛ وأن يتركهم يعبدون ما يشاءون من الآلهة غيره ، فإن جزاءهم سيلقاهاهم يوم القيامة ؛ وفى هذا تهديد لهم ووعيد، ورد عليهم - حين قالوا له : إن خالفت دين آبائك فقد خسرت - بأن الخاسرين خسراً شديداً هم الذين خسروا أنفسهم ، بأنهم أوردوها النار بسوء فعلهم ، وقبيح شركهم ، وخسروا أهلهم ، بأن تسببوا فى إضلالهم ، فأوردوهم النار معهم ، وإن الخسران الذى وقع فيه هؤلاء المشركون ، هو أشد خسران وأبشعه وأشنعه ، لأنهم جعلوا لأنفسهم نهاية هى أسوأ النهايات ، ومصيراً هو أقبح المصاير ، وذلك هو نار جهنم ، والخلود فيها .

٤ - هؤلاء الذين أصروا على عنادهم وشركهم ، يدخلون جهنم يوم القيامة ، وتحيط بهم نارها من كل جانب ، فهى طبقات من فوقهم ، وطبقات من تحتهم ، فأينما نظروا لا يجدوا إلا ناراً شديدة تحرقهم ، وتلازمهم

ملازمة الظلل لمن يحملونها ؛ ونظير هذا قوله تعالى : « لهم من جهنم مهاد ، ومن فوقهم غواش » ، وقوله : « يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ، ومن تحت أرجلهم » ؛ وهذه النار التي يصفها الله لعباده ، يخوفهم إياها ليعدلوا عما هم فيه من ضلال ، حتى لا يكون مصيرهم إليها ، ثم يأمرهم بعد ذلك أن يخافوه ، ولا يعرضوا أنفسهم لغضبه وسخطه .

٥ — يخبر الله أن الذين ابتعدوا عن الشيطان ، ولم يصل إلى قلوبهم بسوسسته ، ولم يعبدوا الأصنام ، ورجعوا إلى الله ووحده ، وأفردوه بالعبادة — هؤلاء يبشرون بالجنة ، يبشرون بها إذا أسلموا وحسن إسلامهم ، ويبشرون بها عند موتهم ، ويبشرون بها عند حسابهم ، ثم يدخلونها ويخلدون فيها ، ولذلك يأمر الله نبيه أن يبشر من عباده الفريق الذين يجتمعون بالناس ، ويسمعون حديثهم ، وفيه ما هو حسن ، وفيه ما هو سيئ ، قرآناً أو غير قرآن ، فيسارعون إلى ما فيه خيرهم وإسعادهم ، وما فيه خير لدينهم ووطنهم ؛ هؤلاء الناس هم الذين يرضى الله عنهم ، ويوفقهم للهداية ، وهم أصحاب العقول الراجعة التي تفهم وتفقه وتميز .

( ٤ )

من الآية ١٩ إلى الآية ٢٦ من سورة الزمر

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ ؟ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي  
النَّارِ ؟ -١- . لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ  
فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَةٌ ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، وَعَدَدَ  
اللَّهِ ، لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ -٢- . أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ  
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ، ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ  
زُرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ، ثُمَّ يَهيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ، ثُمَّ يَجْعَلُهُ  
حُطَامًا ؟ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ -٣- . أَفَمَنْ  
شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ؟ فَوَيْلٌ  
لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ  
مُبِينٍ -٤- . اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا  
مَثَانِيًا ، تَقْشَعُرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ، ثُمَّ  
تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ، ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ ،  
يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ -٥- .  
أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ وَقِيلَ

لِلظَّالِمِينَ : ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ -٦- . كَذَّبَ الَّذِينَ  
 مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ،  
 فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ  
 أَكْبَرُ ، لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ -٧- .

### شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
<p>وجب تعذيبه بسبب كفره .                      لهم منازل رفيعة ، ومقامات عالية في الجنة .                      تجرى الأنهار من تحت منازلهم ، مبالغة في التمتع .                      هذا هو الوعد الذي وعدهم الله إياه .                      أنزل من السماء المطر .</p>	<p>حق عليه كلمة العذاب                      لهم غرف من فوقها غرف                      تجرى من تحتها الأنهار                      وعد الله                      أنزل من السماء ماء</p>
<p>فامتصت الأرض هذا الماء ، فدخل فيها ، واتخذ                      له مجارى في باطنها ، تخرج الينابيع .                      الزرع الذى يخرج بالماء مختلف شكلاً ولوناً ،                      ووعراً وحجماً .</p>	<p>فسلكه ينابيع في الأرض                      مختلفاً ألوانه</p>
<p>ثم يحف فيصفر ، وتذهب خضرته ونضارته .                      ثم يتكسر ويتفتت .</p>	<p>ثم يبيح فتراه مصفراً                      ثم يجعله حطاماً</p>
<p>إن في تقلب النبات في هذه الأطوار ، موعظة وعبرة                      للعقلاء .</p>	<p>إن في ذلك لذكرى                      لأولى الأبواب</p>
<p>وسع الله صدره ، وجعله قابلاً للاستضاءة بنور                      الإيمان .</p>	<p>شرح الله صدره للإسلام</p>

شرحها	الألفاظ
<p>{ فهو على علم حقيقى هياه الله له ، واهتدى به إلى الإيمان .</p>	<p>فهو على نور من ربه</p>
<p>فعداب شديد للذين قست قلوبهم من ترك ذكر الله .</p>	<p>{ فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله</p>
<p>{ فى غواية واضحة ظاهرة ، لا تحتاج معرفتها إلى تأمل .</p>	<p>فى ضلال مبين</p>
<p>نزل القرآن .</p>	<p>نزل أحسن الحديث</p>
<p>{ كتاباً يشبه بعضه بعضاً ، وكله على نسق واحد فى النظم أو الاتساق ، والمعنى والإعجاز .</p>	<p>كتاباً متشابهاً</p>
<p>{ مكرراً ما فيه من قصص وعظات وعبر ، ويرد على الألسن فلا يمل .</p>	<p>مثانى</p>
<p>{ تختلج وتضطرب جلود الذين يخافون الله عند تلاوة آيات الوعيد والتهديد أو سماعها .</p>	<p>{ تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم</p>
<p>{ ثم تنبسط أساريهم ، وتهلأ نفوسهم عند تلاوة آيات الرحمة والمغفرة أو سماعها .</p>	<p>{ ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله</p>
<p>القرآن مصدر هداية الله لمن شاء له الهداية .</p>	<p>ذلك هدى الله</p>
<p>{ يدفع بوجهه لا بيديه ولا بغيرهما شدة العذاب وقسوة حر النار .</p>	<p>يتقى بوجهه سوء العذاب</p>
<p>قاسوا عقاب ما كنتم تعملون فى الدنيا من سيئات من قبل قريش .</p>	<p>ذوقوا ما كنتم تكسبون من قبلهم</p>
<p>من الجهة التى كانوا لا يظنون أنهم يؤتون منها .</p>	<p>من حيث لا يشعرون</p>

الألفاظ	شرحها
فأذاقهم الله الحزى في الحياة الدنيا	{ فعانوا مرارة الذل والحerman ، وأنواعاً من العذاب ، أصابتهم في الدنيا .
لو كانوا يعلمون	{ لو كانوا يعلمون أنهم سيقع عليهم في الآخرة عذاب أشد من العذاب الذي يقع عليهم في الدنيا لآمنوا .

### مجمل المعنى

١ - تخلف عن الإسلام رجال من قريش ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يود لو دخلوا في الإسلام ، والمعنى : أفن استحق العذاب ينج منه ؟ أفأنت تنقذ من سبق في علم الله أنه من أهل النار ؟

٢ - والذين اتقوا ربهم وخافوه ، وآمنوا به ، يدخلون الجنة ، وينزلون فيها منازل رفيعة ، ويتمتعون فيها بكل أنواع المتع الحسية والروحية ؛ ومن أنواع المتع التي يجادونها أنهم يقيمون في قصور فخمة ، ذات حدائق غناء ، تجري الأنهار من تحتها ؛ وهذه أرقى نزه الدنيا ومتعها ، صور الله لنا نزه الجنة ومتعها بها ، ولكنها في حقيقتها فوق ما تراه العين في الدنيا في أرقى صورته ، وأجمل هيئاته ، وبهذا وعد الله عباده المؤمنين ، والله إذا وعد وفى ، فلا يُخلفُ عنده ميعاد .

٣ - ينبه الله إلى أنه بقدرته وتدبيره ، خلق الكون على نظام يجعل ماء المطر ينزل من السماء ، وهذا الماء تمسك الأرض بعضه فيكون الأنهار ، وتمتص

بعضه ويجرى في باطنها، ويكون له مسالك ويجارى في باطن الأرض ؛ وهذا الماء الذى يكون في باطن الأرض يجرى هنا وهناك ، فإذا صادفته أرض رخوة أو منخفض من الأرض ، تفجر عيوناً وينابيع ، وإذا لم تصادفه هذه ولا تلك ، استخرجه الإنسان بالأجهزة والآلات ؛ وهذا الماء كله الذى أصله من المطر النازل من السماء ، يستخدمه الإنسان في أمور كثيرة ، منها إرواء الأرض ، واستنبات الزروع المختلفة الأشكال والألوان والأنواع ، وهذه فيها الشجر الكبير ، والنبات الصغير ، ومنها ما يخرج الحب كالقمح والذرة والشعير ، ومنها ما يخرج الفاكهة كالبرتقال والتفاح والعنب ، ومنها ما يخرج الزهر كالورد والفل والياسمين ، ومنها ما يتخذ غذاء كالحُصْر ، ومنها ما يكون غذاء للماشية كالبرسيم ؛ وهذه الصنوف كلها نبتت بالماء ، وهى جميعها تكون فى بعض أدوار حياتها خضراء نامية ، فإذا استوت واستكملت أطوار نموها ، بدأت تزول عنها خضرتها ، وظهر عليها اليبس والحفاف ، ثم بدأت تتقصف وتتكسر ؛ هذه الأطوار المختلفة التى تمر بالنبات ، يجب أن تكون موضع عبرة وموعظة لأولى العقول النيرة المشرقة .

٤ - الناس صنفان : صنف شرح الله للإسلام صدره ، وهياً له قلبه ، وأنار بصيرته ، فأمن وأطاع ، وعمل بما أمره الله به ، وانتهى عما نهى الله عنه ، وصنف ضاق صدره ، وعمى قلبه ، وأظلمت بصيرته ، فانصرف عن الدعوة ، ولم يستجب للرسول ، وظل قائماً على الكفر ، عاكفاً على الضلال وهذان الصنفان لا يستويان ، ففريق فى الجنة ينعم بنعيمها لصدق إيمانه ، وفريق فى جهنم يصلى نارها لضلاله المبين .

٥ - جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه ، وقالوا له : يا رسول الله ؛



لو حدثتنا ! فنزل عليه : أن أحسن الحديث ما كان بالقرآن ، فهو كتاب جمع ما لم يجمعه كتاب آخر ، وليس مثله كتاب في رصفه ونظمه ، ومعانيه وإعجازه ، تتكرر فيه الأخبار والقصص والأحكام والقضاء ، والحجج والفرائض والحدود ، ولكل موضعه ؛ وهو كتاب يحول لقارئه أن يقرأه ويعيده ، ويحلو لسامعه أن يسمع ويستعيد ويستزيد ؛ وليس كذلك كتاب آخر ؛ والناس الذين يخشون ربهم ، ويخافون عذابه يوم القيامة ، إذا سمعوا آيات التهديد والوعيد أو قرعوها ، وجفت قلوبهم ، واقشعرت جلودهم ، واضطربت نفوسهم خوفاً من وعيد الله ، وإذا سمعوا آيات الرحمة والمغفرة أو قرعوها ، آمنت قلوبهم ، وانبسخت أساريرهم ، وهدأت نفوسهم ، طمعاً في عفو الله ورحمته ؛ وهذا القرآن العظيم ، أنزله الله على محمد هدى للناس ونوراً ، ولكنه لا يهتدى به ، ولا يستضيء بنوره ، إلا من قدر الله له هذا ؛ أما الذين قدر الله عليهم أن يظلوا عاكفين على ضلالهم وكفرهم ، فلن تدركهم رحمة الله ، ولا هدى القرآن ، ولا يستطيع أحد أن يجلب لهم إيماناً أو هدى .

٦ - الذين يأمنون العذاب ويدخلون الجنة ، لا يكون مثلهم الذين يقذفون في نار جهنم لكفرهم ، وقد غُلت أيديهم إلى أعناقهم ، فتلفح النار الشديدة أجسامهم ، فلا يجدون حيلة إلا أن يحاولوا أن يتقوها بوجوههم ، والوجه عادة يتقى له ولا يتقى به ، وهذه صورة بشعة للكافرين وهم يتقلبون في نار جهنم ، ويقال لهم شئمة بهم : ذوقوا هذا العذاب الشديد جزاء لكم على كفركم وعصيانكم ، وارتكابكم السيئات في الدنيا ، وعدم استجابتكم لداعي ربكم .

٧ - ليس مشركو قريش أول من أشرك بالله ، ولا أول من كذب نبي الله ،

وكانوا آمنين على أنفسهم وأموالهم وأهليهم ، فأتاهم عذاب الله من حيث كانوا لا يظنون أنهم سيعذبون ؛ وكان على كفار قريش وقد عرفوا أنباء السابقين أن يتعظوا بما جرى لهم ، وألا يُصروا على كفرهم الذي يسبب لهم عذاباً في الدنيا وعذاباً في الآخرة ، أما عذاب الدنيا فإنه سيسبب لهم خزيًا وعاراً ، وأما عذاب الآخرة فهو أشد وأقسى من عذاب الدنيا .

( ٥ )

من الآية ٢٧ إلى الآية ٣١ من سورة الزمر

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ،  
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ، ، قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ،  
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ -١- . ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا : رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ  
مُتَشَاكِسُونَ ، وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ ، هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ؟  
الْحَمْدُ لِلَّهِ ! بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ -٣- . إِنَّكَ مَيِّتٌ  
وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ، ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ  
تَخْتَصِمُونَ -٣- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل	مثلنا للمشركين بما جرى لأمثالهم من الأمم السابقة .
لعلهم يتذكرون	لعلهم يتعظون .
غير ذي عوج	لا لبس فيه ولا إبهام ، ولا تناقض ولا اختلاف .
فيه شركاء متشاكسون	فيه شركاء مختلفون متنازعون .
ورجلا سلمًا لرجل	ورجلاً مسلماً لرجل ، خالصاً له .
هل يستويان مثلاً	لا يستويان في حالة واحدة .

## مجمل المعنى

١ - ضرب الله الأمثال لمشركى قريش ، بما جاء فى القرآن من أخبار المشركين السابقين ، وما جرى لهم مع أنبيائهم ، وما جرى عليهم من تعذيب ؛ وساق لهم هذا كله بلسان عربى فصيح ، لا شك فيه ولا لبس ، ولا إبهام ولا تناقض ولا اختلاف ، رجاء أن يكون لهم فى ذكر هذا كله موعظة وعبرة ، فيتقوا الله ويحذروه .

٢ - وتوضيحاً لحالم مع أوثانهم - ضرب الله لهم مثلاً واضحاً ، فمثل الكافر وآلهته التى يعبدها من دون الله ، يعبد اشترك فيه ناس كثيرون ، اختلفوا وتنازعوا ، وصار كل منهم يدعى أنه عبد له ، ويحاول أن يخص به نفسه من دونهم جميعاً ، فهم يتجادبون ويتعاورونه ، وقد يؤدى هذا الخلاف ، إلى أنه يخرج من أيديهم جميعاً ، فلا يستفيد واحد منهم ، ولا يستفيد هو من واحد منهم ، ومثل المؤمن بعبد له سيد واحد ، خالص من المشاركة لرجل آخر ، فهل يستوى هذا الذى يخدم جماعة من الشركاء أخلاقهم مختلفة ، لا يلقاه أحد منهم إلا جره لخدمته ؛ وإن أرضى واحداً غضب الباقون ؟ هل يستوى هذا ومن يخدم واحداً لا ينازعه فيه أحد ، إن أطاعه قدر له طاعته ، وإن أخطأ صفح عنه ؟ فأيهما أقل عناء أو على هدى مستقيم ؟ والمراد : أن من يدعى تعدد الآلهة ، فإن هذه الآلهة تتنازع ، ويحاول كل منهم أن يعلو على الآخر ، فلما بطل القول بادعاء الشركاء ، ثبت أن الله واحد أحد ، وثبت أنه وحده هو المختص بالحمد والثناء ، ولكن المشركين لا يعلمون فضل الله ، ولو علموا من غير إصرار على العناد لآمنوا .

٣ - إن محمداً يجرى عليه ما يجرى على الناس في كل زمان ومكان ، فهو إنسان  
يحيا ويموت ، ويموت كذلك أتباعه المؤمنون ، أو يموت الكافرون ، ويجتمع  
هؤلاء جميعاً عند الله يوم القيامة ، ويخاصم بعضهم بعضاً ، المؤمنون  
والكافرون ، والصادقون والكاذبون ، والمظلومون والظالمون ، والمهتدون  
والضالون ، والضعفاء والأقوياء ، والمتواضعون والمستكبرون ، والمعتدى  
عليهم والمعتدون ، والحكام والمحكومون ، والمحقون والمبطلون ، ويؤدى الله  
لكل صاحب حق حقه ، سبحانه وتعالى !

## فهرس

أرقام الصفحات	أرقام الآيات في المصاحف	أسماء السور	الرقم
من ٣ - ٦	من ٢٨ - ٣٥	يس	١
٨ - ٧ »	٣٦ »	»	٢
١١ - ٩ »	٤٠ - ٣٧ »	»	٣
١٣ - ١٢ »	٤٤ - ٤١ »	»	٤
١٦ - ١٤ »	٥٠ - ٤٥ »	»	٥
١٨ - ١٧ »	٥٤ - ٥١ »	»	٦
٢٠ - ١٩ »	٥٨ - ٥٥ »	»	٧
٢٢ - ٢١ »	٦٤ - ٥٩ »	»	٨
٢٥ - ٢٣ »	٦٨ - ٦٥ »	»	٩
٢٨ - ٢٦ »	٧٠ - ٦٩ »	»	١٠
٣١ - ٢٩ »	٧٥ - ٧١ »	»	١١
٣٤ - ٣٢ »	٨٠ - ٧٦ »	»	١٢
٣٦ - ٣٥ »	٨١ » إلى آخر السورة	»	١٣
٤٣ - ٣٧ »	٢١ - ١ »	الصفات	١
٤٧ - ٤٤ »	٣٤ - ٢٢ »	»	٢
٥٣ - ٤٨ »	٦١ - ٣٥ »	»	٣
٥٧ - ٥٤ »	٧٤ - ٦٢ »	»	٤
٥٩ - ٥٨ »	٨٢ - ٧٥ »	»	٥
٦٧ - ٦٠ »	١١٣ - ٨٣ »	»	٦
٦٩ - ٦٨ »	١٢٢ - ١١٤ »	»	٧
٧١ - ٧٠ »	١٣٢ - ١٢٣ »	»	٨
٧٣ - ٧٢ »	١٣٨ - ١٣٣ »	»	٩
٧٦ - ٧٤ »	١٤٨ - ١٣٩ »	»	١٠
٨٠ - ٧٧ »	١٦٣ - ١٤٩ »	»	١١
٨٤ - ٨١ »	١٦٤ » إلى آخر السورة	»	١٢

أرقام الصفحات	أرقام الآيات في المصاحف	أسماء السور	الرقم
من ٨٥ - ٩١	من ١ - ١١	ص	١
٩٢ - ٩٤ »	١٢ - ١٦ »	»	٢
٩٥ - ١٠٣ »	١٧ - ٢٦ »	»	٣
١٠٤ - ١٠٥ »	٢٧ - ٢٩٠ »	»	٤
١٠٦ - ١١١ »	٣٠ - ٤٠ »	»	٥
١١٢ - ١١٨ »	٤١ - ٤٤ »	»	٦
١١٩ - ١٢٦ »	٤٥ - ٦٤ »	»	٧
١٢٧ - ١٣٣ »	٦٥ إلى آخر السورة	»	٨
١٣٤ - ١٣٦ »	١ - ٤ »	الزمر	١
١٣٧ - ١٤٤ »	٥ - ١٠ »	»	٢
١٤٥ - ١٤٨ »	١١ - ١٨ »	»	٣
١٤٩ - ١٥٥ »	١٩ - ٢٦ »	»	٤
١٥٦ - ١٥٨ »	٢٧ - ٣١ »	»	٥

# تفسير القرآن الكريم

الجزء الرابع والعشرون

تأليف

حسن علوان

محمود محمد حمزة

محمد أحمد برانق



تراجع الخطبة التي في صدر تفسير الجزء الأول ، ونرجو أن يراعى  
في هذا الجزء والأجزاء التي تليه ، أن الأرقام التي في صدر  
مجموعات آيات القرآن الكريم ، تطابق نظائرها في المصاحف ،  
وأن الأرقام التي تخلت مجموعات آيات القرآن الكريم ،  
تطابق نظائرها في مجمل المعنى .

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( ١ )

من الآية ٣٢ إلى الآية ٤١ من سورة الزمر

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصُّدُقِ إِذْ  
جَاءَهُ ؟ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ؟ -١- . وَالَّذِي  
جَاءَ بِالصُّدُقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ، لَهُمْ  
مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ، لِيَكْفُرَ اللَّهُ  
عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا ؛ وَيَجْزِيَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا  
يَعْمَلُونَ -٢- . أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ؟ وَيُخَوِّفُونَكَ  
بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ، وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ، وَمَنْ  
يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ، أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ؟  
-٣- . وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ : مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ؟  
لَيَقُولَنَّ : اللَّهُ ، قُلْ : أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ :  
إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ ، هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ ؟ أَوْ أَرَادَنِي  
بِرَحْمَةٍ ، هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ؟ قُلْ : حَسْبِيَ اللَّهُ ،  
عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ -٤- . قُلْ : يَا قَوْمِ ، اعْمَلُوا

عَلَى مَكَانَتِكُمْ ، إِنِّي عَامِلٌ ، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ  
عَذَابٌ يُخْزِيهِ ، وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ - ٥ . إِنَّا أَنْزَلْنَا  
عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ، فَمَنْ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ ،  
وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ  
بِوَكِيلٍ - ٦ .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فن أظلم ممن كذب على الله	{ لا أحد أشد ظلماً من الذين يفترون على الله ، وينسبون له ما لا يجوز عليه ، كالشريك والولد .
وكذب بالصدق إذ جاءه	{ وكذب بما لا يتطرق إلى صدقه شك بمجرد سماعه أو معرفته ، من غير تروٍّ ولا تفكير .
أليس في جهنم مثوى للكافرين ؟	{ أليس في النار مسكن ومقام للذين يكذبون على الله ، وللذين يكذبون بالصدق من غير تروٍّ ولا تفكير ؟
أولئك هم المتقون	أولئك هم الذين يخافون الله .
ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا	{ ليسر عليهم أسوأ ما ارتكبهوا في الدنيا من ذنوب تابوا عنها ، ورجعوا إلى الله ، وصاروا من المحسنين .
أليس الله بكاف عبده	{ أليس الله - سبحانه وتعالى - يكفي عبده مجمداً : فيحميه ويعزه وينصره ويعصمه كما وعده ؟
بالذين من دونه	بالأصنام التي اتخذوها آلهة يعبدونها من دون الله .

شرحها	الألفاظ
<p>فما له مرشد يهديه ، ولا هاد يدلّه على طريق الحق والصواب .</p>	<p>فما له من هاد</p>
<p>أليس الله قوياً شديداً في مؤاخذته الكفرة ، منتقماً من أعدائه المشركين به ؟</p>	<p>أليس الله بعزيز ذى انتقام ؟</p>
<p>إن أراد الله أن أصاب بشدة من مرض أو فقر ، أو فقدان زوجة أو ولد ، أو غير ذلك .</p>	<p>إن أرادنى الله بضر</p>
<p>هل الأصنام مزيلات عنى ما قدر الله على من شدة أصابتنى ؟</p>	<p>هل هن كاشفات ضره</p>
<p>هل هن مانعات ما يريد الله لى من خير : كالسعة فى الرزق ، أو الصحة الجيدة ، أو غير ذلك ؟</p>	<p>هل هن ممسكات رحمته</p>
<p>يكفينى أن أكون مقرراً بوحداية الله ، وهو يحمينى من كل شر .</p>	<p>حسبى الله</p>
<p>عليه يعتمد كل من يريد أن يعتمد ، وبه لا بغيره ثقة المؤمنين .</p>	<p>عليه يتوكل المتوكلون</p>
<p>ابدلوا غاية ما تستطيعون من قوة ومكر .</p> <p>إنى مستمر على حالتى التى أنا عليها ، فى تقرير دينى ، بتأييد الله ونصره .</p>	<p>اعملوا على مكانتكم</p> <p>إنى عامل</p>
<p>فسوف تعرفون نتيجة مخالفتكم وعصيانكم ، وسوف تعرفون نتيجة إيمانى وإيمان من أطاعونى</p>	<p>فسوف تعلمون</p>
<p>عذاب يذله فى الدنيا والآخرة .</p> <p>عذاب دائم لا يتغير ولا يتحول ، فلا نجاة له منه .</p>	<p>عذاب يخزيه</p> <p>عذاب مقيم</p>

الألفاظ	شرحها
أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل	<p>أنزلنا عليك القرآن حقاً : لحاجة الناس إليه في إرشادهم وتبعدهم .</p> <p>فإنما يقع ضرر ضلاله على نفسه لا على غيره .</p> <p>ولست حفيظاً عليهم ، ولا موكلاً بهم ، ولا مستولاً عن ضلالهم .</p>

### مجمل المعنى

١ - لا أحد أشد ظلماً من الذين يفترون الكذب على الله ، فينسبون له ما لا يجوز عليه ، كأن يشركوا معه في عبادته آلهة أخرى كاللآت والعزى ، أو يزعمون أن له ولداً أو بنتاً أو زوجة ، أو غير ذلك من الأشياء التي لا تجوز عليه - سبحانه وتعالى - ، وهؤلاء الناس تعرض عليهم أمور الدين ، فبمجرد سماعها يسارعون إلى تكذيبها من غير أن يفكروا فيما عرض عليهم ، أو يناقشوا فيه مثلاً ؛ ولكنه التكذيب السريع ، والنفور من الدعوة ؛ ومثل هؤلاء مقرهم يوم القيامة جهنم التي يقيمون فيها إقامة الخالدين .

٢ - أما الذي جاء بالصدق - وهو محمد - ، جاء بالقرآن ، وبال دعوة إلى التوحيد ، وتجنب عبادة الأصنام ، وكذلك الذين آمنوا بالقرآن وبما جاء به من دعوة إلى التوحيد - أما هؤلاء جميعاً فهم المتقون الذين يخافون الله ويخشونه ؛ وأولئك لهم يوم القيامة عند الله من الثواب والجزاء الحسن كل ما يريدونه لأنفسهم ، مما تشبهه الأنفس ، وتلد الأعين ؛ وهذا الذي أثابهم الله به ، هو جزاء كل محسن في الدنيا بالطاعة والتوحيد والعمل الصالح ؛ والله

يستر عنهم أشد سيئاتهم التي ارتكبوها في الدنيا قبل الدخول في الإسلام ،  
وتابوا عنها وأتابوا ، ورجعوا إلى ربهم مخلصين ، ويشبههم ثواباً جزيلاً في  
الآخرة على أحسن حسنتهم التي عملوها .

- ٣ - بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى أحد أصنام قريش ،  
- وهو العزى - ليكسره بفأسه ، فقال له سادِنُ بيت الصنم : يا خالد ؛  
أنا أحذركها ، إن لها شدة لا يقاومها شيء ؛ فمشى إليها خالد بالفأس  
فهشم أنفها . وكانت قريش تخوف النبيّ مضرّة الأوثان ، وتقول له :  
أتسب آلهتنا ؛ لئن لم تكف عن ذكرها لتخبلنك أو تصينك بسوء ، فكان  
مثلهم مثل الكفار الذين خوفوا إبراهيم عليه السلام انتقام الأصنام منه ،  
فأجابهم : « وكيف أخاف ما أشركم ، ولا تخافون أنكم أشركم بالله ما لم  
ينزل به عليكم سلطاناً ؟ فأى الفريقين أحق بالأمن ؟ » ، ( تراجع الفقرة  
الثامنة من الصفحة ١٠٦ من تفسير الجزء السابع ) ، فأخبر الله : أنه حام نبيه ،  
وحافظه من الأذى ، هو ومن آمن به ، فلا يجوز أن يعبأ بتخويفهم إياه  
آلهتهم التي بشركونها مع الله في العبادة ؛ والله إذا قدر لعبد من عباده الهداية  
فلن يضلّه أحد ، وإذا قدر على عبد من عباده الضلال فلن يهديه أحد ،  
وهو سبحانه قوى شديد في مؤاخذته الكفرة ، منتقم من أعدائه المشركين به .
- ٤ ... هؤلاء المشركون الذين يعبدون الأصنام ، إذا سألتهم : من الذى خلق  
السموات والأرض ؟ لا يترددون في أنهم يقولون لك : الله هو الذى خلق  
السموات والأرض ؛ فإذا سألتهم : إذا أراد الله أن يصاب أحد بشدة وكرب  
في صحة أو مال أو ولد أو أهل ، أتستطيع هذه الآلهة أن تدفع عنه وتحميه  
مما أراد الله له ؟ أجابوك : لا ، وإذا سألتهم : إذا أراد الله أن يوسع على أحد  
في رزقه ، أو يمنحه صحة جيدة ، أو يمنّ عليه بغير في ولد أو أهل ،

أستطيع هذه الآلهة أن تمنع هذا الخير عن أراده الله له ؟ !! أجابوك : لا ؛ فإذا كانت هذه اعترافاتهم يقرون بها على أنفسهم ، فاعجب لسخف عكوفهم على عبادة أصنام لا تضر ولا تنفع ، واسأل الله أن يحفظك منهم ، واستكف باعتمادك عليه ، ورضاه عنك ، وتولييه تدبير أمرك أنت ومن اتبعك من المؤمنين .

٥ - وأمر الله نبيه أن يقول لقومه بعد أن أقام عليهم الدليل وألزمهم الحجة : ابذلوا غاية جهدكم في أنواع مكركم وكيدكم ، وأنا عامل ما رأيت أن أعمل في نشر ديني والدعوة إليه ، فلكل مناشأته وعمله ؛ وسوف تعرفون بعد ذلك أننا على صواب ، وأينا يرضى الله عنه ، وأينا الذى يقع عليه عذاب الله فى الدنيا بالخذلان ، والذلل والهوان ، وفى الآخرة بدخول جهنم ، والخلود فيها .

٦ - يؤكد الله لنبيه أنه أنزل عليه القرآن بالحق والعدل ، لأن إعجازه يدل على أنه من عند الله ، فيه الدعوة إلى الإسلام وفيه التبشير للمؤمنين ، والإنذار للكافرين ؛ فالذين يهتدون ويسلمون كان خير ذلك راجعاً إليهم ، والذين يستكبرون ويعاندون ، ويؤثرون الضلال على الهدى ، كان شر ذلك واقعاً عليهم دون غيرهم ؛ ولا عمل لك يا محمد إلا أن تبلغ رسالة الله بالطريقة التى رسمها الله ، فليس لك عليهم وكالة ولا وصاية ، ولست مكلفاً أن تحملهم على الإيمان بالقهر والسيطرة .

من الآية ٤٢ إلى الآية ٤٨ من سورة الزمر

اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ، فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ ، وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ؛ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ -١- . أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ؟ قُلْ : أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ؟ -٢- . قُلْ : لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ، لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ -٣- . وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ، وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ -٤- . قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ -٥- . وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ -٦- . وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ، وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ -٧- .



## شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
الله هو الذى يتوفى الأحياء التى تموت بعد استيفاء أجلها .	الله يتوفى الأنفس حين موتها
والله يتوفى الأحياء التى لم تستوف أجلها فى أثناء نومها ، فلا تتصرف ولا تميز وقت النوم ، فهى تشبه الميتة فى هذا .	والتي لم تمت فى منامها
فالأحياء التى استوفت آجالها وتوفأها الله ، لا ترد إلى الحياة الدنيا .	فيمسك التى قضى عليها الموت
والأحياء التى لم تستوف أجلها ، ويتوفأها الله فى أثناء نومها ، يردها إلى الحياة بالحركة والتمييز والتصرف ، حتى ينقضى أجلها فى الدنيا ، فتموت الموتة الكبرى .	ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى
إن فى توفى الأنفس على الصورتين السابقتين ، لدلالات واضحة على قدرة الله ، يعرفها العقلاء المفكرون .	إن فى ذلك آيات لقوم يتفكرون
هل اتخذت قریش شفعاء لها عند الله من الأصنام التى تعبدها ، من غير أن يأذن الله لها ؟	أم اتخذوا من دون الله شفعاء
أيشفع هؤلاء لكم عند الله ، ولو كانوا لا شأن لهم فى نفع ولا ضرر ، ولا عقل يميزون به بين الخير والشر .	أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون

شرحها	الألفاظ
الله وحده هو المختص بالشفاعة ومالكها ، والآذن بها . انقبضت ونفرت ، ترك ذكر أصنامهم وأوثانهم الأصنام والأوثان ، كالكالات والعزى . إذا هم تمتلئ قلوبهم سروراً ، وتفيض وجوههم بشراً .	لله الشفاعة جميعاً اشمأزت الدين من دونه إذا هم يستبشرون
يا خالق السموات والأرض . يا عالم السر والعلن . لجعلوا بكل ما يملكون فداء لهم من العذاب الشديد ، الذى يقاسونه يوم القيامة .	فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة لافتدوا به من سوءالعذاب
وأظهر الله لهم يوم القيامة أموراً لم يدر بخلدتهم أنها ستظهر على الصورة التى رأوها عليها وظهرت لهم الأعمال السيئة التى كسبوها فى الدنيا . وأحاط بهم العذاب الشديد ، جزاء على استهزأهم فى الدنيا بما كان يعرض عليهم ، ويُدْعَوْنَ له .	وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون

### مجمل المعنى

١ - من الأدلة الواضحة على قدرة الله ووحدانيته ، أنه يتصرف فى جميع خلقه على ما يشاء ؛ ومن دلائل تصرفه المطلق أنه يتوفى الأحياء توفياً لا رجعة بعدها إلى الدنيا ، بعد أن تنهى أعمارها ، وأنه يتوفاها توفياً جزئياً يتمثل فى عدم التمييز والتصرف ، وذلك فى وقت النوم ، فإذا انتهى وقت النوم صحّت ، ورُدّت إليها قدرتها على التمييز والتصرف ، وتظل كذلك الأنفس بين موت

وحياة ، حتى تستوفى أجلها من الدنيا ، ثم تموت الموتة الأخيرة التي يمسك الله بعدها روحها ، فلا ترد إليها ؛ وفي هذا كله أدلة قوية واضحة لأصحاب العقول المفكرة ، التي تعتبر بما يجري حولها من شئون الحياة وتقلباتها ، وتغير مظاهرها .

٢ - وإن هؤلاء الذين يشركون مع الله آلهة أخرى ، يظنون أنها تشفع لهم عند الله ، لبئس ما ظنوا ! إذ كيف تتوسط لهم عند ربهم ، وهي لا تملك شيئاً ، ولا تعقل شيئاً ، وإنما هي جمادات صماء ، صنعوها بأيديهم ، ونصبوها آلهة لهم .

٣ - لا يستشفع أحد عند الله إلا بإذن الله ، « من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ؟ » ، فالشفاعة له سبحانه ، اختص بها ، ولم يمنحها أحداً من خلقه إلا بإرادته ورضاه ؛ ولكنه لا يمنح شرف الاستشفاع إلا لمن يرتضيهم ويأذن لهم بالشفاعة ، فإن الشفاعة منزلة رفيعة لا ينالها إلا أخص خلق الله بالله ؛ وهو يملك السموات والأرض والعوالم كلها ، والمرجع إليه وحده ، ولا يمكن التكلم في أمر من الأمور إلا برضاه وإذنه ، فهو المختص بالعبادة والتوحيد ، فإن تعبدتموه لا تحتاجوا إلى شفيع ، لأنكم بذلك تكونون لجأتم إلى صاحب الأمر ، من غير وسيط ولا شفيع .

٤ - قرئت سورة النجم أمام باب الكعبة ، وفيها توحيد الله ، وتنزيهه عن الشريك والولد ؛ فسمعها المشركون من قريش ، فانقبضت نفوسهم وأووا رعوهم ، ونفروا من سماعها ؛ وهؤلاء الجهال إذا سمعوا ذكر آلهتهم ، ولو مع ذكر الله - تعالى - ، استبشروا وفرحوا ، وظهرت آثار سرورهم على وجوههم ، ألا لبئس ما يصنعون !

٥ - يأمر الله نبيه أن يقول : يا الله ؛ يا خالق السموات والأرض ، يا عالم الغيب والشهادة يا من لا تقع عليه عين، ولا يحسه بصر، يا محيطاً بكل شيء ، حتى هاجسات النفوس ، وواردات الحواطر والظنون أنت الحاكم العدل، الواقف على ما بيني وبين قومي من خلاف ، فاحكم بيني وبينهم بما تقتضيه حكمتك ، ويرتضيه عدلك .

٦ - هؤلاء المشركون الذين ظلموا أنفسهم بشركهم ، لو أنهم يملكون جميع ما في هذه الدنيا ، ويملكون مثل ما في هذه الدنيا فوق ما فيها ، وأرادوا أن يقدموا جميع ما يملكون فداء لهم من العذاب الشديد الذي سيعذبونه يوم القيامة ، لما قُبِلَتْ منهم هذه الفدية ، وظهر لهم من عذاب الله وشدته يوم القيامة ما لم يكونوا يظنون أنهم سيلقونه ؛ وفي هذا تهديد لهم ، ووعيد شديد، وتيسيس من الخلاص والنجاة إذا ظلوا على كفرهم .

٧ - وظهر لهم كذلك الأعمال السيئة التي عملوها في الدنيا ، لأن كلاً منهم سيجد عمله حاضراً أمامه ، فتلزمه الحجة ، ولا يستطيع أن ينكر ، وأحاط بهم العذاب إحاطة شديدة ، فلا مفر لهم منه ؛ وذلك بسبب ما بدر منهم في الدنيا من استهزاء بمحمد وبعوته، وبمن آمن به .

( ٣ )

من الآية ٤٩ إلى الآية ٥٢ من سورة الزمر

فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ، ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً  
مِنَّا ، قَالَ : إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ ، بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ ،  
وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ -١- . قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ  
قَبْلِهِمْ ، فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ، فَأَصَابَهُمْ  
سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ، وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ  
سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ، وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ -٢- . أَوْلَمْ يَعْلَمُوا  
أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ؟ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ -٣- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
مس الإنسان ضر خوّلناه	أصاب الإنسان شدة . منحناه متفضلين عليه .
أوتيته على علم	أعطيت ما عندي من النعمة لفضلي ومرتلي ، ولأني أحصل عليه بكدي وعملي ، ومعرفتي الطرق التي أجلب منها رزقي .

الألفاظ	شرحها
بل هي فتنة	بل النعم اختبار وابتلاء نختبر ونبتلى بها .
ولكن أكثرهم لا يعلمون	ولكن أكثر هؤلاء الناس لا يعلمون حكمة الله في ابتلائهم ، بإنزال الضر بهم ، تعقبه نعمته عليهم .
قد قالها الذين من قبلهم	هذا الكلام الذي يقوله هؤلاء ، وهو : إنما أوتيته ، على علم عندي ، قاله ناس من الذين سبقوهم ، كقارون .
فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون	فما أغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم شيئاً من عذاب الله .
فأصابهم سيئات ما كسبوا	فأصابهم جزاء سيئاتهم التي كسبوها في الدنيا .
من هؤلاء	من مشركي مكة .
وما هم بمعجزين	وليسوا بمعجزين من عذاب الله .
ويقدر	ويضيق .
إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون	إن في هذا الذي يفعله الله بهم ، لدلالات للذين يؤمنون بالله ، ينتفعون بها .

### مجمل المعنى

١ - الإنسان إذا أصابه شدة في جسمه أو ماله أو أهله لجأ إلى الله ، ودعاه أن يكشف ما به من غم وضر ، وإذا من الله عليه ، ولطف به ، وأنعم عليه متفضلاً ، أنكر فضل الله عليه ، وقال إن هذه النعمة إنما حصل عليها بجده وكده ، أو بعلم استخدمه في الحصول على الثروة ، أو الشفاء من المرض ؛ وإن اعترف بأن الله أعطاه إياه ، علل ذلك بأنه إنما أعطاه ، لاستحقاقه ،

وأهليته للتصرف فيه ، ورضاه عنه ، ولشرفه بين قومه وبين الناس ، ولم يدبر  
أن الله إنما تفضل عليه بهذه النعم اختباراً له وابتلاء ، أيشكر أم يكفر ؟  
ولكنهم لجهلهم ، وسوء رأيهم ، لا يعلمون حكمة الله في أنه تفضل عليهم  
بمنحهم هذه النعمة .

٢ - وإن كثيراً ممن سبق كفار قريش ، كفارون وغيره ، قالوا مثل هذا القول ، حين  
وسع الله عليهم في صحتهم أو مالهم أو غير ذلك ، ولكن هذا لم يفدهم شيئاً ،  
حين أراد الله مؤاخذتهم على إشراكهم ، وتكذيبهم أنبياءهم ، وأصابهم  
العذاب الشديد بسبب ما كانوا عليه من الكفر في الدنيا والآخرة ؛ وإن  
قومك يا محمد سيصيبهم مثل ما أصاب هؤلاء السابقين ، ولن يعجزوا الله ،  
ولن يفلتوا منه ؛ وقد نزل بهم في الدنيا ما أنذرهم الله ، وهو قتلهم يوم بدر ،  
وسيقع عليهم في الآخرة العذاب الشديد .

٣ - هؤلاء الذين كشفنا عنهم ضرهم ، كان يجب عليهم أن يعلموا أن كل شيء  
بيد الله وحده ، فهو الذي يوسع الرزق لمن يشاء ، ويضيِّقه على من يشاء ،  
ويعطي بقدر من يشاء ؛ وفي هذا كله دلائل واضحة على قدرته ووحدانيته ،  
لا يعرفها ويقدرها إلا الذين يشرح الله صدرهم للإيمان .

من الآية ٥٣ إلى الآية ٦٤ من سورة الزمر

قُلْ : يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ، لَا تَقْنَطُوا  
مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ  
الرَّحِيمُ ١- . وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ  
يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ، ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ٢- . وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ  
مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ  
بَغْتَةً ، وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ٣- . أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ :  
يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ، وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ  
السَّٰخِرِينَ ٤- . أَوْ تَقُولَ : لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ  
مِنَ الْمُتَّقِينَ ٥- . أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ : لَوْ أَنَّ  
لِي كَرَّةً ، فَاكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ! ٦- . بَلَىٰ ، قَدْ  
جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ ، وَكُنْتَ مِنَ  
الْكَافِرِينَ ٧- . وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ  
وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ، أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ؟  
٨- . وَيُنجِي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ ، لَا يَمَسُّهُمُ



السُّوءُ ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ - ٩ - . اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ  
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ، لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ،  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ، قُلْ :  
أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَعْبُدُونَ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ؟ - ١٠ - .  
شَرْحُ الْأَلْفَاظِ

الألفاظ	شرحها
الذين أسرفوا على أنفسهم	الذين جنوا على أنفسهم بالإسراف في ارتكاب المعاصي .
لا تقنطوا من رحمة الله	لا تيأسوا من عفو الله ومغفرته .
إن الله يغفر الذنوب جميعاً	إن الله يقبل توبة التائب عن أى ذنب ، ما دامت توبته نصوحاً .
إنه هو الغفور الرحيم	إنه هو الذى يستر على المذنبين ذنوبهم ، ويبالغ فى سترهم ، وإنزال الرحمة بهم ، إذا تابوا وقبل توبتهم .
وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا	وارجعوا إلى الله ، وأخلصوا له ظاهراً وباطناً .
من قبل أن يأتىكم العذاب	من قبل أن يحق عليكم العذاب ، وينزل بكم ، فتفلت من أيديكم فرصة التوبة .
واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم بغيته	واتبعوا ما أمر الله به ، واجتنبوا ما نهى عنه . فجأة .
وأنتم لا تشعرون	وأنتم لا تحسون به قبل نزوله ، فليس له مقدمات تنذركم مجيئه .

شرحها	الألفاظ
<p>وأنبؤوا إلى ربكم وأسلموا له لثلا تقول نفس .          يا أسنى ويا ندى على تهاوني في أمر الله ، وتساهلي          في طاعته ، وجرأتى على ذاته بإشراك غيره معها!!          وإني كنت من المستهزئين بالمؤمنين .          لو أن الله منحني الهداية وقدرها لي .          لكنت من الذين يتقون الشرك ، ويحبتونه .</p>	<p>أن تقول نفس          يا حسرتا على ما فرطت          في جنب الله          وإن كنت لمن الساخرين          لو أن الله هداني          لكنت من المتقين</p>
<p>أتمنى أن تكون لي رجعة إلى الدنيا ، فأكون من          الموحدين الذين يحسنون العمل في طاعة ربهم .          يرد الله على الكافرين : قد أرسلت إليكم الرسل          ومعهم حججهم ، فلم تعبتوا بهم ، ولم تؤمنوا .          نسبوا إليه ما لا يليق به ، ولا يجوز عليه .          إن في جهنم منزلا للذين استكبروا على الله ولم يؤمنوا .          بفوزهم ونجاتهم بصالح أعمالهم .</p>	<p>لو أن لي كرة فأكون          من المحسنين          بلى قد جاءتك آياتي          كذبوا على الله          أليس في جهنم مثوى          للمتكبرين          بمفازتهم</p>
<p>لا تصيبهم النار في أبدانهم ، ولا الخوف والحزن          في قلوبهم .          والله حافظ كل شيء برعايته له .</p>	<p>لا يمسهم سوء ولا هم          يحزنون          وهو على كل شيء وكيل</p>
<p>له ملك السموات والأرض : يدبر الأمر فيهما          ويحفظهما . والمقاليد: المفاتيح ؛ والذي في يده          مفاتيح الخزائن يكون كل ما فيها عنده .</p>	<p>له مقاليد السموات          والأرض</p>
<p>قل للذين يدعونك إلى دين آبائهم : أبعد هذا          تأمروني أن أعبد غير الله .</p>	<p>قل أغير الله تأمروني          أعبد</p>

## مجمل المعنى

١ - قال أهل مكة: يزعم محمد أن من عبد الأوثان ، ودعا مع الله إلهاً آخر ، وقتل النفس التي حرم الله - لم يُغفر له ، فكيف نهاجر ونسلم ، وقد عبدنا الأوثان ، وقتلنا النفس التي حرم الله ، ونحن أهل الشرك ؟ ؛ فأُنزل الله : « يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم . . . » ، والمعنى : أن كل من يرتكب ذنباً ، صغيراً كان أو كبيراً ، ولو كان هذا الذنب إشتراكاً ، ثم رأى المذنب أنه أخطأ في حق الله ، وأنه يتوجه إلى ربه تائباً نائباً ، مستغفراً نادماً ، معترفاً بشناعة ما ارتكب ، ولجأ إلى الله طامعاً في عفوه وغفرانه ، صحيح العزم على ألا يعود إلى مثل ما ارتكب - فإن الله واسع المغفرة ؛ ولا يجوز أن ييئس إنسان من عفوه ورضاه ؛ حكوا أن وحشياً قاتل حمزة رضى الله عنه ظن أن الله لا يقبل إسلامه ، فأتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : يا محمد ، أتيتك مستجيراً ، فأجرني حتى أسمع كلام الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد كنت أحب أن أراك على غير جوار ، فأما إذ أتيتنى مستجيراً ، فأنت في جوارى حتى تسمع كلام الله ، قال وحشى : فإنى أشركت بالله ، وقتلت النفس التي حرم الله ، وزيت ، هل يقبل الله منى توبتى ؟ فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلت : « والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ... » إلى آخر الآية ، (صفحة ٢٨ ، سورة الفرقان ، جزء ١٩) ، فتلاها على وحشى ، فقال : أرى شرطاً ، فلعلى لا أعمل صالحاً ، أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله ، فنزلت : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » ، (صفحة ٢١ ، سورة النساء ، جزء ٥) فدعا به وتلاها عليه ، فقال : فلعلى ممن لا يشاء ، أنا في جوارك حتى أسمع

كلام الله ، فنزلت : « يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم ، لا تقنطوا من رحمة الله » ، فقال : نعم . الآن لا أرى شرطاً ، فأسلم ، وهكذا قبل الله توبة وحشى قاتل سيدنا حمزة ، كما قبل توبة هشام بن العاصى بن وائل ، وكان قد فُتن فى دينه .

٢ - ولما هيا الله للناس أن يتوبوا ، وأطمعهم فى عفوه ، وفتح لهم باب مغفرته ورحمته ، أمرهم أن يسارعوا إلى التوبة ، وأن يخلصوا له ظاهراً وباطناً ، وأمامهم فرصة التوبة ، لأنهم إذا أضعوا هذه الفرصة حتى توشك أن تنتهى أعمالهم ، وحتى يوشك العذاب أن يقع عليهم ، وأرادوا إذ ذاك أن يتوبوا ، فإن الله لا يقبل منهم .

٣ - وأمرهم كذلك أن يتبعوا ما أنزل على نبيه ، ويتبعوا كل ما أمر به ، ويجتنبوا كل ما نهى عنه ، قبل أن يفجأهم العذاب ، وينزل عليهم من غير إنذار سابق ، ولا مقدمات تنبئ به .

٤ - أمر بهذا وذاك ، حتى لا يقولوا : واحسرتاه على ما فرطنا فى حق الله ، وتهاوناً فى أمر الله ، وتساهلنا فى طاعة الله ، واجترأنا على ذات الله ، واستهزأنا بالدعوة إلى الله !!

٥ - وأمرهم بهذا وذاك أيضاً ، حتى لا يقولوا : لو أن الله أراد لنا الهدى لاهتدينا ، وأطعنا رسوله واتبعناه ، وجانبنا الشرك ، وابتعدنا عن المعاصى .

٦ - وأمرهم بهذا وذاك أيضاً ، حتى لا يقولوا حينما يرون العذاب نازلاً عليهم ، أو محيطاً بهم : نتمنى أن يعيدنا الله إلى الدنيا كما كنا ، ولو أنه يعيدنا لآمنا به ، وأطعنا رسوله ، وعبدناه وحده .

٧ - ومثل هؤلاء يرد الله عليهم : بأنه قد أرسل إليهم نبيه ، ومعه قرآنه ، ودعاهم

ومنأهم ، وبشرهم ، وأنذرهم ، فلم يكن منهم إلا التكذيب والعناد والنفور ،  
والاستكبار ، والاصرار على الكفر .

٨ - يبعث هؤلاء الكافرون الذين كذبوا على الله ، ونسبوا إليه ما لا يليق به ،  
ولا يجوز عليه من الشريك والولد وغير ذلك ، ووجوههم قبيحة شوهاء ،  
سوداء كاحلة ، وهم جميعاً في جهنم يأوون إليها ، ومنازلهم فيها ، يقيمون بها  
إقامة دائمة خالدة .

٩ - أما الذين خافوا الله ، وأطاعوا رسوله ، وآمنوا به ، فإن الله منجيهم بفوزهم  
بالجنة ، ونجاتهم من النار بصالح أعمالهم ، فلا تصيبهم في أبدانهم ، ولا  
يدخل الحزن قلوبهم .

١٠ - الله - وحده - هو الذي خلق كل العوالم السماوية والأرضية ، وما نعرف منها  
وما لا نعرف ؛ وهو الذي يحفظ ما خلق ، ويبقيه على نظامه البديع إلى  
أجله المحدود ؛ وهو الذي يتصرف في خلقه كله ، فهو أحق بالألوهية  
والعبادة ؛ ولذلك نجد الذين كفروا بعد إثبات هذا لهم هم الذين خسروا  
الدنيا والآخرة ، وهم الذين سحقت عقولهم ، الى درجة أنهم بعد هذا كله  
يطلبون من محمد أن يرجع إلى دين آبائه وأجداده ، وأن يفضله على الدين  
الجديد : دين الإسلام ، دين التوحيد .

من الآية ٦٥ الى آخر سورة الزمر

وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ : لَعْنُ  
أَشْرَكَتَ لِيَجْبَطَنَّ عَمَلُكَ ، وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، بَلِ  
اللَّهُ فَاعْبُدْ ، وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ - ١ - . وَمَا قَدَرُوا  
اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،  
وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ  
- ٢ - . وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ، فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ  
فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ ، فَإِذَا هُمْ  
قِيَامٌ يَنْظُرُونَ - ٣ - . وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ، وَوُضِعَ  
الْكِتَابُ ، وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ ، وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ  
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ - ٤ - . وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ،  
وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ - ٥ - . وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ  
جَهَنَّمَ زُمَرًا ، حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتِحَتْ أَبْوَابُهَا ، وَقَالَ  
لَهُمْ خَزَنَتُهَا : أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ  
رَبِّكُمْ ، وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ؟ قَالُوا : بَلَىٰ ،  
وَلَكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ، قِيلَ : ادْخُلُوا  
أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ، فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ !

٦- . وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ، حَتَّى إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ، وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، طِبْتُمْ ، فَأَدْخَلُوهَا خَالِدِينَ ، وَقَالُوا : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ ، وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ، فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ - ٧ . وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ، يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ، وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ ، وَقِيلَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ - ٨ .

شَرْحُ الْأَلْفَازِ

الألفاظ	شرحها
وإلى الذين من قبلك ليحبطن عملك وكن من الشاكرين وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته والسماوات مطويات بيمينه	وإلى الأنبياء الذين أرسلوا قبلك . ليبطن عملك الطيب الذي عملته قبل أن تشرك . وكن من الذين يشكرون الله على ما أولاهم من نعم جليلة ، وأخصها نعمة الرسالة . وما عظموا الله بما يستحق من التعظيم . الأرضون كلها يتصرف فيها تصرفاً مطلقاً بلا عناء ، كما يتصرف الرجل فيما يملكه في كفه . والسماوات جميعاً هو ناشرها وهو طاويها بقدرته .

شرحها	الألفاظ
صاحب هذه القدرات العظيمة ، منزه تنزيهاً مطلقاً عن الشركاء الذين يشركونهم معه في عبادته . فهلك الخلق جميعاً ، إلا من يريد الله استبقاءهم من الملائكة .	سبحانه وتعالى عما يشركون فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله
فإذا هم يبعثون على أثر النفخة الثائية ، وينظرون فيما حولهم مشدوهين مبهوتين ، ينتظرون أمر الله فيهم . وأضاءت أرض الموقف يوم الحساب بعدل الله الذي يقيمه بين عباده جميعاً . ووضعت صحائف الأعمال المسجل فيها كل ما عمله الإنسان في الدنيا .	فإذا هم قيام ينظرون وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب
وأق بالنيبين الذين أرسلهم الله لعباده ، ليقول كل منهم ما جرى بينه وبين من أرسل إليهم . والذين شهدوا من الأبرار ما رأوا من أهل زمانهم . وحكم الله بينهم جميعاً حكماً عادلاً ، لا ظلم فيه . واستوفت كل نفس حقها من ثواب أو عقاب ، جزاء ما قدمت في الدنيا .	وجيء بالنيبين والشهداء وقضى بينهم بالحق ووفيت كل نفس ما عملت
والله يعلم كل ما فعلوه في الدنيا ، وليس في حاجة إلى شاهد أو إقامة دليل . ودفع الكافرون إلى جهنم جماعات دفعاً عنيفاً ، لا هوادة فيه ولا رفق .	وهو أعلم بما يفعلون وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً



شرحها	الألفاظ
قال لهم حراسها ، القائمون عليها ، الموكلون بتعذيب أهلها .	وقال لهم خزنتها
رسل من جنسكم من بني آدم . ويخوفونكم هول هذا اليوم وشدته .	رسل منكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا
اعترفوا بأنهم جاءتهم رسل الله ، ودعتهم إلى الإيمان بالله . وجب عذاب الله للكافرين بكفرهم ، وسوء أعمالهم .	قالوا : بلى حقت كلمة العذاب على الكافرين
فبئس المقام مقام الذين استكبروا على أنبيائهم ولم يطيعوهم ، وهو جهنم ! وحمل المؤمنون الذين لهم الجنة جماعات جماعات .	فبئس مثوى المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زُمراً
أمان دائم لكم ، لطهارتكم من دنس المعاصي ، وبعدكم عن كل ما يشين .	سلام عليكم طبتم
صدقنا ما وعدنا في الدنيا ، وهو أن هناك بعثاً وحساباً ، وثواباً وعقاباً . وملأنا المكان الذي صرنا إليه .	صدقنا وعده وأورثنا الأرض
تنزل في تلك الجنة الفسيحة الواسعة أي منزل نريد .	نتبأ من الجنة حيث نشاء
فنعمت الجنة أجراً للذين عملوا في الدنيا بما أمر الله ، من تصديق أنبيائه ، والايان به !	فنعم أجر العاملين

الألفاظ	شرحها
حافين من حول العرش وقضى بينهم بالحق	محيطين به وحكم بالحق بين الناس بعد الحساب ، وإدخال فريق في الجنة وفريق في النار ، وبين الملائكة بإقامة كل منهم في منزلته .

٥

### مجمل المعنى

١ - يؤكد الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، أنه أوحى إليه وإلى الذين قبله من الأنبياء والمرسلين : أن من يشرك منهم ومن أتباعهم ، ومن الذين أرسلوا إليهم ، ليبطلن ثواب جميع أعمالهم الطيبة التي عملوها قبل أن يشركوا ، ولا يمكن أن يكون عليها ثواب ، ويفهم من هذا أن المرتد يفسد عمله الصالح ، وتبطل طاعاته التي أداها قبل الردة ، إذا مات على رذته وكفره ، فالإشراك هلك وخسران ، ولذلك يأمر الله نبيه ألا يطيع مشركى مكة في إلحاحهم عليه أن يعبد آلهتهم ، وأن يخص الله وحده بعبادته ، وشكره على نعمة الهداية التي من بها عليه .

٢ - هؤلاء المشركون الذين يشركون بالله ، ويعبدون آلهة أخرى لتقربهم إلى الله زُلفى ، لم يعظموا الله على الوجه الذى يجب أن يعظم عليه ، مع أنه صاحب القدرة التى لا حد لها ، فإن الأرضين وما عليهن ، والسموات وما فيهن ، يتصرف فيها جميعاً تصرفاً مطلقاً هيناً عليه ، كما يتصرف مالك الشئى وواضحة في كفه ، والمتحكم في كلياته وجزئياته ، كأنه يجعلها في قبضته ، ويقول : أنا الله الواحد ، أنا الله العزيز ؛ وصاحب هذه القدرات العظيمة منزه تنزيهاً كاملاً عن الشركاء الذين يشركونهم معه في عبادته .

- ٣ - ينفخ في الصور يوم القيامة نفختان : الأولى تموت بعدها الخلائق التي تكون موجودة حينذاك ، وتلحق بالتي شاء الله لها أن تموت قبل ذلك ولم تر هول هذا اليوم ، والثانية تحيا الخلائق بعدها ، ويقومون ينظرون أمر الله فيهم ، وما سيصير إليه أمر كل منهم : إما إلى جنة ، وإما إلى نار .
- ٤ - وتحشر الخلائق بعد الإحياء ، ويساقون للحساب ، ويقفون أمام الواحد القهار ، الذى ينشر بينهم عدله ، فتضىء أرض الموقف بعدل الله الذى يقيمه بين عباده جميعاً ، وليس بينهم إلا كل مطمئن لعديل الله ، راض بقضائه فيه ، فإنه وجد كل ما عمل من خير محضراً ، وكل ما عمل من سوء محضراً ؛ ويأتى الأنبياء بعد ذلك لِيُسألوا عما كان بينهم وبين أممهم ، حين بلغوهم رسالات ربهم ؛ ويأتى الشهداء الذين يستشهد الله بهم ، ويسألون عما كان منهم لدينهم ولأنبيائهم ، وعما كان من الأنبياء لهم ولغيرهم ، وعما كان من الكافرين لهم ولأنبيائهم ، وهؤلاء الشهداء يكونون من الأبرار المقربين ، ويقضى الله بين الأنبياء وأممهم بالحق ، فلا يظلم ربك أحداً ، وكلُّ مسئول عن نفسه ، وصاحب الذنب يؤاخذ هو بذنبه .
- ٥ - وحينئذ يوفى الله كل نفس جزاء عملها ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ؛ والله يعلم ما صدر من كلِّ إنسان في الدنيا من حسنات وسيئات ، ومن معاص وطاعات ، والمحسن المطيع يثاب بإحسانه وطاعته ، والمسيء العاصى يعاقب بإساءته وعصيانه .
- ٦ - أما الكافرون فإنهم يدفعون الى نار جهنم دفعاً ، ويساقون إليها جماعات جماعات ، سوق ازدراء واحتقار وإذلال ؛ حتى إذا وصلوا إليها فتحت لهم أبوابها ، ووقف الموكلون والخزانة على الأبواب ينظرون إليهم شامتين ، ويقولون لهم مبكتين : ألم يرسل الله إليكم رسلا من جنسكم : آدميين مثلكم ، يتحدثون بلغاتكم ، ويدعونكم إلى سبيل الهدى والرشاد ، ويتلون عليكم

الكتاب الذى أنزله الله إليكم ، ويثبتون رسالتهم بما أجرى الله على أيديهم من معجزات ، ويصفون لكم أحوال هذا اليوم ، وما تلقون فيه من عذاب شديد إن أصررتم على كفركم وعنادكم ؛ يقول لهم خزنة جهنم هذا كله ، فيعترفون به ، ويقرون أنه وقع ، ولا ينكرون منه شيئاً ، ويستدركون على اعترافهم ، بأن العذاب وجب عليهم ، بسبب كفرهم ، فلا مخلص منه ، وإذ ذاك يدخلون جهنم مأمورين ، ويخلدون فيها معذبين ، وليست جهنم إلا مسكناً لهؤلاء الذين تكبروا على الله فى الدنيا ، ولم يوحده ، ولم يؤمنوا برسله .

٧ - وأما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسله ، وعملوا بطاعاته ، وتجنبوا المعاصى ، فإنهم يساقون إلى منازلهم فى الجنة مكرّمين ، ويذهبون إليها جماعات متحابين متآلفين . فإذا وصلوا إلى الجنة فتحت لهم أبوابها الثمانية ، وتلقاهم خزنتها فرحين مستبشرين ، وقالوا لهم : سلام دائم لكم ، وطهارة طاهرة ، وعيشة راضية دائمة ، وطلبوا منهم أن يدخلوها طيبين ، كما كانت أعمالهم فى الدنيا طيبة ، وبشروهم بالخلود والدوام ، كما وعدهم الله حين كانوا فى الدنيا ، ولذلك يحمدون الله الذى صدق وعده ، وما كان الله ليعد إلا ليصدق وعده ، وما شكوا فى هذا ، ولكهم يذكرونه لمجرد الذكر ؛ فإنه أورثهم أرض الجنة ، وجعلها لهم من دون الكافرين ، وتركهم يتمتعون فيها بكل ما يشاءون أن يتمتعوا به ؛ فنعم ثواب المطيعين الذين أطاعوا رسلهم ، وآمنوا بربهم ! فليس بعد الجنة ثواب خير منها .

٨ - وفى يوم القيامة يرى محمد الله مسيطراً على ملكه ، ويرى الملائكة تسبح الله فى كل نواحي ملك الله ؛ ويقضى الله بين الأنبياء وبين أممهم بما يقتضيه عدله ، ويختتم مجلس القضاء بالحمد لله رب العالمين على ما قضى بالعدل ، والثناء عليه ، وشكره على ما فصل به بين خلقه أجمعين .

## سورة غافر أو المؤمن

نزلت بمكة ، ما عدا الآيتين ٥٦ ، ٥٧ فقد نزلتا بالمدينة ؛

وآياتها ٨٥ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( ١ )

من الآية الأولى إلى الآية السادسة

حَمَّ ، تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، غَافِرِ  
الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ، شَدِيدِ الْعِقَابِ ، ذِي الطَّوْلِ ،  
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، إِلَيْهِ الْمَصِيرُ - ١ - . مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ  
اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ،  
كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَهَمَّتْ  
كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا  
بِهِ الْحَقَّ ، فَأَخَذْتُهُمْ ، فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ؟ - ٢ - .  
وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا : أَنَّهُمْ  
أَصْحَابُ النَّارِ - ٣ - .

## شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
تراجع الصفحة ١٣ من تفسير الجزء الأول . تنزيل القرآن .	حم تنزيل الكتاب
{ من الله القوى السلطان ، العالم بمن يؤمنون به ، وبمن يكفرون .	من الله العزيز العليم
{ الله يغفر للمذنبين ذنوبهم ، ويقبل من التائبين توبتهم .	غافر الذنب وقابل التوب
{ صاحب الغنى عن كل موجود في كل الوجود ، وصاحب الفضل على جميع خلقه .	ذى الطول
إليه المرجع والمآب .	إليه المصير
{ ما يناقش ويخاصم في أن القرآن صدق أو كذب إلا الكافرون .	{ ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا
{ فلا يخدعك أنهم يترددون بتجاراتهم على البلاد الأخرى ، ويربحون فيها أرباحاً كثيرة .	{ فلا يغرك تقلبهم في البلاد
{ والذين تحزبوا ضد رسلمهم ، الذين جاءوا بعد نوح . وتعصبت هذه الأمم على رسلها ، وتعرضت كل أمة لرسولها تريد قتله .	{ والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه
{ وناقشوا رسلهم منتصرين للباطل ، معتمدين على السفسطة والمغالطة ، لينصروا باطلهم وكفرهم على الحق والإيمان الذى هو من عند الله .	{ وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق

الألفاظ	شرحها
فأخذتهم فكيف كان عقاب ؟ حقت كلمة ربك	فعاقتهم . فإذا حدث لهم ، وما حقيقة العقاب الذى عوقبوا به ؟ لأنه كان شديداً . وجب عذاب ربك .

### مجمل المعنى

١ - الحاء والميم صيغ منهما ومن غيرهما من حروف الهجاء القرآن ، الذى هو تنزيل من الله سبحانه وتعالى ؛ والله يتصف بصفات كثيرة منها : أنه قوى السلطان ، منيع عزيز فى انتقامه من أعدائه ، وأنه عليم بمن يؤمنون به وبمن يكفرون به ، وأنه يقبل توبة التائب إذا صدرت عن إيمان صحيح ، وقلب خاشع ، وأنه يغفر ذنوب التائبين ، وأنه شديد العقاب للكافرين الذين لا يؤمنون ، والعاصين الذين لا يتوبون ، فغفرانه لمن يستحق الغفران ، وعقابه لمن يستحق العقاب ، وأنه صاحب فضل على خلقه جميعاً ، فى حين أنه غنى عنهم جميعاً ، وقادر عليهم جميعاً ، وإذا كانت هذه كلها صفاته ، فهو أحق بالوحدانية والعبادة ، ولا يجوز إشراك غيره معه ؛ والمرجع إليه ، والثواب والعقاب عنده سبحانه وتعالى ؛ روى عن عمر بن الخطاب أنه افتقد رجلاً ذا بأس شديد من أهل الشام ، فعلم أنه يد من الشراب ، فقال عمر لكاتبه : اكتب ، من عمر إلى فلان ، سلام عليك ، وأنا أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، « بسم الله الرحمن الرحيم . حم ، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ؛ غافر الذنب ، وقابل التوب ، شديد العقاب ، ذى الطول ،

لا إله إلا هو ، إليه المصير » ثم ختم الكتاب وقال لرسوله : لا تدفعه إليه حتى تجده صاحبياً؛ ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة . فلما أته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول : قد وعدني الله أن يغفر لي . وحذرتني عقابه ، فلم يبرح يرددتها حتى بكى ، ثم نزع فأحسن النزوع ، وحسنت توبته ، فلما بلغ عمر أمره قال : هكذا فاصنعوا ، إذا رأيتم أحدكم زلّ زلة فسددوه ، وادعوا الله له أن يتوب عليه ، ولا تكونوا أعواناً للشياطين عليه ؛ والتوب : مصدر تاب يتوب .

٢ - آيات الله وحججه وأدلته على صدق أنبيائه فيما يبلغون ، لا يخاصم فيها ويجادل إلا الكافرون الذين عميت قلوبهم ، فلم تشرق بنور الإيمان ، فلا يخذلك يا محمد أن هؤلاء المخاصمين مهملون ، باقون أحياء بخير ظاهر ، يغدون ويروحون ، ويتقلبون في البلاد بتجارة وزراعة ، ويحصلون على رزق واسع مبسوط ، فإن هذا إمهال موقوت ، ليس ناشئاً عن رضاً عنهم ، أو مطاولة لهم ، ولكن لعذابهم وقتاً محدوداً ، وأجلاً مقررّاً ، سيقع فيه حتماً ؛ وانظر إلى الذين كذبوا أنبياءهم من قبلهم ، وما أرادوا أن يفعلوه معهم ، من محاولة قتلهم أو تعذيبهم أو غير ذلك ، وما كانوا يجادلونهم به ، وكيف كانوا يحاولون أن ينصروا باطلهم على الحق الذي جاء به أنبياءهم؟ - انظر إلى هؤلاء وما جرى لهم ، وما وقع عليهم من عذاب ، إنه كان عذاباً شديداً ، لم يفلت منه واحد منهم ، فقد أهلكهم ، وخرّب ديارهم وجعلهم عبرة لمن بعدهم .

٣ - وهكذا وجب عذاب الله على الكافرين الذين لم يؤمنوا به ولم يوحدوه من قومك ، كما وجب على الذين سبقوهم ممن كانوا في مثل حالهم من الكفر والتكذيب ؛ وبعد ذلك يجتمع هؤلاء وهؤلاء كلهم في نار جهنم يوم القيامة .



( ٢ )

من الآية ٧ إلى الآية ٩ من سورة غافر

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ  
وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا : رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ  
شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ، فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ .  
وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ، رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي  
وَعَدْتَهُمْ ، وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ،  
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ، وَمَنْ تَقِ  
السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به	يصلون لربهم حامدين شاكرين . ويقرون بوحدانيته ، وبأنه لا إله إلا هو .
ويستغفرون للذين آمنوا	ويسألون الله أن يغفر للمؤمنين الذين أقروا بوحدانيته وتابوا عن ذنوبهم .
وسعت كل شيء رحمة وعلماً	وسعت رحمتك وعلمك كل شيء من خلقك .

الألفاظ	شرحها
واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا ، وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح	واتبعوا أمرك ونهيك ، ودين توحيدك . واحفظهم من عذاب النار يوم القيامة . ربنا وأدخلهم جنات يقيمون فيها إقامة دائمة ، وهي الجنات التي وعدتهم بدخولها . ومن أرضاك بالطاعة والعمل الصالح . إنك أنت العزيز الحكيم ، تديريك .
وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته	واحفظهم واصرف عنهم جزاء ما عملوا في الدنيا من سيئات ، بسبب طاعتهم وتوبتهم . ومن تصرف عنه العذاب الذي كان يستحقه على ما ارتكب من سيئات قبل أن يتوب ، فقد رحمته بتنجيته .
وذلك هو الفوز العظيم	ونجاته من العذاب وإدخاله الجنة فوز عظيم ، بل هو أعظم فوز .

### مجمل المعنى

ملائكة الله على اختلاف درجاتهم ومنازلهم يحيطون بملك الله ، ولا ينقطعون عن التسبيح والعبادة ، والإقرار بالوحدانية ، وطلب المغفرة للمؤمنين من عباده ، ويقولون في دعائهم للمؤمنين : ربنا وسعت رحمتك كل شيء ، فرحمت خلقك ، ووسع علمك كل شيء ، فلم يخف عليك شيء ظاهراً كان أو باطناً ؛ فنسألك يا عالم يا رحمن أن تغفر للذين تابوا عن ذنوبهم وآمنوا بك ، وأطاعوك ، وأقروا

بوحدانيتك ، واصرف عنهم عذاب جهنم يوم القيامة ، وأدخلهم جنتك التي وعدتهم أن يقيموا فيها إقامة دائمة هم ومن أرضاك بالعمل الصالح من آبائهم وأزواجهم وأولادهم ، وإن لم يصلوا إلى مثل درجاتهم في الصلاح والعبادة ، لأن رحمتك تتسع لهم ؛ ونؤكد لك يا ربنا أنك عزيز في انتقامك ، حكيم في تدبيرك ، فاصرف عنهم - يا ربنا - عقابهم على ما ارتكبوا في الدنيا من سيئات ، قبل أن يرجعوا إليك ويتوبوا ، ويؤمنوا بك ، فإن الذين تصرف عنهم ذلك العذاب ، تكون قد شمتهم بعفوك ورحمتك ، والذين يظفرون من هؤلاء بعفوك ورحمتك ، يكونون قد وصلوا إلى أعلى درجات الفوز ، لأنهم نجوا من النار ، ودخلوا الجنة تجرى من تحتها الأنهار .

(٣)

من الآية ١٠ إلى الآية ١٧ من سورة غافر

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ : لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ  
مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ -١- .  
قَالُوا : رَبَّنَا ، أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ، فَاعْتَرَفْنَا  
بِذُنُوبِنَا ، فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ؟ -٢- . ذَلِكَ بِأَنَّهُ  
إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ . وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا ؛  
فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ -٣- . هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ .  
وَيُنزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا . وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ  
-٤- . فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ، وَلَوْ كَرِهَ  
الْكَافِرُونَ ، رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ، يُلْقَى الرُّوحَ مِنْ  
أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ : يَوْمَ  
هُمْ بَارِزُونَ ، لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ، لِمَنِ الْمُلْكُ  
الْيَوْمَ ؟ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ -٥- . الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا  
كَسَبَتْ ، لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ -٦- .

## شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
<p>لغضب الله عليكم في الدنيا إذ عصيتموه حين دعيتم إلى الإيمان ، أكبر من غضب بعضكم على بعض في الآخرة .</p>	<p>لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم</p>
<p>إذ أضل بعضكم بعضاً .</p>	<p>إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون</p>
<p>الموتتان : موة حين كانوا في الأصلاب قبل النشأة الأولى ، وموة بعد الحياة الدنيا ؛ والحياتان : حياة في الدنيا ، وحياة بالبعث في الآخرة .</p>	<p>أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين</p>
<p>فاعترفنا في حياتنا الثانية بما ارتكبناه من الذنوب في حياتنا الأولى .</p>	<p>فاعترفنا بذنوبنا</p>
<p>فهل نعود إلى الدنيا ، لنؤمن ونعمل بأوامر الله ؟</p>	<p>فهل إلى خروج من سبيل ؟</p>
<p>أجيبوا بأنه لا سبيل إلى الرجوع إلى الدنيا ، وأن مقامهم هو ذلك المقام ، بسبب أنهم كانوا إذا دعوا إلى التوحيد في الدنيا لم يستجيبوا .</p>	<p>ذلكم بأنه إذا دُعي الله وحده كفرتم</p>
<p>وإن يشرك بالله مشرك صدقتموه وآمنتم بقوله ، واستجبتم لداعى الإشراك لا داعى التوحيد والإيمان .</p>	<p>وإن يشرك به تؤمنوا</p>
<p>فالقضاء لله الذى حكم عليكم بدخول جهنم ، العلى الذى لا يرد له حكم ، الواسع السلطان ، المنزه عن الشريك والولد .</p>	<p>فالحكم لله العلى الكبير</p>
<p>الله هو الذى يطلعكم على دلائل قدرته ، وسلطانه ووحدانيته .</p>	<p>هو الذى يريكم آياته</p>

شرحها	الألفاظ
<p>وينزل لكم من السماء مطراً ، والمطر سبب الرزق . وما يتعظ بآيات الله إلا من يرجعون إلى طاعة الله . مخلصين له في طاعتكم إياه ، وعبادتكم له . ولو كره المشركون إخلاصكم في الطاعة والعبادة ، فلا يهتمكم كرههم .</p>	<p>وينزل لكم من السماء رزقاً وما يتذكر إلا من ينيب مخلصين له الدين ولو كره الكافرون</p>
<p>رافع منازل أوليائه في الجنة . صاحب الملك ، المنفرد بالسلطان .</p>	<p>رفيع الدرجات ذو العرش</p>
<p>ينزل الوحي من قول أو حكم أو قضاء ، أو غير ذلك ، على من يختارهم من خلقه ، وهم أنبيأؤه . لينذر رسوله الخلائق يوم التلاقى ، وهو القيامة ، ويخوفهم ما يكون فيه من حساب وثواب وعقاب . يوم هم خارجون من قبورهم ، لا يسترهم شيء . لا يخفى على الله شيء من أعمالهم . يقال للخلائق : لمن الملك في هذا اليوم ؟</p>	<p>يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم ؟</p>
<p>يجيبون جميعاً : لله الواحد القهار ، أما المؤمنون فيجيبون بما كانوا يعتقدون في الدنيا ، وأما الكافرون فيجيبون متحسرين مغمورين بما لا سبيل إلى إنكاره ، وإن فاتهم ذلك في الدنيا . بما عملت في الدنيا من خير أو شر .</p>	<p>لله الواحد القهار بما كسبت</p>
<p>لا يتطلب محاسبة الله الخلائق يوم القيامة وقتاً طويلاً ، لأنه قادر على أن يحاسبهم جميعاً حساباً سريعاً في وقت قصير .</p>	<p>إن الله سريع الحساب</p>

## مجمل المعنى

١ - يتألم أصحاب النار من عذاب النار ، وشدته عليهم ، وامتداده بهم ؛ فيتعزون بالصبر لعله ينفعهم ، فيصبرون ، ويطول صبرهم ولا يستفيدون ؛ فيجزعون ، ويطول جزعهم ، فلا يستفيدون ، فيقولون : سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ؟ ما لنا من محيص ، وإذ ذاك يقول لهم إبليس : إن الله وعدكم وعد الحق ، ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لى عليكم من سلطان . . . إلى أن يقول لهم : ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى . . . ، (مراجع الفقرة الرابعة من الصفحة ٩٨ من تفسير الجزء الثالث عشر) ، إذ ذاك تتجلى لهم حقيقة أمرهم ، فيعود بعضهم على بعض بالمقت واللعة ، ويرجعون إلى أنفسهم التى استعدت لإغواء الشيطان الماكر الحبيث ، فيمقتونها ويلعنونها كذلك ؛ ومقت الله ولعنته لهم ، وغضبه عليهم ، أشد من مقتهم أنفسهم ، ولعنة بعضهم بعضاً ؛ لأنهم طالما دُعوا إلى الإيمان ، وعصوا الدعاة ، وآثروا إطاعة الشيطان والكفر بالله ، على إطاعة الله والإيمان به .

٢ - يتجهون بعد ذلك إلى الله ويقولون متضرعين : ربنا ، كانت لنا موتتان : موة فى أصلاب الرجال وترائب النساء ، قبل أن يتم الاتصال الذى ينشأ عنه امتزاج نطفة الرجل ببيضة المرأة ، ليتكون الجنين على صورته الخاصة ؛ وليس معنى ذلك أن كلاً من النطفة والبيضة كانا ميتين ميتة لآياة فيها ، ولكن كلاً منهما كان فى آياة خاصة به ، كسبها من وضعه الخاص ، حتى تم التزواج بينهما فى الرحم ، فكانت الآياة التى تنتج الإنسان . والموة الثانية : هى التى تلحق الأحياء بعد استيفائها آجالها فى الدنيا ؛ أما الحياتان : فأولاهما : هى التى تكون بعد التزواج والإخصاب ، وثانيتها : هى التى تكون يوم البعث للحساب ، والثواب والعقاب ؛ ويقول هؤلاء الكافرون : ياربنا ،

يا قادر ، يا من قدرت أن تدبر حياتين من موتيتين : نتمنى أن تردّنا بقدرتك إلى الحياة الدنيا ، لنؤمن بك ونوحدك ، ونفردك بالعبادة .

٣ — يجابون حين يتمنون أن يعودوا إلى الدنيا: بأنه لا سبيل إلى إرجاعكم إليها ، فقد طاولناكم وعمرناكم في الدنيا وقتاً كافياً ، يتعظ فيه من عنده استعداد للعبادة ، وأرسلنا إليكم الرسل مبشرين ومنذرين ، فكنتم إذا دعا داع إلى عبادة الله وحده أنكرتم تفرده بالألوهية ، وكفرتم به ، وإن أشرك به مشرك صدقتموه ، وآمنتم بقوله ؛ فالقضاء اليوم لله الذي حكم عليكم بدخول جهنم ، وهو العلي الذي لا يرد له حكم ، الواسع السلطان ، المنزه عن الشريك والولد والزوجة .

٤ — ولو كان لكم أن تؤمنوا لآمنتم به في حياتكم في الدنيا بعد أن أراكم دلائل قدرته عياناً ؛ فهو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما من مخلوقات ، وما فيهما من عجائب ؛ كالشمس والقمر والنجوم والسحاب ، والهواء والجبال والمعادن ، والأنهار والعيون والبحار ، والحيوان والطير والنبات ، وغير ذلك ؛ وثبت لكم أنه — سبحانه وتعالى — إنما خلق هذه الأشياء من أجلكم ، وسخرها كلها لكم ، ومع ذلك لم تؤمنوا ، وآثرتم أن تتخذوا الأصنام آلهة على توحيدهِ وإفراده بالعبادة ، وهذه الأشياء كلها لا يتعظ بها إلا من يرجعون إلى الله ، ويتوبون إليه ، فيؤمنون به .

٥ — يأمر الله المؤمنين أن يدعوا الله مخلصين له في طاعتهم وعبادتهم وتوحيدهم ، ليستجيب لهم دعاءهم ، ولا يهملهم أن يكره المشركون دعاءهم ، لأنهم يريدون أن يكون الدعاء لآلهتهم ؛ وقد نسوا أن الله أحق بأن يدعى ، فهو القادر على استجابة الدعاء ، ورفع درجات عباده وأوليائه في الدنيا والآخرة ، لتمكّنه من السلطان والتصرف في العوالم كلها ، وهو الذي ينزل الوحي على رسله بما يشاء من أوامر ونواهٍ ، وحكم وتشريع وقضاء ، وغير ذلك ؛ يريد



بذلك أن يحذر الناس عذاب يوم القيامة ، وهو اليوم الذى يعرض فيه الناس والخلق جميعاً أمام الله ، بعد بعثهم وخروجهم من قبورهم ، وإذا سئلوا : لمن الملك اليوم؟ أجابوا جميعاً برؤهم وفاجرهم ، مؤمنوهم وكافروهم : لله الواحد القهار ، أما المؤمنون فيجيبون بما كانوا يعتقدون فى الدنيا ، وأما الكافرون فيجيبون فى غم وحسرة وهم ، لما فاتهم من خير الطاعة ، وحقيقة الإيمان ، ولا يستطيعون أن ينكروا الحق الواضح أمامهم ، لأن إنكارهم لا يجدى عليهم شيئاً .

٦ — وفى يوم القيامة تلقى كل نفس جزاءها ، فالنفس المؤمنة الطائعة تدخل الجنة ، وتدخل فيها ، والنفس الكافرة العاصية تدخل النار ، وتدخل فيها ؛ والله سبحانه يجازى كل إنسان بما عمل ، لا يظلم مؤمناً ولا كافراً ؛ ويحاسب هؤلاء الناس جميعاً حساباً سريعاً ، لينتهى كل منهم إلى مصيره : إما إلى جنة وإما إلى نار ؛ وقدرته واستمكانه وسيطرته على خلقه ، تجعل محاسبتهم سريعة ، لا تستنفد وقتاً طويلاً .

( ٤ )

من الآية ١٨ إلى الآية ٢٢ من سورة غافر

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ ؛ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ  
كَآظِمِينَ ، مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ -١- .  
يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ؛ وَاللَّهُ يَقْضِي  
بِالْحَقِّ ، وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ، إِنَّ  
اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ٢- . أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ  
فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ ،  
كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ ، فَأَخَذَهُمُ  
اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ، وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ؟ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ  
كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا ، فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ،  
إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ -٣- .

## شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يوم الآزفة	يوم القيامة ، وسميت القيامة آزفة لقربها .
لدى الحناجر	تحركت القلوب من أما كتبها وضغطت على الرئات ، وضغطت الرئات على الحناجر حيث الأوتار الصوتية ، فيصابون بضيق شديد يتمنون معه الراحة ولو بالموت ، فلا يحصلون عليه .
كاظمين	مكروبين صامتين ، قد امتلأت قلوبهم غمًا وهمًا وكربًا ، وعجزوا عن الكلام .
ما للظالمين من حميم	ليس للكافرين صديق يشفع لهم ويواسيهم ، ولا شفيع يشفع فيهم فيجاء إلى ما يشفع فيه .
ولا شفيع يطاع	يعلم كل شيء حتى استراق النظر إلى أي شيء .
يعلم خائنة الأعين	وما تكنه النفوس ، وهو أخفى الخفيات .
وما تخفى الصدور	والله يحكم بالعدل .
والله يقضى بالحق	والآلهة التي يعبدونها من دون الله ، ويشركونها معه ، لا فائدة فيها ألبتة ، لأنها لا تعلم شيئاً .
والذين يدعون من دونه	كيف كان آخر أمر الذين كذبوا رسلهم من الذين سبقوهم .
لا يقضون بشيء	فعدبهم الله بكفرهم .
فينظروا كيف كان عاقبة	وليس لهم حافظ يحفظهم من عذاب الله .
الذين من قبلهم	
فأخذهم الله بذنوبهم	
وما كان لهم من الله	
من واق	

## مجمل المعنى

- ١ - ويأمر الله نبيه أن يحذر قومه أهوال القيامة ، حيث يكونون في ضيق شديد ، فيحسون أن القلوب تتحرك من أماكنها ، وأن الأرواح تصعد إلى الحناجر ، وتضغط على مجرى النَّفَسِ وأوتار الصوت ، فتتلاحق الأنفاس ، وتنحبس الأصوات ، ويشتد الكرب ، ويعم الخطب ، وتمتلئ القلوب همًّا وغمًّا وكربًا ، ولا يجدون في هذا اليوم صديقًا يدافع عنهم ، ولا شفيعًا يشفع لهم .
- ٢ - والله يعلم كل شيء ، حتى اختلاس النظر ، واستراق العين ، وخواطر القلب ، وهو اجس النفس ؛ وهذه أخفى الخفيات ؛ ولعلمه كل شيء ، وما كان في النية والضمير ، يقف على حقيقة كل ما عمل ، وما أريد به ظاهره ، وما أريد به شيء خفي لم يُسَبَّح به ، ويحكم بين الناس بالعدل ؛ أما الآلهة التي يعبدها المشركون فإنها لا تعلم شيئاً ، ولا تستطيع أن تحكم بشيء لا ظلماً ولا عدلاً ، لأن الجاهل ليس أهلاً لأن يتولى حكماً ، ويؤكد الله بعد هذا أنه سميع لكل ما يقال ولو همساً ، عليم بكل ما يفعل ولو سرًّا .
- ٣ - هؤلاء الكافرون كان عليهم أن يسيروا في الأرض ، ويرتحلوا في البلاد ، ويقفوا على ما تركه من كفروا بالأنبياء السابقين ، كقوم نوح وهود وصالح وغيرهم ، ويعرفوا من آثارهم ما وقع عليهم من عذاب بسبب تكذيبهم أنبياءهم ، مع أنهم كانوا أقوى منهم قوة ، وأكثر تعميراً للأرض ، ولم يمنعهم ذلك من أن الله يعذبهم بسبب كفرهم ، ويهلكهم بالصواعق أو الطوفان ، أو الريح الصرصر العاتية ، أو الإغراق أو القحط ، أو غير ذلك ؛ وما فعل الله بهم هذا إلا لأنهم كذبوا رسلهم ، بعد أن أقاموا لهم الأدلة القاطعة على صدقهم ، والله إذا عاقب كان عقابه شديداً .

من الآية ٢٣ إلى الآية ٣٥ من سورة غافر

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ، إِلَىٰ فِرْعَوْنَ  
وَهَامَانَ وَقَارُونَ ، فَقَالُوا : سَاحِرٌ كَذَّابٌ -١- . فَلَمَّا جَاءَهُمْ  
بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا ، قَالُوا : اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ .  
وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ، وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ  
-٢- . وَقَالَ فِرْعَوْنُ : ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ ، وَلْيَدْعُ  
رَبَّهُ ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ، أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي  
الْأَرْضِ الْفَسَادَ -٣- . وَقَالَ مُوسَىٰ : إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي  
وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ -٤- .  
وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ : أَتَقْتُلُونَ  
رَجُلًا أَنْ يَقُولَ : رَبِّيَ اللَّهُ ، وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ  
رَبِّكُمْ ؟ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ، وَإِنْ يَكُ صَادِقًا  
يُصِيبُكُمْ بِعَظْمٍ الَّذِي يَعِدُكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ  
مُسْرِفٌ كَذَّابٌ -٥- . يَا قَوْمِ ، لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ  
فِي الْأَرْضِ ، فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ؟ قَالَ  
فِرْعَوْنُ : مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ ، وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ

الرَّشَادِ ٦- . وَقَالَ الَّذِي آمَنَ : يَا قَوْمِ ، إِنِّي أَخَافُ  
 عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ؛ مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ  
 وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ  
 ٧- . وَيَا قَوْمِ ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ : يَوْمَ  
 تُولُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ، وَمَنْ يُضِلِلِ  
 اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ٨- . وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ  
 بِالْبَيِّنَاتِ ، فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ، حَتَّى إِذَا  
 هَلَكَ قُلْتُمْ : لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ، كَذَلِكَ  
 يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ؛ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي  
 آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ  
 الَّذِينَ آمَنُوا ! كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ  
 جَبَّارٍ ٩- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
بآياتنا	بالآيات التسع المذكورة في قوله تعالى : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » ، وسبق الحديث عنها في الصفحة ٧١ من تفسير الجزء الخامس عشر.

الآفاظ	شرحها
وسلطان مبین	وقوة قوية واضحة .
إلى فرعون وهامان وقارون	إلى الملك ووزيره وأغنى رجل في قومه ، وخصوصاً بالذکر : لأنهم الرؤساء ، وغيرهم تبع .
ساحر كذاب	رموا موسى بالسحر والكذب ، حيناً عجزوا عن مقاومته ومعارضته .
بالحق من عندنا واستحيوا نساءهم في ضلال	بالنبوة والرسالة ، والدعوة إلى التوحيد من عند الله . واتركوا نساءهم أحياء .
ذروني أقتل موسى وليدع ربه	في خسران وبطلان وضياح ، فلا أثر له . دعوني أقتل موسى .
أو أن يظهر في الأرض الفساد	وليستعن بربه كما يشاء ، إن كان له إله غيري . أو أن يسبب إزعاجاً وهيجاناً بين الناس ، فيفسد الأمن ، ويختل النظام .
إني عذت بربي وربكم من كل متكبر	إني استعذت بالله واعتصمت به من كل من يتعاضم عليه ، ولا يؤمن به .
أن يقول ربي الله بالبينات من ربكم مسرف كذاب	لأنه يقول ربي الله . بالحجج والأدلة على صدقه ، وهي الآيات التسع . متجاوز الحد في ادعائه .
ظاهرين في الأرض	عالمين مشهورين ، ليس عليها من غلبت شهرته شهرتكم .
من بأس الله ما أريكم إلا ما أرى	من عذاب الله . ما أشير عليكم بغير ما أشرت به ، وهو قتل موسى .

الألفاظ	شرحها
مثل يوم الأحزاب	{ أن يأتى عليكم يوم تعذبون فيه ، كما عذب الكفار المتحزبون على الأنبياء الذين أرسلوا إليهم ، كنوح وهود وصالح .
دأب	جزاء .
يوم التناد	يوم القيامة .
مدبرين	محاولين الحرب حين تسمعون زفير جهنم .
ما لكم من الله من عاصم	ليس عليكم حافظ يحفظكم من عذاب الله .
ومن يضل الله فما له من	{ ومن يزرع الله في قلبه الضلال ، لا يمكنه أن يهديه أحد .
هاد	
بالبينات	بالمعجزات الدالة على صدقه .
كذلك يضل الله من هو	{ مثل هذا الضلال يضل الله كل شاك في دينه ، متجاوز الحد في عصيانه .
مسرف مرتاب	
يجادلون في آيات الله بغير	{ يخاصمون في حجج الله ومعجزاته من غير علم ، وبدون قدرة على إقامة حجة .
سلطان أتاها	
كبر مقتاً	عظم بغضاً !
يطبع الله على كل قلب	{ يختم الله على قلوب الجبارين المتكبرين على الإيمان به ، فلا تخلص إليها هداية .
متكبر جبار	

### موسى عليه السلام

سبق الحديث عن موسى عليه السلام ، وقصته مع فرعون ، وقصة الرجل المؤمن مع آل فرعون ، وهو الذى قال الله تعالى عنه : « وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى » (راجع الفقرة السادسة من الصفحة ٤٤ من تفسير الجزء العشرين) ، فلا داعى للإعادة هنا ، ونكتفى بشرح النص القرآنى .



## مجمل المعنى

١ - أرسل الله موسى إلى فرعون وقومه مؤيداً بالمعجزات والحجج التي تؤيده في رسالته ، فلم يصدقوه ، واتهموه بالسحر والكذب ، حين لم يستطيعوا أن يقيموا عليه حجة ، أو يردوا له دليلاً .

٢ - ولما لم يجدوا فائدة من مقاومته ، رأى فرعون أن ينتقم من الذين آمنوا به ، فأمر أن يقتل أبناؤهم إذلالاً لهم ، وإضعافاً لشأنهم ؛ كما أمر باستبقاء نسائهم من غير قتل ، ليضمن بخدمة سادتهم من المصريين ؛ وبذلك يكون فرعون قد أمر بقتل أبناء إسرائيل مرتين : الأولى زمن ولد موسى ثم أمسك عنه ، والثانية زمن بعث موسى ؛ ومع ذلك فإن الله أبطل كيده وكيد أعوانه ، وأبطل تدبيرهم ضد بني إسرائيل .

٣ - اشتد موسى ، وأطاعه أكثر بني إسرائيل ، وأصبح خطراً على فرعون ؛ فقال فرعون لقومه قول الجائر المستبد : دعوني أقتل موسى ، وله أن يدعو ربه الذى يدعو له كما يشاء ، إن كان له إله غيرى ، ويستعين به كما يريد ، فأنا لا يهمنى ذلك ولا أخافه ؛ وإنى إن تركته يدعو فيكم بدعايته ، أخاف أن يؤثر فيكم ، فتبدلوا دينكم الذى نشأتم عليه ، أو أن يزعج الناس ، ويسبب ثورة تثير الفتن والفساد بين الناس ، وتهدد أمنهم .

٤ - استعاذ موسى بالله أن يحفظه من كل طاغية متكبر ، لا يستجيب له ، ولا يؤمن به ، ولا يوحد ربه ، ولا يعترف بيوم القيامة الذى سيحاسب فيه الناس جميعاً .

٥ - آمن بموسى خفية رجل من آل فرعون ، ولما رأهم يدبرون قتل موسى اعترض عليهم ، وأنكر أن يقتلوا رجلاً لمجرد أنه يدعو إلى الله ، ويقول : إنه هو

الرب الذى يستحق العبادة ، وأثبت صحة ما يقول بالأدلة والمعجزات التى تجرى على يديه ، ومع ذلك فإن هذا الرجل - وهو موسى - إما أن يكون كاذباً ، وإما أن يكون صادقاً ، فإن كان كاذباً فإن عاقبة كذبه تقع عليه وحده ، وإن كان صادقاً نزل بكم ما توعدكم ، وأصابكم العذاب الذى يتهددكم به ، وأكد بعد ذلك أن الله لا يهدى من يتجاوزون الحد فى ادعائهم ، ويكذبون على ربهم وعلى قومهم .

٦ - واستمر الرجل المؤمن يقول لقومه : أنتم اليوم ذوو نفوذ وسيطرة فى الأرض ، وأنتم فى مصر أشهر الدول وأقواها فى زمانكم ؛ ومع ذلك فإننا لا نجد أحداً يدفع عنا عذاب الله ، إذا قدر الله أن يصب علينا عذابه ؛ ولما سمع فرعون كلام الرجل المؤمن ، لم يزد على أن قال : لا أرى لكم إلا ما رأيته ، وهو قتل موسى ، وأن السبيل الحق هو الذى أدعوكم إليه ؛ وفى هذا اعتراف ضمنى بقوة حجة الرجل .

٧ - قال الرجل المؤمن بعد هذا لقومه : إنى أخاف أن يصيبكم مثل ما أصاب الأقسام السابقين الذين خالفوا رسلهم ، وتحزبوا عليهم ، فعذبهم الله ، وأبادهم بصنوف مختلفة من العذاب ، وذكرهم بما حدث لقوم نوح وعاد وثمود ، ومن جاء بعدهم من الأنبياء إلى زمن موسى ، فقد عذبهم الله لأنهم استحقوا العذاب بمخالفة أنبيائهم ، وقد أرسل الله إلى قوم فرعون نبياً يدعوهم إلى الإيمان به ، فإن لم يؤمنوا عذبهم الله كما عذب من قبلهم . والله لا يظلم من عباده أحداً .

٨ - بعد أن حذر الرجل المؤمن قومه عذاب الدنيا ، حذرهم عذاب الآخرة ، عذاب يوم القيامة الذى يتنادى الناس فيه : فينادى أصحاب النار بعضهم بعضاً ، ويتصايحون مستغيثين ولا مغيث ، ويتنادى أصحاب الجنة وأصحاب غاية البيان م رقم (٣٢)

النار ، وفي هذا اليوم يحاول الكافرون - حين يسمعون زفير النار- أن يفرّوا ولا مفر ، وأن يهرّبوا ولا مهرب ، والذين اقتضت إرادة الله ضلالهم لفساد فطرتهم لا يمكن أن يهديهم أحد .

٩ - استمر الرجل المؤمن يقول لقومه : جاءكم يوسف يهديكم ، ويدعوكم إلى الإيمان بالله وقال لكم : « أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟ » « صفحة ١٢٤ سورة يوسف ، جزء ١٢ » ، وأقام الحجّة على صدقه فيما يدعو إليه من توحيد الله ، فشكّكم فيما جاءكم به ، وبقيتم على هذا الشك ، حتى إذا مات استراحت نفوسكم ، وقدرتم أن الله لن يبعث بعده نبياً لهدايتكم ، وتفكيركم هذا تفكير من قدر الله عليهم الضلال والحسران ، وثبتّ الشك في قلوبهم ، ولن يهتدى كل مسرف في عصيانه ، شاكّ في وحدانية الله ، ممن يجادون في المعجزات التي يجريها الله على يد أنبيائه من غير حجة أتاهم الله بها ، بل لمجرد التقليد ، والسير في مضمار الآباء ؛ عظمت لعنة الله ولعنة الذين آمنوا به على هؤلاء الناس ! وكما يتحتم الله على قلوب هؤلاء المجادلين ، فكذلك يتحتم على قلب كل من وصفوا بالتكبر والجبروت ، ويكتب عليهم الضلال والحسران ، حتى لا يعقلوا الرشاد ، ولا يقبلوا الحق .

( ٤ )

من الآية ٣٦ إلى الآية ٤٦ من سورة غافر

وَقَالَ فِرْعَوْنُ : يَا هَامَانَ ، ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ  
الْأَسْبَابَ : أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلِهِ مُوسَى ،  
وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ، وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءِ عَمَلِهِ ،  
وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ، وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ - ١ - .  
وَقَالَ الَّذِينَ آمَنَ ، يَا قَوْمِ ، اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ،  
يَا قَوْمِ ، إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ  
هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ، مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ،  
وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى - وَهُوَ مُؤْمِنٌ - ،  
فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ - ٢ - .  
وَيَا قَوْمِ ، مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ ، وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ؟  
تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ ، وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ،  
وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَفَّارِ ؛ لَا جَرَمَ أَنَّ مَا تَدْعُونِي  
إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ، وَأَنَّ  
مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ ، وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ - ٣ - .

فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ، وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ، إِنَّ  
 اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ -٤- . فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ، وَحَاقَ  
 بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ : النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا  
 وَعَشِيًّا ، وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ : أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ  
 الْعَذَابِ -٥- .

### شَرْحُ الْأَلْفَازِ

الألفاظ	شرحها
ابن لي صرحاً	ابن لي قصراً عالياً .
أسباب السموات	أبواب السموات والطرق المؤدية إليها .
فأطلع إلى إله موسى	فأنظر إلى إله موسى الذي يتحدث عنه ، وأشرف عليه ، وأعرف حقيقته .
وإني لأظنه كاذباً	وإني لأظن أن موسى كاذب ، في ادعائه أن هناك إلهاً غيري يستحق العبادة .
وكذلك زين لفرعون سوء عمله	وهكذا زين لفرعون عمله السيئ القبيح ، وادعائه الألوهية .
وما كيد فرعون إلا في	وما تدبير فرعون ضد موسى إلا في هلاك وخسران وضلal .
تباب	
سبيل الرشاد	طريق الهداية ، وهو الطريق الذي يوصل إلى الجنة .

شرحها	الألفاظ
<p>هذه الحياة الدنيا يتمتع بها الناس تمتعاً موقوتاً          ينتهي بانتهاء الآجال، أو بزوال أسباب التمتع ،          كالمال أو الصحة مثلاً .</p>	<p>هذه الحياة الدنيا متاع</p>
<p>هي دار الاستقرار والإقامة والخلود .</p>	<p>هي دار القرار</p>
<p>إلى العمل الذي ينجيكم من النار ويدخلكم الجنة ،          وهو الإيمان .</p>	<p>إلى النجاة</p>
<p>وتدعونني إلى العمل الذي يدخلني النار ، وهو          الكفر .</p>	<p>وتدعونني إلى النار</p>
<p>حقاً .</p>	<p>لا جرم</p>
<p>ليس له دعوة توجب تأليهه ، وليس له شفاعة ،          وليس له استجابة دعوة .</p>	<p>ليس له دعوة</p>
<p>وأن متجاوزي الحد في السفه وسفك الدماء بغير          حق ، والتجبر على الناس والإشراك بالله ، هم الذين          يخلدون في جهنم .</p>	<p>وأن المسرفين هم أصحاب          النار</p>
<p>فسيأتي الوقت الذي تذكرون فيه أن ما أقوله لكم          الآن هو الحق ؛ وفي هذا الكلام تهديد ووعيد .          وأسلم أمرى إلى الله .</p>	<p>فستذكرون ما أقول لكم          وأفوض أمرى إلى الله</p>
<p>فصانه الله وحفظه من نتائج مكرهم السيئ ،          وتديبرهم القبيح .</p>	<p>فوقاه الله سيئات ما مكروا</p>
<p>ونزل بقوم فرعون العذاب الشديد نتيجة لسوء          مكرهم ، وشنيع تديبرهم .          يعذبون في النار صباحاً ومساءً ، وفي كل وقت .</p>	<p>وحاق بآل فرعون سوء          العذاب          يعرضون عليها غدواً وعشيا</p>

## مجمّل المعنى

١- لم يجد فرعون ما يحاجّ به موسى والرجل المؤمن ، فطلب إلى وزيره هامان أن يبني له قصرًا عاليًا جدًّا ، ضاربًا في الفضاء ، ليصعد في هذا القصر إلى السماء ، لعلّه يشرف على إله موسى ويراه ، ويبرهن أن موسى كاذب في دعواه ؛ وهكذا زين لفرعون عمله السيء القبيح بتكذيب موسى ، وادعائه الألوهية ، وانصرافه عن الهداية وليس تديير فرعون ضد مؤمسي إلا تدييراً خاسراً مردوداً عليه .

٢- طلب الرجل المؤمن إلى قومه أن يتبعوه ليهديهم إلى طريق الصواب ، وأكد لهم أن هذه الحياة الدنيا متاعها موقوت بنهاية الأعمار ، أو زوال الأسباب ، كأن يمرض الصحيح ، أو يفتقر الغني ، أو يزول السلطان عن صاحب السلطان ، أو غير ذلك . أما المتاع الدائم الخالد ، فإنه لا يكون إلا في الآخرة ؛ والذين يعملون السيئات يجزون بمثلها سيئات ، والذين يعملون الصالحات من المؤمنين يدخلون الجنة ، ويتمتعون بما فيها تمتعاً لا حد له ولا نهاية .

٣- يستعجب الرجل المؤمن من قومه : كيف يدعوهم هو إلى ما ينجيهم من غضب الله وعذابه في الدنيا ، ويدخلهم الجنة في الآخرة ، وهم يدعونه إلى ما يعرضه لغضب الله عليه في الدنيا ، ويدخله النار في الآخرة ، أما دعوتهم له فهي دعوة إلى الكفر والإشراك بالله ، وأما دعوته لهم فهي دعوة الكفار إلى الله العزيز في انتقامه ، الكثير الغفران لمن تاب من عباده ، وأحسن التوبة ، والحق أن الذي يدعوه هؤلاء لعبادته ، ليس له دعوة توجب تأليهه ، وليس له شفاعة مقبولة ، ولا دعوة مستجابة في الدنيا ولا في الآخرة ،

ومرجع الجميع إلى الله ؛ ومتجاوز الحد في السفه والتكبر على الله ، والكفر به ، وإيذاء أنبيائه ، هم الذين يدخلون جهنم ، ويخلدون فيها .

٤ - وبعد أن انتهى مؤمن آل فرعون من دعوة قومه ، وإسداء النصح لهم ، والتلطف بهم ، توعدهم توعداً خفيفاً ، بأنهم سيذكرون قوله هذا لهم ، في الوقت الذي لا تنفع فيه توبة ولا شفاعاة ؛ وترك أمره الله ، واعتمد عليه وحده ، فهو العالم بشئون عباده جميعاً .

٥ - حفظه الله من مكر فرعون وآل فرعون ، وصانه مما كانوا يدبرون له من إيذاء وشر ، وأصابهم هم العذاب الشديد بسبب كفرهم وتكذيبهم نبيهم ؛ وعذابهم يكون في نار جهنم التي يعرضون عليها بعد موتهم صباح كل يوم ومساءه ، وفيها بين الصباح والمساء ، حتى إذا قامت القيامة سيقوا إليها ، وألقوا فيها ، وعذبوا عذاباً شديداً ، ويستدل المفسرون بهذه الآية على عذاب القبر في الدنيا .



(٧)

من الآية ٤٧ إلى الآية ٥٤ من سورة غافر

وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ ، فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ  
اسْتَكْبَرُوا : إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا  
نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ؟ -١- . قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا : إِنَّا كُلٌّ  
فِيهَا ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَّمَ بَيْنَ الْعِبَادِ -٢- . وَقَالَ الَّذِينَ فِي  
النَّارِ لِيُخْرِجَنِي مِنْ هَهُنَا : أَدْعُوا رَبَّكُمْ يَخْفَفْ عَنَّا  
يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ، قَالُوا : أَوْلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ  
بِالْبَيِّنَاتِ ؟ قَالُوا : بَلَى ! قَالُوا : فَادْعُوا ، وَمَا دُعَاءُ  
الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ -٣- . إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ  
آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ : يَوْمَ  
لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ ، وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ . وَلَهُمْ سُوءُ  
الدَّارِ -٤- . وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى ، وَأَوْرَثْنَا بَنِي  
إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ، هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ -٥- .

## شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يتحاجون في النار	يتخاصمون في النار .
فيقول الضعفاء للذين استكبروا	فيقول السوقة للأشراف والسادة .
فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار	فهل أنتم متحملون عنا جزءاً من العذاب الذي تسببتم لنا فيه .
إنا كل فيها .	إننا جميعاً فيها : لا يغني أحد عن أحد ، ولا يتحمل شريف عن مشروف ؛ ولا مسود عن سيد .
حكم بين العباد	قضى بين خلقه ، فكانت الجنة نصيب أهل الجنة ، وكانت النار نصيب أهل النار ، ولكل نصيبه .
يخفف عنا يوماً من العذاب	يريحنا وقتاً من العذاب .
بالبينات	بالمعجزات الدالات على صدقهم .
قالوا : فادعوا	يقول خزنة جهنم للكفار: فادعوا ما شئتم أن تدعوا ، فلن يستجيب الله لكم .
ومادعاء الكافرين إلا في ضلال	دعاء الكافرين غير مستجاب ، فهو دعاء بائر ، خاسر باطل .
ويوم يقوم الأشهاد	وفي يوم القيامة الذي يقوم فيه الشهود ليشهدوا ضد الكافرين .
لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار	لا ينفع الكافرين اعتذارهم عما كان منهم في الدنيا . ونصيبتهم يوم القيامة البعد من رحمة الله . ولهم في الآخرة شر دار ، وهي جهنم .

الألفاظ	شرحها
آتيناً موسى الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولى الألباب	أنزلنا على موسى كل أسباب الهدى ، وأيدناه بالمعجزات والتوراة والشرائع . وجعلنا التوراة ميراثاً لبني إسرائيل . هداية وموعظة للعاقلين .

### مجمل المعنى

- ١ - يدخل المشركون جهنم ، ويتجادلون فيها : فيقول الذين كانوا ضعفاء في الدنيا للذين كانوا حكماً أقوياء ذوى سلطان : نحن أتبعناكم في ضلالكم كما أمرتمونا ، ولشدة سلطانكم علينا ، لم يكن لنا اختيار في أن نختار ، وأنتم الذين أضللتتمونا ؛ فهل تتحملون عنا اليوم بعض العذاب الذى سببتموه لنا ؟
- ٢ - فيرد السادة المستكبرون ، على الضعفاء الذين كانوا مستعبدين : إنا جميعاً فى جهنم ، لا يتحمل أحد عن أحد شيئاً ، وبهذا حكم الله علينا وعليكم ، وحكم الله لا ينقض ولا يعدل .
- ٣ - هؤلاء المعذبون فى نار جهنم ، يقولون لخزنتها : ادعوا ربكم أن يخفف عنا هذا العذاب الشديد الذى نحن فيه ، ولو بما يساوى يوماً من أيام الدنيا ، فهو راض عنكم ، فلعله يستجيب لكم ، فيرد عليهم الخزنة رداً فيه تهكم بهم ، واحتقار لشأنهم : أو لم يرسل الله إليكم رسله؟! أو لم يُثبت لكم الرسل أنهم مرسلون من عند الله بما جرى على أيديهم من معجزات ، وآيات

بينات؟! ! فلا يجد الكافرون أمامهم إلا الاعتراف بالحق ، والتسليم بأن الله أرسل إليهم الرسل مؤيدين بالمعجزات ؛ فيزيدهم الحزنة تهكماً وإيجاعاً بقولهم لهم : ادعوا أنتم لأنفسكم ، فليس من شأننا أن ندعو للكافرين أمثالكم ، وأنتم مهما دعوتهم ، فإن دعاءكم غير مستجاب . وهو دعاء خاسر بائر باطل .

- ٤ - يؤكد الله أنه ينصر رسله ، وينصر الذين آمنوا به في الحياة الدنيا ، وينصرهم كذلك في الآخرة ، يوم يقوم الشهود الذين يشهدون لرسول الله أنهم بلغوا ، وللمؤمنين أنهم استجابوا للدعوة وآمنوا ، وأخلصوا في إيمانهم ؛ ويشهدون على الكافرين أنهم بلغتهم الدعوة فلم يؤمنوا ، فيحكم الله للمؤمنين بالجنة . وعلى الكافرين بالنار ؛ ويحاول الكافرون أن يتخلصوا بالاعتذار والتوبة . وتمنى العودة إلى الدنيا ، وغير ذلك ؛ ولكن الله لا يسمع لهم ؛ فقد حقت عليهم اللعنة ، وحق عليهم أن ينزلوا في أسوأ منزل قدر لهم ، وهو جهنم وبئس المصير !
- ٥ - أعطى الله موسى الهدى ، وحمله الرسالة ، وورث بنو إسرائيل التوراة يهتدى بها ويعتبر أصحاب العقول الراجحة ، والقلوب التقية .

من الآية ٥٥ إلى الآية ٦٥ من سورة غافر

فَاصْبِرْ ، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ،  
وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ -١- . إِنَّ الَّذِينَ  
يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ، إِنْ فِي  
صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ ، فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ  
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ -٢- . لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ  
مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ -٣- .  
وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ، قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ -٤- . إِنْ  
السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا  
يُؤْمِنُونَ -٥- وَقَالَ رَبُّكُمْ : اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إِنَّ  
الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ  
-٦- . اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ  
مُبْصِرًا ، إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ  
النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ -٧- . ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ  
شَيْءٍ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَانَى تُؤْفَكُونَ ؟ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ

الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ - ٨ - . اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ  
 لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا ، وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ، وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ  
 صُورَكُمْ ، وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ،  
 فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ! هُوَ الْحَيُّ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ،  
 فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ - ٩ - .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
إن وعد الله حق	إن الله منجز وعده ، ولا خلف له .
وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار	وصل شكراً لله . في المساء وفي الصباح .
يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم	بخاصمونك فيما أنزل عليك من القرآن ، وفيما أتيتهم به من البينات . بدون حجة نزلت عليهم ، بخاصمونك بها .
إن في صدورهم إلا كبر	ليس في قلوبهم إلا تكبر يمنعهم من اتباعك ، وليس تكذيبهم لك ناشئاً عن اقتناع ، وإنما هو حقد وحسد ، وكبر مصطنع .
ما هم ببالغيه	ليسوا واصلين إلى الأمر الذي وصلت إليه .
فاستعد بالله	فاستجر - يا محمد - بالله من شر المجادلين المتكبرين ، ومن أن تتصف بما اتصفوا به من الغل والحقد والكبر .

شرحها	الألفاظ
<p>إن الله هو الذى يسمع ما يقولونه فيك وفيما جئت به ، ويبصر ما يعملون لتعويق رسالتك ، وفض الناس عنك .</p>	<p>إنه هو السميع البصير</p>
<p>لإنشاء السموات والأرض ، وابتداعها على غير مثال سابق ، أعظم وأدل على القدرة من خلق آدم وذريته .</p>	<p>لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس</p>
<p>ولكن أكثر الناس لا يدركون أن خلق أى شىء مهما عظم هين على الله .</p>	<p>ولكن أكثر الناس لا يعلمون</p>
<p>الأعمى والبصير لا يستويان ، وكذلك الكافر والمؤمن لا يستويان .</p>	<p>وما يستوى الأعمى والبصير</p>
<p>تذكر الناس واعتبارهم بخلق الله وقدرته قليل .</p>	<p>قليل ما تتذكرون</p>
<p>إن الوقت الذى يحاسب فيه الناس على ما عملوا آت ، ولا شك فى مجيئه .</p>	<p>إن الساعة لآتية لا ريب فيها</p>
<p>ولكن أكثر قريش لا يصدقون بمجيئها .</p>	<p>ولكن أكثر الناس لا يؤمنون</p>
<p>اعبدونى وأخلصوا فى عبادتى أعف عنكم ، وأسألونى أعطكم .</p>	<p>ادعونى أستجب لكم</p>
<p>إن الذين يتعاضمون على توحيدى .</p>	<p>إن الذين يستكبرون عن عبادتى</p>
<p>أذلاء صاغرين . لتهدوا فيه وتستريحوا من السعى للمعاش . والنهار مضيئاً لتجروا فيه وراء معاشكم .</p>	<p>داخرين لتسكنوا فيه والنهار مبصراً</p>

الألفاظ	شرحها
فأنى تؤفكون كذلك	فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ؟ مثل هذا الانصراف الذى ينصرفونه الآن عن عبادة الله .
كانوا بآيات الله يمجحدون	كانوا ينكرون آيات الله، ويكذبونها .
جعل لكم الأرض قراراً	خلق الأرض بصورة تمكنكم من الاستقرار عليها، والسكون فوقها .
والسمااء بناء	خلق السمااء بصورة تساعدكم على تحقيق مصالحكم، وجلب معاشكم .
وصوركم فأحسن صوركم من الطيبات	وخلقكم فأحسن صوركم . من الرزق الحلال الذى تستلذونه وتطمثنون إليه .
ذلكم الله ربكم	الذى فعل لكم هذا كله هو الله الذى لا يجوز تأليه غيره، والرب الذى لا تصلح الربوبية إلا له .
فتبارك الله رب العالمين	فتنزه الله مالك جميع الخلق .
هو الحى	هو الذى لا يموت أبداً .
لا إله إلا هو	لا معبود بحق سواه .
فادعوه مخلصين له الدين	فاعبدوه مخلصين له فى العبادة .

### مجممل المعنى

١ - يأمر الله - سبحانه وتعالى - نبيه محمداً أن يصبر على ما يقابله به قومه من إنكار رسالته، واستكبارهم عليه، وعدم استجابتهم لدعوته؛ وأن يستمر فى التبليغ والإنذار والتبشير؛ وأن يتأكد أن الله عند وعده الذى وعده إياه،



فهو لا بد ناصره على أعدائه ؛ وأن يطلب الغفران والعفو ، وأن يجعل شكره لله دائماً في صباحه ومساءته ، وفي غدوه ورواحه .

٢ — ويؤكد له أن الذين يخاصمونه في آيات الله التي جرت على يديه ، وفي قرآنه الذي أنزل عليه ، وفي الأدلة التي يقدمها لهم تصديقاً لما جاء به ، إنما يجادلون من غير علم أنزله الله عليهم ، وبدون حجة خصمهم بها ، وإنما هو الحقد الذي يأكل صدورهم ، والتكبر الذي يمنعهم من التسليم له ، والإيمان بما جاء به ، فليس امتناعهم عن الدخول في الإسلام ناشئاً عن يقين واقتناع ، ولكنه مجرد العناد والمكابرة ، وهم أعجز من أن يصلوا إلى ما وصلت إليه من شرف النبوة ، وتحمل الرسالة ؛ لأن الكبر والتعنت والحقد لا توصل إلى غاية شريفة كريمة ؛ ويأمر الله محمداً أن يستعيد بالله أن يقع فيما وقع فيه مشركو قومه من الكبر ، ويعتصم بربه أن يصونه من أن يتصف بما اتصفوا به من غل وحقد ، فالله هو الذي يسمع ما يقولونه فيك ، وفيما جئت به إليهم ، ويبصر ما يعملون لتعويق رسالتك ، وصد الناس عنك .

٣ — ابتداء السموات والأرض ، وخلقهما ابتداء على غير مثال سبق ، أعظم وأجل من خلق آدم ، ومن خلق الناس بعد ذلك ، وفيه ودليل على قدرة الله القادرة ، وآياته الباهرة ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن خلق جميع المخلوقات هين على الله ، لأن قدرته لا تحد .

٤ — اثنان لا يستويان : الأعمى الذي لا يبصر شيئاً ، فلا تقع عينه على أرض ولا سماء ، ولا أى شئ من خلق الله ، فيدرك ما عليه من قدرة ؛ والمبصر الذي يقع بصره على خلق الله في الأرض وفي السماء ، فيتأمل ذلك ويؤمن به ، ومثل هذين : المؤمن والكافر لا يستويان أيضاً : فالمؤمن يرى خلق الله

بعينيه وقلبه وعقله ، فيفكر ، فيهديه تفكيره إلى الإيمان بالله ، وتوحيده ؛  
والكافر المسيء ، يعمى قلبه ، ويضل عقله ، فلا يفكر فيما خلق الله ،  
فيعصى ، ويخالف الرسل ؛ والناس تذكّرهم لربهم ، واتعاضهم به قليل ،  
لما جبلوا عليه من الجحود بمن غمّهم بآلائه .

٥ — يؤكد الله — سبحانه وتعالى — تأكيداً لا يتطرق إليه شك ، أن يوم القيامة  
آت حتماً ، ولكن أكثر قریش غير مصدقين بمجيء هذا اليوم .

٦ — يأمر الله الناس أن يعبدوه ، والعابد مطيع ، والمطيع معتصم بالله ، ولاجئ  
إليه ، ومعتمد عليه ، ومسلم كل أموره له ؛ فالله يرعاه ، ويحفظه ،  
ويستجيب له ؛ أما العصاة المستكبرون فإنهم كافرون بالله ، مشركون به ،  
لا يلجئون إليه ، ولا يعتمدون عليه ؛ فالله تاركهم يعمهون في ضلالهم ،  
ويوم القيامة يدخلون النار ، أذلاء صاغرين .

٧ — الله الذي يشرك به بعض الناس ، هو صاحب الفضل على جميع الخلق ،  
فقد يسر لهم أمورهم ، ورتب لهم حياتهم ؛ فخلق ليلاً ونهاراً ، نشأ  
متعاقبين من دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس ؛ وجعل الليل ظلاماً  
إلا من ضوء القمر أحياناً ؛ ليسكن الناس فيه ويهدءوا ، ويسرّيحوا من عناء  
العمل نهاراً ، وجعل النهار مضيئاً ليسعى الناس فيه ، ويضربوا في الأرض  
لكسب عيشهم ؛ ولا ينقض حكمة الله ما يجري الآن من أن بعض الناس  
يعملون ليلاً ، وينامون نهاراً ، فإن طبيعة العمل الذي يزاولونه تقتضى هذا ،  
أو أن الإنتاج يقتضى أن يستمر العمل ليلاً ونهاراً ، فيوزع العمل نوبات ؛  
واعلم الناس أن عمل الليل فيه مخالفة للطبيعة ، قدّروا ما يسببه من جهد  
ومشقة ، وإرهاق للجسم ، وإتعب للأعصاب ؛ واعلمهم كذلك أن نوم

النهار لا يريح الجسم كما يجب أن يستريح ، ناوبوا بين العاملين الكادحين ، فكل منهم يأخذ نصيبه من العمل في الليل ، ولو أن العمل في الليل والنهار يستويان ، والراحة والنوم في الليل والنهار يستويان ، لما كان هناك داع لهذه المناوبات ؛ والله بهذا وبغيره صاحب فضل كبير على الناس جميعاً ؛ ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على ما أولاهم من نعم ، وعلى ما خصهم به من فضل .

٨ — الله الذى خلق الليل والنهار على الوضع الذى ذكرناه، وللحكمة التى قلناها ؛ هو الذى خلق كل شىء : نخلق الأرض والسماوات وما بينهما من إنسان وحيوان وطير ، وزواحف وحشرات ، وهواء وماء ، وغير ذلك من الأشياء الكثيرة التى لا يحصيتها العد ، وخلق عوالم أخرى لاتقع تحت حسنا وإدراكنا ؛ وهذا كله يدل دلالة واضحة على وحدانيته وقدرته ، فهو الإله الذى لا إله غيره ، فكيف تنصرف قريش بعد هذا عن عبادته وتوحيده ؟ ومثل هذا الانصراف الذى انصرفه كفار قريش عن توحيد الله ، كان يحدث من غيرهم ممن سبقوهم من أقوام الأنبياء السابقين ، لإنكارهم معجزات الله التى كان يجريها على أيدي رسله ، وعدم إيمانهم بها .

٩ — ومن الدلائل على قدرة الله ، أنه هو الذى جعل هذه الأرض مستقرًا لكل ما استقر فوقها ، وصيرها صالحة لمقامه عليها ؛ وأنه هو الذى رفع السماء على ما نرى من غير عمد تحملها ، فهى سقف مرفوع من غير أن يتكىء على ما يحفظه فى وضعه ، ولكنها قدرة الله التى وراء هذ الكون ، ووراء ما نعلمه ظاهراً من قوانين الجذب وغيرها ، وأنه هو خلق الإنسان وأحسن خلقه ، فهو أرقى أنواع الحيوان بعقله وسمته وقوامه ، وتناسق أعضائه ؛ وبعد أن خلقه وأحسن خلقه ، هيا له أسباب الرزق ، ويسر له أطيب العيش

وألذّه ؛ والله هو الذى فعل كل هذا ، منزّه عن كل ما ينسب إليه ، وهو رب العالمين جميعاً ، وهو الحى الدائم الذى لا أول له ولا آخر ، الواحد الذى ليس له شريك ، ولا ولد ولا زوجة ؛ فيجب أن يعبد عبادة خالصة ؛ وهو المحمود دون غيره ، ولذلك قالوا : من قال : لا إله إلا الله ، فليقل : الحمد لله رب العالمين .

(٩)

من الآية ٦٦ إلى الآية ٦٨ من سورة غافر

قُلْ : إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي ، وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ؛ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ، ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ، ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ، ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ، ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا ، وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَّى مِنْ قَبْلُ ، وَلَتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى ، وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ -١- . هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ، فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ : كُنْ ، فَيَكُونُ -٢- .

شَرْحُ الْأَلْفَاظِ

الألفاظ	شرحها
لما جاءني البينات	لما نزلت على الأدلة الصحيحة .
أن أسلم لرب العالمين	أن أخضع وأنقاد لرب العالمين .
ثم يخرجكم طفلا	ثم يخرجكم من الأرحام أطفالا ؛ ويطلق الطفل على المفرد والجمع .
ثم لتبلغوا أشدكم	ثم ليتكامل خلقكم وقوتكم وشبابكم .

الألفاظ	شرحها
من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى فإذا قضى أمراً فإنما يقول له : كمن ، فيكون	من قبل أن يتناهى شبابهم . ولتنتهوا إلى عمر محدود ، وأجل موقوت . فإذا أراد أن يصنع شيئاً . فإنما يخلقه سريعاً .

### مجمل المعنى

١ - طلب كفار قريش إلى محمد أن يترك الدعوة إلى الإسلام ، وأن يرجع إلى دين آبائه وأجداده ؛ فأمره الله أن يؤكد لهم أن الله نهاه أن يعبد الآلهة التي يعبدونها ، بعد أن ثبت له ثبوتاً قاطعاً أنها أصنام لا تضر ولا تنفع ، وأن المعبود الذي يستحق العبادة هو الله وحده ، وأنزل الله عليه القرآن حجة له ، ومعيناً على الدعوة ، وأمره ألا يخضع لأحد غيره ، لأنه هو الذى خلق الناس أولاً من تراب ؛ والمراد : آدم ، ثم تناسلوا ؛ وخلقهم أطوراً : نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ؛ وبعد أن تم أطوار النمو فى الرحم ، يخرج منه الإنسان طفلاً ؛ ينمو هذا الطفل ويتدرج حتى يتكامل خلقه ، ويتناهى شبابه ، ثم يكبر وتتقدم به السن ، حتى يصير شيخاً هرمًا ، وبعد ذلك ينتهى أجله ويموت ؛ وبعضهم ينتهى أجله قبل أن يستكمل أطوار الحياة ، فيموت قبل أن يهرم ؛ فقد يموت جنيناً أو طفلاً أو شاباً ، فهل يرجى بعد أن يتأمل الإنسان هذا كله ، وهو متعلق به فى أطوار حياته ، أن يعقل ويعتبر ويؤمن ؟

٢ - ومن دلائل قدرته أيضاً أنه هو الذى خلق الحياة ، وأنه هو الذى خلق الموت ؛ وأنه إذا أراد لإنسان حياة حَيِّية ، وإذا أراد له موتاً مات ، والإحياء والإماتة وغيرهما من الأعمال التى اختص بها ، إذا أراد الله كان ، ومجرد المشيئة يوجدده سريعاً .

من الآية ٦٩ إلى الآية ٧٨ من سورة غافر

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ ؟ أَنَّى  
يُضْرَفُونَ ؟ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا ،  
فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ : إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ ،  
يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ، ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ -١- . ثُمَّ  
قِيلَ لَهُمْ : أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ؟ قَالُوا :  
ضَلُّوا عَنَّا ، بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا ، كَذَلِكَ  
يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ -٢- . ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي  
الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ، ادْخُلُوا أَبْوَابَ  
جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ، فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ! -٣- .  
فَاصْبِرْ ، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي  
نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ -٤- . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا  
رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ ، مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ  
لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ، وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا  
بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ ، وَخَسِرَ هُنَالِكَ  
الْمُبْطِلُونَ -٥- .



## شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يجادلون في آيات الله أنى يصرفون بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون الأغلال يسحبون في الحميم يسجرون ضلوا عنا لم نكن ندعو من قبل شيئاً كذلك يضل الله الكافرين ذلكم بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا أبواب جهنم بخالدين فيها فبئس مشوى المتكبرين إن وعد الله حق	<p>يتخاصمون في الأدلة الدالة على قدرة الله . كيف ينصرفون عن عبادة الله إلى عبادة غيره ؟ بالقرآن .</p> <p>وبما أرسلنا به رسلنا من التوحيد والكتب . فسوف يعلمون بطلان ما هم عليه من كفر . أطواق من حديد تجعل في العنق . واحدها : غُلٌّ . يجرؤون في الماء الحار الذي بلغت حرارته غايتها . [ يطرحون بها ، ويوقد عليهم فيها ، ويتخذون لها وقوداً . ] غابوا عن عيوننا .</p> <p>[ ظهر لنا أننا ما كنا نعبد في الدنيا شيئاً يستحق العبادة . ] مثل ضلال آلهتهم عنهم ، يضلهم الله عنها . العذاب الذي نزل بكم . كنتم تفرحون وتمرحون بالشرك وعبادة الأوثان . وبما كنتم تبطرون وتأشرون وتختالون . ادخلوا جهنم من أبوابها السبعة . مقدرين أنكم مخلدون فيها . فبئس المقام مقام الكافرين ! إن الوعد الذي وعدك الله إياه بإهلاك الكافرين حق .</p>

الألفاظ	شرحها
فإما نرينك بعض الذى نعدم	فإن نُرِكَ بعض الذى نعدم من العذاب فى الدنيا ، فهذا من وفاء الله بوعده .
أونتوفينك فالينا يرجعون	وإن نتوفك قبل تعذيبهم فى الدنيا ، فقصيرهم إلينا يوم القيامة ، وفيه يلقون العذاب .
منهم من قصصنا عليك فإذا جاء أمر الله فُضى بالحق	منهم من ذكرنا لك أخبارهم مع أقوامهم . فإذا جاء يوم القيامة . حُكم بالعدل .
وخسر هنالك المبطلون	وخسر فى هذا اليوم الذين اتبعوا الباطل ، وأشركوا فى الدنيا .

### مُجْمَلُ الْمَعْنَى

- ١ - اعجب يا محمد للمشركين من قومك ، الذين يجادلون فيما أتى به من حجج وآيات ، كيف يعدلون عن الحق؟! وبأى وجه يظنون متمسكين بالباطل؟! وهؤلاء القوم يكذبون بما جاء به القرآن ، وبما جاء به غير القرآن من الكتب السماوية ، ويكذبون بما أرسل الله به رسله جميعاً ، وهو التوحيد ، ثم هدد الله أولئك الناس بأنهم سوف يعلمون وجه الحق ، يوم يجرى عليهم ما يجرى من عذاب ، حيث تُطَوَّقُ أعناقهم بالأغلال ، وتوضع فيها السلاسل التى يسحبون بها إلى جهنم سحباً ، ويلقون فى حميمها ، يتقلبون فى حره الذى بلغ غايته من الشدة ، ثم يحرقون فى نار جهنم ، ويستخذون لها وقوداً .
- ٢ - ويُنَادَى هؤلاء المشركون وهم فى نار جهنم نداء شماتة ، فيقال لهم : أين آلهتكم التى كنتم تشركونها بالله ، وتخصونها بالعبادة من دونه ؟ فيقولون :

غابت عنا هذه الآلهة ، فنحن نتفقدنا فلا نراها ، ولو رأيناها لما نفعتنا ، ولا دفعت عنا ؛ ونحن الآن آمننا أننا كنا نعبد في الدنيا شيئاً يستحق أن يعبد ؛ وبمثل هذا الضلال الذي أضله الله للذين ضلت عنهم آلهتهم يوم القيامة ، يضل الله الكافرين به عنه ، وعن رحمته ورضاه .

٣ - هذا الذي لحقكم أيها القوم من العذاب الشديد ، هو بسبب فرحكم في الدنيا بما كنتم تأتون من باطل ، وترتكبون من خطايا الشرك وغيرها ، مما لم يأذن به الله ، وبسبب ما كنتم عليه من تفاخر وتكاثر ، وخيلاء وبطر بنعمة الله ، وعدم اعتراف بالآلة ؛ ويقال لهم في هذا اليوم : ادخلوا إلى جهنم من أبوابها السبعة المعدة لاستقبالكم ، مخلدين فيها ، وبئس المصير مصيراً يصير إليه المتكبرون أمثالكم !

٤ - اصبر يا محمد على مجادلة الكفار إياك بغير الحق ، وعملهم على إثارتك ، وإيذائك وإيذاء من آمن بك ، فإن الله وعدك أن يعاقبهم ويعذبهم ؛ ووعدهم حق ؛ وهذا العذاب قد يقع بعضه في الدنيا ، وتراه بعينك ؛ وإلا فإنه واقع كله في الآخرة ، حيث يرجعون إلى الله ، ويحاسبهم ويعذبهم .

٥ - يطمئن الله نبيه ، ويصبره على ما يلقي من قومه ، فيخبره بأنه أرسل إلى الناس في الأزمنة المختلفة رسلاً كثيراً ؛ قص عليه أخبار بعضهم ، وما جرى لهم مع أقوامهم ، ولم يقص عليه أخبار الآخرين ؛ وهم جميعاً لا تجرى على يد واحد منهم معجزة ، ولا ينهض معه دليل على صدق رسالته من أى نوع كان ، إلا بإذن الله وأمره ، فإذا كان قومك يا محمد يطلبون منك آية على صدقك ، فإنك لست أنت الذي تأتيهم بما يطلبونه منك ، ولكن الله هو الذي يأذن بذلك ، ويجريه على يدك ، فإذا جاء يوم القيامة ، حكم الله الحكم العادل بين الناس جميعاً ، فيربح المؤمنون ، ويخسر الكافرون .

( ١١ )

من الآية ٧٩ من سورة غافر ، إلى آخر السورة

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا ، وَمِنْهَا  
تَأْكُلُونَ ، وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ، وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي  
صُدُورِكُمْ ، وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ، وَيُرِيكُمْ  
آيَاتِهِ ، فَآيَ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ؟ -١- . أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي  
الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ،  
كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ ، وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْإَرْضِ ، فَمَا  
أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ؟ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ  
بِالْبَيِّنَاتِ ، فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ، وَحَاقَ بِهِمْ مَا  
كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ، فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ، قَالُوا : آمَنَّا بِاللَّهِ  
وَحْدَهُ ، وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ، فَلَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ  
إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ، سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي  
عِبَادِهِ ، وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ -٢- .

## شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع وتبليغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون؟ كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون	خلق لكم الإبل والبقر والغنم والمعز . لتركبوا بعضها ، وتأكلوا بعضها . وتنتفعون بغير ركوبها وأكل لحمها في أشياء أخرى . ولتصلوا بها إلى أمور كانت مجرد رغبة في نفوسكم ، ولكنها حققت بها . وعلى الأنعام المركوبة وعلى السفن تحملون . ويريكم الحجج القائمة الدالة على وحدانيته . فبأى حجج الله التي يريكم إياها تنكرون صحتها ؟ كيف كانت نهاية الذين كذبوا رسلهم من قبلهم ؟ كانوا أكثر منهم عدداً ومالا . فما دفع عنهم وجاهم من العذاب ما كانوا يجمعون . فرحوا بالعلم التافه الذي عندهم ، والذي جعلهم يقولون : لا بعث ولا حساب ولا عذاب . ونزل عليهم فأحاط بهم العذاب الذي كانوا يسخرون منه في الدنيا ويستعجلونه . فلما رأوا عقاب الله الذي أنذرهم إياه رسله في الدنيا .
فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون فلما رأوا بأسنا	

الألفاظ	شرحها
<p>فلم يك ينفعهم إيمانهم }  لما رأوا بأسنا }  سنة الله التي قد خلت }  في عباده }</p>	<p>{ لم يكن توحيدهم لينفعهم ، إذ آمنوا في الوقت الذي  { رأوا فيه عقاب الله نازلاً عليهم .  { طريقة الله التي سنها ، ومضت بين عباده ، وهي  { أن الإيمان وقت نزول العذاب لا ينفع .</p>

### مجمل المعنى

١ — من الدلائل على قدرة الله ، أنه خلق للناس الإبل والبقر والمعز والغنم وغير ذلك ، من البهائم التي يمتنع بها الإنسان : فيأخذ من بعضها لحماً ، ويأخذ لبناً ، ويأخذ من جلودها بيوتاً ينتفع بها في سفره وإقامته ، وأحذية ينتعلها ، ويأخذ من أصوافها وأوبراها وأشعارها أثاثاً لبيته ، ومتاعاً يتمتع به ، ويركبها فتوصله إلى جهات بعيدة ، كان الوصول إليها أملا يداعبه في أحلامه ، ولكنها صارت حقيقة ، وتتخذ بعضها كالإبل للركوب وقطع المسافات في البر ، وتتخذ السفن لقطع المسافات في البحر ، ونركب فيها ، ونحمل متاعنا عليها ؛ والله بهذا يبصرنا بدلائل قدرته ؛ والذي ينظر في هذه الآيات نظر المنصف ، لا يسعه إلا أن يؤمن ؛ والعجب كل العجب أننا نجد المكابرين الذين ينكرون هذه الآيات ، مع أن واحدة منها لا تستحق الإنكار ، وتكفي للاقتناع والتسليم .

٢ — هؤلاء الذين يخاصمونك يا محمد ، ويجادلونك في كل ما تبلغهم إياه ، كان عليهم أن يتعضوا بما رأوا في رحلة التجارة التي يرحلون بها إلى الشام صيفاً ، والتي يرحلون بها إلى اليمن شتاء ، لأنهم في أثناء الرحلة يمرون بالبلاد التي كان يعيش فيها أقوام الأنبياء السابقين ، الذين كذبوا رسلهم فعذبهم الله وأهلكهم ،

وبقيت من بعدهم آثار تدل على ما كانت عليه بلادهم من عمران ، وتدل على ما كانوا عليه من قوة وبأس شديد ، وتدل على أنهم كانوا ذوى عدد كبير ؛ وهم فى كل هذا يمتازون على مشركى قريش ؛ ومع ذلك فإنهم لما لم يطيعوا أنبياءهم ، أهلكهم الله ؛ ولم يقدمهم أنهم كانوا ذوى عدد ، وأولى قوة وبأس شديد ، ولم ينفعهم ما كانت عليه بلادهم من خصب ونماء ، وما كانت عليه من حضارة كبيرة ؛ فكان من الواجب أن يكون لمشركى مكة عبرة فى هؤلاء ، فإن من كانوا أقوى منهم قوة ، وأشد بأسياً ، وأكثر مالاً ، وأعز نفراً ، لم يستطيعوا أن يدفعوا عن أنفسهم ؛ وإن هذه الأمم السابقة حينما رأت عذاب الله ينزل بهم ، فطنوا وتنبهوا من غفلتهم ، وأعلنوا إيمانهم بالله ، وكفروهم بآلهتهم التى كانوا يعبدونها فى الدنيا ، ويشركونها مع الله ، ولكن هذا لا ينفعهم ؛ لأن الله حكم بأن الذين يؤمنون حينما يرون العذاب لا يقبل إيمانهم ، ويعاملون بما قدموا من كفر ، وفى ذلك خسران لهم ، وبطلان لعملهم .

## سورة فصلت أو السجدة

نزلت بمكة ، وآياتها ٥٤ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الثامنة

حم ، تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، كِتَابٌ فُصِّلَتْ  
آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، فَأَعْرَضَ  
أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ - ١ - . وَقَالُوا : قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ  
مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ، وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ، وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ  
حِجَابٌ ، فَأَعْمَلْ ، إِنَّا عَامِلُونَ - ٢ - . قُلْ : إِنَّمَا أَنَا  
بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ، يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ ، فَاسْتَقِيمُوا  
إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ، وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ : الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ  
الزَّكَاةَ ، وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ - ٣ - . إِنَّ الَّذِينَ  
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ - ٤ - .



## شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
<p>تراجع الصفحة ١٣ من تفسير الجزء الأول .          { القرآن الكريم بُيّن آياته وفسرت ، وميزت ،          وجعلت تفاصيل لإيراد معان مختلفة .          نزل القرآن بلسان عربي على العرب الذي يفهمونه          ويدركون معانيه ومغازيه .          القرآن مبشر للمؤمنين ، ونذير للكافرين .          فانصرف أكثر أهل مكة .          لا يسمعون سماع متفهم يريد أن ينتفع .          { في أغطية من دعوتك إيانا إلى التوحيد ، فلا تصل          الدعوة إليها ، وواحد الأكنة : كنان .          وفي آذاننا ثقل يمنع من الاستماع لكلامك .          ومن بيننا وبينك ستر يمنعنا من تقبل دعوتك .          { فاعمل بدينك ، واعمل على إبطال ديننا ، فنحن          عاملون أيضاً بديننا ، وعاملون على إبطال دينك .          أنا إنسان عاديّ مثلكم ، فلسيت ملكاً ، وكل فرق          بيني وبينكم أني يوحى إليّ ، وأنتم لا يوحى إليكم .          { فاتجهوا إليه ، وآمنوا به ، ووجهوا وجوهكم نحوه          إذا دعوتكم .</p>	<p>حم          كتاب فصلت آياته          لقوم يعلمون          بشيراً ونذيراً          فأعرض أكثرهم          لا يسمعون          في أكنة مما تدعونا إليه          وفي آذاننا وقر          ومن بيننا وبينك حجاب          فاعمل ، إننا عاملون          أنا بشر مثلكم يوحى إليّ          فاستقيموا إليه</p>

الألفاظ	شرحها
واستغفروه وويل للمشركين غير ممنون	واطلبوا إليه أن يغفر لكم ذنوب إشراركم به . وعذاب للمشركين بالله . غير مقطوع ولا منقوص .

### والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة

قال الملاء من قريش وأبو جهل : قد التبس علينا أمر محمد ، فلو التمس رجلاً عالماً بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ، ثم أتنا بيان أمره ! فقال عتبة ابن ربيعة : والله لقد سمعت الكهانة والشعر والسحر ، وعلمت من ذلك علماً لا يخفى على إن كان كذلك ، فقالوا : إيته فحدثه . فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا محمد ، أنت خير أم قصي بن كلاب ؟ أنت خير أم هاشم ؟ أنت خير أم عبد المطلب ؟ أنت خير أم عبد الله ؟ فلم تشتم آلهتنا ، وتضلل آباءنا ، وتسفه أحلامنا ، وتذم ديننا ؟ ! فإن كنت إنما تريد الرياسة عقدنا إليك ألويتنا ، فكنت رئيسنا ما بقيت ؛ وإن كنت تريد الباءة زوجنا عشر نساء من أى بنات قريش شئت ، وإن كنت تريد المال جمعنا لك ما تستغنى به أنت وعقبك ، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيساً من الجن—وهو جنى يترأى لمتبوعه يريه كهانة— قد غلب عليك ، بذلنا لك أموالنا فى طلب ما تتداوى به أو نغلب فيك ؛ قال عتبة بن ربيعة هذا كله ، ومحمد ساكت فلما فرغ قال الرسول : قد فرغت يا أبا الوليد؟ قال عتبة : نعم ، قال محمد : فاسمع منى . قال عتبة : يابن أخى ، أسمع ، قال محمد : « بسم الله الرحمن الرحيم ، حم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون » واستمر يتلو إلى قوله تعالى : « فإن أعرضوا فقل : أنذرتكم صاعقة مثل

صاعقة عاد وثمود » ، فلما وصل محمد — صلى الله عليه وسلم — إلى هذا الموضع ، وثب عتبة ، ووضع يده على فم النبي ، وناشده الله والرحم ليسكتن ؛ ورجع إلى قريش في ناديتها ، فقالوا : والله لقد جاءكم أبو الوليد بوجه غير الذى مضى به من عندكم ، ثم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : والله لقد سمعت كلاماً من محمد ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة ؛ فأطيعوني في هذه وأنزلوها بي ، خلوا محمدًا وشأنه واعتزلوه ، فوالله ليكونن لما سمعت من كلامه نبأ ، فإن أصابته العرب كُفيتموه بأيدي غيركم ، وإن كان ملكاً أو نبياً كنتم أسعد الناس به ، لأن ملكه ملككم ، وشرفه شرفكم ؛ فقالوا : هيهات ! ! سحرك محمد يا أبا الوليد ، قال : هذا رأي لكم ، فاصنعوا ما شئتم .

## مجمل المعنى

١ — هذا القرآن لا يعدو أن يكون مؤلفاً من حروف الهجاء التى يتكلم بها العرب ، ومنظوماً مما ينظمون به أقوالهم في شعرهم ونثرهم ، مثل الحاء والميم ، والمعاندون قادرون على أن يؤلفوا كلاماً مركباً من حروف الهجاء ، ولكنهم عاجزون عن صوغه في أسلوب مثل أسلوب القرآن ، فلو كان من عند غير الله لما عجزوا ، وقد نزله الله الرحمن الرحيم على نبيه محمد — صلى الله عليه وسلم — وهو كتاب مفصل الآيات ، واضح الأغراض والغايات ، اشتمل على السير والقصص ، والتشريع والكونيات ، والوعد والوعيد ، والحكم والأمثال ؛ وهو في هذا كله وفي غيره يدعو إلى التوحيد ، وإلى حياة سعيدة في الدنيا والآخرة ، ونزل القرآن عربياً على العرب ، ليقروه ، ويفهموا ما فيه ، ويقفوا على غاياته ومرامييه ، ويعرفوا تبشيره ، ويتأثروا بإنذاره ؛ ولكن أكثر قريش مع

هذا أعرضوا عنه ، ولم يلتفتوا إليه ، ولم يسمعه سماع متفهم يريد أن ينتفع به ، فكأنهم لم يسمعوا شيئاً .

٢ — المشركون الذين أعرضوا عن محمد ، ولم يستمعوا له ، قالوا لمحمد : كلامك لا يصل إلى قلوبنا ، فكأن حولها غطاء يمنعه من الوصول إليها ، فلا تتأثر ، وآذاننا لا تسمع فكأن فيها قرأ وثقلاً ، وهي ليس بها صمم ، ولكن لما كان الكلام لا يتجاوز الأذن ، كانت كأنها لم تسمع ، ومن بيننا وبينك حجاب ساتر ، لا يلتقي بعضنا بعضاً من أجله ، وهذا الحجاب هو اختلاف الدين ، فهو يعبد الله ويدعو له ، وهم يعبدون الصنم ويدعون له ؛ وبعد هذا قالوا لمحمد : اعمل يا محمد بدينك ، وما تعتقد أنه الحق ، ونحن عاملون بديننا ، وما نعتقد أنه الحق ، ولا تدعنا إلى دينك ، ونحن لا ندعوك إلى ديننا .

٣ — أمر الله محمداً أن يرد عليهم ، ويقول لهم : أنا بشر مثلكم ، أنا من بني آدم ، فلست ملكاً ولا جنياً ؛ أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ أَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، لا شريك له في ملكه ، ولا يستحق العباداة سواه ، فوجهوا إليه وجوهكم ، واستقيموا على دين التوحيد ، واطلبوا منه أن يغفر لكم ذنوبكم التي ارتكبتموها من قبل ؛ والذين يشركون بالله ولا يوحدونه ، لهم العذاب الشديد بإشراكهم ، ومنعهم الزكاة التي تزكى أبدانهم ، وتطهر أرواحهم ؛ ولا تزكّى هذه ولا تطهر تلك إلا بالطاعة والتوحيد ، والتصدق ببعض المال على المحتاجين ، وهم بهذا كافرون بالآخرة ، منكرون لها ، فلا يؤمنون ببعث ولا حساب ، ولا عقاب ولا ثواب .

٤ — يؤكد الله أن الذين آمنوا بالله ووجدوه ، وآمنوا برسوله فصدقوه وأطاعوه ، وعملوا الأعمال الصالحة ، لهم أجرهم يوم القيامة ، غير منقوص عن القدر الذي وعد الله أن يؤجرهم به .

من الآية ٩ إلى الآية ١٨ من سورة فصلت

قُلْ : أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي  
يَوْمَيْنِ ، وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ؟ ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَجَعَلَ  
فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا ، وَبَارَكَ فِيهَا ، وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا  
فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءَ لِلسَّائِلِينَ -١- . ثُمَّ آسْتَوَى إِلَى  
السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ، فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ : ائْتِيَا طَوْعًا  
أَوْ كَرْهًا ، قَالَتَا : أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي  
يَوْمَيْنِ ، وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ، وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا  
بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ -٢- .  
فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ : أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ  
وَتَمُودَ ، إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ :  
أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ، قَالُوا : لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً ،  
فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ -٣- . فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي  
الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَقَالُوا : مَنْ أَشَدُّ مِنْنا قُوَّةً ؟ أَوْلَمْ  
يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ؟ ، وَكَانُوا

بآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي  
 أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ ، لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ،  
 وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَى ، وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ -٤- . وَأَمَّا  
 ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ، فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ، فَأَخَذْتَهُمْ  
 صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ، وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ  
 آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ -٥- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
في يومين	في وقتين أو طورين أو زمنين .
وتجعلون له أنداداً	وتجعلون له شركاء ونظراء وأشباهاً .
رب العالمين	سيد جميع الخلق .
وجعل فيها رواسي	وجعل في الأرض جبالات ثابتة .
وبارك فيها	وبارك في الأرض ، بما فوقها وفي جوفها من الأشياء النافعة .
وقدر فيها أقواتها	وقدر فيها أرزاق أهلها ، وما يصلح لمعايشهم .
في أربعة أيام	في تتمة أربعة أوقات ، تشمل الوقتين السابقين .
سواء للسائلين	تلك الأيام الأربعة كانت متساوية غير مختلفة ، وقد قدرنا فيها الأقوات ، لأجل الطالبين لها ، المحتاجين إليها .
ثم استوى إلى السماء	ثم اتجه إلى السماء ليخلقها ، وعمد إلى خلقها وتسويتها .

الآلفاظ	شرحها
وهي دخان اثنيا طوعاً أو كرهاً أثينا طائعين	وهي ذرات سابحة في الجو الممتلئ ببخار الماء . اثنيا بما خلقت فيكما من المنافع لعبادى ، مختارتين أو مكرهتين . ظهرت فيهما علامات الطاعة .
فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً	أتم إنشاء السموات وإحكامها في فترتين زمنييتين . ودبر أمر كل سماء بما تقتضيه إرادته . وزينا السماء القريبة من الأرض بكواكب . وحفظناها حفظاً ، فكانت قائمة من أول خلق الدنيا ، وستظل قائمة إلى يوم القيامة .
ذلك تقدير العزيز العليم أنذرتكم صاعقة من بين أيديهم ومن خلفهم يمحذون	خلق السموات والأرض على هذه الصورة ، وبهذا التطور ، بتقدير الله الغالب الذي لا يُغلب ، العليم بما يجب أن يكون . خوفتكم عذاباً ينزل عليكم نزول الصاعقة . من كل جانب . ينكرون .
ريحاً صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الحزى ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون فهديناهم	ريحاً باردة شديدة البرد ، قاسية تحدث صريراً لشدة سرعتها ، وجاءت تلك الريح في أيام مشثومات . لنعذبهم عذاباً فيه ذل وهوان لهم . ولعذاب الآخرة أشد إذلالاً وهواناً لهم . ولا يدفع عنهم العذاب الأصنام التي عبدوها . فبيّنا لهم الرشد ، لهدايتهم إلى الإيمان .

الألفاظ	شرحها
فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجيننا الذين آمنوا	اختاروا الكفر على الإيمان . فأخذتهم شدة العذاب المذل . بسبب عملهم السيء في الدنيا . ونجيننا الذين اختاروا الإيمان على الكفر .

### مجممل المعنى

١ - أمر الله نبيه محمداً أن يقول لقومه من كفار مكة : أعجب أنكم تكفرون بالله الواحد القهار ، الذى تدل كل مخلوقاته على قدرته ، وتركون عبادته ، وتعبدون غيره مما تصنعون من الأصنام ؛ وكل شيء خلقه يدل على وحدانيته وقدرته ، فهو الذى خاق الأرض التى تعيشون عليها فى فترتين من الزمان ، ومع ذلك تجعلون له شركاء فى العبادة ، فى حين أن خالق هذه الأرض أحق بالعبادة ، فهو رب العالمين جميعاً ؛ وحين خلق الأرض ثبتها بجبالها الراسيات فوقها ، وذلك أن السلاسل الجبلية الممتدة على سطح الأرض ، موزعة عليها توزيعاً يجعلها كأعمدة التى يعتمد عليها ، فهى متصلة متماسكة ، على أطوال وأبعاد خاصة ، وليست المحيطات الواسعة التى تفصل القارات بعضها عن بعض قاطعة هذا الاتصال ، فإن أصول الجبال متصلة فى باطن الأرض اتصالاً صخرياً قوياً يطوق الهيكل الأرضى ، كما تطوق الأطواق الحديدية جسماً من الأجسام ، فتجعله متماسكاً لا تنفصل أجزاؤه ؛ وبفضل هذا الاتصال تقاوم الأرض جميع العوامل الخارجية أو الداخلية ،



التي تعمل على تمزيقها، أو اختلال توازنها، أو تبعثر أجزاء منها في الفضاء، أو غير ذلك. فالأرض تدور حول الشمس بسرعة، تبلغ أكثر من مائة ألف كيلو متر في الساعة أو ثمانية عشر ميلاً ونصفاً في الثانية، وتتأثر بجاذبتي الشمس والقمر، والغازات التي في باطنها تضغط ضغطاً شديداً هائلاً على قشرتها؛ هذه الأمور كلها تؤثر في توازن الكرة الأرضية؛ والذي يحفظها من الاختلال أو التناثر، هو السلاسل الجبلية التي تعتبر أحزمة قوية لهذا الجسم الكبير، تصونه من الاضطراب والاختلال؛ وبعد أن خلق الله الأرض، وثبتها بجبالها، بارك فيها، بما هيأها له من إنبات النباتات التي تُروى بالماء العذب الذي أجراه في الأنهار، وأخرجه من العيون؛ وقدر بذلك أقوات الأحياء التي تكون فوقها، وما يلزم لمعايشهم وحاجاتهم؛ وكان ذلك كله في فترتين زمنيتين، أو في طورين آخرين؛ وبذلك تكون الأرض وما عليها، وما ينبت فيها، قدر له أربعة أطوار، خلق فيها خلقاً مستوياً كاملاً، ينتفع به الأحياء وغيرهم.

٢ - ثم توجهت قدرة الله إلى خلق السماء، وذلك أن الله سبحانه وتعالى أحدث في الماء الذي كان يغمر الكون سخونة، نشأ عنه بخار انتشرت بسببه الظلمة، وهو المعبر عنه بالدخان، فخلق الكواكب، فاستنار الكون، ثم أمر السموات والأرض أن تكونا مسخرتين لعباده، بما خلق فيهما من المنافع لهم، وأن تأتيا على ما ينبغي أن تأتيا عليه كما أرادهما، فلم تمتنعا عليه، وأجابتا: أنهما طوع إرادة الله، ولما كان الخطاب والإجابة من لوازم العقلاء، أنزلهما الله منزلتهم، فعبر عن السموات والأرض بقوله: «أتينا طائعين»، ونظيره قوله تعالى حكاية عن سيدنا يوسف: «إني رأيت أحد عشر كوكباً، والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين»، وقد أتم الله إنشاء السموات في زمنين آخرين، أو على

درجتين أو طورين ، ودبر أمر كل سماء بما تقتضيه إرادته ، فخلق في كل منها سكانها ، وشمسها وقمرها ونجومها ، وكلف سكان كل سماء بما يليق بهم من التكاليف ، ولا شك أن الله كان مستطيعاً أن يخلق السموات والأرض ، وأعظم من السموات والأرض ، في أقل من لمح البصر ، فهو — سبحانه وتعالى — يقول لأى شىء : كن ، فيكون ؛ ولكنه يخبرنا أنه خلق هذا الكون في تدرج وتأن ، لإرشاد عباده أن يتدرجوا في أعمالهم ويتأنوا ، لتكون أعمالهم متقنة ، ونتائجهم حميدة ، فإن لهم في الله أسوة حسنة ، فقد خلق الأرض ، وجعلها صالحة للسكنى ، ثم خلق السموات ، وزين أقربهن إلى الأرض بما نراه فيها من نجوم وكواكب متلألئة ، وحفظها قائمة من غير عمد ؛ وهذا كله بتقدير الله العزيز الذى لا يغلب ، العليم بما يجب أن يكون .

٣ — يأمر الله نبيه أن يقول هذا لقومه ، وأن ينبههم لدلالته على قدرة الله ؛ فإن آمنوا فذلك خير لهم ، وإن لم يؤمنوا فأعلمهم أنهم سيجرى عليهم مثل الذى جرى لقبيلتى عاد وثمود من قبل — وهما من العرب — حين كذبت عاد نبيها هوداً ، وحين كذبت ثمود نبيها صالحاً ، مع أن الرسالة بلغت لهم خير تبليغ وأعمه وأدقه ، وكلفوا ألاّ يعبدوا إلهاً غير الله ، فأبوا أن يطيعوا الرسل ، واعتلوا بأنهم من جنسهم من بنى آدم ، ورأوا أن الله لو أراد هدايتهم لأرسل إليهم رسولاً من جنس أشرف من جنسهم ، أو من جنس أقرب إلى الله من بنى آدم ، وهو الملائكة ، وأكدوا أنهم كافرون بما جاءتهم به رسلهم ؛ والمراد بالصاعقة هنا : العذاب الهائل الشديد ، الذى يفجئهم ، وينقض عليهم انقضا الصاعقة .

٤ — وكان لكل أمة مع نبيها قصة ، فعاد استكبروا من غير أن يكون لهم حق في

الاستكبار ، فلأن الله زادهم بسطة في الجسم اغتروا بقوتهم ، ولم يروا أحداً أشد منهم قوة ، ولو فكروا قليلاً لعلموا أن الذي خلقهم ومنحهم القوة ، لا بد أن يكون أقوى منهم ؛ ولما استمروا على جحودهم وطغيانهم وكفرهم ، أرسل الله عليهم ريحاً شديدة باردة في أيام مشئومة عليهم ، فأهلكتهم ، وخرّبت ديارهم ، وأذلتهم إذلالاً شديداً ؛ وسيكون لهم في الآخرة عذاب أشد وأقوى ، وأخزى من عذاب الدنيا ، ولا يجدون من يدفعه عنهم .

٥ — وأما ثمود فطلب الله منهم على لسان نبيه صالح أن يهتدوا ، فلم يستجيبوا ، وآثروا الضلال على الهدى ، وذبحوا الناقة ، فأرسل الله عليهم صاعقة أبادت الكافرين منهم بسبب كفرهم ، ولم ينج إلا صالح ومن آمن به ، من الذين خافوا الله واتقوه .

من الآية ١٩ إلى الآية ٢٩ من سورة فصلت

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ ، فَهُمْ يُوزَعُونَ ،  
حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا ، شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ  
وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ -١- . وَقَالُوا لِيَجْلُدِ اللَّهُمَّ  
لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ؟ قَالُوا : أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ  
شَيْءٍ ، وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ -٢- . وَمَا  
كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ  
وَلَا جُلُودُكُمْ ، وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا  
تَعْمَلُونَ ، وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ ،  
فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ -٣- . فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى  
لَهُمْ ، وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ -٤- .  
وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ ، فَزَيَّنَّا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا  
خَلْفَهُمْ ، وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ  
قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ -٥- .  
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا : لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ ، وَالْغَوْا فِيهِ ،

لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ -٦- . فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ؛ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ ، لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ، جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ -٧- . وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا : رَبَّنَا ، أَرِنَا الَّذِينَ أُضِلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا ، لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ -٨- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أعداء الله	الكافرون في كل زمان ومكان .
فهم يوزعون	فهم يُدفعون إلى نار جهنم دفعاً ، ويساقون إليها سوق الأنعام .
وهو خلقكم أول مرة	والله الذي قدر على خلقكم من تراب أصلا ، ومن نطفه بعد ذلك ، قادر على أن ينطق سمعكم وأبصاركم وجلودكم .
وما كنتم تستترون	حينما ارتكبتم الخطايا مستترين ، وظننتم أنكم لم يركم أحد ، كنتم واهمين ، فقد كانت تراكم جلودكم وأبصاركم وسمعكم .
ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون أرداكم	استترتم ظانين أن الله لا يعلم خفيات أعمالكم . أهلككم .

شرحها	الألفاظ
<p>فإن يصبروا على الذى هم فيه من عذاب الآخرة ، لم ينفعهم صبرهم ، فإن الصبر إنما يكون لانتظار زوال الغمة ، ولكن غممتهم الناشئة من إقامتهم فى جهنم لن تزول ، فلن ينفعهم صبرهم .</p>	<p>فإن يصبروا فالنار مثوى لهم</p>
<p>وإن يطلبوا رضا الله عنهم ، فلن ينالوا هذا الرضا .</p>	<p>وإن يستعقبوا فما هم من المعتبين</p>
<p>وهيأنا وسلطانا على أهل مكة أخذاناً من الجن ، ومن شياطين الإنس .</p>	<p>وقيضنا لهم قرناء</p>
<p>فزينوا لهم رأيهم فيما يعملون فى الدنيا ، وعقيدتهم فى الآخرة ، حيث يرون أن لا بعث ولا ثواب ولاعقاب .</p>	<p>فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم</p>
<p>ووجب تعذيبهم مع من سبقوهم من الكافرين : جنناً كانوا أو إنساً .</p>	<p>وحق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم</p>
<p>إنهم خسروا دينهم ، فخسروا آخرتهم . وعارضوه وعبوه ، وشوشوا على قارئه برفع أصواتكم .</p>	<p>إنهم كانوا خاسرين والغوا فيه</p>
<p>ولنعاقبهم أشد عقاب على أشنع عمل عملوه ، وهو الكفر .</p>	<p>ولنعجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون</p>
<p>هذا العذاب الشديد ، هو النار التى يخلد فيها أعداء الله .</p>	<p>ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد</p>
<p>من الجن هو إبليس ، ومن الإنس من كانوا يصدونهم عن الإيمان .</p>	<p>اللذين أضلانا من الجن والإنس</p>

## مجمل المعنى

١ - الذين كفروا بالله في كل زمان ومكان أعداء الله ، يحشرون يوم القيامة في نار جهنم ، ويدفعون إليها دفعاً ، ويجبس أولهم على آخرهم ، ويرد أسبقهم على متأخرهم ، فإذا وصلوا إلى النار ، وظنوا أن لا شاهد يشهد عليهم ، أنطق الله جلودهم وأسماعهم وأبصارهم ، وبيّنت ما سجلت عليهم من سيئات ارتكبوها في الدنيا : فكل ما أصغى إليه العاصي من قبيح شهد به سمعه ، وكل ما وقع عليه نظره من محرم شهدت به عينه ، وكل ما عمله شهد عليه به جلده .

٢ - هؤلاء الكفار الذين تشهد عليهم جلودهم وأبصارهم وسمعهم ، يرون ما لم يتوقعوه ، فيسألون جلودهم : لم شهدتم علينا بما كنا نعمل في الدنيا ؟ فتجيبهم جلودهم : أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء فنطقنا ؛ والله القادر على كل شيء ، وخلق الناس أول خلق من تراب ، مستطيع أن ينطق الجلود وغير الجلود إذا أراد ذلك ، والمرجع كله إليه ، فيحاسب كلاً على عمله ، وليس الله في حاجة إلى شاهد يشهد ، ولكن عدله يقتضى أن يلزم الكافر الحجة ، ويقنعه بشناعة جرمه ، واستحقاقه لما يقاسيه من عذاب .

٣ - اجتمع عند الكعبة ثلاثة نفر : قرشيان وثقفي ، أو ثقفيان وقرشي ، قليل فقه قلوبهم ، كثير شحم بطونهم ، فقال أحدهم : أترون الله يسمع ما نقول ؟ فقال ثان : يسمع إن جهرنا ، ولا يسمع أن أخفينا . وقال الثالث : إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا ، فعلم النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك ، فأنزل الله تعالى : « وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ... » والمعنى : أنكم حين ارتكبتم خطاياكم في الدنيا مستخفين في زعمكم ، ما كنتم مستخفين ولا مستترين ، فإنكم إن لم تقع

عليكم عين ، فإن عين الله تنظر إليكم ، ورقابته قاعة عليكم ، وتمثلها جلودكم وأبصاركم وأسماعكم ، وما كنتم تظنون أنها شاهدة عليكم يوم القيامة ، وظننتم كذلك أن ما تفعلونه في سر من الناس ، هو كذلك في سر من الله ، ولكن الله ليس عليه سر : « يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور » ، وهذا الظن الذي ظننتموه بالله هو الذي أهلككم ؛ وأدى بكم إلى جهنم ، إذ لو كنتم تعتقدون أن الله يعلم السر وما أخفى منه ، لما ارتكبتم الخطايا التي قذفت بكم في جهنم .

٤ - والذين كتب الله عليهم أن يكونوا من أهل جهنم ، إذا لجئوا إلى الصبر لا ينفعهم الصبر ، لأن الصابرين إنما يصبر انتظاراً لفرج الله ، وهؤلاء لا يؤدي صبرهم إلى فرج ، لأنهم - صيروا أم عجزوا - مخلدون في جهنم لا يبرحونها ، وإن يطلبوا رضا الله فلن يرضى عنهم ، لأن هذا الطلب فات أوانه ، فقد كان عليهم أن يطلبوه في الدنيا .

٥ - بعث الله إليهم نظراءهم من شياطين الإنس والجن ، فزينوا لهم القبيح ففعلوه ، وحضوهم على المنكر فارتكبهوه ، ووسوسوا لهم أن لا بعث ولا حساب ، ولا ثواب ولا عقاب ، فصدقوهم ، وعلى أساس أنه لا بعث ولا حساب أرخوا لأنفسهم العنان في الدنيا ، وأطلقوا بهيمتها ، واستمتعوا بكل ما يظنونه من المتع ، لا يفرقون بين حلال وحرام ؛ وهؤلاء يجب تعذيبهم ، كما يجب تعذيب أمثالهم من أهل الأمم السابقة ، لا فرق في ذلك بين إنس وجن ، وقد خسروا لأنهم باعوا الإيمان بالكفر ، ورضا الله بغضب الله .

٦ - مشركو قريش ، الكافرون بالله ورسوله ، يقولون لأتباعهم : حينما ترون قارئاً يقرأ القرآن لا تستمعوا له ، ولا تلقوا أذانكم إليه ، ولا تصغوا إلى قارئه ، والهوا عنه ، بل إذا رأيتم قارئاً فشوشوا عليه حتى لا يسمعه أحد ، وذلك بالصفير والتصفيق ، وإحداث الجلبة والضوضاء ، حتى لا يفهم أحد ما



يقول ، وأنكروا عليه ما يقرأ ، وأغروا به الصبية يتصايحون عنده ؛ يريدون بفعلهم هذا أن يصرفوا عنه من يجوز أنه إذا سمعه يتأثر به ، فيؤمن ؛ فيصرفون بذلك الناس عن محمد ، لعلهم يغلبونه ويبطلون دعوته .

٧ — يؤكد الله سبحانه وتعالى أن الذين كفروا به من مشركي قريش ، سيعذبهم عذاباً شديداً يوم القيامة ، وسيعاقبهم أشد عقاب على أسوأ عمل عماوه في الدنيا وهو الشرك ، وهذا العذاب الشديد ، هو النار التي سيخلدون فيها ، جزاء جحودهم وإنكارهم آيات الله .

٨ — الذين كفروا بالله ورسوله ، بعد أن يدخلوا نار جهنم يوم القيامة — يقولون : يا ربنا ؛ أرنا ، اللذين أضلّنا من خلقك : جنّاً وإنساً . لأنهما كانا سبباً في سوء مصيرنا ، وإذا عرفناهما وضعناهما تحت أقدامنا لسبيين : السبب الأول أن الوضع تحت القدم علامة الاحتقار الشديد في الدنيا ، والثاني أن جهنم طبقات ، فوضعهما تحت الأقدام يجعلهما في طبقة أسفل من الطبقة التي فوقها ، فيكونان في عذاب أشد ، لأن الطبقة في جهنم كلما سفلت ، كانت أشد على المعذبين .

( ٤ )

من الآية ٣٠ إلى الآية ٣٦ من سورة فصلت

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا : رَبَّنَا اللَّهُ ، ثُمَّ اسْتَقَامُوا ، تَنَزَّلُ  
عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ : أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ، وَأَبْشِرُوا  
بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ -١- . نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ  
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ، نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ -٢- . وَمَنْ  
أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ، وَقَالَ :  
إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؟ -٣- . وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا  
السَّيِّئَةُ ، ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ  
وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ ، كَأَنَّهُ وَلىٌّ حَمِيمٌ -٤- . وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا  
الَّذِينَ صَبَرُوا ، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ -٥- .  
وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ هُوَ  
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ -٦- .

## شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
<p>ثم لم يرتكبوا ذنباً ، ووطنوا أنفسهم على طاعة الله قولاً وفعلاً ، واستمروا على ذلك .</p>	<p>ثم استقاموا</p>
<p>تأتيمهم الملائكة وتطمئنهم ، فلا يخشون الموت ولا حرمان الثواب ، ولا يحزنون ، لأنهم إن كانوا قد ارتكبوا ذنوباً فإن الله غافرها .</p>	<p>{ تنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا</p>
<p>كنتم تبشرون بدخولها وأنتم في الدنيا . نحن نصرأؤكم وأحبأؤكم . ولكم فيها ما تتمنون وتطلبون . النزول : رزق النزول ؛ والنزول : الضيف . لا أحد أحسن قولاً . دعا إلى عبادة الله ، والعمل بشريعته .</p>	<p>كنتم توعدون نحن أولياؤكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً ومن أحسن قولاً دعا إلى الله</p>
<p>ليست الحسنه والسيئة في منزلة واحدة ، وليس التوحيد والشرك في منزلة سواء .</p>	<p>{ ولا تستوى الحسنه ولا السيئة</p>
<p>ادفع بحلمك السيئة بالحصله التي هي أحسن منها ، وهي الصفح . كأنه قريب صديق ، مصافاة ومحبة .</p>	<p>ادفع بالتي هي أحسن كأنه ولي حميم</p>
<p>ولا يظفر بهذه المنزلة الكريمة إلا الصابرون ، الذين يكظمون الغيظ ، ويعفون عن الناس . صاحب نصيب وافر من الخير والرضا .</p>	<p>وما يلقاها إلا الذين صبروا ذو حظ عظيم</p>

الألفاظ	شرحها
وإما ينزغنيك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم	وإن يدفعك من الشيطان دفع إلى فعل الشر ، وعدم الدفع بالتى هي أحسن ، أدغمت إن الشرطية في « ما » الزائدة . فقل : أعوذ بالله من كيد الشيطان وشره . إنه هو السميع لاستعادتك ، العليم ينزغ الشيطان ، وبأقوالك وأفعالك .

### مجمل المعنى

١ - يؤكد الله - سبحانه وتعالى - أن الذين يؤمنون بالله وحده ، ويقولون :  
لا إله إلا الله ، لا شريك له ، ويثبتون على إيمانهم ، ويستمرون على الطاعة  
في أقوالهم وأعمالهم - تنزل الملائكة عليهم إذا حزبهم أمر ، أو عند موتهم ،  
وتطمئنهم ، ويقولون لهم : لا تخشوا الموت ، ولا حرمان الثواب ، ولا تحزنوا  
بسبب ما ارتكبتموه من الذنوب ، ولا على ما خلفتموه وراءكم من مال وولد ،  
ولا يهولنكم ما تنتظرونه من أمر الآخرة ، فلن يكون إلا خيراً ، لأن الله وعدكم  
الجنة ، والله موف وعده ، فأبشروا بها .

٢ - ويقول الملائكة أيضاً لهؤلاء المؤمنين المطيعين الثابتين على إيمانهم : نحن  
نصراؤكم وأحباؤكم في الحياة الدنيا ، فكنا نرعاكم فيها ، ونقيد لكم  
حسناتكم ، ونحن أصدقاؤكم وأحباؤكم في الآخرة كذلك ، نشهد لكم ،  
ولا نترككم حتى تستقروا في الجنة ، التي ستجدون فيها كل ما تتصورونه  
من ألوان المتع التي أباحها الله لكم ، وممكنكم من الاستمتاع بها ، ولكم

فيها كل ما تتمنونه وتطلبونه ، ميسراً لكم تيسيراً يجعل الحصول عليه من غير  
كلفة ولا مثونة ، يسره لكم الله الغفار لذنوبكم التي فرطت منكم في الدنيا ،  
الرحيم بكم فلا يعاقبكم .

٣ - يتواصى مشركو قريش ألا يسمعوا للقرآن ، وأن يَلْغَوْا فيه ، مع أنه لا أحد  
أحسن قولاً من محمد ولا من أتباعه ، حين يتلون القرآن ، ويدعون به إلى  
الله ، وإلى توحيدهِ وعبادته ، والعمل بشريعته ، وهؤلاء أولياء الله وأصفياءه ،  
وخيرة خلقه .

٤ - الإيمان والكفر لا يستويان ، والحسنة والسيئة لا تستويان ، فليستا في منزلة  
سواء ، وشتان بين من يقولون : ربنا الله ، ويستقيمون ويحسنون في أقوالهم  
وأفعالهم ، وبين من يقولون : لا تسمعوا لهذا القرآن ، والغو فيه ؛ وهؤلاء  
وأولئك لا تستوي عند الله مراتبهم ومنازلهم ، وقد أمر الله نبيه بدفع سيئة المسيئين  
بالحسنى : فيحلم على الجاهل ، ويعفو عن المسيء ، ويدعو بالهداية  
للضال ، ويصبر على الأذى ؛ وهو إذا فعل هذا كله ، صار العدو صديقاً  
والمبغض محبباً ، والعصبي طيباً ، والجامح ذلولاً ، والمتكبر متواضعاً ،  
والجاهل حليماً .

٥ - وليس سهلاً على كل إنسان أن يقابل السيئة بالحسنة ، فإن هذه صفة عالية  
لا تتأتى إلا لمن رزقهم الله الصبر على المكاره ، وأصحاب النصيب العظيم من  
العقل والحلم ورضا النفس ، والاطمئنان إلى كل ما يريد الله ؛ وهؤلاء  
كتب الله لهم الجنة .

٦ - وإن يدفعك - يا محمد - من الشيطان دافع إلى فعل الشر ، ويوسوس في  
نفسك أن تجانب الصبر ، فليس عليك إلا أن تلجأ إلى الله ، وتستعيد به  
من الشيطان ، والله يسمع دعائك ، واستعاذتك من الشيطان ، واستجارتك  
به ، ويعلم كل ما يجري في نفسك ، وما يكون من الشيطان لك ، وما يكون  
منك من استغاثة واستعاذة .

من الآية ٣٧ إلى الآية ٤٦ من سورة فصلت

وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ،  
لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ، وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ،  
إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ -١- . فَإِنَّ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ  
رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ -٢- .  
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً ، فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا  
الْمَاءَ أَهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ، إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى ،  
إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ -٣- . إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي  
آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ، أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ ،  
أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ! إِنَّهُ  
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ -٤- . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا  
جَاءَهُمْ ، وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ  
يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ -٥- . مَا  
يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ : إِنَّ رَبَّكَ  
لَذُو مَغْفِرَةٍ ، وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ -٦- . وَلَوْ جَعَلْنَاهُ  
قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا : لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ! أَأَعْجَمِيٌّ

وَعَرَبِيٌّ قُلٌّ : هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ، وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
 فِي آذَانِهِمْ وَقُرْءٌ ، وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ، أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ  
 مَكَانٍ بَعِيدٍ -٧- . وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ ،  
 وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ، وَإِنَّهُمْ  
 لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ ؛ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ  
 أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ -٨- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ومن آياته	ومن العلامات الدالة على قدرته ووجدانيته .
لا تسجدوا للشمس ولا للقمر	لا تعبدوا الشمس والقمر من دون الله .
إن كنتم إياه تعبدون	إن كنتم تخلصون الله بالعبادة .
فالذين عند ربك	المراد بهم : الملائكة .
لا يسأمون	لا يملون .
خاشعة	يابسة مقفرة ، لا ماء فيها ولا زرع .
اهترت وربت	حييت وتحركت ونمت ، بما يجري فيها من ماء ، وبما ينبت من نبات .
يلحدون في آياتنا	يميلون عن الحق بالنسبة للقرآن ، فيصفونه بأنه سحر ساحر ، أو كهانة كاهن ، أو أساطير الأولين ، أو غير ذلك .

شرحها	الألفاظ
<p>{ لا يغيب أمرهم عنا ، حتى يستطيعوا أن يفلتوا من عقابنا .</p>	<p>لا يَخْفَوْنَ علينا</p>
<p>{ تصرفوا كما يحلو لكم ، فآمنوا أو لا تؤمنوا ، وهذا أشد أساليب التهديد والوعيد .</p> <p>لم يؤمنوا بالقرآن .</p> <p>إنه لكتاب مَحْصِيٌّ بحماية الله وعنايته ورعايته .</p>	<p>اعملوا ما شئتم</p> <p>كفروا بالذكر</p> <p>إنه لكتاب عزيز</p>
<p>{ لا يعتريه تعديل ولا تغيير ، ولا يطرأ عليه زيادة ولا نقص ، على أى وضع من الأوضاع .</p> <p>من إله موصوف بالحكمة ، مستحق للحمد والثناء .</p>	<p>{ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه</p> <p>من حكيم حميد</p>
<p>{ ما يقوله لك كفار قريش الآن ، مثل ما قيل لمن سبقك من الأنبياء ، من الذين كفروا بهم .</p> <p>ولو نزلنا عليك القرآن بلغة غير لغة العرب .</p> <p>هلا نزلت آياته علينا واضحة مفهومة بلغتنا !</p> <p>أقرآن أعجمى ، ورسول عربى ؟ !</p>	<p>{ ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك</p> <p>ولو جعلناه قرآنا أعجمياً</p> <p>لولا فصلت آياته</p> <p>أأعجمى وعربى ؟ !</p>
<p>{ إرشاد إلى الطريق المستقيم ، وإزالة لمرض الشك الذى فى القلوب .</p> <p>فى آذانهم صمم .</p>	<p>هدى وشفاء</p> <p>فى آذانهم وقر</p>
<p>{ والقرآن ظلمة عليهم ، فهم لا يرون ما فيه من نور الهداية والإيمان .</p>	<p>وهو عليهم عمى</p>
<p>{ أولئك لا يفهمون لعدم انتفاعهم بالقرآن ، وعدم استجابتهم لداعى الإيمان ، كأنهم ينادون من مسافة بعيدة ، فلا يسمعون النداء .</p>	<p>أولئك ينادون من مكان بعيد</p>



الألفاظ.	شرحها
الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فلنفسه فعلينا وما ربك بظلام للعبيد	التوراة . } فكان الناس فيه مختلفين : بعضهم قال : هو حق ، وبعضهم قال : هو باطل . ولولا أن الله قدر عدم تعجيل العذاب لهم . لعجل بتعذيبهم وإهلاكهم في الدنيا . فمنفعة عمله الصالح راجعة إليه . فضرر عمله السيئ واقع عليه . } والله يقضى بين عباده بالحق ، ولا يظلم الناس شيئاً فيعذب المسيء ، ويرحم المحسن .

### مجمل المعنى

١ - من الدلائل على قدرة الله ، أنه خلق الليل والنهار متعاقبين ، يختلفان طولاً وقصراً ، وحرّاً وبرداً ، وضوءاً وظلمةً ؛ ومن الدلائل كذلك أنه خلق الشمس والقمر ، وجعل كلاهما يسبح في فلكه ، بدورانه حول نفسه ، ثم بدوران القمر حول الشمس ، لا الشمس تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكلٌّ في فلك يسبحون ؛ والشمس والقمر خلقهما الله ، وسخرهما للناس ينتفعون بهما ، ولا حياة لهما من دونهما ، وليس معنى ذلك أنهما هما

اللذان يمنحان الإنسان ما ينتفع به من وجودهما ، فيعبدهما ، ولكن الله هو الذى خلقهما على وضع يجعل الناس ينتفعون بهما ، ولو شاء غير ذلك لكان ما شاءه ؛ ولذلك كان أحق بالعبادة من أى شىء آخر ، ولو كان الشمس والقمر ؛ ولذلك ينهى الله النبي والمؤمنين عن السجود لهما ، ويأمرهم بالسجود لله ، إن كانوا يريدون أن يخصوا بالعبادة من يستحق العبادة .

٢ - يخبر الله نبيه أنه إن استكبر قومه على الله ، ولم يخصوه بالعبادة ، فالله فى غنى عنهم وعن عبادتهم ، لأن من عباده الملائكة المقربين ، الذين لا عمل لهم إلا عبادة الله عبادة دائمة متصلة فى الليل والنهار ، لا يملونها ولا يتبرمون منها .

٣ - ومن الدلائل على قدرة الله أيضاً ، هذه الأرض اليابسة الهامدة التى تراها ، فلا تجد فيها أثراً للحياة ، فإذا نزل عليها الماء حييت ، واهتزت ، ونمت ، وأخرجت النبات وصارت جنة ؛ والله الذى قدر على أن يحيى الأرض الميتة ، ويجعل من جذبها خصباً ، ومن قحلها جنة ، ومن موتها حياة ، هو الله الذى يستطيع أن يحيى الموتى يوم القيامة ، ويبعثهم من قبورهم ، وهو قادر على كل شىء : إنشاء وإعادة ، وإحياء وإماتة .

٤ - يؤكد الله أن الذين يعدلون عن الحق ، ويتنكبون الطريق السوى ، وينتقصون آيات الله ، ولا يعترفون بها كدلائل على قدرته ؛ ويطعنون على القرآن بأنه سحر ساحر ، أو كهانة كاهن ، أو أساطير الأولين ، ويحاولون أن يبطلوه باللغو فيه ، هؤلاء لا يغيبون عن الله ، ولا يخفى عليه شرم ،

فلا يستطيعون أن يفلتوا من عذابه ، أو يتخلصوا من عقابه ؛ وفي هذا تهديد لهم ، وإنذار بما سيجرى عليهم من تعذيب إذا بقوا على استكبارهم وكفرهم ؛ وهؤلاء إذا وازنا بينهم وبين المؤمنين ، الذين يأتون يوم القيامة آمنين مطمئنين على أنفسهم وعلى مصيرهم ، فأيهم أفضل ؟ ! لا شك أن المؤمنين الذين يدخلون الجنة ، أفضل من الكافرين الذين يلقون في النار ، بل إنه لا تجوز الموازنة بينهما ؛ وأهل النار يهددهم الله تهديداً شديداً بقوله لهم : « اعملوا ما شئتم » ، ويؤكد الله أنه يعلم علم إحاطة وشمول كل ما يجرى منهم ، وهو محاسبهم عليه .

٥ — إن الذين ينكرون القرآن ، ويصفونه بما لا يجوز أن يوصف به ، ويحرضون على مقابلة قارثته بالاستهزاء والصفير والسخرية ، هؤلاء يغضب الله عليهم ، ويعذبهم يوم القيامة ؛ ويؤكد الله أن القرآن كتاب عزيز عليه ، محمي بحمايته ، مصون بعنايته ، مكفوء برعايته ؛ فلا يستطيع كائن من كان من إنس أو جن أن يغير فيه أو يبدل أو يحرف ، أو يزيد عليه ، أو ينقص منه ، فإنه كلام الله المنزل على نبيه ، والله حكيم في كل ما يقول ، مستحق لكل حمد وثناء .

٦ — لا تجزع يا محمد مما يلقاك به قومك ، ولا يؤلك أن يصفوك بأنك شاعر أو ساحر أو كاهن ، ولا يحزنك أن يرموك بالباطل ، فإن ما يحصل منهم لك هو نفسه الذي حصل لأولى العزم من الرسل قبلك ، فقد لقي كل منهم مثل ما تلاقى ، وعانى من قومه مثل ما تعانى ؛ وإن الله مطلع على كل شيء ، وهو يغفر للتائبين ذنوبهم ، ويعاقب المذنبين الكافرين عقاباً شديداً موجعاً .

٧ - كفار قريش يتعللون بأنفه الأشياء التي لا يقبلها عقل ؛ فلو أن القرآن الذي نزل على محمد عربياً بلسانهم ، كان قد نزل عليه بلسان غير عربي ، لاحتجوا على ذلك ، وقالوا : نحن عرب : ونزل القرآن بغير لغتنا ، فلو أنه نزل واضحاً مفهوماً لنا ، لكان لنا رأى آخر ، ولقالوا أيضاً : عجباً !! أقرآن بلسان أعجمي ينزل على رجل عربي ، ولسانه عربي ؟ ومع ذلك فقد قطع الله عليهم السبيل ، وأنزله قرآناً عربياً ، بالغاً أعلى درجة من البلاغة ، فأعجزهم جميعاً عن أن يأتوا بسورة من مثل سورة القصار ؛ وهذا القرآن إمام المؤمنين ، وإرشاد الطالبين ، ودواء القلوب المريضة ، وشفاء العقول السقيمة ، وهو نور على من يستضيء به ، وبركة لمن يتمنى الخير لنفسه ؛ فكل من لا يؤمن به ، ولا يجيب دعوة الداعي إليه إذا سمعه ، وأعرض عنه ، يكون كأنه لم يسمع ، ولم يفهم ، وكأنه أصيب في أذنه بالصمم ، فلم ينتفع بخير القرآن وبركته ؛ ومثل هؤلاء من يجدون القرآن مُعَمَّسٍ عليهم ، لأنهم لم يحاولوا أن يفقهوه ، فهم عُمى لم تفتح أعينهم على نور الهداية ، ولم تنعكس عليها أشعة الإيمان ، فلم يسمعوا ولم يروا ؛ هؤلاء المتصامتون عن الحق ، المتعامون عن الآيات الظاهرة التي يشاهدونها ، مثلهم كمثل من ينادى من مكان بعيد ، فهو لا يسمع النداء ولا يفهمه .

٨ - وكما أنزل الله عليك القرآن يا محمد ، فقد أنزل على موسى التوراة من قبلك ، واختلف في القرآن قومك كما اختلف في التوراة قومه من قبلك ؛ فكانوا بين مؤمن وكافر ، ومصدق ومكذب ؛ وقال بعضهم : إنه حق ، وقال آخرون : إنه باطل ، فالاختلاف في شأن الكتب عادة قديمة للأمم ، لم يخصص بها قومك ، ولولا أن الله سبق أن قضى بأن الجزاء مؤجل إلى يوم القيامة ، لحكم

عليهم حكماً عاجلاً فيه إهلاك المبطلين منهم وتعذيبهم ، وإن هؤلاء الكافرين ليسوا مكذبين عن يقين ، وإنما هو مجرد ظن منهم ، أو مكابرة جعلتهم يشكّون ، فلا يحزنك قولهم : قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه ، وفي آذاننا وقر ؛ ومع ذلك فإن لكل إنسان عمله : فعمل الصالح له ، وعمل المسيء عليه ، للأول الجنة بسبب طاعته وإيمانه ، وللثاني النار بسبب عصيانه وكفره ، والله يحكم بالعدل بين الجميع ، فلا يظلم منهم أحداً على عمله ، سواء أكان قليلاً أم كثيراً ، فارق بنفسك ، ولا يكبر عليك إعراضهم عن قبول دعوتك .

## فهرس الجزء الرابع والعشرين من تفسير القرآن الكريم

أرقام الصفحات	أرقام الآيات في المصاحف	أسماء السور	الرقم
من ٣ - ٨	من ٣٢ - ٤١	الزمر	١
١٣ - ٩ »	٤٨ - ٤٢ »	»	٢
١٦ - ١٤ »	٥٢ - ٤٩ »	»	٣
٢٢ - ١٧ »	٦٤ - ٥٣ »	»	٤
٢٩ - ٢٣ »	٦٥ إلى آخر السورة	»	٥
٣٣ - ٣٠ »	٦ - ١ »	غافر	١
٣٦ - ٣٤ »	٩ - ٧ »	»	٢
٤٢ - ٣٧ »	١٧ - ١٠ »	»	٣
٤٥ - ٤٣ »	٢٢ - ١٨ »	»	٤
٥٢ - ٤٦ »	٣٥ - ٢٣ »	»	٥
٥٧ - ٥٣ »	٤٦ - ٣٦ »	»	٦
٦١ - ٥٨ »	٥٤ - ٤٧ »	»	٧
٦٩ - ٦٢ »	٦٥ - ٥٥ »	»	٨
٧٢ - ٧٠ »	٦٨ - ٦٦ »	»	٩
٧٦ - ٧٣ »	٧٨ - ٦٩ »	»	١٠
٨٠ - ٧٧ »	٧٩ إلى آخر السورة	»	١١
٨٥ - ٨١ »	٨ - ١ »	فصلت	١
٩٢ - ٨٦ »	١٨ - ٩ »	»	٢
٩٨ - ٩٣ »	٢٩ - ١٩ »	»	٣
١٠٢ - ٩٩ »	٣٦ - ٣٠ »	»	٤
١١٠ - ١٠٣ »	٤٦ - ٣٧ »	»	٥

# تفسير القرآن الكريم

الجزء الخامس والعشرون

تأليف

حسن علوان

محمود محمد حمزة

محمداحمد برانق

٤٠

تراجع الخطبة التي في صدر تفسير الجزء الأول ، ونرجو أن يراعى في هذا الجزء والأجزاء التي تليه ، أن الأرقام التي في صدر مجموعات آيات القرآن الكريم ، تطابق نظائرها في المصاحف ، وأن الأرقام التي تخللت مجموعات آيات القرآن الكريم ، تطابق نظائرها في مجمل المعنى .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( ١ )

من الآية ٤٧ إلى الآية ٤٨ من سورة فصلت

إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا ،  
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ، وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ :  
أَيْنَ شُرَكَائِي ؟ قَالُوا : آذْنَاكَ ، مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ -١- . وَضَلَّ  
عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ ، وَظَنُّوا : مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ -٢- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
علم الساعة	وقت قيام القيامة .
من أكمامها	من أغلفتها التي تحفظها قبل أن تفتح .
أين شركائي	أين الآلهة التي كنتم تعبدونها من دوني ، وتشركونها معى ؟
آذناك	أخبرناك .
ما منا من شهيد	ليس منا من يشهد أن لك شريكاً .
وَضَلَّ عَنْهُمْ	وْغَاب عَنْهُمْ .

الألفاظ	شرحها
ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص	ما كانوا يعبدون في الدنيا . وأيقنوا أنهم لا مهرب لهم من عذاب الله .

### مجمل المعنى

١ — هذه أمور ينفرد الله تعالى بها : موعد قيام الساعة ، وخروج الثمرات من أغلفتها وحمل الأنثيات ووضعهن ؛ وليست هذه الأمور وحدها هي التي انفرد بها علم الله . ولكن الله يعلم كل شيء حاضر للإنسان أو غائب عنه ، يدخل تحت إدراكه وحسه ، أو لا يدخل تحت إدراكه وحسه ، يرقى إليه خياله ، أو لا يستطيع أن يتصوره خياله ؛ فالله يعلم والإنسان لا يعلم ، وكل خلقه في هذا العالم الذي نعرفه وفي جميع العوالم الآخر لا يعلم ؛ وفي يوم القيامة ينادى الله المشركين الذين أشركوا به غيره في الدنيا ، ويقول : أين شركائى ؟ ! على سبيل الاستهزاء والتفريع ، فيردون : أخبرناك أنه ليس منا واحد يشهد اليوم أن لك شريكاً ، وكلنا نشهد أنك واحد لا شريك لك .

٢ — أما الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله فقد غابت عنهم ، ولم يجدوها أمامهم ، وتأكدوا أنهم لا مهرب لهم من عذاب الله .

( ٢ )

من الآية ٤٩ من سورة فصلت إلى آخر السورة

لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ، وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيُتَوَسَّلُ  
قَنُوطًا-١- وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرْاءٍ مَسَّتَهُ  
لَيَقُولَنَّ: هَذَا لِي، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً، وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى  
رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى، فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا،  
وَلَنُنذِرَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ-٢-. وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ  
أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ. وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ-٣-.  
قُلْ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُمٌّ كَفَرْتُمْ بِهِ، مَنْ أَضَلُّ  
مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ؟-٤-. سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ  
وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ أَلْحَقٌ، أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ  
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ؟-٥-. أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيقَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ  
أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ!-٦-.

## شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
لا يمل الكافر . { من طلب ما ينتفع به من مال أو ولد أو صحة ، أو غير ذلك . { وإن أصابه ضرر وفقر يئس من الخير . وقنط من رحمة الله . ولئن أنعمنا عليه من عندنا بعافية أو رخاء أو غنى . من بعد شر أصابه من فقر أو شدة . هذا حتى أستحقه . فليس لأحد جميل على فيه . وما أظن أن القيامة ستقوم ، وسيكون حساب . { وإذا صح أن هناك قيامة وبعثاً وحساباً ، وبعثت يوم القيامة . { إن لي عند الله إذ ذاك الحالة الطيبة . من التكريم والإنعام على .	لا يسأم الإنسان من دعاء الخير { وإن مسه الشر فيئوس قنوط ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا من عذاب غليظ ونأى بجانبه فذو دعاء عريض أرأيتم إن كان من عند الله
من عذاب شديد دائم . وأعرض عن ذكر الله ، واستكبر . فإنه يرجع إلى الله ويدعوه دعاء طويلاً دائماً . أخبروني : إن كان هذا القرآن من عند الله .	

الألفاظ	شرحها
من أضل في شقاق بعيد آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد في مرية بكل شيء محيط	فأى الناس أضل ؟ ممعن في خلاف واسع المدى . علامات وحدانيتنا وقدرتنا في البلاد التي حول مكة ، وفي فتح مكة نفسها . أولا يقنعهم أن الله شاهد على كل شيء من أعمالهم ؟ في شك . عالم بكل شيء : عظم أو صغر ، ظهر أو خفى

### مجمل المعنى

١ — الإنسان لا يقنع بما يصيب من مال أو ولد أو صحة ، أو أى شيء من زينة الحياة الدنيا ، فهو يطلب المزيد من هذه الأشياء دائماً ، وإذا أصابه شر مهما كان تافهاً جزع ، وضاعت في وجهه الدنيا ، ويش من زوال الشر ، ومن رحمة الله ، وضعف وخارت عزيمته .

٢ — فإذا أدركته رحمة الله وكشف عنه ما أصابه من سوء في صحته أو ماله أو عياله ، عاوده تكبره وتجبره ، ونسى فضل الله عليه ، وقال : هذا حتى ، لا فضل لأحد على فيه ؛ ونسى القيامة والبعث والحساب ، والثواب والعقاب ، وغير ذلك من الأمور التي ينادى الإسلام بالإيمان بها ، وجعلها دائماً نصب عينيه ، ويرى مع هذا أنه لو سلم بأنه سيبعث ويحاسب ، فإنه يكون من المكرمين في الآخرة ، لأنه من المكرمين في الدنيا ؛ ويؤكد الله أنه سيخبر

الذين كفروا بحقيقة ما عملوا في الدنيا ، ويعذبهم عذاباً شديداً دائماً ،  
ويُظهر لهم أن الأمر على غير ما تصوروه .

٣ — والإنسان إذا أنعم الله عليه في الدنيا استكبر وتجبّر ، وأعرض عن الإيمان  
وعن فعل الخير ، ولم يفكر في فضل الله عليه ؛ وإذا أصيب بشرّ رجّع  
إلى الله ودعاه . وأكثر من الدعاء في تضرع واستغاثة ومسكنة ، وسأله  
أن يكشف عنه ما به من ضرر ، فهو يعرف ربه عند البلاء ، وينسأه وقت  
الرخاء .

٤ — يأمر الله نبيه أن يقول لهم : أخبروني . إن كان هذا القرآن من عند الله  
كما أقول . وكفرتم به مع قيام الأدلة على صحة ما أبلغكم به ، فهل يكون  
هناك أشد ضلّالاً من هؤلاء المتعنتين . المعننين في الخلاف ؟ لا لسبب  
إلا أنهم في أنفة الجاهلية يُعرضون ويقولون : « لولا نُزّل هذا القرآن  
على رجل من القريرتين عظيم ! » .

٥ — هؤلاء الذين لم يؤمنوا . سيعرفون قريباً أن ماتدعوإليه يا محمد حق ، وسيرون  
ذلك حينما تفتح مكة ، وتدخلها عليهم ظافراً منصوراً ، وسيرون ذلك أيضاً  
حينما تفتح الآفاق المحيطة بمكة ، وتدخلها على أهلها ظافراً منصوراً ؛  
أو لا يقنع هؤلاء المعاندين المتكبرين أن الله مطلع على كل شيء ، وأنه  
أخبر أن القرآن منزل من عنده على رسوله ؟ فأى شيء أكبر شهادة من  
شهادة الله ؟

٦ — إن هؤلاء الناس في شك من لقاء الله يوم القيامة للحساب والجزاء ، وإن  
الله يعلم كل شيء يجري في هذه الدنيا مهما صغر ومهما تخفى ، فلا  
تخفى عليه خافية ، ويعلم بواطن الكفار وظواهرهم ؛ وفي يوم القيامة يجازى  
الكافر بكفره . فيدخله جهنم ، ويجازى المؤمن بإيمانه ، فيخلده في الجنة .

## سُورَةُ الشُّورَى

نزلت بمكة ، ما عدا الآيات ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ فإنها نزلت بالمدينة  
وآياتها ٥٣ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( ١ )

من الآية الأولى إلى الآية ١٢

حَمَّ عَسَقَ ، كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ  
اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ -١- . لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ،  
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ -٢- . تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ  
فَوْقِهِنَّ ، وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ  
فِي الْأَرْضِ ، أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ -٣- . وَالَّذِينَ  
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ ، وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ  
بِوَكِيلٍ -٤- . وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ، لِتُنذِرَ أُمَّ  
الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ، وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ : فَرِيقٌ  
فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ -٥- . وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً  
وَاحِدَةً ، وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ، وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ

مِنْ وَلِيِّ وَلَا نَصِيرٍ - ٦- . أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ؟ فَاللَّهُ هُوَ  
 الْوَلِيُّ ، وَهُوَ يُخَيِّ الْمَوْتَى ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ - ٧- .  
 وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ، ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي ،  
 عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْهِ أُنِيبُ - ٨- فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ،  
 جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ، وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ،  
 يَذَرُوكُمْ فِيهِ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ - ٩- .  
 لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ،  
 إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ - ١٠- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
حم عسق	تراجع الصفحة ١٣ من تفسير الجزء الأول .
كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك	مثل ما تضمنته هذه السورة من المعاني ، قد أوحى الله إليك مثله في غيرها من السور ، وأوحاه إلى من قبلك من الرسل .
العزیز الحكيم العلی العظيم يتفطرن من فوقهن	الغالب بقوته وقهره . الحكيم في صنعه . وهو العلي الشأن . العظيم سلطانه وملكوته . يتشققن ، فتكاد كل واحدة تنفطر فوق التي تليها .



شرحها	الألفاظ
<p>{ ويطلبون من الله ألا يعاجلهم بالعقوبة طمعاً في إيمان الكافر ، وتوبة الفاسق . عبدوا من دون الله شركاء وأنداداً . الله رقيب على أعمالهم وأقوالهم ، فيجازيهم عليها . بمكول إليك أمرهم ، وإنما وظيفتك الإبلاغ والإنداز .</p>	<p>{ ويستغفرون لمن في الأرض اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم بوكيل</p>
<p>{ لتبلغه لأهل مكة ، وإلى الناس قاطبة في مشارق الأرض ومغاربها . وتنذره ما ذكر عن يوم القيامة ، الذي يجتمع فيه الخلائق للحساب . لا شك فيه . ومنهم فريق ضال ، فهم في عذاب النار المستعرة . لجعلهم كلهم أمة واحدة ، وفريقاً واحداً ، مهتدين أو ضالين . من وليّ يلي أمرهم ، ولا نصير يخلصهم من العذاب . يقول النبي للمؤمنين : وكل أمر من أمور الدين اختلفتم أنتم والكفار فيه . فاتركوا حكمه إلى الله ، ولا تخوضوا معهم فيما لا تعرفونه . وإليه أرجع في كل أمر .</p>	<p>{ لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه وفريق في السعير لجعلهم أمة واحدة من وليّ ولا نصير وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله وإليه أنيب</p>

الألفاظ	شرحها
فاطر السموات والأرض	خالق السموات والأرض ، ومبدعهما على غير مثال سابق .
جعل لكم من أنفسكم أزواجاً	جعل لكم من جنسكم أصنافاً : ذكوراً وإناثاً .
ومن الأنعام أزواجاً	وجعل من جنس الأنعام أصنافاً : ذكوراً وإناثاً للتوالد .
يذروكم فيه .	يكثركم بسبب هذا الازدواج .
ليس كمثلته شيء	ليس مثله شيء في شأن من الشئون التي من جملتها هذا التدبير البديع .
وهو السميع البصير	وهو بالغ العلم لكل ما يسمع وما يبصر .
له مقاليد السموات والأرض	له مفاتيحها وخزائنها . فالإعطاء والمنع بيده هو .
يسيطر الرزق لمن يشاء	يوسع الرزق لمن يشاء ، ويضيقه على من يشاء ، على حسب إرادته .
ويقدر	

### مجل المعنى

١ - هذه الأحرف الخمسة ، وهي الحاء والميم والعين والسين والقاف ، يتكون منها ومن أمثالها من الحروف الهجائية القرآن الذي أوحيناها إليك ، نتحدى به الكفار المعاندين . وليس بدعاً أن يوحى الله إليك هذا القرآن ، فقد أوحى مثل ذلك الوحي الذي أنزلناه إليك : من الدعوة إلى توحيد الله ، وبيان

عظمته وقدرته، إلى الأنبياء الذين أرسلهم قبلك، فيما أنزل عليهم من كتب، وهو العظيم الشأن، الغالب بقوته وقهره على أمره، الحكيم المصيب في قوله وفعاله .

٢ - له ملكوت السموات والأرض بالخلق والتدبير، هو مالكهما ومالك ما فيهما من ملائكة وإنس وجن، وحيوان ونبات، ونار ونور، ومعدن وغاز، لا شريك له في ملكه، وهو العلي شأنه، العظيم سلطانه وملكوته، لا أحد ينازعه ملكه، ولا يشاركه في وحدانيته .

٣ - ولفظاعة قول المشركين: إن لله ولداً، واتخاذهم آلهة يعبدونها من دونه - ودلائل عظمته ووحدانيته ناطقة بقدرته في خلقه وتدبيره - قاربت الكواكب أن تتشقق وتهاوى فوق التي تليها، ويختل ما بينها من تجاذب وتماسك، لشناعة ما يقولون، وبشاعة ما يزعمون، ونظير هذا قوله تعالى في سورة مريم: « وقالوا اتخذ الرحمن ولداً، لقد جئتم شيئاً إداً، تكاد السموات يتفطرن منه »، ( تراجع الفقرة الثامنة من الصفحة ٧١ من تفسير الجزء السادس عشر) والملائكة يسبحون الله، وينزهوه عما لا يليق به مما يفترية الكفار، ويطلبون من الله أن يغفر لأهل الأرض، وأن يحلّم عليهم ويهديهم إلى طاعته، وألا يعجل بعقوبتهم، فيزلزل الأرض، ويسرع بخرابها؛ ألا أن الله الذي عظمت قدرته فأبدع هذا الكون، وقد وسعت مغفرته وعمت رحمته، لا يأخذ الناس بذنوبهم، ولا يعجل العقاب لهم، لعل أن يؤمن كافرهم، ويتوب فاسقهم .

٤ - والذين عبدوا آلهة من دون الله، وجعلوا الأصنام والأوثان أنداداً وشركاء له، لا ينبغي أن تحزن لكفرهم، أو تشغل بالك بأمرهم، فإن الله يحفظ أعمالهم ليجازيهم عليها، ويرقب كل ما يقولون وما يفعلون، يحصيه عليهم

وبحاسبتهم حساباً شديداً ؛ ولست أنت يا محمد بموكل عليهم ، أو بمفوض لك أمرهم ، فإنما عليك البلاغ ، وعلينا الحساب .

٥ - وكما أوحينا إليك وإلى من قبلك هذه المعاني ، أنزلنا عليك قرآناً بيناً بلسان قومك ، لاليس فيه ولا خفاء ، لتبأغه لأهل مكة ومن حولها من الأمم في مشارق الأرض ومغاربها ، وتندرهم ما فيه من وعد ووعد ، وحساب وعذاب ، وتبلغهم ما فيه من عبادات ومعاملات ، ونظم وأحكام ، وتخوفهم يوم القيامة ، يوم يجمعهم الله للمحشر ، ويقول لهم : هذا يوم الجمع الذي كنتم تكذبون به محمداً ، حينما أنذركم إياه ؛ وبعد أن تؤدي رسالتك الواجبة عليك ، وهي مجرد التبليغ والإنذار ، سيؤمن بك فريق ، ويكفر فريق ، وسيكون منهم فريق ينعمون بالجنة ، وفريق يَصْطَلُونَ عذاب السعير .

٦ - ولقد تمت مشيئة الله ، واقتضت حكمته ، أن يكون في الناس شقي وسعيد ، ومهتد وضال ، ومؤمن وكافر ، ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً ، ولو شاء لجمعهم على الهدى ، أو جمعهم على الضلالة ، لكنه أراد أن يكونوا مختلفين في العقيدة والعقل ، والعاطفة والقدرة ، والاستعداد والحفظ ، وشاء أن يؤمن هذا ويعمل عملاً صالحاً فيدخله في رحمته ، ويوقفه إلى السعادة في الدنيا والآخرة ، وأن يكفر ذلك فيكون من الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم ، فاستحقوا عذاب الله ، لا ينجيهم منه ولى أو نصير .

٧ - بل اتخذ الظالمون الكافرون الأصنام أولياءهم وأنصارهم من دون الله ، ولو كانوا يفكرون بعقل صحيح ، وقلب سليم ، لاتخذوا الله إلههم كما اتخذته ، ولعبدوه وحده كما عبدته ، لأن دلائل ألوهيته واضحة ، وآيات وحدانيته

ظاهرة ، فإنه خلق الناس من العدم ، وهو الذى يجيئهم مرة ثانية بعد الموت ، وهو عظيم القدرة على الخلق والبعث وإبداع الكون ، وهذه الأصنام لا تخلق شيئاً ، ولا تقدر على شئ .

٨ - لا تدخلوا أيها المسلمون أنتم والكفار فى جدال ، ولجاج ليس من ورائه اقتناع وإيمان ، ولكنكم ستجدون من ورائه عناداً وإصراراً على الضلال ، وكل أمر من أمور الدين يخالفكم فيه الكفار من المشركين ، وأهل الكتاب ، ويجادلونكم فيه ، فلا تخوضوا فى الجدل معهم ، فإذا جادلوكم فى الروح وفى يوم الحساب ، وفى الجنة والنار مثلاً ، فلا تجادلوهم ، وليقل لهم كل واحد منكم : علم ذلك عند الله ، والحكم فيه إليه ، ذلكم الله ربى وربكم ، وخاتى وخالفكم ، فوضت إليه أمورى ، واعتمدت عليه ليهدينى ، وإليه أرجع فى كل المعضلات ، وأفوض إليه كل المشكلات ، لا إلى أحد سواه .

٩ - هو المبدع الخالق للسموات والأرض بكامل قدرته ، وإبداع خلقه ، على نظام يدل أنه الواحد القادر ، وإن آيات قدرته لمتجلىة فيكم أنتم ، فقد خلق لكم من جنسكم أصنافاً : ذكوراً وإناثاً ، وخلق لكم من الدواب التى تسخرونها فى حياتكم وخدمتكم ومعيشتكم ، أصنافاً : ذكوراً وإناثاً ، لينشئكم ويكثركم بهذا التدبير الذى لا يقدر عليه غيره ، لأنه متفرد بذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله ، فليس كذاته ذات ، ولا كصفاته صفة ، ولا كاسمه اسم ، ولا كفعله فعل ، بالغ العلم لكل ما يسمع وما يبصر .

١٠ - له خزائن هذا الملكوت ، وعنده وحده مفاتيحه ومقاليده ، وهو صاحبه ومالكه ، لا ينازعه فيه أحد ، تام القدرة والسلطان عليها ، لا يملك أمرها

ولا يتصرف فيها غيره ، ولهذا فهو الذى يعطى من يشاء ، ويمنع من يشاء ،  
ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، بيده الأمر ، يوسع فى الرزق لمن  
يشاء ، ويضيق فيه على من يشاء ، وعلمه واسع الإحاطة بكل شىء ،  
فيفعل كل ما يفعل على خير ما يكون .

( ٢ )

من الآية ١٣ إلى الآية ١٦ من سورة الشورى

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا  
إِلَيْكَ ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى : أَنْ أَقِيمُوا  
الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ، كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ !  
اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ -١- .  
وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ ، وَلَوْ لَا  
كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ، وَإِنَّ  
الَّذِينَ أُوْرثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَنِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ -٢- .  
فَلِذَلِكَ فَادَعُ وَاُسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ، وَقُلْ :  
آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ، وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ ،  
اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ، لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ، لَا حُجَّةَ  
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ، وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ -٣- . وَالَّذِينَ  
يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ ، حُجَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ  
عِنْدَ رَبِّهِمْ ، وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ -٤- .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
<p>{ أظهر وأوضح . وبين لكم المسالك البينة الواضحة في الدين .</p>	<p>شرع لكم من الدين</p>
<p>{ أن اتبعوا أصول دين الإسلام . وحافظوا عليها من أن يقع فيها ميل أو زيغ .</p>	<p>أن أقيموا الدين</p>
<p>{ عظم على المشركين أن يمتثلوا إلى ما تدعوهم إليه من التوحيد ، ورفض عبادة الأوثان .</p>	<p>{ كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه</p>
<p>{ الله يختار إلى التوحيد واتباع دينه . ويرشد إلى اتباع هذا الدين من يرجع إليه ، ويقبل عليه .</p>	<p>ويهدى إليه من ينيب</p>
<p>{ وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما علموا حقيقة رسول الله ، حسب ما جاء في كتبهم . بغياً من بعضهم على بعض طلباً للرياسة ، وحسدًا من عند أنفسهم .</p>	<p>{ وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم</p>
<p>{ إلى وقت معلوم عند الله وحده هم اليهود والنصارى في عهد رسول الله .</p>	<p>إلى أجل غير مسمى الذين أوتوا الكتاب من بعدهم</p>
<p>{ مدخل في الريبة والشبهة . فلأجل ذلك التفرق والاختلاف في الدين .</p>	<p>مريب فلذلك</p>
<p>{ فادع الناس كافة إلى الانفاق والائتلاف على الدين الصحيح الموحد .</p>	<p>فادعُ</p>



الألفاظ	شرحها
واستقم كما أمرت	واستقم على الدعوة إلى هذا الدين ، كما أوحى الله به إليك .
آمنت بما أنزل الله من كتاب	آمنت بجميع الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه .
وأمرت لأعدل بينكم	وأمرت أن أسوى بينكم في تبليغ الشرائع والأحكام . ولا أفرق بين أكابركم وأصاغركم .
لا حجة بيننا وبينكم	ليس بيننا وبينكم محل للمحاجة والخصومة ، لأن الحق قد وضح .
يحتاجون في الله	يجادلون في دين الله ويتحاجون فيه .
من بعد ما استجيب له	من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه .
داخضة	باطلة .

### بجمل المعنى

١ - الله سبحانه وتعالى هو الذى بيده مقاليد السموات والأرض . شرع لكم يا أمة محمد ديناً قوياً ، وأوضح لكم حدوده ، وبين سنته ، وهى أصول الدين الذى شرعه للأنبياء من قبل ، ووصى به نوحاً ، وأمره بتبليغه إلى قومه ، وهو الدين الذى أوحينا به إليك يا محمد ، وأوحينا به إلى أبليك إبراهيم ، وأوحينا به فى التوراة إلى موسى ، وفى الإنجيل إلى عيسى ؛ وخص الله هؤلاء الأنبياء بالذكر . إما لأنهم من عظماء الأنبياء كنوح ، وإما لأنهم عظماء وأصحاب شرائع وكتب كالباقين ؛ هذا الدين الموحد فى أصوله ، الذى أمرنا جميع الأنبياء أن يقيموه ، لا يختلف عن الدين الذى جئت به يا محمد . وهو توحيد الله تعالى وطاعته ، والإيمان بكتبه ورسله ، وبيوم الجزاء . ونهيناهم أن يختلفوا فيه ، أو يتفرقوا شيعاً ؛ ولكن المشركين عظم عليهم ، وشق على نفوسهم ، أن تعيدهم إلى الحق ، وتدعوهم إلى الدين الصحيح الذى جاءت به الأنبياء من قبل ، وتطلب إليهم أن

يعبدوا الله وحده ، وأن ينبذوا عبادة الأصنام . واستنكروا منك ذلك ، وقالوا : أجعل الآلهة لها واحدا ؟ إن هذا لشيء عجاب ؛ لا تذهب نفسك حسرات على ضلالهم ، فإن الله يختار للإيمان به ، وتوحيده وطاعته ، من أراد له الهداية والتوفيق من عباده ، ويهدي إلى دينه القويم من يُنيب إليه ، ويرجع إلى طاعته من عباده .

٢ — ولم يختلف أهل الكتب السماوية من اليهود والنصارى ، إلا بعد أن علموا أن التفرق يؤدي إلى الضلال والفساد ، ولكنهم فعلوا ذلك للبغي والحسد ، ورغبة رؤسائهم في الاستطالة والرياسة ، فذهبت كل طائفة منهم بمذهبا ، ودعت إليه ، وقبحت ما سواه ، فكانت مطامع الدنيا ومغرياتها وشهواتها هي الدافعة إليهم على أن يختلفوا في الدين ، وكانوا يستحقون من أجل ذلك عذاب الاستئصال ، لكن الله أخره عنهم ، لأن لكل عذاب أجلا مسمى عنده ، ووقتاً معلوماً ؛ لولا ذلك لأوقع قضاءه فيهم ؛ وإن أبناءهم الذين ورثوا التوراة والإنجيل عن آباءهم ، قد ورثوا أيضاً عنهم هذا التفرق والاختلاف في الدين ، فلما جثتهم يا محمد بالقرآن الذي تتفق أصوله مع حقيقة أصول دينهم ، كانوا منه في شك قوى ، باعث للقلق والريبة ، لأنهم علموا أن هذا الدين يأمر بما يأمر به دينهم الحقيقي ، لكن إيمانهم به أو اتباعهم لأحكامه ، سيفقد لهم سلطانهم ، وسيحد من شهواتهم ، فشككوا فيه ، وعارضوه معارضة تبعث على القلق منه ، والريبة فيه ، حتى لا يزحزحوا عن الرياسة ، ولا يضيع منهم السلطان .

٣ — فمن أجل ذلك التفرق والاختلاف الذي حدث بين المشركين واليهود والنصارى في الدين ، ومن أجل ما أدخلوا فيه من تشريع باطل ، فادع الناس إلى الدين الصحيح ، المطابق لدين أنبيائهم الذي جاءت به كتبهم ، واستقم على هذه الدعوة كما أوحينا إليك في القرآن ، وكما أمرناك به من

الشرائع والأحكام ، ولا تميلان في دعوتك مع أهوائهم الباطلة ، المنبعثة عن أغراضهم وشهواتهم ، وقل لهم إن جادلوك : إلى مؤمن بجميع الكتب التي أنزلها الله على جميع الأنبياء ، لأنها تدعو إلى عبادة الله وتوحيده ، وقد أمرني الله ألا أفرق بينكم ، وأمرني أن أسوى بينكم في تبليغ الشرائع والأحكام ، والحقوق والواجبات ، لا فرق بين كبير وصغير ، ولا آمركم بما لا أعلمه ، ولا أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ، وكلنا عبيد الله ، فهو ربنا وربكم ، وكل منا مسئول عن نفسه ، لا تزر وازرة وزر أخرى ، ونحن مسئولون عن أعمالنا ، وأنتم مسئولون عن أعمالكم ، وليس بيننا وبينكم ما يدعو إلى المحاصمة والمحاكمة ، فإن الحق واضح بين لا يقتضى محاكمة أو خصومة ؛ وسنقف جميعاً بين يدي الله ، حين يجمع بيننا وبينكم يوم القيامة للحساب ، وإليه المرجع والمصير ، فيفصل بيننا وبينكم ، وهو خير الحاكمين .

٤ — والذين يعارضون ويخاصمون في دين الله ، من بعد ما استجاب الناس له ، ودخلوا فيه عن إيمان واعتقاد ، وشرح الله صدرهم للإسلام ، لن ينالوا إلا خزيًا من محاببتهم وخصومتهم ، وإن ما يزعمون أنه حجة لهم ، ما هو إلا زيف وباطل ، لا ثبات له أمام الله ، وعليهم غضب منه في الدنيا ، ولهم عذاب شديد في الآخرة .

( ٣ )

من الآية ١٧ إلى الآية ٢٢ من سورة الشورى

اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ، وَمَا يُدْرِيكَ ؟  
لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ -١- . يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ،  
وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ، أَلَا إِنَّ الَّذِينَ  
يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ -٢- . اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ،  
يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ ، وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ -٣- . مَنْ كَانَ يُرِيدُ  
حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ  
الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ -٤- .  
أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ؟  
وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ ، وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ  
أَلِيمٌ -٥- . تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ  
بِهِمْ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ ،  
لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ -٦- .

## شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك	{ أنزل الكتب السماوية على أنبيائه، متوخية في أخبارها وأحكامها الصدق والعدل . وما يعلمك ؟
لعل الساعة قريب	{ لعل وقت القيامة والبعث قريب منك، وأنت لا تدري .
مشفقون منها	{ خائفون وجلون من قيام الساعة ، مع إيمانهم وطاعتهم .
يمارون في الساعة القوى العزيز حَرُثُ الآخرة	{ يشكُّون ويمجادلون ويخاصمون في يوم البعث . الباهر القدرة ، الغالب على كل شيء . العمل للآخرة ، بالعبادة وإقامة حدود الدين .
حَرث الدنيا	{ العمل للدنيا، وهو طلب المال والرياسة، وارتكاب المحظورات .
ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل وهو واقع بهم	{ الذى لم يأمر به الله ، ولم ينزله على أنبيائه . ولولا سابق وعدالله بتأجيل الجزاء إلى يوم القيامة . وهو حالُّ بهم لا محالة .

## مجمّل المعنى

١ - الله سبحانه وتعالى أنزل الكتب السماوية على أنبيائه للعباد ، متوخية الحق والصدق في العقائد . والأحكام والأخبار ، والشرع الذى يسوى بين

الناس فى الحقوق والواجبات بالعدل والميزان ، فاعمل بما أنزل الله عليك ، وكن مستعداً للحساب والجزاء بين يدى الله تعالى ، حتى لا تفاجأ بقيام الساعة التى لا تعرف أجلها ، لأنها من علم الله وحده ؛ وأى شىء يجعلك تعلم أمرها ؟ لا شىء ، لعل وقت قيامها قريب منك وأنت لا تدري ، فاتبع الكتاب ، واعمل به ، وتمسك بجبل العدل قبل أن يفاجئك اليوم الذى توزن فيه أعمالك ، وتوفى حسابك ؛ و « قريب » : وصف يستوى فيه المذكور والمؤنث ، مثل : « إن رحمة الله قريب من المحسنين »

٢ - يستعجل الكفار والمشركون الذين لا يؤمنون وقت قيام الساعة استهزاء ، ظانين أنها غير آتية ، وإيهاماً للضعاف من أتباعهم بأنها لن تأتى ولن تكون ، فيقولون : متى قيام الساعة ؟ لعلها تقوم قريباً ، لنعرف إن كنا على حق أو على ضلال ، فنذوق العذاب الذى يتوعدنا به محمد ؛ والذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وقيام الساعة والحساب ، خائفون ورجاؤون من شدة هولها ، لأنهم يعلمون أنها الحق الذى لا يقبل الشك ، وأنها آتية لا ريب فيها ، وأنهم مستحقون لثواب الله ونعيم جنته ، إلا إن الذين يجادلون فى قيام الساعة ، ويخاصمون فى حقيقتها ، بعد الآيات البينات على قدرة الله ، لى ضلال بعيد عن الحق ، بعيد عن طريق الهدى ، لأنهم لو تذكروا لعلموا أن الذى أنشأهم من تراب ، ثم من نطفة ، ثم خلقهم فأحسن خلقهم ، قادر على أن يحيى الموتى ، وأن يبعثهم للحساب .

٣ - الله جل جلاله لطيف بعباده ، يُفِيض عليهم من كل أنواع البرِّ والرحمة ، فيوسعهم عفواً إذا عظمت ذنوبهم فرجعوا إليه وتابوا ، وندموا على عصيانهم وأتابوا ، ويسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ، وتدرکہم رحمته بعد أن يقع

بهم البلاء ، ويُلمّ بهم الشقاء ، شمل لطفه البر والفاجر ، وجعل الناس متفاوتين مالاً وجاهاً ، وصحة ومالاً ، وعقلاً ومنزلة ، ليجتاح بعضهم إلى بعض ، ويستعين الغنى بعمل الفقير ، ويستعين الفقير بمال الغنى وليتخذ بعضهم بعضاً سُخْرِيًّا في الحياة الدنيا ، فيقوم نظامها ، وينتظم عمرانها ، ويرزق من يشاء ، ويحرم من يشاء ، كما تقتضيه مصلحة كلٍّ ؛ وفي الحديث القدسيّ : « إن من عبادى المؤمنين من لا يُصلح إيمانه إلا الغنى ، ولو أفقرته لأفسده ذلك ، وإن من عبادى المؤمنين من لا يُصلح إيمانه إلا الفقر ، ولو أغنيته لأفسده ذلك » ، وهو مع واسع رحمته ، وفيض بره ، وعميم لطفه ، القوى القادر على كل شيء ، العزيز المنيع الذى لا يغلبه غالب .

٤ - كل إنسان مجزئٌ على الخير خيراً ، وعلى الشر شراً ، فمن عمل عملاً صالحاً يريد به ثواب الآخرة ، جازاه الله على عمله بنعيم الجنة ، وزاد له في حسناته ، وضاعف له ثوابه ، ومن عمل عملاً سيئاً يريد به متاع الدنيا وطيباتها ، واكتساب الجاه والسلطان ، آتاه الله شيئاً مما أراد ، على حسب ما قسم له ، وليس له نصيب من نعيم الآخرة .

٥ - هذا ما شرعه الله لعباده ، وما أنزله في كتبه على أنبيائه ، من الإيمان بالله ، وإقامة العدل بين العباد على سواء ، والإيمان بالبعث والجزاء ، وبأن من عمل للآخرة آتاه الله ثواب الآخرة أضعافاً مضاعفة ، ومن عمل للدنيا آتاه منها بقدر ما قسم له ، فهل للمشركين شركاء لله ، شرعوا لهم من الدين ما لم يأمر به الله ، ولم ينزل به سلطاناً ، كالشرك والبعث ، وإنكار البعث ، والعمل للدنيا ؟ وإذا لم تشرع لهم أصنامهم وأوثانهم ذلك لعجزها ، فكيف يدينون به ؟ إن الله سينتقم منهم بكفرهم وظلمهم ، ولولا عِدَّة سبقت من

الله بتأخر الفصل في أمرهم ، لأوقع قضاءه بينهم في الدنيا ، فعاجل الظالم بالعقوبة ؛ وإن المشركين لهم عذاب أليم في الآخرة .

٦ - يوم القيامة حيث يأتي موعد حساب المشركين الظالمين ، تراهم خائفين فرعين من جراً ما كسبوا من السيئات في الدنيا ، والوهاب والنكال واقع بهم لا محالة ، أشفقوا أولم يُشفقوا ، أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فهم آمنون متمتعون في أطيب بقاع الجنة وأنزهها ، وكل ما يشاءون من النعيم والطيبات ثابت ومعد لهم في ضيافة ربهم ، وهذا النعيم الطيب المقيم ، هو الفضل العظيم الذي يصغر دونه أى نعيم في الدنيا .



( ٤ )

من الآية ٢٣ إلى الآية ٢٧ من سورة الشورى

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ،  
قُلْ : لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ، وَمَنْ  
يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ -١- .  
أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ، فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى  
فَلْبِكَ ؛ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ، وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ  
بِدَاتِ الصُّدُورِ -٢- . وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ،  
وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ، وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ -٣- . وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ  
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ، وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ  
عَذَابٌ شَدِيدٌ -٤- . وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي  
الْأَرْضِ ، وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ ، إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ  
بَصِيرٌ -٥- .

## شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة شكور يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته	إلا أن تودوني لقربى منكم . ومن يكتسب طاعة . مُوفّ ثواب الطاعة . يُنسك القرآن ، ويقطع عنك الوحي . ويزيل الله الشرك . ويثبت الإسلام ويظهره .
علم بذات الصدور يقبل التوبة عن عباده ويستجيب الذين آمنوا ولو بسط الله الرزق لعباده	علم بصدرك وصدورهم ، فيجري الأمور على حسب علمه . يعفو عن عباده بقبوله التوبة منهم . إذا دعاه المؤمنون استجاب لدعائهم ، وأعطاهم ما طلبوا . ولو أغناهم جميعاً .
لبغوا في الأرض ينزل بقدر ما يشاء خبير بصير	لظلم هذا ذاك ، لأن الغنى داع إلى الظلم والبطر . ينزل الرزق بقدر ما يريد . خبير بأحوالهم ، محيط بما خفي منها وما ظهر .

### بجمل المعنى

١ - إن النعيم في رياضات الجنات التي أعدها الله لعباده المؤمنين ، هو الفضل الكبير ، ذلك هو الذي يبشر الله به عباده المؤمنين الصالحين ، فقل

يا محمد لقريش : إني لا أسألكم على هذا الدين الذي يكفل لكم سعادة الدارين أجراً ، ولكني أسألكم أن تودوني ، ولا تجافوني وتقاطعوني ، لقرباتي منكم ؛ هذا حق عليكم ؛ ومن يعمل حسنة ، أو يكتسب طاعة ، فإن الله يضاعفها له أضعافاً من الحسنات ، وإن الله عظيم المغفرة لمن أذنب ثم تاب وأناب ، شكور للمؤمن ، فيوفيه ثواب طاعته مضاعفاً ، تفضيلاً منه وكرماً .

٢ - أيقول المشركون من قريش : إن هذا القرآن ليس من عند الله ، ولكن محمداً افتراه على الله كذباً ؟ ! إن افتراءك الكذب على الله مُستبعد ، لأنه لو كان ما تبلغه من القرآن عن الله افتراءً ، لاستطاع الله عدم صدوره عنك ، فاقتضت مشيئته أن يختم على قلبك ، بحيث لا يخطر ببالك أى معنى من معانيه ، ولا تستطيع أن تنطق بحرف من حروفه ولكن ذلك لم يحصل ، وتواتر الوحي عليك حيناً فحيناً ، فثبت أن القرآن من عند الله ؛ والله سبحانه وتعالى يمحو الباطل ، ويزيل الشرك والضلال ، ويثبت الإيمان والإسلام ، ويقيم الحق بما أنزل عليك من كلامه ، إنه يعلم ما يُكن صدرك وصدورهم ، فيجري الأمور على حسب ما يعلم ، فيجازيهم على جحودهم ، ويثبت دينك ، وينصرك عليهم ؛ وكلمة « يمح » ليست معطوفة على « يختم » ، وإنما حذف حرف العلة من آخرها ، كما حذف من « يدع » في قوله في سورة الإسراء : « ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير » ، على حسب ما رسم في المصاحف .

٣ - وهو الذى يقبل من عباده المؤمنين توبتهم ، إذا تابوا إليه وأنابوا ، وشعروا بالندم والحسرة على ما فعلوا ، وعزموا ألا يعودوا إلى معصية ، ويحط عنهم الأوزار ، ويغفر لهم ما ارتكبوا من الذنوب ، ويعلم ما ترتكبون من

المعاصي ، وما تقدمون من التوبة ، وما تفعلون من الخير والشر .

٤ - ويستجيب دعاء المؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحات ، وهي ملازمة للإيمان ، وأثر من آثاره ، فيجيبهم إلى ما طلبوا ، ويتفضل عليهم فيزيدهم على ما سألوه ، والكافرون لا يقبل توبتهم ، ولا يستجيب دعاءهم ، ولهم في الآخرة عذاب شديد .

٥ - لقد قسم الله الرزق بين عباده على حسب ما تقتضيه مصالح الأفراد والمجتمع ، حتى يتم التعاون ، ويقوم دولا ب الحياة على نظام ، ولو وسَّع عايمهم جميعاً في الرزق ، وجعلهم كلهم أغنياء ، لشعر كل منهم بالأشر والبطر ، وتحركت في نفوسهم عوامل البغي والظلم ، فتعالى كلُّ على أخيه ، وبغى بعضهم على بعض ، لأن الغنى يبطر النفس ، ويملؤها علواً واستكباراً؛ ومن الخير للناس أن تتفاوت أرزاقهم ، كما تتفاوت عقولهم وجهودهم وشخصياتهم ، فيعمل كل منهم بما وهب له من طاقة ووسيلة واستعداد ، فهذا بماله ، وهذا بجهدده ، وذلك باستعدادده ، وبهذا يقوم بناء الحياة من جميع النواحي ، ويشعر كل إنسان بحاجته إلى غيره ، فلا يأشر ولا يبطر ، ولا يتواني ولا يفتر ، ولا يتعالى ولا يتجبر ، لذلك يقدر الله الأرزاق ، وينزلها على حسب ما يشاء ، فيفقر ويغني ، ويعطي ويمنع؛ ولو أغنى الناس جميعاً لبغوا ، ولو أفقرهم جميعاً لهلكوا ، وما نراه من الثراء وبسط الرزق لبعض الباغين ، فذلك من القلة في مجتمع الإنسانية الكبير ، وسرعان ما يذهب المال كما تذهب القوة في عواصف البغي ، وجبروت الظلم ؛ إن الله عليم بأحوال الناس ، خبير بما يصلح من شأنهم ، محيط بخفايا أمورهم وظواهرها ، فيقدر لكل منهم من الرزق بقدر ما تقتضيه حكيمته ، من أجل سعادة الأفراد والمجتمع .

( ٥ )

من الآية ٢٨ إلى الآية ٣٥ من سورة الشورى

وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا، وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ،  
 وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ-١. وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 وَمَا بَثَّ فِيهَا مِنْ دَابَّةٍ، وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ-٢.  
 وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ، وَيَعْفُو عَنْ  
 كَثِيرٍ، وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ، وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ  
 اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ-٣. وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ  
 كَالْأَعْلَامِ، إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ،  
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ-٤. أَوْ يُوقِعَنَّ  
 بِمَا كَسَبُوا، وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ، وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا:  
 مَا لَهُمْ مِنْ مَخِيصٍ-٥.

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الغيث	المطر .
من بعد ما قنطوا	من بعد ما يتسوا، وانقطع رجاءهم في الغوث والإنقاذ .

الألفاظ	شرحها
وينشر رحمته	{ ويوزع في الأرض بركات الغيث ومنافعه ، وما يحصل به من الخصب .
وهو الولي الحميد	{ وهو الذي يتولى عباده بإحسانه ، فيحمده أهل طاعته حمداً كثيراً .
وما بث فيهما من دابة	{ وما فرق في السموات والأرض من دواب مختلفة الأشكال والأحجام .
جمعهم	جمعهم يوم القيامة .
فبما كسبت أيديكم	فبسبب ذنب فعلتموه ، فتعاقبون عليه .
وما أنتم بمعجزين	{ وما أنتم بفائتين ومفلتين من العقاب ، ولن تعجزوا الله في أي مكان في الأرض .
الحوار في البحر كالأعلام	{ السفن الجارية في البحر ، كأنها لعظمتها جبال عالية .
يسكن الريح	يجعلها ثابتة لا تتحرك .
فيظللن رواكد	فتبقى السفن سواكن على ظهر البحر لا تجرى .
يوقهن بما كسبوا	{ يهلكهن بما عليهن من سلع وأرواح ، بسبب ما ارتكبن من السيئات .
يجادلون في آياتنا	يعارضون ويخاصمون لدفع آياتنا وإبطالها .
محيص	فرار ومهرب وملجأ .

### محمل المعنى

١ - ومن أبهر الدلائل على قدرة الله ، وعظيم مننه ، أنه يصرف الرياح ، ويزجي للمسحاب ، وينزل المطر على البلد الميت ، والمكان الجذب ، بعد أن يشند

القحط بأهله ، ويملاً اليأس نفوسهم ، فلا أمل لهم في ماء يُروى الظمأ ،  
أو ينبت الزرع ، أو يخرج الثمر ، فإذا رحمة تنشر غمامتها على العباد ،  
فسقط المطر ، ويخصب الأرض ، وينمو الزرع ، وتنب الحياة في  
الحيوان والنبات ، وإذا اليأس يعود أملاً ، والموت ينقلب حياة ، والسكون  
تحل محله الحركة ، برحمة الله الذي يتولى عباده بإحسانه ، فيحمده المؤمنون  
على سابغ نعمه ، وعظيم فضله .

٢- ومن أبدع الدلائل على تفرده بالقدرة والوحدانية ، هذا الكون العجيب  
الذي خلقه فأبدع خلّقه ، وهذا الملكوت ، وهذا الملكوت : ملكوت السموات والأرض ،  
الذي أوجده في أروع صنعة ، وأعظم إحكام ودقة : كواكب ونجوم ،  
وأفلاك لا يُحصيها عدد ، ولا يستوعب تصورها عقل ، وقد خلق فيها  
من الأحياء ، ونشر فيها من الدواب أنواعاً وأشكالاً وألواناً ، وهياً في بعضها  
من الأجواء والبيئات والبحار والأنهار ما جعلها صالحة لحياة الدواب ،  
وعيشة الأحياء ؛ أليس الخالق لهذا الكون قادراً على أن يبعث الموتى من  
قبورهم ، وأن يعيد إليهم الحياة كما بدأها أول مرة ، وأن يجمعهم يوم  
القيامة ليحاسب المكلفين على ما قدمت أيديهم ، ويوفى كلاً حساباً ،  
فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ؟ وفي هذا  
دليل على أن بعض الكواكب المعبر عنها بالسموات مسكونة .

٣- هذا الخالق القادر ، زود الإنسان بالعقل ، وألزمه التكليف ، وجعله  
مشغولاً عما يعمل ، وهداه طريق الخير وطريق الشر ، فإن ساقه عقله ،  
وأمرته نفسه أن يمضي في طريق الخير ، فقد حمد العاقبة ، وانتهى إلى خير  
غاية ، وإن أضله عقله ، وسولت له نفسه أن يمضي في طريق الشر ،  
فقد أساء العاقبة ، وانتهى إلى شرّ غاية ؛ ومن أجل هذا فلا يلومن الناس

إلا نفوسهم على كل سوء يصيبهم ، لأن كل ما يحل بهم من ألم أو غم أو مكروه ، إنما يرجع إلى سوء أعمالهم ؛ ولو ساروا على ما نهج لهم الدين ، لما أصابهم ما أصابهم ، على أنهم لو انكشفت عنهم حجب الغيب ، وفكروا فيما صدر منهم من عمل ، وما دار في نفوسهم من خواطر منبعثة عن الفساد والشر ، لهاهم ما فعلوا ، وخجلوا مما رأوا ، لكن رحمة الله لا تتركهم ، فيعفو عن كثير من سيئاتهم ؛ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ، ما ترك عليها من دابة ، وليس لعاقل أن يرتكب السيئة ظاناً أن الله لا يراه ، أو يأخذه غرور فيجتري على المعاصي ، ظاناً أن قدرة الله لا تمتد إليه ؛ إن هذا الإنسان الضعيف في ملكوت الله القوي ، لا يستطيع أن يفلت من قبضة الله ، سواء اعتصم بجبل ، أم غاص في بحر ، أم طار في جو ؟ إنه لن يعجز الله ، وإن يفوته دركه ، فلا يراقب كل إنسان ربه في عمله ، وليخش جانب الله وحده ، وليس لكم أيها الناس وليٌ غير الله يتولاكم برحمته ، ونصير يدفع عنكم العذاب إذا حل بكم .

٤ - ومن دلائل قدرته تلك الوسائل التي يزاولها الناس في معيشتهم ، دون أن أن يتدبروا أمرها ، ويفكروا في أحوالها ، وهي السفن العظيمة التي تسوقها الريح فتمسخر العباب ، وتجري في البحر كأنها الأطواد الشاخجة ، والجبال العالية ، فتصل أطراف اليابسة ، وتربط أجزاء المعمورة ، وينتقل الناس عايبا من قطر إلى قطر ، ومن بلد إلى بلد ، يتبادلون المنافع ، ويتعاوضون السلع والمتاجر ، إنها آية من آيات الله ، ومنة من منته على عباده ، ولو شاء لأمر الريح أن تسكن ، فتركد معها السفن على ظهر اليم ، فلا تتحرك ولا تنتقل ، فتنقطع صلوات الناس ، ولا يتعاونون ولا يتزاورون ؛ إن فيما يتفضل الله به على عباده من مثل تلك النعم ، لآيات تحمل كل



من وقع به بلاء أن يكون كثير الصبر ، أو نالته نعماء ، أن يكون عظيم الشكر .

٥ - وكان - لولا فضل الله ولطفه - ممكناً أن يهلك تلك السفن ، ويغرقها بمن عليها من ناس ، وما فيها من سلع ، ويبتلعها البحر ، ويلتقمها اليم ، عقاباً لهم على ما اجترحوا من سيئات ، وهو إن فعل ذلك فقد عفا عن كثير من السيئات ، وليس في انتقامه منهم ظلم لهم ، فجزاء سيئة سيئة مثلها ؛ وليعلم الذين يخاصمون في الآيات الدالة على قدرة الله ، أنهم لا مفر لهم من عقابه ، ولا مهرب لهم من ملكوته .

( ٦ )

من الآية ٣٦ إلى الآية ٤٦ من سورة الشورى

فَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ  
وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ -١- . وَالَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ  
كِبَارًا الْأَيْمِ وَالْفَوَاحِشَ ، وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ -٢- .  
وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ،  
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ -٣- . وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ  
يَنْتَصِرُونَ -٤- . وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ  
فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ -٥- . وَلَمَنْ اتَّصَرَ  
بَعْدَ ظَلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ، إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى  
الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ ، وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، أُولَئِكَ  
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ -٦- . وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ ، إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ  
الْأُمُورِ -٧- . وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَليٍّ مِنْ بَعْدِهِ ،  
وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ : هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ  
سَبِيلٍ ؟ -٨- . وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الدُّلِّ ،  
يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ، وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا : إِنَّ الْخَاسِرِينَ

الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ  
 فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ -٩- . وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يَنصُرُونَهُمْ  
 مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ -١٠- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فما أوتيتم من شيء	{ فما آتاكم الله من شيء ترغبون فيه ، وتحبون أن تنالوه في الدنيا .
فتتاع الحياة الدنيا	{ فهو ما تتمتعون به في الدنيا مدة حياتكم ، وهو متاع زائل .
وما عند الله خير وأبقى	{ وما يدخره الله للمؤمنين المحسنين من ثواب الآخرة ، خير من هذا المتاع وأبقى .
كبائر الإثم والفواحش هم يغفرون وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم إذا أصابهم البغي هم ينتصرون وأصلح فأجره على الله	{ الشرك والذنوب القبيحة الشنيعة . كالقتل والزنى . يحلّمون ويتجاوزون عن إساءة من ظلمهم . أدوها في أوقاتها بشروطها وهيئاتها . يتشاورون في أمورهم . ولا يستبد أحد منهم برأى . إذا وقع عليهم ظلم رده على ظالمهم ، وانتصروا لأنفسهم ممن بغى عليهم . وأصلح بينه وبين الظالم بالعفو . إن الله يأجره على ذلك .

الألفاظ	شرحها
انتصر بعد ظلمه ما عليهم من سبيل إنما السبيل على الذين يظلمون الناس	انتقم ممن ظلمه لا لوم عليهم . إنما اللوم على الذين يبدءون الناس بالظلم .
ولن صَبَرَ وَغَفَرَ لمن عَزَمَ الأمور فما له من ولي من بعده هل إلى مَرَدٍ من سبيل يُعرَضُونَ عليها خاشعين ينظرون من طرف خفي عذاب مُقيم أولياءَ	{ وإن الذى صبر على الأذى ، وعفا عن ظالمه ، وترك الانتصار عليه لوجه الله . لمن الأمور التى تستوجب عزمًا وسيطرة على النفس . فما له من أحد يتولى هدايته من بعد إضلال الله له . هل من طريق للعودة إلى الدنيا ليؤمنوا بالله ؟ يعرضون على النار متضائلين فى انكسار وذل . يسارقون النظر من شدة الخوف ، ولا يرفعون أبصارهم . لأنهم ناكسو الرؤوس من الذل . عذاب دائم لا ينقطع . أعواناً ونصراء .

### مُجْمَلُ الْمَعْنَى

١ - أنفق أبو بكر الصديق جميع ماله فى سبيل الله ، فلامه الناس ، فنزل قوله تعالى : « فما أوتيتم من شئ . . . » الآية ؛ والمعنى : أن ما آتاكم الله من شئ من الغنى والنعمة فى الدنيا ، فإنما هو متاع الحياة الدنيا ينقضى ويذهب ، فلا ينبغي أن يحرص المؤمنون على بقاءه ، أو يأسوا على ذهابه ، وأما ما أنفقتموه فى ثواب الله وطاعته ، فهو خير من متاع الدنيا ، وأبقى للذين آمنوا بربهم ،

فبذلوا في سبيله نفوسهم وأموالهم ، وفوضوا إليه أمورهم ، واعتمدوا عليه في جميع أحوالهم ، فلم يحرصوا على مال ، ولم يخافوا فقراً .

٢ - وما عند الله من ثواب الآخرة أيضاً خير للذين لم يقترفوا السيئات ، فاجتنبوا كبائر الإثم كالشرك بالله ، والذنوب البالغة في القبح غاية الشناعة والفحش ، كالقتل والزنى ، وإذا ما غضبوا لم يُتبعوا غضبهم أذى وتنكيلاً ، وانتقاماً وتعذيباً ، ممن غضبوا عليهم ، لكنهم يملكون نفوسهم عند الغضب ، فيتجاوزون عن سيئاتهم ، ويصفحون عنهم ، ويحُاسنون عليهم ؛ يفعلون ذلك طلباً لثواب الله ؛ إن ضبط النفس ، وكظم الغيظ ، والعفو عن المسيء ، لمن أنبل الصفات التي تجعل صاحبها في مقدمة المؤمنين حقاً ، المستحقين لثواب الله وإكرامه .

٣ - ومن أولئك المؤمنين الذين رضى الله عنهم وأثنى عليهم ، أولئك الذين دعاهم محمد صلى الله عليه وسلم للإيمان بالله ، فاستجابوا لدعوته ، وآمنوا بربهم ، فأدوا الصلاة في أوقاتها بجميع شروطها وهيئاتها أداء حسناً ، فأصاحت طباعهم ، وهذبت نفوسهم ، وانتهوا عن الفحشاء والمنكر ، وجعلوا الشورى أساس الرأي الذي يُجمعون عليه ، والعمل الذي يعملونه ، فساروا في حياتهم على ضوء الفكر المسلم ، والعمل الصحيح الواضح ، وسادهم الوفاق ، واحترام الفرد ، واتحدت كلمتهم ، أسوة بنبيهم الذي كان يشاور أصحابه في الآراء المتعلقة بالحروب ، وأنفقوا الأموال في سبيل الخير : في الجهاد ، وسد حاجة المحتاج ؛ وقد رسم الله لعباده في هذه الآية سعادة الفرد والجماعة ، وجعلها في الإيمان ، والعبادة التي أهم مظاهرها إقامة الصلاة على أكمل وجوهها ، وفي اتباع المشورة في الرأي والعمل ، وفي بذل المال في الخير .

٤ — وقد ادخر الله حسن الثواب لعباده المؤمنين ، الذين لا يقبلون الظلم ، ولا يَحْتَمِلُونَ الضيم ؛ لأنه يجب لهم أن يكونوا أعزاء ، يكرمون أنفسهم كما كرمهم الله ، فإذا اعتدى عليهم معتد ، أو وقع عليهم بغى ، أو نالهم ظلم من ظالم ، لم يستسلموا لظلمه ، وانتصروا من ظالمهم ، ودفعوا البغى عن أنفسهم .

٥ — ولا سبيل على من يدرأ الظلم عن نفسه ، لأن الله يكره الدليل المستضعف ، كما يكره الظالم الباغى على الناس بغير الحق ، ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ، وجزاء سيئة سيئة مثلها . وحقك على من أساء إليك أن تسيء إليه بقدر إساءته ، فلا تشتط في الإساءة . ولا تتجاوز الحد ، لأن الله يكره المغالين في الانتقام . كما يكره البادئين بالظلم ؛ وإن آنت القدرة على من بغى عليك . وكنت قادراً تمام القدرة على رد إساءته بمثلها ، فغفرت عنه . وأصاحت ما بينك وبينه بالمودة والعفو . كان ذلك خيراً عند الله وأكرم . وإن الله يأجرك على عفوك عن قدرة منك أجراً عظيماً ، وهو لا يحب الذين يبدعون الناس بظلم . أو يبالغون في الانتصار والانتقام منهم .

٦ — وإن المظالم الذى يأخذ حقه من ظالمه ، ويدرأ الشر بشر مماثل له ، بعد أن يكون وقع عليه الظلم ابتداء ، لالوم عليه ولا عقاب ، ولا حجة لأحد عليه فيما فعل ؛ إنما اللوم والعقاب والحجة على الذين يبتدئون الناس بالظلم ، ويبغون عليهم بغير حق ، ويتكبرون على الناس ، ويعيشون فى الأرض فساداً أو تجبراً . أو ينتقمون فيجاوزون الحد ؛ أولئك سيعذبهم الله يوم القيامة عذاباً أليماً على هذا الظلم والبغى .

٧ — وإن من صبر على أذى الظالم ، وهو قادر على أن ينتصر عليه ، وصفح عنه ولم ينتصر . وفوض أمره إلى الله — على ألا يكون صبره عن ضعف ، ولا تسامحه عن خوف — كان صبره وصفحته من أجل الصفات ، وأعظم

الحصائل التي تدل على كرم ما بعده كرم ؛ وضبط للنفس لا يقوى عليه إلا ذو عزم ، وتصديق على الظالم بالصبر ، وإفضال عليه بالعفو .

٨ - هذا ما يريد الله لكم أن تكونوا عليه : الإيمان به ، والمودة في القربى ، والتصديق بالبعث ، والانتصار بعد الظلم ، وإيثار الصبر ، والعفو عن قدرة ، فإن اتبعتموه سعدتم في الدنيا والآخرة ، وإن لم تتبعوه شقيتم ؛ ومن يُضلل الله عن اتباع ما أمر به ، ويخذله فلا يوفقه إلى طريق الهدى والرشاد ، فليس له من ناصر يتولاه بعد أن يخذله الله ، وسترى الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بالكفر ، وتكذيب ما أنزل الله عليك يا محمد من كتاب ، وبالبغي والفساد في الأرض ، حينما يرون يوم القيامة نار جهنم التي أعدت لعذابهم رأى العين ، يقولون في تمن وحسرة : هل هناك طريق لرجوعنا إلى الدنيا ، فنصدق بما كنا كذبناه ، ونؤمن بما كفرنا به ؛ وهيئات هيئات !!

٩ - وتراهم في هذا اليوم بعد تجبرهم وعنادهم ، وكفرهم بالله في الدنيا ، يعرضون على النار وهم خاشعون خائفون ، متذللون متضائلون مما دهاهم ، يسارقون النظر إليها ، ولا تكاد أطرافهم تنفتح حتى تغمض ، ورعوسهم منكسة كمن قضى عليه بالقتل ، وهو يسارق النظر إلى بريق السيف ، فينخاع قلبه في كل نظرة ، ويشتد كده في كل غمضة ، ولقد عرف المؤمنون يوم القيامة عاقبة أمر هؤلاء الظالمين . فقالوا : إنهم هم الخاسرون الذين خسروا أنفسهم ، فقدموها طعمة للنار ، وخسروا أهلهم ، لأنهم إما أن يكونوا في الجنة فلا يروهم إلى الأبد . وإما أن يكونوا في النار فيزدادوا

ببعدهم عنهم عذاباً وغمماً؛ ألا إن الظالمين مقيمون في العذاب لا يزحزون  
عنه أبداً .

١٠— وليس لهؤلاء الكافرين ، والبغاة الظالمين ، من يتولاهم وينصرهم ، وينجيهم .  
من عذاب الله ، كما كانوا يزعمون في الدنيا ، لأنه لا سبيل إلى نجاة من  
يخذله الله ويضله .



( ٧ )

من الآية ٤٧ من سورة الشورى ، إلى آخر السورة

أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ  
اللَّهِ ، مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ ، وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ -١- .  
فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ، إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ،  
وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَفَرِحَ بِهَا ، وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ  
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ -٢- . لِلَّهِ مُلْكُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا نُنَّا ،  
وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ أَلْفُ كُورٍ ، أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذَكَرًا نُنَّا وَإِنَّا نُنَّا ،  
وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ، إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ -٣- . وَمَا كَانَ  
لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، أَوْ  
يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِلَاذِنِهِ مَا يَشَاءُ ؛ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ -٤- .  
وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ، مَا كُنْتَ تَدْرِي  
مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ، وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ  
نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ، وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ : صِرَاطِ

اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ - ٥ .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
استجيبوا لربكم لا آمرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير حفيظاً	أجيبوا ربكم إلى ما دعاكم إليه من الإيمان . لا يرده الله بعد ما قضاه وحكم به . ليس لكم مخلص من العذاب . ولا تقدر أن تنكروا شيئاً مما اقترفتموه . رقيباً .
إن عليك إلا البلاغ بما قدمت أيديهم أو يزوجهم	ليس عليك إلا تبليغ الرسالة ، وقد فعلت . بما اكتسبوا من المعاصي . أو يقرن بين الصنفين ، فيهب لمن يشاء ذكوراً وإنثاً معاً .
عقياً وحيأ	لا يلد . إلهاماً . كأن ينفث في رُوعه . أو برؤيا المنام . والرُوع : القلب .
من وراء حجاب رسولاً بإذنه على حكيم	يسمع كلاماً من الله دون أن يراه . ملكاً . بأمره . قاهر لا يمانع . حكيم في أقواله وأفعاله لا يعارض .

الألفاظ	شرحها
أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما الكتاب ولا الإيمان لتهدى إلى صراط مستقيم	أرسلنا إليك بالوحي جبريل يبلغك أمرنا . ما القرآن وما شرائع الإيمان ؟ لتدعو إلى الإسلام .

### مجمل المعنى

١ — أجبوا ربكم إلى ما دعاكم إليه ، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وأقيموا الحدود والشرائع التي شرعها لكم ، حتى تُتنجوا أنفسكم من العذاب ، قبل أن تموتوا على كفركم ، ويأتي يوم القيامة الذي قضاه الله ولا رادّ له فيما قضاه ، فهو آت لا ريب فيه ، ولن يكون لكم ملجأ من الله ، مخلص من عذابه ، ولا تستطيعون أن تنكروا ما اقرتتم من سيئات ، وما كنتم عليه من كفر بالله ، وقد أحصى عليكم ، ودوّن في صحائفكم ، ولا يمكن أن تمحى .

٢ — فإن أصروا على الكفر ، وأعرضوا عن الإيمان الذي دعوتهم إليه ، فلا بأس عليك ، ولا تأسّ على كفرهم وضلالهم ، فما أرسلناك رقيباً عليهم ، وألزمناك بإيمانهم ، وإنما أرسلناك لتنذرهم ، ولم نوجب عليك إلا تبليغهم رسالة ربك ، وقد فعات ، ونحن الذين خلقنا هذا الإنسان ، ونعلم طبائعهم ، وجحوده وكفرانه ، ونعلم أنا إذا أولينا رحمة منا ، وغمرناه بفيض برّنا ولطفنا . فوهبنا له النعم والسعة في الرزق ، والأمن والصحة وصفاء البال ، فرح بذلك وبطر ، ولم يحمد لنا ما أعطيناه ، ولم يشكر لنا ما أوليناه ،

وإن أصابته شدة بسبب معاصيه ، واعوجاج حياته ، وسوء سلوكه ، كمرض أو فقر أو خوف ، نسي ما منحناه من نعم ، ونسب إلينا ما أصابه من نقم ، وليس هذا غريباً منه ، فإنه ممعن في الكفر بالنعم ، ينسى الإحسان ، ويذكر المصائب ، ولا يبحث عن أسبابها .

٣ - وبعد أن ذكر المولى جل وعلا أنه يذيق الناس الرحمة ، ويصيبهم بالشدة ، أتبع ذلك بأنه لا ينبغي للإنسان أن يغتر بما ملكه من مال وجاه ، فإن ما يملكه لا يساوي مثقال ذرة في ملكوت الله ، فهو مالك السموات والأرض وحده . وهو الذى يتصرف فيهما كيف يشاء ، على حسب ما تقتضيه حكمته . لا على حسب ما يريد الناس ، ومن جملة ذلك خلق الأولاد . فهو الذى يصورهم في الأرحام كيف يشاء ، ويهب ما يشاء لمن يشاء . فيهب لبعض الناس إناثاً من الأولاد ، ويهب لبعضهم ذكوراً منهم . دون أن يجرى على رغبة أحد في النوع الذى يريده ، أو يقرن الذكور والإناث ويهبهم معاً للبعض ، وربما يجعل المرأة أو الرجل كليهما عقياً لا يولد له ولد ، فلا يهب له شيئاً من ذكور أو إناث ، إنه واسع العلم ، عظيم القدرة ، فيفعل كل ما فيه حكمة ومصالحة .

٤ - قالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم : إن كنت نبياً فكلام الله وانظر إليه ، كما كلمه موسى ونظر إليه ، وإنا لن نؤمن بك حتى تفعل ذلك ، فقال لهم : إن موسى لم ينظر إلى الله ، ولن يستطيع ذلك ، لأن ذات الله غير محدودة بحدود ، وليس لها جرم ؛ وليست هى من المراتب حتى يستطيع بشر أن يراها . وتأخذ عدسة العين صورتها ، كما تأخذ صور الأشياء ، وقد طلب موسى ذلك من ربه فلم يجبه إليه ، قال : « رب أرني أنظر إليك ، قال : لن تراني » ، ولا يصح لبشر أن يسمع كلام الله إلا بإحدى الطرق الآتية :

(أ) أن يوحى إليه بما يريد ، ويألفهم إياه إلهاماً ، فيقذفه في قلبه ،  
ويلقيه في روعه ، كما قذف في قلب إبراهيم عليه السلام ذبح ولده . وكما  
ألم الله أم موسى أن تضعه في التابوت ، وتلقيه في اليم .  
(ب) أو أن يسمع كلام الله دون أن يراه ، كما سمع موسى كلام ربه ،  
وناجاه وهو بجانب الطور .

(ج) أو أن يرسل الله إلى نبيه ملكاً فيوحى إليه ما يأمره به ، ويبلغه بإذنه  
ما يشاء أن يبلغه . كما كان ينزل جبريل في معظم الأحيان على  
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بوحى الله إليه .  
وإن الله جلت قدرته متعال عن صفات المخلوقات ، قادر لا يمانع ،  
يفعل ما يريد بمقتضى حكمته الواسعة ، فيكلم أنبياءه بواسطة ملك  
أو إلهام ، أو يخاطبهم من غير واسطة أو إلهام .

٥ - ومثل الوحي الذي أنزلناه على الأنبياء من قبلك بالحالة التي أردناها ، أوحينا  
إليك أيضاً ، فأرسلنا إليك جبريل بأمرنا ووحينا الذي أردنا أن يبلغه لك ،  
وينزل به عليك ، فأوحى إليك بالقرآن مشتملاً على الوعد والوعيد ، والحدود  
والأحكام ، وفصلنا لك شرائع الإيمان وطرقه . فعلمت ما لم تكن تعلم ،  
وما كنت قبل أن نوحى إليك تعلم شيئاً عن القرآن ، وعن شرائع الإيمان  
وتفصيلاته ، من حيث وجوب اعتقادك بالله ، وبملائكته وكتبه ورسله واليوم  
الآخر ، وغير ذلك ، فاهتديت بوحينا ، واتبعت طريق الرشاد بأمرنا ؛  
وقد جعلنا الوحي والكتاب والإيمان نوراً نهدي به من نريد هدايته من  
عبادنا ، بالتوفيق إلى قبوله واتباعه ، والاهتداء به ؛ وإنك يا محمد خير من

يهُدى الناس إلى صراط الله المستقيم وهو الإسلام، ويُبين لهم ما فيه من الشرائع والأحكام : صراط الله الذى رسمه لعباده، والطريق الذى اختطه لسعادتهم . وهو مالك السموات والأرض ، يدبر أمرهما وفق الحكمة والمصلحة : وإليه ترجع كل الأمور .

## سُورَةُ الزُّخْرُفِ

نزلت بمكة ، ما عدا الآية ٥٤ فإنها نزلت بالمدينة ؛ وآياتها ٨٩ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( ١ )

من أول السورة إلى الآية ١٤

حَمَّ - ١- . وَالْكِتَابِ الْأَمِينِ ، إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا  
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ، وَإِنَّهُ فِي أُمَّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ - ٢- .  
أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ؟ - ٣- .  
وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ، وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا  
كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ، فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا ، وَمَضَى  
مِثْلُ الْأَوَّلِينَ - ٤- . وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ : مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ؟  
لَيَقُولَنَّ : خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ - ٥- . الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ  
الْأَرْضَ مَهْدًا ، وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ، لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ - ٦- .  
وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ ، فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا ،  
كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ - ٧- . وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا ، وَجَعَلَ  
لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ، لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ،

مُمِّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا أُسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ، وَتَقُولُوا :  
 سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا ! وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ، وَإِنَّا إِلَى  
 رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ - ٨ - .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
حم والكتاب المبين لعلكم تعقلون في أم الكتاب لدينا لعلّ حكيم	تراجع الصفحة ١٣ من تفسير الجزء الأول . أقسم بالقرآن المبين لطريق الهدى . لكي تفهموا معانيه . في اللوح المحفوظ عندنا . } لرفيع القدر بين الكتب المنزلة ، وفي أعلى طبقات البلاغة ، وذو حكمة بالغة تهدي إلى الحق .
أفنزرب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين وكم أرسلنا من نبي في الأولين أشد منهم بطشاً	أفنترك تذكيركم وتخويفكم ، عفواً عن إجرامكم ؟ } من أجل أنكم كنتم قوماً مفرطين في الجهالة ، مجاوزين الحد في الضلالة . وكثير من الأنبياء أرسلناهم . في الأمم المتقدمة . قوماً أشد من هؤلاء المسرفين قوة وأتباعاً .
ومضى مثل الأولين مهدياً سبلاً	} وسلف في القرآن قصة المتقدمين من الأمم ، التي سارت سير المثل . مهديها وجعلها موضع استقرار لكم . طرقاتاً تسلكونها حيث أردتم .



الألفاظ	شرحها
لعلكم تهتدون بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً	لتهتدوا بسلوكها إلى مقاصدكم . بمقدار ما تقتضيه حاجتكم ومعيشتكم . فأجيينا ببناء بلدة مقفرة من النبات .
الأزواج كلها	الأصناف كلها: من الصيف والشتاء ، والليل والنهار ، والذكر والأنثى ، والحلو والمر ، وغير ذلك .
استوتيم عليه سحر لنا هذا	ركبتم واستعلتيم عليه . ذلل لنا هذا المركوب ، وأخضعه لنا .
مقرنين لمنقلبون	مطيعين . لراجعون .

### بجمل المعنى

- ١ - هذان حرفان : الحاء والميم ، من حروف الهجاء العربية ، تألف منهما ومن نظائرها القرآن العربي المبين ، بأسلوب يعجز عن الإتيان بمثله جميع البشر ، ليفهم المعاندين ، وينبه الغافلين ، ويهدي الضالين .
- ٢ - نقسم بالكتاب المبين لطرق الهدى والرشاد ، أننا أنزلناه قرآناً عربياً بلسانكم الذى تفهمونه ، لتدركوا معانيه ، وتدبروا آياته ، وتعقلوه وتحيطوا بما فيه من حكم وعظات ، وآيات بالغات ، وشرائع وأحكام ، وأنه مُثبت عندنا فى اللوح المحفوظ ، فى مقام كريم ، ومنزلة عالية ، بين الكتب المنزلة ، وفى أعلى درجات البيان والبلاغة . وأنه ذو حكمة بالغة . يهدى إلى طريق الرشاد ، محكم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

٣ - ولقد أنزلنا هذا القرآن بلغتكم رحمة بكم ، حتى لا نكلفكم الإيمان بما لا تفهمون ، والاعتقاد بما لا تعرفون ، فهل نترك تذكيركم وتخويفكم عذابنا من أجل أنكم قوم مفرطون في الكفر والضلال ، مغرقون في الشرك والجهالة ؟ إن رحمتنا بكم تدعو ألا نأخذكم بإسرافكم في الجهل والشرك ، فأندرناكم وذكرناكم .

٤ - ولست أول نبي سخر منه قومه يا محمد ، واستهزؤا بدعوته ، فقد أرسلنا رسلاً كثيرين في الأمم المتقدمة ، والقرون الماضية ، فكذبهم أمهم ، وسخر منهم قومهم ، فإن كان مشركو قريش يتعالون ويتكبرون ، ويعاندون ويخاصمون ، فقد أهلكنا أمماً سابقة كانت أعظم من قريش قوة ، وأكثر مالا وأتباعاً ، وأشد بطشاً وعُتوّاً ، وقد مضى ذكر هؤلاء الأمم في القرآن . وسلفت قصصهم ، وسارت على تعاقب الأجيال ، وتتابع الأزمان ، سير الأمثال ؛ فلتحذر قريش أن يحل بها مثل ما حل بالأولين المكذابين لرسولهم من العقوبة .

٥ - عجيب أمر هؤلاء المشركين ! لئن سألتهم : من الذي خلق السموات والأرض ، وأودع فيها دلائل القدرة ، وآيات الوجدانية ؟ لقالوا : إن الذي خلقهن الله العزيز الذي لا يُغلب ، البالغ الحكمة والإبداع في خلقه ، ثم هم مع ذلك يعبدون الأصنام ، ويشركون بعبادة الله أوثاناً لا تسمع ولا تعقل .

٦ - كيف تشركون بالله الذي أفاض عليكم النعم ، وجعل آيات قدرته تحت أعينكم ظاهرة بينة ، فهو الذي مهد لكم الأرض التي تعيشون فيها ، وجعلها مستقرّاً لكم . وذلها لمعيشتكم . وجعل لكم فيها سبلاً ، ومسالك وطرقاً ، تسلكونها في أسفاركم وتنقلون فيها اتسعوا في أرزاقكم . وتجمعوا مادة حياتكم . ولتهتدوا بسلوكها إلى مقاصدكم .

٧ - وكما ذلل لكم الأرض . وجعل لكم فيها سبلاً ، أخضع السحاب والغيث لمشيئته . وصرّفها وفق مصاحبة ، فأنزل عباد املاء من السماء مقدراً على

حسب احتياج الناس ، وبقدر منافعهم ، ولو شاء لجعله طوفاناً يهلك  
الحرث والنسل ، ويأتى على الأخضر واليابس ، فأحيا بهذا الماء الأرض  
القاحلة المجذبة ، فأنبتت وأمرعت ، وأخرجت الزرع والحب ، والزهر  
والثمر ، وكما بعث الحياة فى الأرض المجذبة ، والبذرة الحافة ، بالماء الذى  
أنزله من السحاب ، فاهتزت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج ،  
فهو قادر على أن يخرجكم من قبوركم ، ويحييكم بعد موتكم .

٨ - ولم تنته قدرته عند تذليل الأرض . وإزجاء السحاب ، وإنزال المطر ،  
وإحياء الأرض ، ولكنه جعل مخلوقاته أزواجاً وأصنافاً . ليتم التكامل  
والتكافل . والتعاون والتناسل ، وتستكمل الحياة كل العناصر اللازمة لنموها  
وبقاءها واحتمالها . فجعل الزمان أزواجاً : صيفاً وشتاءً ، وليلاً ونهاراً . وجعل  
الأرض أزواجاً : جبلاً وودياناً . وبراً وبحراً . وجعل النبات أزواجاً ،  
والحياة أزواجاً . لتدركوا باهر قدرته . ولتعم رحمته : وجعل السفن فى البحر ،  
والدواب فى البر ، مراكب تستقرون على ظهورها ، وتسخرونها فى معاشكم ،  
وتبلغون بها الأماكن القاصية . وتذكرون حينما تركيبها وتصرفونها لخدمتكم ،  
نعمة الله عليكم ، إذ سخر لكم هذه المخلوقات ، وأخضعها لخدمتكم ،  
فتقولون : تنزه الله الذى ذلل لنا هذا الجنس من مخلوقاته ، فى الماء والبر  
والهواء ! وما كنا - لولا قدرته . وبارع حكمته فى خلقه - بقادرين على  
استخدامها . ولأطميقين لخدمتها ، فهو الذى وهب لنا العقول التى استخدمناها  
فى تسخير ما حولنا من قوى الطبيعة ، وأنواع الحيوان ؛ وإذا كانت هذه  
قدرة الله ، وهى ماثلة لنا فى كل ما يحيط بنا . وفى كل ما يقوم بخدمتنا ،  
فلا بد أن نرجع إليه يوم القيامة ، وأن يعيدنا إلى الحياة . ليحاسبنا على  
ما قامت أيدينا .

( ٢ )

من الآية ١٥ إلى الآية ٢٥ من سورة الزخرف

وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ  
مُبِينٌ ١-١ . أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ٢-٢ .  
وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ، ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا  
وَهُوَ كَظِيمٌ ؛ أَوْ مَن مِّنْشَأً فِي الْحُلِيِّمِ ، وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ  
مُبِينٍ ٣-٣ . وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا  
أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ ؛ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ٤-٤ . وَقَالُوا :  
لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ، مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ، إِنْ هُمْ  
إِلَّا يَخْرُصُونَ ٥-٥ . أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ ، فَهُمْ بِهِ  
مُسْتَمْسِكُونَ ٦-٦ . بَلْ قَالُوا : إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ،  
وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ٧-٧ . وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ  
فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا : إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ،  
وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ٨-٨ . قَالَ : أَوَلَوْ جِئْتُمْ بِآهْدَىٰ مِمَّا  
وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ؛ قَالُوا : إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ٩-٩ .  
فَاتَّقِمْنَا مِنْهُمْ ، فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ! ١٠-١٠ .

## شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
جزءاً	بعضاً .
وأصفاكم بالبنين	واختصكم وأخلصكم بالبنين .
بما ضرب للرحمن مثلاً	بولادة ما جعله مثلاً للمولى ، وهو البنت
ظل وجهه مُسوداً	صار وجهه مسوداً من الغم والغيظ .
كظيم	حزين .
أو من ينشأ في الحلية	أينسب إلى الله البنات اللاتي يربين في الحلية والزينة .
وهو في الخصام غير مُمين	ولا يستطيع أن يجادل ويُبدل بالحجة بيئة ظاهرة .
أشهدوا خلقهم	أحضروا عند ما خلقهم الله وشاهدوهم ، حتى يحكموا أنهم إناث لا ذكور ؟
ستكتب شهادتهم ويسألون	ستكتب عليهم شهادتهم في صحائف أعمالهم ، ويطالبون يوم القيامة بإثباتها .
ما لهم بذلك من علم	ليس لهم بقولهم : إن الملائكة إناث ، علم ولا معرفة .
يخرون	يخلقون ويكذبون .
أم آتيناهم كتاباً من قبله	أو أنزلنا عليهم كتاباً من السماء قبل أن ينزل القرآن ،
فهم به مستمسكون	وقلنا لهم فيه : إن الملائكة إناث ؟
على أمة	فهم مستمسكون بالعمل بما جاءهم فيه .
وإنا على آثارهم مهتدون	على دين ومذهب .
	وإنا نقفدى بهم .

الألفاظ	شرحها
نذير مُتَرَفُوها أَوْ لَوْ جِئْتُمْ بِأَهْدَى	نبيّ متنعموها ، وهم الذين أبطرتهم النعمة . } أتتبعون آباءكم ، ولو جئتم بدين أهدى من دين } آباءكم ؟

### مجمل المعنى

١ - ومع اعتراف المشركين من العرب حين تسألهم . بأن الله خالق السموات والأرض ، فإنهم قد ناقضوا أنفسهم بهذا القول ، وأظهروا أن هذا القول منهم لم يكن عن اعتقاد وإيمان ؛ إذ جعلوا له من عباده الذين خاقمهم جزءاً ، ونسبوا إليه بعضاً ، فقالوا : إن الملائكة بناته ، مع أن مُوجد هذا الكون ، لا يتصور في العقل أن يكون له شريك في الملك . أو يكون له بنت أو ولد ؛ إن كل من يقول هذا القول من الناس ، لعظيم الجحود لنعمة الله ، ممن في الكفر ، مظهر للشرك في أبشع حالة .

٢ - هل قسّم الله بينكم وبينه الخلق أيها المشركون ، فجعل لنفسه البنات ، وآثركم واختصبكم بالبنين ؟ وإذا كنتم تفضلون البنين على البنات ، فكيف حكتم أن أدنى النوعين لله ، وأعلاهما لكم ؟ وعلى أي أساس جعلتم لأنفسكم أشرف النوعين ، وجعلتم لله أخسهما ؟ إن قولكم هذا لا يعتمد على حقيقة ، بل على افتتان في الكذب ، ليبين ما صرتم إليه من ضلال الفكر ، وسخافة الرأي .

٣ - على أن قولهم ذلك يحمل في تضاعيفه أقبح كذب ، وأسخف رأى ، لأن

أحدهم إذا أخبر بولادة ما جعله مثلاً للرحمن ، ملاً الغم قلبه ، واسود وجهه ، كأنه أصيب بأفدح الكوارث ، وأفجع المصائب ، وصار كئيباً حزيناً ، فكيف يسوِّغ له حقه أن يزعم أن الملائكة إناث ، وأنهم بنات الله ؟ ولم يجعل المشركون البنات لله ، وهن يربّين في الزينة ، وينشأن في الحليه ، ولا يتقوين على كفاح ، ولا يدفعن حجة بالجدال والخصام ؟ وجعلوا لأنفسهم الأبناء الذين يقومون بالسعى والكد ، ويتولون الدفاع والذود عن الحمى ، ويدلون بالحجة الدامغة دون خوف أو رهبة ، إن هذا الزعم ما كان ينبغي أن يخطر ببال إنسان له مسكة من عقل ؛ وفي هذه الآية إشارة إلى أن الرجل لا يليق به التزين .

٤ - لقد جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ، فكيف يكونون عبيداً لله وهم بناته ؟ ومن قال لهم : إن الملائكة إناث ؟ ومن يكون ذكورهم ؟ وكيف تكون الإناث لا ذُكران لها ؛ هل أحضرهم الله يوم خلق الملائكة ، فعرفوا أنهم إناث ؟ وهل رأوهم وخالطوهم ، حتى يحكموا عليهم بالأنوثة أو الذكورة ؟ إن هذا الافتراء الفاضح ، والسخف الفظيع ، سيسجل عليهم في اللوح المحفوظ . وسيسألون عنه يوم الحساب ، وسيلقون جزاءهم على هذا الافتراء ؛ سألمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يدريكم أنهم إناث ؟ فقالوا : سمعنا ذلك من آبائنا ، ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا .

٥ - ولقد افتتنوا فتناً آخر من كفرهم ، فقالوا : إن عبادتنا للملائكة كانت بمشيئة الله ، وإن ما يصدر بمشيئة الله من عبده يكون الله راضياً عنه ، ونظير هذا قوله في سورة الأنعام : « سيقول الذين أشركوا : لو شاء الله ما أشركنا » ، ( تراجع الصفحة ٣٨ من تفسير الجزء الثامن ) ، لقد قالوا ذلك عن جهل ، وليس لهم سند يستندون إليه ، إنما هم يهرفون بما لا يعرفون ،

ويحدثون ويتقولون ، ويتمحلون الباطل ويكذبون .

٦ — هل أنزلنا عليهم كتاباً من السماء ، قبل أن ننزل القرآن ، وقلنا لهم : إن الملائكة الذين هم عبادنا إناث ، فهم مستمسكون بالعمل بما جاءهم فيه؟ لم نُنزل عليهم كتاباً كهذا ، فكيف اختلقوا هذه الفرية علينا؟

٧ — بل قالوا حين عجزوا عن الإتيان بحجة تمهض دليلاً على ما هم عليه من ضلال وهتان ، ليس لدينا الحجة على صحة ما نعتقد ، غير أننا وجدنا آباءنا على هذا الدين والاعتقاد ، ومهما كان فيه من أضراب وأباطيل ، فلن نغيره إلى دين غيره ، إننا ندين كما كانت آباؤنا تدين ، ونفعل مثل ما فعلوا ، ونعتقد ما اعتقدوا ؛ فاعترفوا بأنهم يقلدون آباءهم تقليداً أعمى من غير تفكير ، وألغوا عقولهم ؛ ومضوا على سيرتهم ، واهتدوا بآثارهم .

٨ — ولم يكن إغفال العقل ، وترك الفكر والنظر ، والاستمسك بالتقليد الأعمى ، هو حالة المشركين من قريش فقط ، ولكنه حالة الأولين أيضاً ، فلم نرسل قبلك إلى أهل قرية من القرى نبياً ينذرهم ، ويخوفهم عاقبة كفرهم وضلالهم ، إلا قال المترفون الذين صرفهم التعمير وحب البطالة ، إلى تعطيل العقل والنظر ، وإلى الاستمسك بالتقليد الذي هو داء قديم في الأمم ، وليس لهم سند غيره: إنا مقلدون لآبائنا، مقتدون بآثارهم، والحق أن التقليد من آفات الأمم ، وسبب ضلالها ، وجمود الفكر ، وانقطاع الاجتهاد . وركود الرأي فيها ؛ والوقوف عند القديم ، مما أضر كثيراً من الأمم ، وأضعف قوتها ، وأفسد عقولها .

٩ — قال كل نبي لمن أرسل إليهم من الأمم التي ركدت عقولها ، وجد تفكيرها ، واستمسكت بتقليد من سبقوها : أتسبقون على التقليد ، وتستمرون على الضلال ، ولا تتزحزون عن دين آباؤكم ، ولو كان الدين الذي جئتمكم



به أهدي إليكم ، ينير لكم الطريق إلى الهدى ، ويسلك بكم سبيل الخير؟  
لقد أعمى الضلال بصائرهم ، وران الجهل على عقولهم ، فقالوا : لن نترك  
دين آبائنا إلى دينكم ، وإن كان هادياً إلى الخير ، مرشداً إلى الحق ،  
إننا بدينكم الذي جئتمونا به كافرين .

١٠- إن الأمم إذا أعمها الضلال عن التفكير، ودرجت على إلف ما ورثت من  
العَمَاية والغَوَاية، لا رجاء في إصلاحها، ولا أمل في تقويمها ، ومن الخير  
استئصالها والقضاء عليها ، وكذلك فعلنا بأمثالهم ، انتقمنا منهم فأهلكناهم  
ودمّرناهم ، فانظر كيف كانت عاقبة المكذبين من الأمم لرسولهم ؛ فلا  
تكثر يا محمد بمن يكذبونك من قريش ، فسننصرك عليهم ، ويظهر دينك  
على الأديان كلها ، على الرغم من أنوف المعاندين .

( ٣ )

من الآية ٢٦ إلى الآية ٣٥ من سورة الزخرف

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ : إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ،  
إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ، فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ، وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ، لَعَلَّهُمْ  
يَرْجِعُونَ -١- . بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ ، حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ  
وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ، وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ ، قَالُوا : هَذَا سِحْرٌ ، وَإِنَّا بِهِ  
كَافِرُونَ -٢- . وَقَالُوا : لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ  
الْقُرْآنِيِّينَ عَظِيمٍ ! -٣- . أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ؟ نَحْنُ قَسَمْنَا  
بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ،  
لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سُخْرِيًّا ، وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ -٤- .  
وَلَوْلَا أَنِ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ، لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ  
لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ ، وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ، وَلِبُيُوتِهِمْ  
أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُسْكِنُونَ وَزُخْرُفًا ، وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا  
مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ -٥- .

## شرح الألفاظ

الآلفاظ	شرحها
إئني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون بل تمتعت هؤلاء	إئني براء من عبادتكم ومعبوداتكم . غير الذي خلقتني . } وجعل كلمة التوحيد باقية فيمن يأتي بعده من ذريته . رجاء أن يرجع إليها ويؤمن بها من أشرك منهم . } لكني تمتعت من بقي على الشرك من هؤلاء المعاصرين لك . جاءهم الحق لولا نزل هذا القرآن القرينين
أهم يقسمون رحمة ربك ليتخذ بعضهم بعضاً سخرية مما يجمعون	أهم يقسمون رحمة ربك ، فيوزعون النبوة كما يشاءون ؟ } ليصرف بعضهم بعضاً في مصالحهم ، ويسخروهم في أعمالهم . مما يجمعون من حطام الدنيا الزائل .
ولولا أن يكون الناس أمة واحدة ومعارج عليها يظهرن	} ولولا أن يكفر الناس جميعاً ، بسبب ميلهم إلى الدنيا وتركهم الآخرة ، لأعطيناهم منها ما يشاءون ، لهوانها علينا . } ومصاعد يرتفون عليها إلى السطوح ، والطبقات العليا في الصروح .

الألفاظ	شرحها
وُزُخْرَفًا وإن كل ذلك لما متاع الحياة	وزينة . وما كل ما ذكر من البيوت التي وصفناها ، إلا متاع الحياة الدنيا الزائلة .

### محمل المعنى

١ - واذكر يا محمد لهؤلاء المشركين المتمسكين بدين آبائهم ، المقلدين لهم تقليداً أعمى ، وقت قول إبراهيم لأبيه آزر وقومه ، الذين كانوا يتخذون الأصنام آلهة : إنني برىء من عبادتكم ومن معبوداتكم ، فإن إبراهيم لم يقلد أباه وقومه ، وإذا كان لا بد لكم من التقليد ، فأولى بكم - وهو أشرف لكم - أن تقلدوه في طلب الاستدلال والبرهان على أحقية ما تعبدون ، لا أن تظلوا مستمسكين بالضلال القديم ، وقال لهم إبراهيم بعد أن تبرأ من عبادة الأصنام التي كان يعبدها أبوه وقومه : لكني أعبد الله الذي خلقني ، فإنه سيثبتني تثبيتاً على دين الحق ، ويرشدني دائماً إلى طريق الخير ، وجعل إبراهيم كلمة التوحيد التي يدل عليها قوله : « إنني براء مما تعبدون ، إلا الذي فطرنى » كلمة ثابتة باقية في عقبه ، ووصى بها ذريته التي تأتي من بعده ، فلا يزال فيهم من يوحد الله ، ويدعو إلى توحيدهِ ، رجاء أن يرجع إلى هذه الكلمة ، ويؤمن بها المشركون منهم ، فيؤمنوا بها ويتبعوها .

٢ - لكن رجاء إبراهيم لم يحققه كثير من ذريته ، فاستحبوا الضلالة على الهدى ، وآثروا الشرك على التوحيد ، هؤلاء هم مشركو مكة ، الذين دعاهم محمد فلم يستجيبوا له ، فتركهم الله وأهلهم ، كما ترك آباءهم وأهلهم ،

ومتعمهم بنعيم الدنيا الزائل ، فغرّبهم الدنيا ، وانهمكوا في شهواتها ، حتى أنزل إليهم الكتاب الحق ، وجاءهم بالقرآن والإسلام ، وبعث فيهم رسولا واضحا الرسالة ، ظاهر الدين والشريعة ، مبيّناً للتوحيد بالآيات البينات ، والحجج الدامغات ، موضّحاً لهم سبيل الخير والإيمان ؛ فلما جاءهم هذا القرآن منزلا من عند الله على محمد صلى الله عليه وسلم ، ينجيهم إلى غفلتهم ، ويهديهم من ضلالهم ، ويدعوهم إلى توحيد الله واتباع شريعته ، كفروا به وكذبوه ، واستهانوا به ، وقالوا : ما هذا الذي جاء به محمد قرآناً من عند الله ، ولكنه سحرٌ مُفترى ، وإنا به لكافرون .

٣ - وقالوا لم يبق إلا محمد ، هذا الفقير اليتيم ، الذي كان يرعى الغنم ، ويعمل في التجارة لبنت خويلد ، لبيعته الله رسولاً إلى العرب ، فلو أن الله أراد أن يبعث رسولا ، وينزل قرآنا ، لما أنزله عليه ؛ هلا اختار الله لرسالته رجلا ذا جاه وسلطان وثراء ، فأنزل عليه هذا القرآن بدل ابن عبد الله ، وهو الذي ليس له جاه ولا سلطان ولا ثراء ! هلا اختار لذلك أحد العظيمين في القريتين : مكة والطائف ، فلهما من شرف السيادة والرياسة ، وواسع الثراء والنفوذ ما لهما ! وعظيم مكة الذي يريدون ، قالوا : إنه الوليد بن المغيرة عم أبي جهل ، وعظيم الطائف الذي يريدون ، قالوا : - إنه أبو مسعود ، عروة بن مسعود الثقفي ؛ لقد زعموا أن الرسالة منصب جليل ، لا يليق به إلا صاحب البطش والمال والجاه ، ولم يدروا أنها رتبة زوحانية ، لا يرقى إليها إلا الذين زكت نفوسهم ، وتحلّوا بالفضائل ، وتأيّدوا بقوة الله وحده ، وتجردوا من مطامع الدنيا ومغانمها ، وتغلبوا على الشهوات بقوة رُوحهم ، وسمو غايتهم ، وصفاء نفوسهم .

٤ - هل هؤلاء الذين رأوا أن تكون النبوة لهذا ولا تكون لذلك ، أن يقسموا النبوة

بين الناس ، ويضعوها حيث شاءوا ؟ وإذا كنا نحن قسمنا بينهم أسباب معيشتهم في الحياة الدنيا ، ووزعنا عليهم أرزاقهم فيها ، فجعلنا بعضهم فقيراً ، وبعضهم غنياً ، على حسب ما تقتضيه المصلحة العامة بين الناس ، وفق حكمتنا ومشيئتنا ، ولم نفوض أمرها إليهم ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ؛ وجعلناهم متفاوتين في الرزق والجاه ، والسلطان والذكاء ، وغير ذلك ،\* ، ليستخدم بعضهم بعضاً في أمور الحياة ، فيقوم بينهم تعاون وتكافل ، يؤدي إلى انتظام دولاب الحياة من جميع نواحيها ، فالغنى بماله ، والفقير بجهدده ، والعالم بعلمه ، وهكذا — إذا كان الله قسم بينهم الأرزاق التي تقوم عليها حياتهم هم ، لأنهم عاجزون عن تديرها ، فمن أين لهم أن يدبروا أمر النبوة ، وأن يتخيروا من بين الناس من يصلح لها ، وإن النبوة التي اختصك الله بها ، ورحمته التي هيأك لها ، من هداية البشر بك ، وانتظام حياتهم باتباع دينك ، لخير لك مما يجمعون من المال ، وما يحرصون عليه من الجاه والسلطان .

٥ - وإن حطام الدنيا وترف الحياة لشيء تافه إلى جانب ما عتد الله من النعيم في الآخرة ؛ ولولا أن مصلحة الناس جميعاً لا تتحقق إذا جعلناهم جماعة واحدة ، وأمة واحدة ، فأوسعنا عليهم جميعاً في الرزق ، وأعطيناهم من حطام الدنيا ما يشتهون ، لأغدقنا عليهم المال ، ولكان مظهر احتقارنا لنعيم الدنيا وزينتها ، أن نعطي الكافرين بالله ذى الرحمة والمنة — وهم شر الخلائق وأدناهم منزلة — قصوراً عالية ، وجعلنا سقفها وسلالمها التي يصعدون فيها إلى طبقاتها العليا وسطوحها ، من الفضة ، وأوتقناها بالأبواب المحكمة ، وجمعنا فيها كل فخم بهيج من أنواع الأثاث والرياش ، ونضدنا فيها السرر والأرائك التي يتكثون عليها ، ويناهون فيها ، وأتمحننا كل ذلك

بجميع أنواع الزخرف والزينة - ونحن إن فعلنا ذلك لا نعطيهم إلا شيئاً  
تافهاً حقيراً، لأن كل هذا الذى وصفناه ما هو إلا متاع الحياة الدنيا  
وزخرفها ، وهو متاع زائل لا يُغنى عن صاحبه شيئاً ، والتمتع به إلى  
حين ، وهو ليس شيئاً يذكر بجانب نعيم الآخرة ، التى أعدها الله لعباده  
المتقين ؛ فينبغى أن يحرص المؤمنون عليه ، وأن يعلموا أن العظيم الذى  
يختار للنبوة ، هو العظيم فى الآخرة ، لا فى الدنيا كما يتوهمون .

( ٤ )

من الآية ٣٦ إلى الآية ٤٥ من سورة الزخرف

وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا ، فَهُوَ لَهُ  
قَرِينٌ ١- . وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ، وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ  
مُهْتَدُونَ ٢- . حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا ، قَالَ : يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ  
بُعدَ الْمَشْرِقَيْنِ ! فَبِئْسَ الْقَرِينُ ! ٣- . وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ  
إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ٤- . أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ  
الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْىَ ، وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ؟ ٥- .  
فَإِنَّمَا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ، أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ  
فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ٦- . فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ .  
إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٧- . وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ،  
وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ٨- . وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ،  
أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ؟ ٩- .



## شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
<p>{ ومن يتعامَ عن القرآن الذي نَزَلَ هدى ورحمة للعالمين .  نسلط عليه شيطاناً .  فهو ملازم له في الدنيا ، يغويه ويزين له فعل المعاصي . }</p>	<p>{ ومن يعشُّ عن ذكرِ الرحمن نقيضٌ له شيطاناً  فهو له قرين }</p>
<p>{ وإن الشياطينَ ليمنعون المتعامين عن النظر في كتاب الله ، وعن سبيل الهدى والإيمان .  حتى إذا بعثناه يوم القيامة للحساب والعذاب .  بعد ما بين المشرق والمغرب ، والثنية للتغليب ،  كالأبوين للأب والأم .  فبئس الصاحب أنت ! }</p>	<p>{ وإنما ليصدونهم عن السبيل حتى إذا جاءنا بُعدَ المشرقين فبئس القرين }</p>
<p>{ ولن ينفعكم - ضالين ومضلين - يوم القيامة إذ أشركتم في الدنيا .  أشرككم في العذاب لن يخفف عنكم منه شيئاً ، فاكل منكم النصيب الأوفر منه .  ليس عليك أن تهديهم ، فلا يضق صدرك بكفرهم .  { فإن قبضناك وفارقت الدنيا قبل أن نريك عذابهم ؛  أدغمت إن الشرطية في « ما » الزائدة .  أو إن أردنا أن نريك في حياتك بعض ما أنذرناهم إياها من العذاب . }</p>	<p>{ ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون أفأنت تسمع الصمَّ أو تهدي العمى فإما نذهبن بك أو نرينك الذي وعدناهم }</p>

الألفاظ	شرحها
فاستمسك بالذى أوحى لآلبك صراط مستقيم وإنه لذكر لك ولقومك وأسأل من أرسلنا قبلك	فاستمسك بالقرآن وإن كذب به من كذب . طريق قويم يوصلك إلى ثواب الله ورضاه . وإن القرآن لشرف لك ، ولمن عمل به من أمتك . وأسأل المؤمنين ممن كانوا يدينون بالتوراة والإنجيل .

### مجمال المعنى

١ — ومن يتجاهل ويتعامَ عن ذكر القرآن ، وتدبر آياته ، وتفهم معانيه ، وينصرف عن العمل ، نهى له شيطاناً نسلطه عليه ، فيضلّه ويغويه ، ونجعله له صاحباً وقريناً ، يلازمه ملازمة ظله ، وبذلك نكون قد جعلنا له نوعاً آخر من العقوبة فى الدنيا ، وهو مضاعفة سيئاته ، حتى يزداد عقابه فى الآخرة .

٢ — وإن الشياطين ليضآون هؤلاء العابثين المتعامين عن سبيل الهدى والفوز ، ويميلون بهم عن الحق ، ويظن المتعامون أن الشياطين سائرون بهم فى طريق الهداية ، ماضون على صراط الحق ، فيسيرون وراءهم ويتبعونهم .

٣ — ولا يزال الشياطين يغوونهم ، والمخدوعون يجرون وراءهم ، حتى يأتى يوم القيامة ، ويبعث كل عاص وشيطانه ، فىرى ما كان عليه من ضلال وباطل ، وما أعدله من عذاب ، فيقول متمنياً ما لا يكون : يا ليت الدنيا كانت فرقت بينى وبينك ، وباعدت بيننا بعد المشرق من المغرب ! ، فبئس الصاحب أنت ! لقد جلبت على الويلات ، وجررتنى إلى تلك المصائب والنكبات .

٤ - إن هذا التنبؤ لا يخفف عنكم الشقاء ، ولا يدفع عنكم البلاء ، ولن ينفعكم اليوم : يوم الآخرة ما تبدون من ندم ، وما تقدمون من اعتذارات ، بعد إذ ظلمتم أنفسكم - شياطين وعاصين - في الدنيا ، فهؤلاء أضلوكم ، وأنتم اتبعتموهم ؛ ولا يخفف عنكم اشتراككم في العذاب ، فكل منكم سيأخذ منه أكبر نصيب ؛ هذه حكاية حالهم يوم القيامة ، والمقالة التي تقال لهم ، وهي مقالة قطعت عليهم الأمل في تخفيف العذاب ، وفي الأمل معين على الاحتمال ، ولكن لات حين أمل .

٥ - وكانت قریش تسمع ما تسمع من وصف حال الكفار يوم القيامة ، وما ينتظرهم من عذاب ، فلا تزداد إلا عتواً واعتراضاً ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص على هدايتهم وإيمانهم ، فيشق على نفسه إصرارهم على الكفر ، فنزل قوله تعالى : « أفأنت تسمع الصم . . . » الآية ، تسلياً له لكيلا يحرص على إيمانهم ، فليس ذلك مطلوباً منه ؛ إن الله خلق الحواس للناس ليستفعلوا بها ، لكن هؤلاء لم يستعملوا حواسهم ، صموا آذانهم عن دعوتك ، وأغضضوا عيونهم عن النظر في ملكوت السموات والأرض ، وما خلق الله ، فلم يتدبروا قدرته ووجدانيته ، وعطلوا عقولهم فلم تفكر ، فصاروا صمماً عمياً ، حيارى ضالين ضللاً بيناً ظاهراً ، فلا يمكنك أن تُسمعهم أو تهديهم ، فدع ذلك لله تعالى ، يتصرف فيهم بما يشاء .

٦ - ولا بد أن نريك ما يحل بهم من عقاب ، فإن زابت الدنيا ، وفارقت الحياة ، قبل أن ننصرك عليهم ، فإننا منتقمون منهم في الآخرة انتقاماً شديداً ، أو إن أردنا أن نريك في حياتك شيئاً من العذاب الذي وعدناهم به ، فسيحل بهم ، ولن يُفلتوا منه ، لأنهم في قبضتنا ، ونحن عليهم مقتدرين ، ولقد حقق الله وعده ، فأصابهم ما أصابهم من القتل والتنكيل وسلب الأموال يوم بدر .

٧ - فاثبت على دعوتك ، ولا تحدد عنها ، وتمسك بالقرآن الذى أوحينا به إليك ، سواء أكذبوك أم صدقوك ، وسواء أعجلنا عقابهم فى الدنيا أم أخرناه إلى يوم القيامة ، لأنك متبع الصراط المستقيم ، وماضى فى طريق الحق الذى لا عوج له .

٨ - وإن هذا القرآن الذى أنزلناه هدى للناس ، وأمرناك أن تستمسك به ، لشرف لك ولمن اتبعك من المؤمنين وعمل به ، شرف لك لأن الله اصطفاك لهداية الخلق من بين العالمين . وأنزل عليك هذا الكتاب . الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وشرف اقربائك لأنه نزل بلغتهم ، وعلى رجل منهم . ونظير هذا قوله تعالى : « لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم » ، ( تراجع الفقرة الثامنة من الصفحة الثامنة من تفسير الجزء السابع عشر ) .

٩ - وما هؤلاء المشركين يجادلون فى وحدانية الله . ويصرون على أن لله شريكاً ، وأن له ولداً ، من أين جاءتهم هذه الأباطيل ؟ فلديك من اتبعك من أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين أرسلنا إليهم رسالنا قبلك ، فاسألهم : هل ورد فى الكتب التى أنزلناها عليهم ذكر لآلهة يعبدون غير الله ؛ إن جميع الأنبياء والمرسلين دعوا إلى توحيد الله وعبادته وحده . وجميع الكتب السماوية ليس فيها إلا الدعوة إلى توحيد الله وعبادته ، وما هى ذى لديكم فافحصوا عنها ، فإنكم لا تجدون عبادة الأوثان قد وردت قط فى ملة من ملل الأنبياء عليهم السلام .

( ٥ )

من الآية ٤٦ إلى الآية ٥٦ من سورة الزخرف

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ، فَقَالَ : إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ -١- . وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ، وَأَخَذْنَا لَهُمْ بِالْعَذَابِ ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ -٢- . وَقَالُوا : يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ، ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ، إِنَّا لَمُهْتَدُونَ -٣- . فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ -٤- . وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ : يَا قَوْمِ ، أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ، وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ؟ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ؟ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ ، وَلَا يَسْكَاذُ يُبِينُ ؟ -٥- . فَلَوْلَا أَلْتَقَىٰ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ ، أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ! -٦- . فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ -٧- . فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ، فَأَعْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ؛ فَجَعَلْنَاهُمْ سَفَاحًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ -٨- .

## شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ومائه	وقومه .
بآياتنا	بمعجزاتنا .
لعلهم يرجعون	لعلهم يتوبون عن المعاصي ، ويرجعون عن الكفر .
بما عهد عندك	بعهده عندك من أنك نبي ، ومستجاب الدعوة ، أو بكشف العذاب عن اهتدى .
إننا لمهتدون	إننا لمؤمنون .
ينكثون	ينقضون العهد بالإيمان ، ولا يفنون به .
تجرى من تحتي	تجرى من تحت قصورى .
أفلا تبصرون	أفلا ترون ملكي وفقر موسى ، وقوتي وضعفه .
أم أنا خير	بل أنا خير .
مهين	حقير ضعيف .
ولا يكاد يبين	ولا يكاد يظهر الكلام لأن في لسانه عقدة .
فلولا ألقى عليه أسورة	فهلا كان متسماً بسماة الشرف والسيادة ، فألقيت
من ذهب	عليه أسورة من ذهب ؛ والأسورة : جمع سوار .
مقرنين	يقترن بعضهم ببعض ، يمشون وراءه في حاشيته
	متتابعين .
فاستخف قومه	استولى على عقولهم ، واستفزههم بالكلام ، واستجهلهم

الألفاظ	شرحها
فاسقين فلما آسفونا انتقمنا منهم سلفاً ومثلاً في الآخرين	خارجين عن دين الله وطاعته . فلما أغضبونا بالإفراط في المعاصي ، استوجبوا عقابنا ، واستعجلوا انتقامنا . حديثاً سالفاً . وقصة تذكّر للعبرة ، وأصبحوا يضرب بهم المثل لمن يأتي بعدهم من الأمم .

### قصة سيدنا موسى

تقرأ قصة موسى وفرعون في الأجزاء السابقة :

تفسير الجزء الأول : الآيات ٤٧ - ٧٤ من سورة البقرة ، وتفسير الجزء التاسع : الآيات ١٠٣ - ١٥٥ من سورة الأعراف ، وتفسير الجزء الحادي عشر : الآيات ٧٥ - ٩٣ من سورة يونس ، وتفسير الجزء السادس عشر : الآيات ٩ - ٩٩ من سورة طه ، وتفسير الجزء التاسع عشر : الآيات ١٠ - ٦٨ من سورة الشعراء ، وتفسير الجزء العشرين : الآيات ٧ - ٤٢ سورة القصص .

### مجمل المعنى

١ - لما قالت قريش : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ، تحقيراً من شأن محمد حين بعث إليهم رسولاً ، وأنزل عليه القرآن لهدايتهم ، قص الله عليه قصة فرعون تسلية له ، بأن ما قالته قريش في محمد قد قال فرعون وقومه أشد منه في موسى ، فحين أرسل الله موسى إلى فرعون ليدعوه

إلى عبادة الله وتوحيده ، ويبلغه بأنه مرسل إليه وإلى قومه من لدن رب العالمين ، وخالق الخلق ومربيهم ، ومالك الملك وموجده ، طالبه فرعون بالآيات التي تدل على أنه رسول رب العالمين ، فلما جاءهم بها ، فاجثوه بالضحك ، استهزاء وسخرية بموسى ومعجزاته ، دون أن يتأملوها أو ينظروا فيها ، وقالوا: ليست هذه بمعجزات من عند الله، ولكنها سحر ساحر عليم؛ فعلوا ذلك أيضاً ليوهموا أتباعهم أن ما جاء به موسى ليس من آيات الله ، لكنه سحر وتخيل ، حتى لا يتبعوه .

٢ — وكانت الآيات التي جاءهم بها موسى من كبار الآيات ، فما كان موسى يريهم من آية إلا وهي في زوطة عظمتها ، وظهور دلالتها ، كأنها هي الوحيدة في العظمة والروعة ، فتظهر كل آية حينما تعرض عليهم ، كأنها أكبر من أختها ، لكنهم لم يؤمنوا بها ، فأرسل الله عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع ، وأصابهم بالجدب ونقص الثمرات ، لعلهم يرجعون عن كفرهم وضلالهم .

٣ — فلما عاينوا هذا العذاب ، قالوا لموسى : أيها الساحر ، تعظيماً له — وكانوا يطلقون كلمة الساحر على العالم — : ادع لنا ربك بما عهد إليك في ان يستجيب دعائك . في كشف العذاب عنا ، إنا لمؤمنون بك ، مصدقون برسالتك .

٤ — فدعا موسى ربه أن يذهب عنهم العذاب ، فاستجاب دعاءه ، وكشف عنهم العذاب ، فأسرعوا بالارتداد عن دين موسى ، ونكثوا عهدهم ، ونقضوا أيمانهم .

٥ — فلما رأى فرعون معجزات موسى . وما أنزل الله على قومه من العذاب ، وكيف كشفه عنهم بدعاء موسى ، خاف ميل القوم إليه ، وانحيازهم



نحوه ، فأسرع بجمع العظماء من قومه ، ووقف يخطبهم ويناديهم ، فقال لهم : يا قوم ، أليست مالك مصر ، وصاحب الأمر والنهى فيها ، لا ينازعنى منازع ، ولا يغالبنى مغالب ؟ أليست أنهار النيل وفروعه تجري من تحت قصورى ، بين جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ؟ أفلا تبصرون أيها القوم ملكى الواسع ، وجاهى العريض ، وسلطانى البعيد ، وقوتى فيكم ؟ ثم ضعف موسى وقره ، لا ملك له ولا جاه ، ولا سلطان ولا أتباع ؟ بل أنا بذاتى وشخصى فرعونُ ابن فرعون ، ربيب الغز والنعمة والحكم ، فأنا خير من هذا الحقير الذى يمتن نفسه ، ويسخرها للحصول على لقمة يسد بها جوعه ، وخرقة يستر بها بدنه ، وهو ليس خطيباً مفوهاً ، ولا متكلماً فصيحاً ، كما تروننى أخطبكم بطلاقة وفصاحة ، فلا يكاد يفصح عما يريد ، ولا يكاد لسانه ينطق بالكلام ، فهو عبيّ معقود اللسان ، فكيف يجيء إلى بلادكم ، ويطلب منكم أن تتبعوه ، وتصيروا إلى دينه ؟

٦ - إننا إذا سوّدنا رجلاً ألقينا إليه بمقاليد الملك ، وحليناه بأوسمة الشرف والرياسة ، وجرياً وراء عادتنا ، نلبسه أسورة من الذهب ، فهلا جاءكم هذا الذى يدعوكم إلى اتباعه ، وقد ألقيت عليه مقاليد الشرف والسيادة ، فرأيتم فى يده أسورة من ذهب ، وفى عنقه طوق من ذهب ؟ فكيف يريد أن يسودكم ، ويدعوكم إلى اتباعه ، وإدخالكم فى دينه ، دون أن تلقى عليه أسورة الذهب ؟ وإن فرضنا أن رب العالمين الذى يدعو إلى عبادته قد أرسله إليكم ، فلماذا لم يرسل معه حاشية من الملائكة يمشون وراءه صفّاً صفّاً ، مقترناً بعضهم ببعض ، ليكونوا أتباعه وأعوانه ، كما تمشى الحاشية خلف الملك المتوج ؟ فلا هو محلى بالذهب كما هو الحال فى أشرافنا ،

ولا هو مصحوب بحاشية من الملائكة حتى نصدقه ونعرف أنه رسول رب العالمين ، كما يقول لكم .

٧ — استولى فرعون بخطابته وخديعته على قومه ، واستجهلهم واستفزهم ، واستخف عقولهم ، فأطاعوه ، وانقادوا إليه ، لأنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله ، فأسرعوا إلى طاعة ذلك الفاسق الغوى المبين .

٨ — لقد أرسل الله إليهم موسى بآيات بينات فكذبوه ، وقالوا لموسى : إننا لمؤمنون ، فادع الله أن يكشف عنا العذاب ، فلما دعاه وكشف عنهم العذاب ارتدوا ، ونكثوا ولم يؤمنوا ، ولما أضلهم فرعون وأغواهم ضلوا وغوا ، فأغضبوا الله وأخطوه عليهم ، فانتقم منهم بإغراقهم في البحر أجمعين ، وأصبحوا قصة سالفة من قصص الأولين ، ومثلاً يضرب للعبرة والعظة لمن جاء بعدهم من الأمم ، فلا تأس يا محمد إن كذب بك قومك وعصوك ، فسينتقم الله لك منهم ، كما انتقم من فرعون وقومه .

( ٦ )

من الآية ٥٧ إلى الآية ٦٧ من سورة الزخرف

وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا ، إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ -١-  
وَقَالُوا : أَا إِلَهِنَا خَيْرٌ ، أَمْ هُوَ ؟ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ،  
بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ -٢- . إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ،  
وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ -٣- . وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ  
مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ -٤- . وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ ،  
فَلَا تَمْتَرَنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ ، هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ، وَلَا يَصُدَّنَّكُمْ  
الشَّيْطَانُ ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ -٥- . وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى  
بِالْبَيِّنَاتِ ، قَالَ : قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ ، وَالْأَبْيَنِ لَكُمْ  
بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ  
رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ، هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ، فَأَخْتَلَفَ  
الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ  
أَلِيمٍ -٧- . هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ، وَهُمْ  
لَا يَشْعُرُونَ ؟ -٨- . الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ، إِلَّا  
الْمُتَّقِينَ -٩- .

## شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يصدون أم هو	يرتفع لهم ضجيج وجلبة ، فرحاً وجدلاً . يقصدون عيسى عليه السلام .
ما ضربوه لك إلا جدلاً تخصمون	ما ضربوا هذا المثل إلا من أجل الحصام والجدل والمكابرة . شديدو الخصومة واللجاج .
إن هو إلا عبد أنعمنا عليه	ليس المسيح إلا عبداً أنعمنا عليه بالنبوة ، وما هو بالله .
وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل لجعلنا منكم ملائكة	وصيرناه عبرة عجيبية كالمثل السائر لبني إسرائيل . لجعلنا بدلاً منكم ملائكة يخلفونكم .
في الأرض	مستقرين في الأرض ، كما جعلناهم مستقرين في السماء .
فلا تتمرن بها صراط مستقيم	فلا تشككن ، ولا تجادلن وتخاصمن في وقوعها . دين موصل إلى الحق .
بالبينات بالحكمة	بالمعجزات . بالإنجيل .
هذا صراط مستقيم الأحزاب	هذا التوحيد صراط مستقيم ، لا يضل سالكه . الفرق المتمحزة .
بغته الأخلاء	فجأة من غير توقع . المتحابون في أمور الدنيا .
يومئذ	يوم إذ تأتيهم الساعة .

## جدل ومغالطة وصخب

لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش: « إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم » قال ابن الزبَعْرَى الشاعر لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه: أهذا لنا ولآهتنا ، أم لجميع الأمم ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: « هو لكم ولآهنتكم ولجميع الأمم » ، فقال ابن الزبَعْرَى ، خصمتك ورب الكعبة ، أليس النصارى يعبدون المسيح ، واليهود يعبدون عُزَيْرَا ، وبعض العرب يعبدون الملائكة ؟ فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآهتنا معهم ، ففرح به قومه وضحكوا ، وارتفعت أصواتهم ، فنزل قوله تعالى: « ولما ضرب ابن مريم مثلاً ، إذا قومك منه يصدون . . . » ، ونزل أيضاً قوله تعالى رداً على مغالطة ابن الزبَعْرَى : « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ، أولئك عنها مبعدون » أى أن المسيح وعزيرا والملائكة الذين عبدتهم النصارى واليهود وبعض العرب ، لن يكونوا حصب جهنم ، لأن الحسنى من الله سبقت لهم .

### محمل المعنى

- ١ - ولما ضَرَبَ عبد الله ابن الزَّبَعْرَى عيسى ابن مريم مثلاً ، فى أن النصارى تعبدوه ، فيجوز عليه وعلى النصارى الذين عبدوه ، ما يجوز على قريش وعلى أصنامهم التى يعبدونها من دون الله ، تصديقاً لقوله تعالى : « إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم » ، « صفحة ٥٢ سورة الأنبياء جزء ١٧ » ، إذا قومك قريش لما سمعوا هذا المثل منه ، يرتفع لهم جلبة وضجيج ، فرحاً وضحكاً بما سمعوا منه ، وظنوا أنهم حاجثوا محمداً وأفحموه .
- ٢ - وقالوا إتماماً للمثل الذى ضربوه بعيسى عليه السلام : آآهتنا خير أم عيسى ؟ وإذا كان عيسى والنصارى الذين عبدوه حصب جهنم ، فلا بأس أن نكون مع آهتنا أيضاً حصب جهنم ؛ لأنهم ما ضربوا هذا المثل

إلا للجدل والغلبة في القول ، والممارسة في الباطل ، لا لطلب التمييز بين الحق والباطل ، بل هم قوم شديدو الخصومة ، كثيرو اللجاج ، لأن الآية واضحة بيّنة في أنها لم ترد معبوداً عاقلاً كاليسوع وعزير ، لأن « ما » في قوله تعالى : « وما تعبدون » تقع على غير العاقل كالأصنام ، على أن جعل هذه المعبودات حسب جهنم ، وإلقاءها في النار، الغرض منه تحقير شأنها ، وأنها لا تستطيع أن تدرأ العذاب عن نفسها .

٣ — وليس عيسى إلهاً ، وما قبل لنفسه أن يكون معبوداً ، وهو الذي حينما سئل من الله : « أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ قال : سبحانك ! ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد علمته » ، وما هو إلا عبد الله ، أنعم عليه بالنبوة ، كما أنعم على سائر الأنبياء بها ، وجعله آية لبنى إسرائيل ، وعبرة يُستدل بها على قدرة الله ، فإنه كان من غير أب ، وجعل له من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، ما لم يجعل غيره في أى زمان .

٤ — ولو تشاء قدرتنا لهبطنا بالملائكة من السماء ، وأسكناهم في الأرض ، وجعلناهم بدلکم ، يخالفونكم في الاستقرار في الأرض ، وإقامة العمران بها ، فتعلمون أننا قادرون على كل شيء ، فكما جعلنا عيسى الذي ألهه النصارى عبداً من عبادنا ، كذلك نستطيع أن نهبط بالملائكة الذين أهتموهم إلى الأرض ، ونغير من طبيعتهم ، فنجعلهم يعملون فيها ويعمرونها بدلا من إقامتهم في السماء . يسبحون الله ويذكرونه ذكراً كثيراً .

٥ — وإن الأمر ذا الشأن الخطير . لعلم قيام الساعة . ومعرفة يومها ، وهذا ما اختص الله بعلمه وحده . فيجب أن تؤمنوا بها ولا تشكوا أو تجادلوا فيها ، واتبعوا هداى وشريعتي . فإن هذا الذي أدعوكم إلى اتباعه هو الطريق

المستقيم ، الذى يوصلكم إلى الحق ، ويكفل لكم السعادة ؛ واحذروا أن يوسوس إليكم الشيطان ويغويكم ، ويصدكم عن اتباع الحق ، والتمسك بالشريعة السمحاء ، لأن الشيطان يضاكم ويغويكم ، وهو عدو لكم بينّ العداوة ، يريد بكم الشر ، ولا يريد بكم الخير .

٦ - ولما جاء عيسى بالبينات والمعجزات ، من إحياء الموتى ، والإبراء من الأقسام ، والإخبار بكثير من الغيوب وغيرها ، قال : قد جئتكم بالإنجيل ، لأبيّن لكم فيه حقيقة الذى تختلفون فيه من أحكام التوراة وأمور الدين ، فاتقوا الله واحذروا الشرك ، وأطيعونى فيما أدعوكم إليه من عبادة الله وحده ، إن الله هو ربى وربكم ، لا رب سواه ، فاعبدوه وحده ، والذى أدعوكم إليه من عبادة الله وحده ، هو الصراط المستقيم : طريق الحق الذى لا عوج فيه .

٧ - فاختلقت الفرق المتحزبة من بين النصارى بعد المسيح ، وهى فرق النسطورية والمالكية واليعاقبة ، اختلفت فى عيسى ، فقالت النسطورية : هو ابن الله ، وقالت اليعاقبة : هو الله ، وقالت المالكية : هو ثالث ثلاثة أحدهم الله ، فويل للذين ظلموا وأشركوا بالله من يوم أليم عذابه .

٨ - ما ينتظر الناس وهم فى اشتغالهم بأمور الدنيا ، إلا أن يفاجئهم قيام الساعة ، ويأتهم بغتة وهم غافلون .

٩ - فى هذا اليوم لا ينفع خليل ولا صديق حميم ، بل ترى الأخلاء الذين كانت تجمع خلتهم أمور الدنيا ، يوم تقوم الساعة ينقطع ما بينهم من نخلة ومحبة ، بل تنقلب خلتهم إلى عداوة ، لأنها كانت قائمة على أسباب الدنيا ، التى جلبت لهم العذاب فى الآخرة ، إلا نخلة المتصادقين فى الله ، فإنها نخلة باقية ، بل تزيد يوم القيامة ، لأنها كانت سبيل الثواب ، والخلود فى دار النعيم .

( ٧ )

من الآية ٦٨ إلى الآية ٨٠ من سورة الزخرف

يَا عِبَادِ ، لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ، وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ -١- .  
الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ -٢- . ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ  
وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ -٣- . يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ  
وَأَكْوَابٍ ، وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ، وَأَنْتُمْ  
فِيهَا خَالِدُونَ ، وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ،  
لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ ، مِنْهَا تَأْكُلُونَ -٤- . إِنَّ  
الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ، لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ ، وَهُمْ فِيهِ  
مُبْلِسُونَ -٥- . وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ، وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ -٦- .  
وَنَادُوا : يَا مَالِكُ ، لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ، قَالَ : إِنَّكُمْ  
مَأْكُوثُونَ -٧- . لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ ، وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ  
لِلْحَقِّ كَارِهُونَ -٨- . أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا ، فَإِنَّا مُبْرِمُونَ -٩- .  
أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ، بَلَى ! وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ  
يُكْتَبُونَ -١٠-



## شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لا خوف عليكم اليوم وأزواجكم تجبرون بصحاف من ذهب وتلذ الأعين	لا خوف عليكم من العذاب يوم القيامة . ونسأؤكم المؤمنات . تُسرون سروراً يظهر أثره على وجوهكم . بآنية من ذهب . تستلذه الأعين ، وتقرُّ بمشاهدته .
وأنتم فيها خالدون	وأنتم ما كنون فيها على الدوام ، تستعمون بنعيم لا زوال له .
بما كنتم تعملون المجرمين لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون كانوا هم الظالمين ما لك	بالأعمال الصالحة التي عملتموها في الدنيا . الكفار . لا يخفف العذاب عنهم في أي فترة . وهم في العذاب آثسون من النجاة ، والخلاص منه . كانوا هم الظالمين لأنفسهم ، بتعريضها للعذاب . خازن النار .
ليقض علينا ربك	سئل ربك أن يقضى علينا بالموت ، لنستريح من هذا العذاب الأليم .
إنكم ما كنون	إنكم مقيمون في العذاب أبداً ، لا خلاص لكم منه بموت أو غيره .
لقد جئناكم بالحق	لقد جئناكم بالحق ، وهو إرسال الرسل ، ولإنزال الكتب .

الألفاظ	شرحها
أم أبرموا أمراً فإننا مبرمون سرهم ونجواهم بلى ورسلنا	بل دبروا كيداً لمحمد ، ولكننا سنحبطه . فإننا مدبرون لهم كيداً ، سيقع عليهم حتماً . ما حدثوا به أنفسهم . ما يتحدثون به فيما بينهم ، ويخفونه عن غيرهم . نحن نسمعها ونطلع عليها . وملائكتنا .

### مجمل المعنى

١ — بين الله أن الأخلاء المتحابين في أمور الدنيا وشهواتها ، سيأتون يوم القيامة وهم متعادون ، ثم حكى ما ينادى به المتقون المتحابون في الله ، المتعاونون على البر والتقوى يوم القيامة ، فيتألف الله بهم ، ويناديهم : « يا عبادى » ، إظهاراً لرحمته بهم . وحنانه عليهم ، ويقول لهم : كونوا آمنين من الخوف ، مطمئنين بالآلا ، قريرين عيوناً ، ولن يقع ما يكدر صفوكم ، أو يُقلق خاطرکم . أو يجزئكم ، فأنتم اليوم في ضيافى ، وفي ساحة رحمتى ، ونعيم جنى .

٢ — أنتم الذين آمنوا بآياتنا وكتبنا ورسالنا واليوم الآخر ، وأخلصوا الإيمان ، وكانوا مسلمين صادقين ، فجازيناهم بما عملوا جنة وأمناً ، وسروراً ومقاماً محموداً .

٣ — أمامكم الجنة مفتحة أبوابها لكم ، فادخلوها بسلام آمنين أنتم ونسأؤكم المؤمنات ، تقيمون فيها دائماً محبوبين مسرورين ، بجليلين فرحين ، يبدو

السرور على وجوهكم ، ويترقق البشر في قسامات مُحياكم .

٤ — وقد أعد لهم في الجنة كل ما لذ وطاب ، يطوف به عليهم غلمان صباح الوجوه ، بآنية وأكواب من ذهب ، وإذا كانت الصحاف والأكواب من ذهب ، فما الظن بما فيها من طعام شهى ، وشراب حلو اللذيذ ؟ ففيها كل ما تشتهي الأنفس ، من أثاث ورياش ومنازل ، وملاعب وبهجة وموسيقا ، وكل ما خطر وما لم يخطر ببال أحد من البشر . فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت . ولا خطر على قلب بشر ، وفيها من المناظر الحسنة البهيجة ما يوثق العين ، ويقر النظر ، ويسر الخاطر ، هي لكم أيها المتقون . تحيون فيها دائماً ، وتنعمون بنعيمها . وهذه الجنة هي حق لكم . ومتاع لا ينقطع . استحققتموها بتقواكم ، وورثكم الله إياها بأعمالكم الصالحة في الحياة الدنيا . لكم فيها فاكهة كثيرة الأنواع والأصناف والألوان ، لامقطوعة ولا ممنوعة . تأكلون منها ما تشاءون .

٥ — وكما أعد الله للمؤمنين المتقين هذا النعيم المقيم . فقد أعد للكافرين المجرمين العذاب الأليم ، في نار جهنم يمشون فيها دائماً لا يخرجون . لا يخفف عنهم من عذابها ، ولا يتسرب إليهم أمل في الخروج منها . فهم فيها برحاء منقطع ، وأمل ذاهب . آيسون من الرحمة ، قانطون من تخفيف العذاب .

٦ — ولم تقدر لهم هذا المصير المؤلم أشد الإيلام ظلاماً لهم ، ولكنهم في الدنيا ظلموا أنفسهم بالإغراق في المعاصي ، وبالإصرار على الشرك . فاستحقوا ما كتبنا عليهم من عذاب دائم .

٧ — ولما انقطع رجائهم في تخفيف العذاب . وأيسوا من الخلاص منه ، واشتد بهم الألم ، صرخوا مستغيثين مستجيرين ، ونادوا مالكا نازن جهنم . والواقف على أبوابها ، والموكل بأهلها . متوسلين إليه أن يدعو الله أن

يقضى عليهم بالموت ، ليستريحوا من العذاب ، فأجابهم بجملة مؤكدة فيها القضاء على كل أمل لهم ، والحكم بعذابهم في النار دائماً ، قال : إنكم ما كثون في جهنم ، ولا بثون في العذاب أبداً ، فذوقوا جزاء ما كنتم تعملون .

٨ — يقول الله لهم بعد مقاتلتهم ، وإجابة مالك الإجابة القاطعة لهم : لقد جئناكم في الدنيا بالكتب المنزل ، وأرسلنا إليكم الرسل ، ولكنكم أعرضتم عن قبول الدين الحق كارهين له ، مشمتزين منه .

٩ — ثم انتقل الله من توبيخ أهل النار إلى حكاية جنابة قريش على رسول الله ، حين استقر رأيهم على أن يُختار من كل قبيلة رجل ليشاركوا في قتله ، فتضعف المطالبة بدمه ، فبيّن أنهم برموا فيما بينهم أمر قتله ؛ ألا فليدبروا ما شاءوا ، فإننا قد قضينا بأن نهبط تدبيرهم ، و نرد كيدهم إلى نحورهم ، ونكيد لهم كيداً لا يفلتون منه : ولا ينجون من ويلاته .

١٠ — بل هم يجتمعون ويتناجون في أمر محمد ، ويأتمرون لإحكام جريمة الفتك به ، كما فعلوا في دار الندوة . يظنون أنا لا نسمع السر الذي تخفيه صدورهم . ويحول بخواطيرهم ، وأننا لا نسمع مناجاتهم التي يتهامون بها بينهم ، بحيث لا يراهم ولا يسمعهم غيرهم وهم يتناجون ، بلى ! نحن نسمع السر والنجوى ، ونطلع على كل كيد وتدبير منهم ، وملائكتنا تسجل عليهم في صحائفهم ما يقولون وما يفعلون .

( ٨ )

من الآية ٨١ من سورة الزخرف ، إلى آخر السورة

- قُلْ : إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ ، فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ -١- .  
سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : رَبُّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ! -٢- .  
فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا ، حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ -٣- .  
وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ ، وَهُوَ الْحَكِيمُ  
الْعَلِيمُ -٤- . وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ،  
وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ -٥- . وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ  
يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ -٦- .  
وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ : مَنْ خَلَقَهُمْ ؟ لَيَقُولُنَّ : اللَّهُ ، فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ؟ -٧- .  
وَقِيلِهِ : يَا رَبِّ ، إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ -٨- . فَاصْفَحْ عَنْهُمْ ،  
وَقُلْ : سَلَامٌ ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ -٩-

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
سُبْحانُ عَمَّا يَصِفُونَ فَذَرِهِمُ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُبْلِقُوا يَوْمَهُمُ	تنزه وتبرأ . عما يصفونه به وينسبونه إليه ، من أن له ولداً . فذرهم واتركهم . يخوضوا في الباطل ، ويلعبوا في هذه الدنيا الفانية . حتى يبجىء يومهم وهو يوم القيامة ، فيعرفوا الحقيقة عما قالوا وفعلوا .
وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وتبارك وعنده علم الساعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون	وهو الذي استحق أن يعبد وحده ، وأن يكون إلهاً دون غيره في السماء والأرض ، لتجلى آثار خلقه وقدرته فيهما . وتقدس وتكاثر خيره ، وعظمت بركاته . وعنده وحده العلم بالساعة التي تقوم فيها القيامة . إلا من آمن بالله وحده ، ولم يشرك به شيئاً . وهم يشهدون ويؤمنون بالله عن علم وبصيرة وإيقان ، لا عن تقليد .
فَأَنى يُؤْفَكُونَ وقيله	فكيف يُصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ؟ . وعنده علم قوله عليه السلام ، شاكياً إلى الله عدم إيمان الكفار .
فأصغح عنهم وقل : سلام فسوف يعلمون	فأعرض عن دعوتهم واتركهم . وقل لهم : إني تارككم ، ومنصرف عن مجادلتكم . فسوف يعلمون ما يصيبهم يوم القيامة من عذاب ، جزاء عدم الإيمان .

## مجمل المعنى

١ - قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون الملائكة ، ويزعمون أنهم بنات الله ، ويعبدون المسيح ، ويزعمون أنه ابن الله : إننى أعلم بحقوق الله تعالى وواجبات تعظيمه ، فلو كان له ولد كما زعمتم . لكننى أول العابدين لهذا الولد ، لأن تعظيم الولد تعظيم للوالد ، لكننى على قوة يقين ، وثبات إيمان ، بوحدانيته تعالى ، وأنه - تقديست صفاته - لا تجوز عليه الصفات التى تجوز على عباده ، فلا يلد ولا يولد .

٢ - تنزه الله تعالى وتبرأ ، وهو خالق السموات والأرض ، وآثار وحدانيته ودلائل قدرته ظاهرة ناطقة فيهما ، وربّ العرش القابض على زمام الملكوت ، والمدير لأمر الكون - تنزه سبحانه وتعالى عما يصفه المشركون ، من أن له ولداً !!

٣ - فدعهم يا محمد يخوضوا فى الباطل كما يشاءون ، ويلعبوا فى الحياة الدنيا كما يحبون ، فستنقضى الدنيا ، وتقوم الساعة التى ليس فيها لهُو ولا لعب ، ولا خوض فى الباطل ، وسيلاقون عذابهم وويلهم فى هذا اليوم ، كما وعدناهم به من قبل .

٤ - وهذا الذى تدل آثار قدرته ، وتنطق دلائل ربوبيته فى السماء على أنه الواحد الأحد ، وفى الأرض على أنه الواحد الأحد ، وهو الذى خلقهما على نمط الحكمة التى لا يقدر عليها سواه ، وهو الذى يعلم ما كان وما يكون ، لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء .

٥ - تعاضمت بركات الله ، وتكاثرت خيراتة ، وتقديست صفاته ، خالق السموات والأرض ، وصاحب الأمر فيهما ، وهو وحده الذى يعلم متى

تقوم الساعة ، ومتى يبعث الناس فيها ، ليحاسبوا على أعمالهم التي اكتسبوها في الدنيا ، وإليه وحده يرجعون ويقفون بين يديه ، ويقابلون وجهه الكريم .

٦ - إن المشركين يزعمون أن آلهتهم التي يعبدونها من دون الله ، سيكونون شفعاء لهم عنده يوم القيامة ، وآلهتهم لا تملك شفاعاة لأنفسهم ، حتى يشفعوا للمشركين معهم ، بل ستكون الآلهة حسب جهنم ، وسيكونون وقوداً فيها مع الناس والحجارة ؟ إنما يأذن الله في أن يشفع عنده لأولئك الذين آمنوا به ، وأقروا بوحدانيته ، عن علم و يقين .

٧ - وهؤلاء الذين يدعون أن لله شريكاً يعبد ، أو له ولد يولد ، إن سألتهم عن خلق السموات والأرض ، ليقولن : خلقهن الله العزيز العليم ، فكيف خلقهما وله شريك ؟ وكيف يصرف هؤلاء عن التوحيد والإيمان ، إلى الشرك وعبادة الأوثان ؟ .

٨ - وهو جل شأنه عنده علم قول رسوله شاكياً أسفاً : يارب ، إن هؤلاء قوم لا يؤمنون بك . ولا يصدقون بوحدانيتك ، مع ما أدليت لهم بالحجج والبيّنات على وحدانيتك ؛ وقياه بالجر : معطوف على الساعة في قوله : « وعنده علم الساعة » ، والمراد : أن الله عنده علم الساعة ، وعلم قول رسوله .

٩ - فأعرض يا محمد عن دعوتهم ، ولا ترج إيمانهم وهدايتهم ، واتركهم ترك المفارق لهم ، وقل لهم : سلام وترك ومغارقة لكم . فسوف يعلمون ما يصيبهم يوم القيامة ، جزاء كفرهم وتكذيبهم لك .



## سُورَةُ الدُّخَانِ

نزلت بمكة ، وآياتها تسع وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( ١ )

من الآية الأولى إلى الآية ١٦

حَمَّ - ١- . وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ،  
إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ، فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ، أَمْراً مِنْ  
عِنْدِنَا ، إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ  
الْعَلِيمُ : رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، إِنْ كُنْتُمْ  
مُوقِنِينَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ ، رَبُّكُمْ وَرَبُّ  
آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ، بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ - ٢- فَأَرْسَلْنَا يَوْمَ  
تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشى النَّاسَ ، هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ، رَبَّنَا ،  
أَكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ ، إِنَّا مُؤْمِنُونَ ، أَلَيْسَ لَهُمُ الذِّكْرَى ؟ وَقَدْ  
جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ، ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ ، وَقَالُوا : مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ - ٣- .  
إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلاً ، إِنَّكُمْ عَائِدُونَ - ٤- . يَوْمَ نَبْطِشُ  
الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ - ٥- .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
تراجع الصفحة ١٣ من تفسير الجزء الأول . أقسم بالكتاب المنزل عليك ، الواضح في بيانه ومعانيه ، وحججه وأحكامه . إنا بدأنا إنزال القرآن . هي ليلة القدر . مخدرين ومخوفين من العقاب .	حم والكتاب المبين إنا أنزلناه ليلة مباركة مُنذرين
في هذه الليلة يفصل ويكتب كل أمر من أمور العباد . كالأرزاق والآجال ، على حسب ما تقتضيه الحكمة . أنزلنا القرآن آمرين باتباعه أمراً من لدنا . إنا أرسلنا رسولنا رحمة للعالمين ، مبعوثاً من خالقهم وورثهم . مقرين بما تقولون عن علم وإيمان . فانتظر .	فيها يُفرد كل أمر حكيم أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين رحمة من ربك موقنين فارتقب
تضعف أبصار الخلق من شدة القحط والجوع ، فيرون دخاناً ظاهراً يملأ ما بين السماء والأرض . يشملهم ويحيط بهم ، كما يحيط الثوب بالجسم . أزل عنا ما أصبتنا به من الجذب والقحط . كيف يتذكرون ويفنون بوعدهم ، بأن يؤمنوا ؟	بدخان مبين يغشى الناس اكشف عنا العذاب أنى لهم الذكرى

الألفاظ	شرحها
تولوا عنه	أعرضوا عنه وكذبوه .
معلمٌ مجنون	يعلمه هذا القرآن أعجمي ، وهو مجنون ذاهب العقل .
إنكم عائدون	إنكم راجعون إلى ما كنتم عليه من العتو والتكذيب .
يوم نبطش	يوم نأخذهم بعنف وشدة وصوله .

### مجمال المعنى

١ - هذان حرفان : الحاء والميم ، من حروف الهجاء العربية ، تألف منهما ومن نظائرها القرآن ، بأسلوب يعجز عن الإتيان بمثله جميع البشر ، لنفهم به المعاندين ، فإن كانوا في ريب من أن هذا كلامنا ، وأنا أنزلناه على رسولنا محمد ، فليأتوا بمثل أقصر سورة منه ، وهم ذوو اللسن والفصاحة .

٢ - نقسم بالقرآن البين الواضح في مبانيه وبيانه ، ومعانيه وأحكامه ، وحججه وآياته ، أنا أنزلناه عليك يا محمد في ليلة القدر ، تلك الليلة التي يعم الناس فيها الخير والبركة والثواب ، والتي بدأنا فيها إنزال القرآن هادياً للناس ، فتضاعفت لهم منافع الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة ، وفيها تعم الرحمة ، وتستجاب الدعوة ، وقد أنزلناه لتندرب به الناس ، وتحذرهم العقاب ، رحمة بهم ، وفيها يقضى كل أمر قضاء مصدره الحكمة ، ومصاحبة العباد ، وتكتب الأرزاق والحظوظ طبقاً لمشيئتنا ، ووفقاً لأمرنا ؛ إنا أرسلنا به محمداً صلى الله عليه وسلم كما أرسلنا بالكتب غيره من المرسلين ، لأجل رحمة ربك بعباده ، ولطفه بهم ، وعطفه عليهم ، إنه سميع لكل ما يقولون ، عليم بكل

ما يفعلونه ، خالق السموات والأرض وكل ما فيها ، وخالق ما بينهما من هواء وغاز ، وأنتم حينما تسألون عن خالق السموات والأرض ، تقولون أنه هو العزيز العليم ، فإن كان إقراركم هذا عن علم وإيمان ، وكنتم موقنين به ، ومصديقين له ، فلماذا تشركون في عبادته آلهة غيره ؟ ومقتضى علمكم بربوبيته لهذا الكون ، يجعلكم تؤمنون بأنه واحد لا شريك له ، لا إله غيره ، ولا رب سواه ، بيده كل شيء ، يحيي ويميت ؛ وهو ربكم ، وصاحب الأمر فيكم ، ورب آباءكم وآباء آبائكم منذ القدم ، لكنهم غير موقنين بما يقولون ، بل هم في شك من إقرارهم بأن الله خالق السموات والأرض ، ولا يقولون ذلك عن إيمان وتصديق ، بل يقولونه مشوباً بلبع وسخرية ، وافتراء واستهزاء بمحمد ، وما أنزل عليه من كتاب .

### لا يردعهم البلاء

- ٣ -

لما اشتدت معارضة قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، دعا الله أن يصيبهم بعذاب ، وأن يوقع بهم جدباً وقحطاً ، وسنين كسنى يوسف ، فأصابهم جهد وقحط ، حتى أكلوا العظام والجيف ، وحتى كان الرجل منهم يرى بين السماء والأرض كهيئة الدخان ، وكان يحدث غيره ولا يراه من بين ما يترأى له من الدخان ، فمشى إليه عليه الصلاة والسلام أبو سفيان ، ونظر معه من زعماء قريش ، وناشده الله والرحم ، أن يدعوا الله أن يكشف عنهم العذاب ، ووعده أن يؤمنوا إذا دعا الله لهم ، فكشف الضر عنهم ، فدعاهم وكشف الله عنهم العذاب ، وزال عنهم الكرب ، فلم يؤمنوا ، بل رموه بالجنون ، وقالوا ! إن غلاماً أعجمياً لبعض ثقيف ، يعلمه هذا القرآن ، فنزل قوله تعالى : «فارتقب يوم تأتي السماء...»

والمعنى ، فانتظر يوم يصيبهم الجوع والقحط ، فيضعف أبصارهم ، فيرون كأن دخاناً يملأ الجو بين السماء والأرض ، يحيط بهم ويغشيهم ، كما يغشى الثوب البدن ، ويقال لهم : هذا عذاب أليم ابتلاكم الله به ، لإسرافكم في الكفر ، وإمعانكم في الضلال فيقولون : يا ربنا ، أزل هذا الكرب ، واكشف هذا العذاب عنا ، ولئن رحمتنا ، وكشفت هذا العذاب ، لنؤمنن بك ؛ كيف لا يتذكر هؤلاء الناس وعدهم ، ويفون بعهدهم ، بأن يؤمنوا إذا كشف الله عنهم العذاب ، وقد شاهدوا من دواعي التذكر وموجبات الاعتاظ ، أكثر مما طلبوا من الرسول أن يسأل ربه من أجله ، فقد أرسل إليهم رسولا أميناً على ما أنزله الله إليهم من الهدى والحق ، بين لهم مناهج الشريعة ، وجاءهم بآيات بينات ، فأصروا على تكذيبه ، ثم أعرضوا عنه ، وانصرفوا عن دعوته ، وقالوا إن بعض الأعاجم يعلمه هذا القرآن الذي يدعى أنه من عند الله ، ألا ساء ما يقولون ، ولم يكتفوا بذلك ، بل رموه بالحنون ، وافتروا عليه الكذب ؛ ( تراجع الفقرة الخامسة من الصفحة ١٠١ من تفسير الجزء الرابع عشر ، بشأن يسار وجبر الأعجميين ) .

٤ - ردّ الله عليهم بأنه استجاب لنبيه ، فكشف عنكم العذاب زماناً قليلاً ، وهو يعلم أنهم عائدون إلى ما كانوا عليه من العتو والافتراء على نبيه ، لأن الحقد والضلال أعمى بصائرهم ، فلا ينفذ إليها إيمان أو هدى ، مهما وضحت المعجزات ، وظهرت الآيات ، ولا يتذكرون ما غشيهم من بلاء ، وما أصابهم من شقاء .

٥ - وانتظر يا محمد يوم ننصرك عليهم وأنتم قلة وهم كثرة ، فنأخذهم بعنف وقسوة ، ونفتك بهم فتكاد ذريعاً ، ونبطش بهم أقسى بطشة ، وننتقم منهم انتقاماً شديداً .

( ٢ )

من الآية ١٧ إلى الآية ٣٧ من سورة الدخان

وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ، وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ :  
أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ، وَأَلَّا تَعْلُوا  
عَلَى اللَّهِ ، إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ -١- . وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي  
وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ، وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ -٢- .  
فَدَعَا رَبَّهُ : أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ -٣- . فَاسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا ،  
إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ -٤- . وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ، إِنَّهُمْ جُنْدٌ  
مُغْرَقُونَ -٥- . كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ  
كَرِيمٍ ، وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ -٦- . كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا  
قَوْمًا آخَرِينَ ، فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ، وَمَا كَانُوا  
مُنظَرِينَ -٧- . وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ :  
مِنْ فِرْعَوْنَ ، إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ -٨- . وَلَقَدْ  
أَخْتَرْنَاَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ  
بَلَاءٌ مُبِينٌ -٩- . إِنَّ لَهُؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ : إِن هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا  
الْأُولَى ، وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ -١٠- . فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ، أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَّعُ ؟ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ ،  
إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ - ١١ - .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فتناً	ابتلينا واختبرنا .
رسول كريم	هو موسى عليه السلام ، كريم على ربه إذ اختصه بالنبوة .
أن أدوا إلى عباد الله	قائلاً لفرعون وقومه : أرسلوا وسلموا إلى عباد الله بنى إسرائيل .
وَأَلَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ	وَأَلَّا تَتَكَبَّرُوا عَلَى اللَّهِ وَتَتَعَاضَمُوا عَلَيْهِ ، بِالِاسْتِهَانَةِ بِوَجْهِهِ وَرَسُولِهِ .
بسلطان مبين	بآية بيّنة ، وحجة واضحة ظاهرة .
عذت بربي	لجأت إلى ربي ، واعتصمت بقوته وحفظه .
أن ترجمون	من أن تقتلوني رجماً كما توعدتموني .
فاعتزلون	فاتركوني وابتعدوا عني ، ولا تتعرضوا لي بشر وأذى .
قوم مجرمون	مشركون أبواً أن يؤمنوا ، وأن يطلقوا بنى إسرائيل .
فأسر بعبادى كَيْلًا	فقبل له : ارحل واهرب بنى إسرائيل في الليل .
إنكم متبعون	إن فرعون وجنوده سيتبعونكم ، ويقتفون آثاركم .
رَهْوًا	ساكناً منفرجاً .
وَمَقَامٍ كَرِيمٍ	قصور ومنازل حسنة .

الألفاظ	شرحها
ونعمة كانوا فيها فاكهين	ورغد في العيش ، وسعة في الرزق ، كانوا تاعمين فيه ، متمتعين به .
وما كادوا منظرين	لم يُمهلوا ولم يُنظروا إلى وقت آخر .
كان عالياً من المسرفين	كان متكبراً مسرفاً في العتو .
اختبرناهم على علم	اختبرنا بني إسرائيل على علم منا باستحقاقهم .
بلاء مبين	اختبار ظاهر ، لننظر ماذا يعملون .
بمنشرين	بمبعوثين .
قوم تَبَعَ	أهل اليمن ، وتبع : لقب لمن ملك اليمن ، ككسرى للفرس ، وقيصر للروم .

### مجمل المعنى

١ — ليس تكذيب قريش لك ، وغلوهم في العتو والعناد ، وخوفهم إن أطاعوك واتبعوك أن تزول عنهم الرياسة والسيادة ، أمراً عجباً ، فلقد سبقهم على مثل هذه الحال فرعون وقومه ، فقد اختبرناهم بالملك والمال ، والسلطان والقوة والكثرة . فطغوا وبغوا . وأرسلنا إليهم رسولا كريماً علينا ، اصطفيناه للرسالة ، فذهب إليهم . وطلب منهم أن يطلقوا سراح بني إسرائيل ، ويرسلوهم معه ، ويرفعوا عنهم العذاب والاستعباد . وطلب منهم أن يستجيبوا إلى ما طلب ، ويطيعوا ما أمر . لأنه رسول الله إليهم ، أمين على رسالته ، أبلغها كما تلقاها ، وقال لهم : لست ظنينا أو متهماً فيما أقوله لكم ، فعليكم ألا تتكبروا أو تعلوا في الأرض ، ولا تكونوا قساة جبارين ، تذلون بني إسرائيل ، وتسخرونهم



في الأعمال الشاقة دون شفقة أو رحمة ، وقد أتيتكم بالحجة الواضحة ،  
والبرهان الصادق ، على أنى رسول الله إليكم ، بعثني لأدعوكم إلى توحيدهِ ،  
وترك بني إسرائيل وشأنهم ، وترك العلو والكبرياء في الأرض .

٢ - فلما سمعوا مقالة موسى ، ومصارحته بترك التكبر والعتوّ . ثاروا وتوعدوه  
وتهددوه أن يقتلوه ضرباً ورجماً لجرأته عليهم ، فقال لهم : إن كنتم تهددونني  
بالقتل ، فقد اعتصمت بالله ربّي وربكم الذي يحميني من جوركم ، ويرحمني  
من شركم وبغيكم ، وهو صاحب القدرة والجبروت والسلطان على  
أمثالكم ، لقد لجأت إليه أن يحميني من الرجم الذي تهددونني به ، ولقد  
جادلتكم بالحسنى ، وجئتكم بالآيات البيّنات ، التي يستجيب لها ويقبلها  
كل عاقل ، فإن قبلتموها وآمنتم بي فيخيراً فعلتم ، وإن أصررتم على الكفر  
والعلوّ والعسف ببني إسرائيل ، فاتركوني واعتزلوني : ولا تتعرضوا لي بشر  
أو أذى ، فليس هذا جزاء من يدعوكم إلى الحق . ويجادلكم بالحسنى

٣ - بعد هذا المقال اللين ، والموعظة الحسنة ، لم يستجب إليه قوم فرعون ،  
وأصروا واستكبروا استكباراً ، وامتنعوا أن يرسلوا معه بني إسرائيل ، فدعا  
عليهم موسى أن ينتقم الله منهم ، لأنهم قوم مجرمون . عاتون متكبرون ،  
ضالون مشركون .

٤ - فأجاب الله دعاء موسى ، وأمره أن يخرج ليلاً بمن معه من بني إسرائيل ،  
حتى يستطيعوا في سكون الليل وتحت ستاره ، أن يقطعوا مسافة من طريقهم  
إلى فلسطين ، قبل أن يعلم بأمرهم فرعون وجنوده . لأنهم سيتبعونهم ،  
ويقتفون أثرهم .

٥ - سمع موسى ومن اتبعه من قومه أمر ربهم ، وخرجوا ليلاً من مصر ، وعلم  
فرعون وجنوده بأمر خروجهم ، فأسرعوا وراءهم ليردوهم إلى عبوديتهم ،

ويستمروا على اضطهادهم ، فأدركوهم على ساحل البحر الأحمر ، وضرب موسى بعصاه البحر . وكان ساكناً هادئاً بقدرة الله ، فانفلق فرقين ، وظهر اليبس ، ومضى موسى وقومه حتى عبروه ، وتركوه منفرجاً ، لتتم مشيئة الله في إغراق فرعون وقومه ، فلما تجاوزه بنو إسرائيل ، وبقي فرعون وجنوده فيه ، انطبق عليهم البحر فغرقوا .

٦ - أغرق الله فرعون وجنوده ، وأهلكهم ، ولم يغن عنهم جبروتهم وطغيانهم شيئاً ، وما أكثر ما تركوا وراءهم من الحداثق والعيون والزرورع ، والمنازل المشيدة ، والقصور العالية ، ونعيم كثير كانوا يتمتعون به ! .

٧ - مثل ذلك الفعل فعلنا بهم ، ومثل هذا النعيم سلبناهم ، وورثناه قوماً غيرهم ، فلم يكثر أحد لموتهم ، ولم يأس أحد لفقدهم ، وذهبوا فلم يبك لذهابهم لا أهل السماء ولا أهل الأرض ، فما كانوا على دين الله فيبيكيهم أهل السماء . وما كانوا خيراً للناس فيبيكيهم أهل الأرض ؛ وفي هذا الأسلوب تمثيل وتخيل . على ما جرى عليه العرب في أساليبهم ، فكانوا إذا مات منهم سيد . يقولون : بكت لفقدته السموات والأرض ؛ ولم ينظروهم الله ولم يمهلهم . ولكنه عجل باستئصالهم .

٨ - ولقد أوقعنا هذا الهلاك بفرعون وقومه لظلمهم ، ونجينا بني إسرائيل من العذاب المهين لكرامتهم ، باستخدامهم في الأعمال الشاقة واستعبادهم ، وقتل أبنائهم ، واستحياء نسائهم ، ونجيناهم من فرعون نفسه ، لأنه كان طاغية ، ومصدراً لكل بلاء ، ورأساً لكل فتنة ، وكان غالباً متكبراً ، جباراً معنأً في العلو والتكبر والطغيان .

٩ - ولقد اخترنا بني إسرائيل ، ونحن نعلم استحقاقتهم لهذا الاختيار ، وفضلناهم على جميع الخلق في زمانهم ، لأن العالم جميعه في زمانهم كان غارقاً في الوثنية ، أما بنو إسرائيل فقد عرفوا الله ، وهداهم موسى إلى عبادته ، فكانوا خير

الناس في زمان موسى عليه السلام ، وآتيناهم من الآيات البيّنات : كفلق البحر ، وتظليل الغمام ، وإنزال المن والسلوى ، وغير ذلك ، ما فيه نعمة جليلة ، واختبار ظاهر ، لننظر ماذا يعملون .

١٠- كان فرعون وقومه غارقين في الضلال والبهتان فالتقمهم البحر ، وذهبوا لم يبكهم أحد ؛ وهؤلاء قريش يسلكون مسلكهم ، ويسرون سيرتهم ، ويقولون : ليس بعد الموت حياة ، وليس لنا بعث ولا نشور ، وما أمرنا إلا أن نحيا في الدنيا ونموت ، وينقضى أمرنا ، وما نحن بمبعوثين بعد الموت ، كما يقول لنا محمد ومن اتبعه ، فإن كنتم صادقين فابعثوا آباءنا لنشاورهم فيما تدعون .

١١- لقد قال قوم منهم ، ومن أبناء جنسهم ، ما قالت قريش ، وكانوا أقوى منهم وأشد بأساً ، وهم أهل اليمن : قوم تُبَع الحميري ، الذي جيش الجيوش ، وسار مظفراً منتصراً ، واسمه أسعد ، وكنيته أبو كَرَب ، غزا بلاد الصين ، وهابته الملوك ، كما في تاريخ الطبري ، ويقال للملوك اليمن : التبابعة ، إذا ملكوا الشحر وحضر موت كما قال مثله الذين سبقوهم كعاد وثمود ، فأهلكناهم لأنهم كانوا مجرمين ، ولم تمنعهم قوتهم ، ولم يغن عنهم عتوهم شيئاً ، فلتعلم ذلك قريش ، ولتكن على يقين من أن الذي حل بغيرهم ، سيحل بهم .

( ٣ )

من الآية ٣٨ من سورة الدخان ، إلى آخر السورة

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ، مَا خَلَقْنَاهُمَا  
إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ -١- . إِنَّ يَوْمَ  
الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ، يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا ،  
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ ، إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ  
الرَّحِيمُ -٢- . إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ ، كَالْمُهْلِ يَغْلِي  
فِي الْبُطُونِ كَغَلِي الْحَمِيمِ ؛ خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ،  
ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ، ذُقْ ، إِنَّكَ أَنْتَ  
الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ، إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ -٣- . إِنَّ  
الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامِ آمِينَ : فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، يَلْبَسُونَ مِنْ  
سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ، كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ،  
يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ، لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ  
إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ، وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ، فَضلاً مِنْ رَبِّكَ ،  
ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ -٤- . فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ، لَعَلَّهُمْ  
يَتَذَكَّرُونَ -٥- . فَأَرْتَقِبْ ، إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ -٦- .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
إن يوم القيامة الذى يفصل فيه بين الحق والباطل ميعاد حسابهم .	إن يوم الفصل ميقاتهم
يوم لا يدفع قريب عن قريبه ، ولا صديق عن صديقه شيئاً .	يوم لا يُغنى مولى عن مولى شيئاً
شجرة تنبت فى جهنم .	شجرة الزقوم
الكافر كثير الآثام ،	الأثيم
كالنحاس المذاب ، أو دُرْدَى الزيت .	كالمهل
الماء الحار .	الحميم
فجروه يا زبانية جهنم بعنف إلى وسط جهنم .	فاعتلوه إلى سواء الحميم
تشكُّون فيه وتمارون وتخاصمون .	تمرون
السندس : ما رق من الحرير ، والإستبرق :	سندس وإستبرق
ما غلظ منه .	كذلك
الأمْر كذلك .	
بنساء حور عين ، والحور : البيض من النساء ،	بحور عين
والعين : واسعات العين ، جمع عيناء .	يدعون فيها
يأمرون ويطلبون ما يشتهونه .	الموتة الأولى
الموتة التى انتهت بها حياتهم فى الدنيا .	ووقاهم عذاب الحميم
حفظهم من عذاب النار .	يسرناه بلسانك
أنزلنا القرآن بلغتك .	لعلهم يتذكرون
ليفهمه قومك ويتذكروه .	فارتقب
فانتظر ما يحل بهم .	

## مجلد المعنى

١ - لم نخلق هذا الكون من سمواته وأرضه ، وفضائه وهوائه ، عبثاً ، ولم ننشئ هذا الملكوت لهواً ، دون أن يكون لنا غرض صحيح من إنشائه ، وغاية حميدة نريدها من خلقه ، ولكننا خلقناه لإقامة الحق وإظهاره ، من توحيد الله والتزام طاعته ، والإيمان بالبعث والجزاء ، ولكن أكثر أهل مكة لا يعلمون أن الأمر كذلك ، فيشركون بالله ، وينكرون ، يوم البعث والجزاء .

٢ - إن يوم القيامة الذى يفصل فيه المولى بين خلقه ، فيتميز الحق من الباطل ، والمؤمن من الكافر ، هو موعد الناس للحساب ، فيه يوفى كلُّ جزاءه ، ويقضى عليه بما قدم فى دنياه . ففريق فى الجنة ، وفريق فى السعير ، فليفعل الناس جميعاً ما يريدون . فسنحاسبهم فى هذا اليوم على ما يفعلون ، « لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة » ، يوم لا يغنى قريب عن قريبه شيئاً . ولا ينفع صديق صديقه . ولا يستطيع المؤمن أن ينصر كافراً ، ولا يقدر المطيع أن يمنع الكافر من عذاب الله ، ولا ينفع ولى ولا شفيع ، الأمر كله لله وبيده . كلُّ بما كسب رهين ، إلا من رحمهم الله وأراد أن يعفو عنهم ، ويقبل الشفاعة فيهم ، فهو صاحب الأمر فى عباده ، لا يمنعه مانع ، ولا ينازعه منازع ، لأنه العزيز الغالب على كل شىء . الرحيم لمن أراد أن يرحمه .

٣ - لقد أعد العذاب الأليم فى جهنم للمشركين ، فلا يأكلون ولا يشربون إلا النار . وقد أنبت الله لهم فى قرار جهنم شجرة الزقوم ، ليأكلوا منها ، لأنها طعام كل أئيم فاجر مشرك ، وثمرها قطع من النار الملتببة ، تقع فى بطونهم كدوب النحاس ، أو دردى الزيت ، فتغلى فيها غلياناً كالماء الحار الذى اشتد غليانه ، وهى الشجرة الملعونة التى ذكرنا شيئاً عنها فى الفقرة الثامنة من الصفحة ٤٣ من تفسير الجزء الثامن عشر ، والفقرة الأولى من الصفحة ٥٦ من تفسير الجزء الثالث والعشرين ؛ ثم يقال لزبانية جهنم :

حلوا هذا الأليم الفاجر ، فجزوه بعنف وقسوة ، وتركوه في وسط نار جهنم ، يلاقى فيها العذاب الأليم ، وبعد أن يأكل هذا الطعام الكريه من شجرة الزقوم ، وتلقوه في وسط الجحيم ، عليكم أن تتموا ضيافته ، فهاتوا الماء في أشد درجات غليانه ، وصبوه فوق رأسه ، وقولوا له إهانة وتوبيخاً واستهزاء : ذق جزاء ما فعلت ، لأنك أنت العزيز الذي لا تصل يد الله إلى البطش بك ، الكريم عليه فلا يحاسبك ولا يعاقبك ؛ روى أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بين جبلى مكة أعز ولا أكرم منى ، فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلوا بي شيئاً ، فأخذه الله في الدنيا أخذ عزيز مقتدر ، وسياتي في الآخرة عذاباً أشد وأنكى ، وفي هذا العذاب يقال للمشركين للتوبيخ والتقريع : إن هذا العذاب هو الذي كنتم تشكون فيه ، وتمارون وتجادلون ، لقد رأيتموه بعيونكم ، واكتوت به جسومكم ، وتقطعتم به أمعاؤكم .

٤ - هذا شأن المشركين يوم القيامة ، أما المتقون فقد أعد الله لهم دار النعيم ، يتمتعون فيها بحياة طيبة دائمة ، ويعيشون في منزل كريم يليق بهم ، بين جنات وعيون ، فياً كلون من فاكهتها ، ويشربون من عذب عيونها ، ويستظلون بظلالها ، وهم في أحسن هيئة ، عليهم من ثياب الحرير ، ما رق آمنه وما غلظ ، يجلسون على الأرائك متواجهين ، ليستأنس بعضهم ببعض ، ولهم ما يشاءون وما يشتهون ، ونساؤهم فيها من الحور ، بضات البشرة ، بيض الوجوه في حسن وجمال ، ذوات عيون واسعات في حلالة وخضر ، يطلبون فيها كل فاكهة من أى نوع ولون ، وفي كل وقت ، فيجدونها كما طلبوا : لا مقطوعة ولا ممنوعة ، آمنين من نفاذها وتلفها ؛ وحياتهم هذه لا تذهب بالموت ، ولا تنقطع بالفناء ، لأنهم خالدون في الجنة . لا يدوقون فيها موتاً بعد الموتة الأولى التي بعثوا منها ، وقد حفظهم الله من عذاب الجحيم .

ونار السعير ، تفضلاً من الله عليهم . ورحمة من ربك بهم ، وليس بعد ما أتى الله أهل الجنة فوز أعظم مما آتاهم : من نعيم مقيم ، ووقاية من عذاب الجحيم .

٥ - فهذا القرآن الذي أقسمنا به في أول السورة ، إنما أنزلناه بلسانك عربياً ميبناً ، تيسيراً لقومك ، ليفهموه ويتدبروه ، ويتعمقوا في فهمه ، ليتذكروه ويتعظوا به ، ويتزجروا .

٦ - فانتظر ما وعدتك من النصر عليهم . وما يحل بهم من الدوائر ، إنهم منتظرون أن يخذلوك ويتغلبوا عليك ، وتحل بك الدوائر ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .



## سُورَةُ الْجَائِيَةِ

نزلت بمكة ، ما عدا الآية ١٤ فإنها نزلت بالمدينة ، وآياتها ٣٧ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( ١ )

من الآية الأولى إلى الآية ١١

حَمْ ، تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ - ١ - .  
إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ - ٢ - . وَفِي  
خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ، آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ - ٣ - .  
وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ ،  
فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ ، آيَاتٍ لِقَوْمٍ  
يَعْقِلُونَ - ٤ - . تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ، فَبِأَيِّ  
حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ؟ وَيَلِدُ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ،  
يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ  
يَسْمَعْهَا ، فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا  
هُزُوًا ، أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ - ٦ - . مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ،

وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا ، وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ  
 أَوْلِيَاءَ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ -٧- . هَذَا هُدًى ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا  
 بآيَاتِ رَبِّهِمْ ، لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ -٨- .

### شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
حم تنزيل الكتاب من الله آيات للمؤمنين	تراجع الصفحة ١٣ من تفسير الجزء الأول . القرآن كتاب منزل من عند الله . لدلالات على قدرة الله ووحدانيته ، لعباده الذين آمَنُوا بِهِ .
وما يبث من دابة	وفى خلق ما يدب ويتحرك على الأرض من كل ذئب روح .
آيات لقوم يوقنون	دلائل وبراهين ناطقة ، لقوم يؤمنون ويعتقدون بوحداية الإله ، وبالبعث .
من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها	من مطر يكون سبباً للرزق . فأخصب الأرض بعد أن كانت مجدبة .
وتصريف الرياح نتلوها عليك بالحق	وسوق الرياح من حارة ، وأخرى باردة ، وتارة رُخَاءَ ، وأخرى عاصفة . نقصها عليك متضمنة الحق والهدى .

الألفاظ	شرحها
ويل لكل أفاك أثيم	العذاب لكل كذاب كثير الإثم .
يصر مستكبراً	يتمسك بالكفر ، وهو متكبر عن الإيمان والرجوع إلى الحق .
اتخذها هزواً	استهزأ بها .
عذاب مهين	عذاب فيه مع الألم الشديد إهانة وتحقير .
من ورائهم جهنم	أمامهم عذاب جهنم .
ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئاً	ولا ينفعهم شيئاً ما جمعوا من المال .
أولياء	آلهة ونصراء .
هذا هدى	القرآن هدى للناس من الضلالة .
من رجز	الرجز : أشد العذاب .

### بجمل المعنى

١ - هذا القرآن المكون من الحاء والميم ، ونظائرها من حروف الهجاء ، كتاب منزل من عند الله القوى ، الغالب على أمره ، الذى تصدر كل أفعاله عن حكمة ومصالحة ، تدل على أنه الواحد القادر ، العزيز الغالب .

٣ - إن فى خلق السموات والأرض ، وما انطوت عليه من فنون القوة والحكمة ، والقدرة والدقة ، آيات هادية لمن شرح الله صدورهم للإسلام ، وهداهم إلى الإيمان .

٣ - وإن فى خلقكم وأطوار نشأتكم ، من عجائب قدرة الله . حيث خلقكم

من نطفة . ثم من عاققة ، ثم من مضغة ، إلى أن تم خلقكم في أحسن تقويم . وأعجب تركيب ، وإن في خلق كل ذى روح مما ينتشر ويتحرك على الأرض . فيعيش في الأحراش والغابات ، وفي البحار والمحيطات والهواء ، وفي المناطق الباردة والحارة . وفي الصحارى والجبال ، وكلٌّ مزود باستعدادات وغرائز تعينه على أن يحفظ حياته ، ويذود عن نفسه ، وكلٌّ يؤدي على هذه الأرض غرضاً وإن لم يعرفه — إن في هذا كله للدلائل واضحة ، وآيات بينة ظاهرة . يقطع بأن هذا الملكوت العظيم ، خالقه إله واحد ، متفرد بالقدرة والألوهية ، يعرف هذا كل من يطلب الحق واليقين ، ويؤمن بالحقائق في غير استكبار ولا عناد ، أما من كان في قلبه عمى ، وعلى بصره غشاوة . فيسمر على هذه الآيات دون أن يوقن بها .

٤ — وإن في تعاقب الليل والنهار ، وفي اختلافهما طولاً وقصراً بنظام ثابت لا يتغير . ليل وظلام ونجوم ، واستقرار وسكون ، ونهار ونور وشمس . وحركة وسعى . وإن فيما يتكون في السماء من سحب يسقط مطراً ، يُروى الأرض فتحصب وتُنبت ، وتقوم فيها أسباب الحياة بعد أن كانت عارية مجدبة . لا أثر فيها للحياة ؛ وإن في توجيه الرياح وسوقها ، وتصريفها شمالاً وجنوباً . حارة وباردة . لينة وقاصفة ، رُخاء وعاصفة ، تزجى السحاب . وتسوق السفن ، وتنعش النفس ، وتلقح النبات ، وتمضى على بساطها الطائرات والطيور — إن في ذلك كله لبراهين قاطعة . وأدلة ثابتة ، للذين يفكرون . ويستعمدون عقولهم قبل أن يبرموا أمراً ، أو يصدروا حكماً ؛ وقد ختم الله هذه الآيات بثلاث كلمات : « للمؤمنين » . و « يوقنون » و « يعقلون » . كأنه يقول : إن كنتم من المؤمنين فافهموا هذه الدلائل ،

وإن كنتم لستم من المؤمنين ، بل من طلاب الحق واليقين . فافهموا هذه الدلائل ، وإن كنتم لستم من المؤمنين ولا من الموقنين . فلا أقل من أن تكونوا من زمرة العاقلين ، فاجتهدوا في معرفة هذه الدلائل .

٥ - هذه آيات الله الدالة على وحدانيته وقدرته ، نقصها عليك ، متضمنة للحق الذي تؤيده المشاهد المحسوسة . وبقره التفكير السليم . فبأى حديث يتلى عليهم يؤمنون به ويصدقونه ، بعد حديث الله في كتابه . الذي أنزله الله على نبيه باسان قومه ، وبعد حديث آياته المشاهدة . ودلائل خلقه الناطقة بوحدانيته وقدرته ؟ إنهم لا يؤمنون بهذا أو بذلك . لأن كتاب الله وآياته إنما تنفع المؤمنين الموقنين ، الذين يعقلون ما يقال لهم . ويفكرون فيما حوّلهم .

٦ - العذاب والويل لكل مبالغ في الكذب والافتراء على الله . كثير الآثام والمعاصي ، يضل الناس عن الحق ، ويصرفهم عن الإيمان . يسمع كلام الله يُتلى عليه . فلا يفتح له قلبه . ولا يوجه لفهمه عقله . ولا يأتى إليه سمعه . ويبقى على الكفر ، ويستمر في الضلال تكبراً منه عن أن يدعى إلى الحق ، ويسلك سبيل الإيمان . ويتغابى ويتصامم مبالغة في الاستكبار والعناد ، كأنه لم يسمع شيئاً من آيات الله تتلى عليه . فأندر هذا وأمثاله بعذاب شديد الألم . جزاء عنادهم وكفرهم ، وإذا نفذ إلى سمعه ، ووصل إلى علمه بعض آياتنا ، أخذ يسخر منها ويستهزئ بها ؛ أما هذا وأمثاله ، فلهم عذاب مقرون بالذلة والمهانة . والاحتقار والصغار . جزاء كفره واستكباره ، وإصراره على الضلال . وإعراضه عن السمع مع الاستهزاء والاحتقار ؛ نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث ، الذي كان يشتري أحاديث العجم . ويشغل بها الناس عن الاستماع إلى القرآن ؛ والتهديد والوعيد في الآية عامٌ لكل من يضل الناس عن الدين ، ويصرفهم عن الطاعة .

٧ - هؤلاء قضى الله بعذابهم ، وجعل لهم يوم القيامة جهنم يدخلونها ، لا فرار منها ولا مهرب ، ولن ينفعهم شيئاً ، أو ينجيهم من عذاب الله ، ما جمعوا من أموال في الدنيا ، واستطالوا واستكبروا بها ، ولن يمنعمهم من نار جهنم تلك الأصنام التي عبدوها ، واتخذوها لهم أولياء وأنصاراً ، وجعلوها شفعاء لهم يوم القيامة - إنها لن تمنع عنهم من عذاب الله شيئاً ، بل سيكون لهم بسببها عذاب عظيم ، وعقاب شديد .

٨ - هذا القرآن أنزله الله هدى للناس ، والذين كفروا به لهم عذاب هو أشد العذاب وآلمه .

( ٢ )

من الآية ١٢ إلى الآية ٢٠ من سورة الحاثية

اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ ،  
وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ -١- . وَسَخَّرَ  
لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَكِرُونَ -٢- . قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا  
لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ، لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا  
يَكْسِبُونَ -٣- . مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلِمَ أَنْ  
مُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ -٤- . وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ  
الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ، وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ،  
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ، وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ ، فَمَا اخْتَلَفُوا  
إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا يَنْهَاهُمْ ، إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي  
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ -٥- . ثُمَّ جَعَلْنَاكَ  
عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ  
لَا يَعْلَمُونَ ، إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَإِنَّ الظَّالِمِينَ

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ -٦- . هَذَا بَصَائِرُ  
لِلنَّاسِ ، وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ -٧-

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
سخر لكم البحر	ذلل لكم . وجعله مقادراً لمنفعتكم ، تسبحون فيه وتغوصون ، ومنه تأكلون ، وعليه تنتقلون .
الفلك	السفن . الواحد والجمع بلفظ واحد .
ولتبتغوا من فضله	ولتطلبوا الأرزاق من فضله وتوفيقه ، بالتجارة والصيد والغوص .
منه	إنعام وفضل من الله .
قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون	قل للمؤمنين اغفروا: بأن يغفروا ، ويعفوا ، ويصفحوا . للذين لا يخافون عقاب الله ونقمته . ليجزي المؤمنين حسن الثواب ، بما عملوا في الدنيا من أعمال صالحة .
الكتاب والحكم	التوراة والملك .
وفضلناهم على العالمين	وأثرناهم على عالم زمانهم بخلق البحر ، والمن والسلوى ، وغيرها .
بيّنات من الأمر	آيات ظاهرة ، ومعجزات باهرة ، وأدلة واضحة في أمر الدين .
بغياً بينهم	لأجل البغى والحسد والعداوة ، والظلم الواقع بينهم .



الألفاظ	شرحها
جعلناك على شريعة من الأمر	أقمناك على طريقة وسنة من أمر الدين .
أهواء الذين لا يعلمون	آراء الجهالة ، واعتقاداتهم الباطلة .
وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض	لا يوالى الظالم ولا ينصره إلا من كان ظالماً مثله .
هذا	القرآن .
بصائر	إرشادات وهدايات .

### مجمل المعنى

١ - ومن نعم الله على عباده ، وآثار فضله ، ودلائل ألوهيته ووحدانيته وقدرته ، أنه خلق البحار الواسعة العميقة ، وطوعها لخدمة الإنسان ، وذلكها لخدمته ، وجعلها متقادة لمنافعه ، صالحة للملاحة ، فتخوض السفن عبابها ، وتجري فيها كما يريد الناس ، حاملة لهم ولسلعمهم وجيوشهم ، ليطلبوا الكسب بالتجارة ، أو الغوص على اللآلى والمرجان ، أو صيد السمك والإسفنج وغيره ، وذلك كله من فضل الله على الناس ليشكروه على نعمه ، وليحمدوه على ما أوتوا من خير .

٢ - وهو الذى جعل السموات وما فيها من هواء وكواكب ، تؤدى للإنسان خدمات ومنافع لا حصر لها ، فالهواء يمدد بالحياة ، ولو انقطع عنه لحظة لمات ، وهو مسبح الطير والپائرات ؛ والشمس تمدد بالحرارة والضوء ، والقمر يضيء له ليلاً ، والكواكب تزين السماء ، ويهتدى بها فى الظلمات ،

وتؤنس الخلق من وحشة الليل ؛ وسخر لكم الأرض التي نشأتم فيها ، وأقمتم وسائل العمران بها ، وإيتيتهم فيها المصانع والدور ؛ سخر لكم كل هذا من فضله ومنته عليكم ، فهل فكركم في كل ذلك ، لتدركوا فضل الله عليكم ، ولتؤدوا له حق العبادة والطاعة ؛ إن في كل ما خلق الله لبراهين قاطعة ، وآيات ظاهرة ، لمن يتفكرون ويتدبرون فيما حولهم ، وما تقع عليه أبصارهم ؛ آيات تدل على قدرة الله ، ، وبديع صنعه ، وعظيم قدرته .

### صفح كريم

— ٣ —

خرج المسلمون وفيهم النبي وأبو بكر وعمر ، وبينهم عبد الله بن أبي راس المنافقين ، في غزوة بني المصطلق ، ونزلوا على بئر يقال لها المرسيب ، فأرسل ابن أبي غلامه ليستقي ، فأبطأ عليه ، ولما رجع قال له : ما حبسك؟ قال : غلامُ عمر بن الخطاب ، قعد على فم البئر ، فما ترك أحداً يستقي حتى ملأ قَرَب النبي صلى الله عليه وسلم ، وقرب أبي بكر ، وملأ لمولاه ، فقال عبد الله بن أبي : ما مثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل : سمن كلبك يأكلك ، فبلغ عمر رضى الله عنه قوله ، فاشتتمل على سيفه ، يريد التوجه إليه ليقتله ، فأنزل الله تعالى : « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله . . . » ؛ والمعنى : قل يا محمد للذين آمنوا : اغفروا للذين لا يخشون لقاء الله ، ولا يخافون بأسه ونقمته وعذابه ، ليغفروا لهم ، ويصفحوا ويتجاوزوا عن سيئاتهم ، ولا يؤاخذوهم بما قالوا أو فعلوا ، لأن الله تعالى سيجزى المؤمنين بما عملوا من الصالحات ، ويجزى الكافرين بما اجترحوا من السيئات ، وفي هذا التنزيل هداية إلى أنه ينبغي الصبر والإغضاء ، وكظم الغيظ ، واحتمال المكروه

ممن تصادقهم من الناس ، ويعييون بغير حق ، ويجترئون على الاتهام  
الباطل ، كما كان شأن عبد الله بن أبي المنافق ، وأن تعالج أمراضهم  
النفسية ، وقلوبهم المليئة بالحسد والبغضاء ، بالعفو والصفح ، وترك أمرهم  
إلى الله ، يحاسبهم على ما كانوا يفعلون .

٤ - كلُّ محاسب على عمله ، إن عمل خيراً فجزاؤه خير ، وإن عمل شراً فجزاؤه  
شر ، وكل نفس لها ثوابها ، وعليها عقابها ، فليعمل كلُّ ما شاء ، فسيأتي  
جزاء عمله يوم القيامة ، حين ترد الخلائق إلى الله ، ويرجعون إليه ، ويقفون  
بين يديه ، فيجد كلُّ صحيفته ، وقد دونت فيها أعماله ، فيحاسب على  
ما فعل في دنياه ، بالعدل والقسطاس المستقيم ، لا يظلم ربك أحداً .

٥ - ولقد أرسلنا موسى إلى بني إسرائيل ، وأنزلنا إليهم التوراة ، وجعلنا فيهم  
القضاء والفصل في الخصومات ، والحكم بين الناس والمملك ، وجعلنا منهم  
أنبياء كثيرين ، وأنزلنا عليهم المن والسلوى ، وأعطيناهم طيبات الرزق في  
أرض الشام ، والحلال من الأقوات والثمار والأطعمة ، وفضلناهم على  
سائر الناس الذين كانوا يعيشون معهم في زمانهم ، فأنجيناهم من الغرق .  
وأورثناهم الأرض بعد فرعون ، وآتيناهم دلائل ظاهرة ، ومعجزات باهرة ؛  
فعلنا لهم كل ذلك ، وعلموا بما فعلناه لهم ، وأنزلناه عليهم ، لكن وقع  
بينهم البغى والحسد ، والتنافس على الرياسة ، فاختلفوا في أمر دينهم ،  
وبغى بعضهم على بعض ، وقتلوا أنبياءهم ، وسيحكم الله بينهم يوم القيامة  
فيما كانوا يختلفون فيه في الدنيا .

٦ - ثم بعثناك رسولا للعالمين ، وجعلنا لك منهاجاً واضحاً ، وطريقاً مستقيماً من  
الدين ، يتجه بك إلى الحق ، ويسلك بك سبيل السعادة والخير لك ولن  
اتبعك ؛ ففسر على هذه الشريعة ، واتبع أحكامها ، وامض على منهاجها ،

ولا تستمع لآراء الجهالة الذين يتابعون أهواءهم ، ويعتقدون الاعتقادات الباطلة التي تلائم شهواتهم ، فيطلبون منك أن ترجع إلى دينهم ، وتسير في طريق ضلالهم ، لأنك إن اتبعهم فلن ينفعوك بشيء ، ولن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئاً ، ولقد اصطفاك الله واختارك لهداية خلقه ، فلا تتبع هؤلاء الظالمين لأنفسهم بالكفر ، لأن الظالم لا يعينه ولا يتبعه إلا ظالم مثله ، ولا يواليه ولا ينصره إلا من كان على شاكلته ، أما المؤمنون الممتقون فإن الله وليهم وناصرهم ، ومعينهم على أعدائهم .

٧ - هذا القرآن بينات من الهدى ، تبصر الناس بالإيمان وحسن العاقبة ، والساووك المحمود ، وهو براهين ودلائل . ومعالم ترسم لهم الحدود والأحكام ، ورشد وهدى يؤدي بهم إلى الجنة ، ورحمة من عذاب الله لمن يتبعونه عن علم واعتقاد ويقين .

( ۳ )

من الآیة ۲۱ إلى الآیة ۲۶ من سورة الجاثیة

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ  
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، سَوَاءٌ نَحْيَاهُمْ وَمَنَاهُمْ ؟ سَاءَ  
مَا يَحْكُمُونَ !-۱- . وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ،  
وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ -۲- .  
أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ، وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ، وَخَتَمَ عَلَىٰ  
سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ، وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً ؟ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ  
اللَّهِ ؟ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ؟-۳- . وَقَالُوا : مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ،  
نَمُوتُ وَنَحْيَا ، وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ، وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ  
عِلْمٍ ، إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ -۴- . وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ،  
مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا : أَتَشَاءُ يَا بَابِئِنَّا إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ -۵- . قُلِ : اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ، ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ  
إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ  
لَا يَعْلَمُونَ -۶-

## شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
اجترحو السيئات	ارتكبوا الكفر والمعاصي .
أن نجعلهم كالذين آمنوا	أن نصيرهم مثل المؤمنين .
سواء تحميهم وحماتهم	{ ونسوى بينهم في الحياة والموت ، وفي الدنيا والآخرة ، وفي البهجة والكرامة .
سواء ما يحكمون	{ بثس الحكم حكمهم ، والقضاء قضاؤهم . إذا ظنوا أنهم كالمؤمنين !
وهم لا يظلمون	لا يلحقهم ظلم بنقص الحسنات ، أو بزيادة السيئات .
اتخذ إلهه هواه	ترك اتباع الهدى إلى اتباع هوى نفسه .
وأضله الله على علم	خذله الله ، وهو يعلم أنه ضال منحرف عن الحق .
وختم على سمعه وقابه	لا يسمع موعظة ، ولا يدخل قلبه إيمان .
ويجعل على بصره غشاوة	لا ينظر ولا يعتبر بما يراه حوله ، من آثار قدرة الله .
أفلا تدكرون	أفلا تتعظون ، وتعرفون أن الله قادر على كل شيء ؟
وما يهلكنا إلا الدهر	وما نموت إلا بمرور الزمان علينا .
وما لهم بذلك من علم	وما لهم بقولهم هذا مستند إلى عقل أو نقل .
إن هم إلا يظنون	{ لا يقولون ذلك عن علم ويقين ، لكنهم يقولونه عن ظن وتخمين .
بينات	واضحات الدلالة على ما يخالف معتقداتهم .
ما كان حجتهم	ما كان في زعمهم حجة .

الألفاظ	شرحها
اتوا بآبائنا ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه	أعيدوا لآبائنا الحياة ، وابعثوهم من قبورهم . ثم يبعثكم يوم القيامة جميعاً أحياء بعد الموت . لا شك فيه .

### عجمل المعنى

١ - إن الظالمين بعضهم أولياء بعض ، والله ولي المتقين . فلا يظن الذين ارتكبوا المعاصي واجترحو السيئات ، أن نصيرهم على سواء ، مع المؤمنين الذين عملوا الصالحات في الحياة والموت ؛ كلا ! لا يستون في شيء منهما ، فإن المؤمنين في عز الإيمان وشرف الطاعة في الحياة ، وفي رحمة الله ورضوانه في الممات ، وإن الذين اجترحو السيئات في ذل الكفر ، وهوان المعاصي في الحياة ، وفي لعنة الله والعذاب الخالد في الممات ، بشس الحكم حكمهم إذا ظنوا أنهم كالمؤمنين ! بل شتان ما بينهما ! سنعز المؤمنين ونذل الكافرين .

٢ - وخلق الله السموات والأرض بالحق ، والحق يقتضي العدل ، والعدل يستوجب التفريق بين المحسن والمسيء ، والمطيع والمعاصي ، والمؤمن والكافر ، كما يستوجب أن تجزى كل نفس بما كسبت ، وأن تحاسب على ما عملت ، وأن توفى كل النفوس بحسابها بالعدل والقسطاس ، لا يظلمون مثقال ذرة ، فلا تنقص حسناتهم ، ولا تزد سيئاتهم .

٣ - لقد وهب الله للإنسان عقلا ليفكر به ، ويهديه الطريق المستقيم ، وخلق له سمعاً لينفذ منه الكلام إلى قلبه فيتذكر ويتعظ ، وخلق له بصراً لينظر

ما خلق الله فيشاهد ويعتبر ، أفنظرت فرأيت ذلك الذى عطل قُوَى تفكيره ، وأفضل منافذ العلم والتذكر والاعتبار من نفسه ، واستسلم لهواه ، واتخذته معبوداً له من دون الله ، ينقاد إليه فى أعماله ، ويحكم بما يزين له ، فأوقعه الله فى مهاوى الضلال والخذلان ، فضل وهو يعلم أنه يسلك سبيل الضلال ، وليس أشقى ممن يتردى فى الشقاء وهو عالم به ، وطبع الله على سمعه فلا يسمع موعظة ، وطبع على قلبه فلا يفقه حديثاً ، وغطى بصره فسار فى حياته كالأعمى ، فمن يهدى هذا الذى لم ينتفع بكل وسائل العلم والهدى ، من بعد أن خذله الله وأضله ؟ أفلا تتعظون وتتذكرون ، وتعرفون أن الهدى هدى الله ، ومن يضلل الله فلا هادى له ؟ وإذا أراد الله أن يشقى إنساناً يجعله عبد هواه ، واستهدف الضلال على علم به ، ولم يسمع موعظة . ولم يتدبر أمراً ، وكم رأينا فى هذا الزمان كثيراً من هؤلاء الناس .

٤ - لقد سيطر الهوى على المشركين ، حتى جعلهم كالأنعام بل هم أضل ، فتركوا النظر والمشاهدة ، والسمع والتفكير ، وعطلوا عقولهم وقلوبهم فلا تفقه شيئاً ، وأنكروا البعث والحساب ، وأنكروا وجود الإله الذى يخلق ويحيى ويميت . وقالوا : ليس وراء حياتنا التى نحياها فى الدنيا حياة أخرى ، لكننا نحيا فى الدنيا ثم نموت ، وينتهى أمرنا عند ذلك ، وليس هناك إله يميّتنا . وملك يقبض أرواحنا ، وساعة تقوم ، وحساب وعذاب ، لكن الزمان هو الذى يهلكنا ، والدهر هو الذى يُنهى حياتنا . ويسلمنا إلى الموت والفناء ؛ لا يقولون ذلك عن علم ويقين ، ونظر وتفكير ، لكنهم يقولونه عن ظن وتخمين ، وليس لهم عليه حجة أو دليل .

٥ - وإذا قرئ عليهم القرآن ، وتليت عليهم الآيات الناطقة بالحق الذى من جماته البعث . وكانت الآيات بينة ظاهرة ، لا شك ولا خفاء فيها ، لم يؤمنوا



ولم يصدقوا ، وبقوا على عنادهم وإنكارهم ، ولم يكن لهم في زعمهم حجة إلا أن يقولوا : أحيوا لنا آباءنا من الموت ، وابعثوهم من القبور ، إن كنتم صادقين فيما تقولون لنا من أن هناك بعثاً من القبور ، وحساباً وعذاباً إلى يوم الدين .

٦ — قل لهم : إن الله هو الذى يخلقكم نطفاً فى بطون أمهاتكم ؛ ويبعث فيكم الحياة ، ثم يميتكم بعد انقضاء آجالكم التى قدرها لكم ؛ وإذا كان قد أنشأكم أول مرة ولم تكونوا شيئاً مذكوراً ، فهو قادر على أن يعيدكم ، والإعادة أيسر من البدء ، فهو يجمعكم بعد الموت يوم القيامة ، ولكن أكثر قريش لا يعلمون قدرة الله على البعث ، لإعراضهم عن النظر والتفكير .

( ٤ )

من الآية ٢٧ من سورة الحاثية ، إلى آخر السورة

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئِدِ  
يُخَسِرُ الْمُبِطِلُونَ -١- . وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً ، كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى  
إِلَى كِتَابِهَا ، الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ -٢- . هَذَا  
كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ، إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ  
تَعْمَلُونَ -٣- . فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيَدْخُلُهُمْ  
رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ -٤- . وَأَمَّا الَّذِينَ  
كَفَرُوا ، أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتلى عَلَيْكُمْ ، فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ  
قَوْمًا مُجْرِمِينَ ؟ -٥- . وَإِذَا قِيلَ : إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ  
لَأَرِيبٌ فِيهَا ، قُلْتُمْ : مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ ؟ إِنْ نُنْظَنُ إِلَّا ظَنًّا ،  
وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ -٦- . وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ، وَحَاقَ  
بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ -٧- . وَقِيلَ : الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا  
نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ، وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ ، وَمَا لَكُمْ مِنْ  
نَاصِرِينَ ، ذَلِكَُ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا ، وَغَرَّكُمْ  
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا ، وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ -٨- .  
قَلِّبِ الْحَمْدُ : رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ ، رَبِّ الْعَالَمِينَ ،  
وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ -٩- .

## شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
يظهرُ خسرانُ المبطلين .	يخسر المبطلون
كل أهل ملة جالسة على الركب وأطراف الأصابع ،	كل أمة جاثية
خوفاً من هول ذلك اليوم .	تُدعى إلى كتابها
تطلب إلى الاطلاع على صحيفة أعمالها في الدنيا .	هذا كتابنا
هذا كتابنا عليكم ، الذي أمرنا ملائكتنا أن تدون فيه أعمالكم .	ينطق عليكم بالحق
يشهد عليكم بما عملتم في الدنيا بالحق .	فستنسخ ما كنتم تعملون
نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون في الدنيا .	الفوز المبين
النجاح الظاهر .	إن وعد الله حق
إن وعد الله بالبعث حق .	والساعة لا ريب فيها
وقيام الساعة لا شك فيه .	بمستيقنين
بعاقلين على يقين .	وحاق بهم
ونزل بهم وأحاط .	لقاء يومكم هذا
لقاء الله في يومكم هذا .	ومأواكم النار
مسكنكم ومستقركم النار .	اتخذتم آيات الله هزواً
استهزأتم بالقرآن .	يستعجبون
يُسْتَرْضَوْنَ .	وله الكبرياء
وله العظمة والجلال ، والقدرة والسلطان والكمال .	

## محمل المعنى

- ١ - الله سبحانه وتعالى هو المنتصرف في الخلق بالإحياء والإماتة، وبعثهم وجمعهم للحساب يوم القيامة ، وهو خالق السموات والأرض ، ومالكها ، ومدبر أمرها . ويوم تقوم الساعة ، ويبعث الناس من قبورهم ، ويرى المشركون حقيقة ما كانوا به يكذبون ، في هذا اليوم ، يظهر لهم خسراتهم وسوء عاقبتهم .
- ٢ - وفي هذا اليوم يُجمع أهل كل دين وملة ، فيجلسون على ركبهم وأطراف أصابعهم . جلوس خضوع وخوف من هول هذا اليوم ، كما يجثو المحكوم أمام الحاكم ، وعندئذ تطالب كل أمة ، ليقرا كل فرد ما دون له أو عليه في صحيفة أعماله ، ويقال لهم : في هذا اليوم تحاسبون على ما قدمتم من عمل في الدنيا . وتُجزون عليه بالخير خيراً ، وبالشر شراً .
- ٣ - ويقال لهم : هذا كتابنا الذي سجلنا فيه أعمالكم ، يشهد عليكم بالحق ، لا زيادة فيه ولا نقصان . لأننا كنا نأمر ملائكتنا أن ينسخوها ويكتبوها ، وتحفظ عليكم إلى هذا اليوم الموعود .
- ٤ - لا ظلم اليوم ، كل مُلاق جزاء ما عمل ، بالحق والعدل ، فأما الذين آمنوا بالله وعملوا عملاً صالحاً . فجزاؤهم أن يدخلهم ربهم في جنته ، ويُفيض عليهم من رحمته ، وإن الحياة في نعيم الجنة حياة "دائمة" لفوز مبين ، ونجاح كبير ، وانتصار عظيم .
- ٥ - وأما الذين كفروا بالله ، وماتوا وهم كفار ، فيبعثون يوم القيامة ، ويساقون إلى جهنم ، ويقال لهم : ألم تكن آياتي التي تذكركم بالبعث ، والتي تهديكم إلى الإيمان ، تتلى عليكم فكذبتموها ، واستكبرتم على الإيمان ، وآثرتم الضلال على الهدى ، وكنتم قوماً مجرمين ، ضالين مشركين ؟

٦ - ولقد بلغ من استكبارهم وإصرارهم على الكفر، أنهم إذا ذُكروا بآيات الله، وقيل لهم: يا هؤلاء، إن وعد الله بالبعث حق لا محالة، وإن قيام الساعة أمر لا يَحْتَمِلُ الشك، بالغوا في العتوّ، وقالوا على سبيل الاستغراب والإنكار: أى شىء هى الساعة؟ وكيف تكون؟ ومتى تقوم؟ إننا لا ندرى من أمرها شيئاً، وليس لنا بها علم، وكل ما نعرف عنها لا يعدو أن يكون مجرد ظن وّحدس وتخمين، وما نحن عالمين بها علم جزمٍ و يقين .

٧ - لكن وعد الله حق . وحين تقوم الساعة يبدو لهم سيئات ما عملوا ، وتظهر لهم معاصيهم فى صورة وخيمة منكورة ، ويعرفون وخامة عاقبتها ، فإن جزاء سيئة سيئة مثلها ، وحلّ بهم من الجزاء ما كانوا يستعجلونه ، ومن العذاب فى هذا اليوم ما كانوا به يستهزئون .

٨ - وقيل لهم : اليوم نلقيكم فى عذاب جهنم ، وتترككم فيها تترك المنسى ، كما نسيتم لقاء الله ، والوقوف بين يديه فى يومكم هذا ، وكذبتكم به ، ومُستقركم ومسكنكم الدائم هو النار ، ومالككم من أحد ينصركم من الله ، وينجيكم من عذابه ، ذلكم لأنكم استهزأتم بالقرآن ، وسخرتم من آيات الله ، وغرّتم حياتكم الدنيا فظننتم أن لاهياة بعدها ، وقد تحقّق وعد الله ، فألقيتم فى النار لا تخرجون منها ، ولن يسمح لكم - كما تريدون - أن تخرجوا منها ، لتستغفروا ربكم وتُرضوه ، فقد فات الأوان وضاعت الفرصة عليكم .

٩ - فله وحده الحميد والثناء على واسع فضله ، وجليل نعمه ، هو رب السموات ورب الأرض ، ومالك الملك ، ورب العالمين أجمعين ، وهو جل شأنه صاحب العظمة والجلال ، والقوة والسلطان ، فى السموات والأرض ، العزيز الذى لا يُغلب ، الحكيم فى كل ما قضى وقدر ، فاحدوه وأطيعوه وكبروه ، جل جلاله . وتقدست أسماؤه .

## فهرس الجزء الخامس والعشرين من تفسير القرآن الكريم

أرقام الصفحات	أرقام الآيات في المصاحف	أسماء السور	الرقم
من ٣ - ٤	من ٤٧ - ٤٨	فصلت	١
٨ - ٥ »	» ٤٩ إلى آخر السورة	»	٢
١٦ - ٩ »	» ١ - ١٢	الشورى	١
٢١ - ١٧ »	» ١٣ - ١٦	»	٢
٢٦ - ٢٢ »	» ١٧ - ٢٢	»	٣
٣٠ - ٢٧ »	» ٢٣ - ٢٧	»	٤
٣٥ - ٣١ »	» ٢٨ - ٣٥	»	٥
٤٢ - ٣٦ »	» ٣٦ - ٤٦	»	٦
٤١ - ٤٣ »	» ٤٧ إلى آخر السورة	»	٧
٥٣ - ٤٩ »	» ١ - ١٤	الزخرف	١
٥٩ - ٥٤ »	» ١٥ - ٢٥	»	٢
٦٥ - ٦٠ »	» ٢٦ - ٣٥	»	٣
٧٠ - ٦٦ »	» ٣٦ - ٤٥	»	٤
٧٦ - ٧١ »	» ٤٦ - ٥٦	»	٥
٨١ - ٧٧ »	» ٥٧ - ٦٧	»	٦
٨٦ - ٨٢ »	» ٦٨ - ٨٠	»	٧
٩٠ - ٨٧ »	» ٨١ إلى آخر السورة	»	٨
٩٥ - ٩١ »	» ١ - ١٦	الدخان	١
١٠١ - ٩٦ »	» ١٧ - ٣٧	»	٢
١٠٦ - ١٠٢ »	» ٣٨ إلى آخر السورة	»	٣
١١٢ - ١٠٧ »	» ١ - ١١	الجاثية	١
١١٨ - ١١٣ »	» ١٢ - ٢٠	»	٢
١٢٣ - ١١٩ »	» ٢١ - ٢٦	»	٣
١٢٧ - ١٢٤ »	» ٢٧ إلى آخر السورة	»	٤

---

٣٥ رقم الايداع بدار الكتب القطرية لسنة ١٩٨٣ م .

---

---

## مطابع قطر الوطنية

تليفون ٨٨٣٤٥٤ ص . ب : ٣٥٥ الدوحة - قطر

---